


المجلد
الأول
العدد
العاشر
أپولو
مجلة فنية لخدمة الشعر الحى
لسان حال جمعية ابولو
تصدر مرة فى كل شهر
يونية سنة ١٩٣٣
صاحب الامتياز ورئيس التحرير
أحمد زكى أبوشادى
الادارة
بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر
التليفون
١١٩٦ زيتون
و ٤٠٤٥٦
مطبعة التعاون



الشعراء في الميزان

تَدَفَّقَتْ علينا رسائل ومَباحث شَتّى في نقد الشعر والشعراء سننشر مختارات منها تباعاً . وبين ما تلقَّيناه رسائل تقديرية لما سبق لنا نشرُه وعلى الأخص لكتابات الناقد الأديب القدير اسماعيل مظهر ولطريقته في التحليل النفسي للشعر . وقد أعجب غيرُ واحدٍ بما أظهره حضرات الكتَّاب من ضبط النفس والتغاضي عن الصغائر وروح الدعابة والمفاكهة حتى في مواقف الدفاع ازاء التحامل الشديد الذي وُجِّه اليهم والينا في حين أننا متجردون من كل دافع شخصي . ونحن يسرنا كل هذا ، فالأخذ والردّ لهما نهايةٌ ، ولا تبقى الا الكلمةُ النزيهةُ الطيبةُ وليس أجمل من سعة الصدر والتسامح . وخدمةُ الأدب خدمةً صادقةً تتطلب كلَّ هذا .

ولمَّا كان فراغُنا أضيق من أن يتَّسع لا كثر مما نشرناه من نقدٍ لشعر زميلنا العقَّاد فنرجو قبولَ عذرنا إذا اكتفينا بما نشرناه حتى الآن من مباحث ورسائل نقدية عنه اللهمّ الاَّ اذا وُجِدَتْ مناسبةٌ خاصة لذلك ، ونرى من العدل أن يُخَصّ نقد غيره من الشعراء في المستقبل بنصيبٍ من فراغنا كما لاحظ أحدُ حضرات النقاد في هذا العدد . واذا كانت بعضُ هذه المباحث لم تُسْتَوْفَ بَعْدُ فلعلّ ما نشرناه منها كافٍ للدلالة على قيمتها الأدبية واتجاهها .

وأخيراً نرجو من حضرات الشعراء أن يؤمنوا باحترامنا وتقديرنا لمجهودهم ، وأنّ نشر النقد لشعرهم في هذه المجلة — سواء أقسا أم لان — لا يَعني أكثر من حرية منبرنا العام ، دون أن نكون مُلزَمين بالموافقة على آراء حضرات النّقاد أو بالاخذ بمذاهبهم الفنّية . وصفحاتُ (أبولو) ترحب في كلّ وقتٍ بكلّ ما يؤدّي الى إنصاف الشعر والشعراء إنصافاً لُحمتُه وسَداهُ التحقيقُ

والتدقيقُ لا التَّهريجُ والتصفيقُ . وليس أحبّ الينا من أن يكون فى طليعة من يُنقَد شعرهم أعضاء مجلس (جمعية أبولو) ومحرر هذه المجلة بالذات ، وصفحاتها ترحّب بهذا التعاون النقدى الحرّ من أيّ أديب غيور ، فلا يكره النقدَ غيرُ العاثر والمغرور ، ونحن بحمد الله نعتبر من مقدمة رأس مالنا الشجاعة الأدبية ولا نقبل بتاتاً أيّ مجاملة فى سبيل الحق والنور .

ويطيب لنا بهذه المناسبة أن نشيد بروح التسامح الحرّ بأن يُقتدى به من رئيس جمعيتنا خليل مطران بك ، وفى كلمة نزيهة عنه ذكر لنا الشاعر الشهير عبدالرحمن شكرى اعجابه واحترامه لمطران ، وذلك : « (١) لأنه أقدر الشعراء على اللغة وأكثرهم اطلاعاً ، (٢) لأنه مع قدرته على اللغة كان أول من نهج منهجاً جديداً وبثّ فى الشعر روحَ العبقرية وبرّز فى هذا المنهج أعظم تبريز ، (٣) لنزاهته فى حياته الأدبية — تلك النزاهة التى سمتْ به عن الأحقاد التى لا تليق بزعيم » .

وهذه الملاحظات من شكرى تقبل الترديد الكثير ، وهى خليقة بأن يستوعبها كلُّ من تحدثه نفسه بان يكون فى الطليعة . ولم تؤسَّسْ هذه المجلة ولا (جمعية أبولو) لخلق الاصنام ولا لحرق البخور ، وانما لتخدم الشعر ذاته ولتخدم الشعراء كوحدة معنوية ، فاذا أسخط هذا المبدأ علينا محبّى الزعامة واتّخذوا من منبرنا الحرّ حجةً لاتهامات شتّى تُكال ضدّنا فنحن نشفق عليهم ونُحبّ أن نذكرهم بحقيقتين : (١) الأولى انه يستحيل علينا أن نبخسهم فضلهم مهما تفنّنوا فى التقوّل علينا ومحاولة ايذائنا لأن أساس احترامنا لا نفسنا يعتمد على احترامنا لسوانا ، وكلّ من لا يتجمّل بروح الانصاف والتعاون انما يكون صغيرَ النفس ، و (٢) الثانية انّ هذا العبث الصبيانى سيبقى وصمة فى سيرتهم الادبية ودليلا على أنهم لم يبلغوا صيتهم الا بوسائل مفتعلة من تصنّع ومهاترة ، ومثل هذا الخزى لأدباء مواطنين — حتى وان لم يحسّوا به — يؤلم كلّ غيور يشتهى أن يكون تاريخ الأدب المصرى شريفاً نقياً .

نصرّح مرة أخرى اننا لانعرف للشخصيات ولا للانقسامات الحزبية — كيفما كان لونها — طعماً ولامعنى فى أمة أحوج ما تكون الى التعاون الصحيح بين جميع أبنائها . وقد وسعت جهودُنا دائماً تقدير العاملين النابهين من شتى الاحزاب والهيئات لان هذه هى روح الثقافة الصادقة ، وأمّا البغض أو الملق أو التحزُّب فمظاهر وصفات من أحطّ ماجَنىَ ويجْنِى على الشعوب — وعلى الشعوب المستضعفه على وجه

التخصيص ــ ولا يمكن أن تقبل تسرّبها الى عملنا مهما عُودينا وأوذينا فى سبيله .

الشاعرية والانتاج

من الحقائق المعترف بها انّ من أقوى الاسلحة التى اعتمدت عليها الاممُ المتحاربة فى الحرب العالمية قتل الروح المعنوية فى خصومها .

ويظهر أنّ فريقاً من الادباء المتجردّين من روح الأدب ينظر الى زملائه نظرة المحاربين فيعنيه قهرهم بكل الوسائل المستطاعة ، ومن بين هذه الوسائل قتلُ الروح المعنوية فيهم ! والمشهودُ انهذا الفريق يتّصف أعضاؤُهُ بقلة الانتاج وبالتخاذل والجحُود وبالتملّق والرياء ، لا تعرفهم غير المقاهى والمظاهرات التهريجية والغرف المهملة فى ادارات بعض الصحف حيث يتخذونها مراكز لمحاربة من يشاؤون من الأدباء المنجبين لغاياتهم النفعية الخاصة .

ومن أغرب الخرافات التى يروّجونها انّ الشاعرية الممتازة مقصورة على قلة الانتاج وعلى هذا الاساس يعمدون الى قصّ جناحىْ كلّ شاعر مُنجب يحاول أن يطير ... صحيحٌ انَّ بعض الأدباء المخلصين يرى أن قلة الانتاج كثيراً ما تلازم الاجادةَ . وهذا وهمٌ قديمٌ ، والشواهد التاريخية ضده أكثر من أن تُعدّ . ولكنّ أولئك السّادة الهدّامين الذين نعنيهم بهذه الكلمة يرمون الى أبعد من ذلك ، إذ يهمهم القضاء على الروح المعنوية عند كل شاعر مُنجب لانهم هم أنفسهم مصابون بالعقم والافلاس .

انَّ الشاعرية المطبوعة متى سندتها الثقافةُ اللغويةُ والثقافةُ العامةُ لايجوز أن تُحاسَب على انتاجها بأية صورة من الصّوَر ، فقد يتفق أو لا يتفق لجودة الشعر أن تصاحب كثرة الانتاج أو قلته وليس حَتْماً أن كل شاعر مقل مجيدٌ ولا كلّ شاعر مكثر غير مجيد ، فانما الشعراء منابع وربّما تسرّب ماء النبع الى غير ظاهره وفى الواقع لانعرف شاعراً مطبوعاً الا وهو مُكثر بفطرته فى خواطره الشعرية فاذا تخلّف كثيرٌ منها عن نظيمه فانما يرجع ذلك الى عوارض لا تتصل بشاعريته مثل تهيّبه أو عدم ثقته بنفسه أو ضغط شواغل الحياة عليه . فالحملة التى يدبرها هؤلاء العجزة من الصحفيين أو غير الصحفيين على الشعراء النابهين المنجبين بين وقت وآخر والتى يرمون بها الى تثبيط مشاعرهم وعواطفهم المتوثبة ليتساوى الجميعُ فى الركود والجمود ــ هذه الحملات لانتيجة لها عند ما تُفلح غير خسارة الأدب ذاته بحرمانه إنتاج أولئك الشعراء ، وهى اذا لم تفلح كانت خزياً لصحافتنا التى نشتهى ترفّعها عن مثل هذا

الهذيان . وقد لاحظنا هذه الحالة بصورة بارزة فى أحد شعرائنا المقلين المجيدين ، وعندما لجأنا الى تحليل نفسيته اعترف بأنّ التهيبَ يتملكه اذا ما حاول النظم وانه تأثر بتلك « التعاليم » . وقد بذلنا ما فى وسعنا لمعالجة هذه الحالة النفسية عنده وكانت النتيجة أن ظفر الشعرُ العصريُّ بانجاب جديدٍ موفّقٍ له وقد أصبح فى عداد الشعراء المنتجين الذين نسعد بمطالعة آثارهم .

الشعر للشعر

وفى الواقع لن يستطيع أيُّ دَعِيٍّ ولا أيُّ ناقدٍ مغرضاً كان أم مخلصاً أن ينال من نفسيّة الشاعر إذا كان الشاعر مؤمناً برسالته ومتى كان ينظم الشعر للشعر ذاته بدافعٍ وجدانيٍّ ولا يعنيه بعد ذلك أيُّ اعتبار خارجيّ . وبلوغ هذه الصفة الروحية ليس بالأمر السهل ، فنحن فى شبابنا نحنّ الى التجاوب وتبادل المحبة ، ولذلك يتوق الشاعرُ الشابُّ الى من يستمع الى شعره . وكلما أغفله الجمهور أو الصحف واعتقد بصلاحية شعره ثار لذلك . ثم يحين الوقتُ الذى يشعر فيه بأنّ لديه رسالةً روحيةً يريد أن يذيعها وينشد المنبر الذى يستطيع أن يُدلى من فوقه برسالته فلا يجده أو يقاومه الأنانيون أشدَّ مقاومةٍ ويحولون دون بلوغه اياه لأسباب مختلفة ، فيكون هذا مثاراً لحرب أخرى بين شعراء الشباب ومن يصدّونهم ، وينزع كلٌّ من الفريقين الى خططه الخاصة لبلوغ مأربه !

هذا تصويرٌ لا مبالغةَ فيه للصراع الأدبى فى مصر فى ناحيةٍ من نواحيه . ولذلك اعتبر كثيرون تأسيس (جمعية أبولو) وانشاء هذه المجلة فاتحةَ عصر جديد زاهر للتعاون بين الشعراء وخدمة الشعر العربى ، على أن يكون أساس هذا التعاون انصاف المواهب لا خلق الاصنام ولا استنسار البغاث. ونحن نستهدى فى عملنا بمجلسٍ قويٍّ وبلجنةٍ للنشرِ غيورةٍ على انصاف كلّ ذى موهبةٍ ممتازةٍ فتدرس جميع ما يُنشر فى هذه المجلة وتوصى بما ترى فيه الفائدة للشعر والشعراء . ولكن بعض الشعراء برغم ما نبذله من الجهد للتعاون والانصاف قد يستهدف لحملاتٍ غاشمة عليه فى بعض الصحف والمجلات ، واذا بكل هذا يكاد يقضى على روحه المعنوية ويفسد إنتاجه . بيد أن كل هذا يهون لو أنّ الشاعر تدرّع بروح الاعتداد والايمان برسالته، ولا يعنى ذلك الغرور بالنفس فالأديب المثقف الغنىّ النفس لن يتملكه الغرور ولن يخشى النقد بل ينشده ويستفيد منه ويراجع نفسه تكراراً أمامه ، لعله يكتشف فيه ما قد ينفعه لتقويم شعره . ولكنه بعد تكرار المراجعة لا يخضع لمثل هذا النقد

اذا ما وجده سخيفاً مُغْـرِضا لا جدوى منه ، ولا يُجارى المتشاعرين الذين يتمسَّحون بادارات الصحف لتنشر شعرهم أو لتكتب عنهم أو ليأمنوا نقد محرريها بل يسخر من الجميع ويحتفظ بكرامته ونفسيته .

الشاعرُ روحانىُّ النَّبع ، فاذا غالب الدوافع الخارجية المادية وغيرها واطمأنت نفسه الى الاستمتاع بآثار وجدانه ، وجعـل لذلك المحـل الأول من غبطته ، لم يبال بعد ذلك بنظرة الجمهور الى شعره . واذا تألَّم وقتياً لاغفال رسالته فـله أن يثـق بان الجوهرَ اللامعَ لن ينساه الزمن ، ولابدَّ أن يشعَّ عاجلاً أو آجـلاً من خلف الأستار .

ليـكن مذهبُـنا الخالدُ أنّ الشعر للشعر ، وبعد ذلك ليكنْ الباعثُ الشعرىُّ للشاعر على طبع آثاره هو مجرد حنينه الى الاندماج فى الانسانية اذا ما استوعبت شعرَهُ كأنس الصديق باصدقائه المدعوّين الى مائدته . كذلك حُبُّ الحياة لنفسه الفنيّـة (لا من وجهة الأنانية بل من وجهة الإعزاز للروح الشعرية المحبوبة فى ذاتها) يدعوه الى إذاعة هذه الآثار لأنه يشعر بوجـدانه أنها أغلى شطر من نفسه ، بل أكثر من ذلك : فهو يضع نفسه فى صفّ الآلهة بما يخلقه من آثار فنّية ، ونَشْرُهَـا يعزّز ارتيـاحه الى أنه روحٌ خالدٌ فى الوجود .

ومتى أدّى الطبعُ أو التطبُّعُ الى هذا الصفاء فى نفس الشاعر صغرت فى عينه أوهامُ الناس وتحاسُدُهم ونزاعُـهم وعظمت شاعريتُه ، وكان جديراً بان يؤتَمن على رسالة « الشعر للشعر » .

مجنون ليلى

أشرنا من قبل إلى الخدمة الجليلة التى يؤدّيها أدباؤنا المـترجمون إلى الأدب العربى . وفى مقدمة الهيئات المحسنة فى هذا السبيل لجنة التأليف والترجمة والنشر التى كان من آخر حسناتها الأدبية اصدار ترجمة (هرمن ودروتيه) بقـلم الدكتور محمد عوض محمد نقلاً عن الأصل الألمانى لجوته ، فأتحفت الأدب العـربىّ بتحفة جديدة من كنوز الغرب وساعدت على تنمية المكتبة العربية العالميـة ، وهى فى نظرنا من أسمى الأمانى التى يجب أن نعمل على تحقيقها للتسامى بثقافة لغتنا . واذا كنا نقدّر لجنة التأليف والترجمة والنشر من هذه الناحية فيهمّنا أن نقدرها من

ناحية أخرى وهى أن تعمل بالاتفاق مع أفاضل المستشرقين على ترجمة روائع الأدب العربيّ إلى اللغات الأوروبية .

نكتب هذه السطور لمناسبة صدور الترجمة الانجليزية لمجنون ليلى بقلم الأستاذ أرثر جون أربرى ، وقد كنا مع المغفور له شوقى بك فى الصيف الماضى حينما وافاه كتاب المستر أربرى من كيمبردج مستأذناً فى ترجمة هذه الدرامة المعدودة أحسن درامات شوقى. فكان الفقيد مبتهجاً بهذا التقدير، وكم كنا نود لو أنه حىّ الآن ليرى هذا الأثر البديع لمجهود مستشرق فاضل كالمستر أربري .

انّ قصة « مجنون ليلى » فى الأدب العربى هى نظيرة « هيرو وليـاندر » أو « روميو وجوليت » فى الأدب الغربى ، وهى أشهر من أن يُعرَّف بها لدى أبناء العروبة ولكنها مجهولة عند الغربيين . ومهما يكن فى هذه الدرامة من إبهام أو ضعف فهى أثرٌ أدبىٌّ نفيسٌ ، ومن الغنم لنا التعريفُ بها لدى الاوروبيين ، خصوصاً إذا عُنيتْ إحدى فِرَق التمثيل الانجليزية بتمثيلها . وقد تصفّحنا هذه الترجمة فأعجبتنا قدرةُ المستر أربرى على التوفيق إلى حدٍّ بعيدٍ بين الأصل العربى والنقل الانجليزى بحيث لم تَفُتْهُ حتى الاستعارات والتشابيه العربيـة الصميمة ، ورأيناه يستعملُ النظمَ المرسَلَ بسهولة بديعةٍ ، وهو النظم الذى يلائم الدرامات والمآسى ، وهو والشعر الحرّ أنسبُ لها مراراً من النظم العربى ذى القافية الواحدة لأن الحرية والسماحة فى التعبير ألصق بالحياة وأجدى على الفنّ .

وإذا شكرنا للمستر أربرى هذه المنّـةَ على الأدب العـربى فيجب أن لا ننسى شـكرنا العملى له : وهو إقبالنا على هذا الأثر الممتع الذي تعب كثيراً فى إخراجه حتى يكون لهذا الاقبال التشجيـع المنشود له ولغيره من أفاضل المستشرقين فى تبادل الثقافة بين الشرق والغرب .

النظم والشخصية

فى مَبحثٍ شائق للاستاذ اسبيت (Speight) من جامعة حيدراباد بالهنـد نشرتْه حديثاً مجلة الشعر الانجليزية عن افصاح النظم عن شخصية الشاعر ذكّرنا الاستاذ بأن الناقد الجيد هو الذى يستطيع أن يميّز ويوضح النغمة الشخصية للشاعر الذى ينقده ، وأن الواجب علينا أن نعوّد أنفسنا على وجهات النظر الأخرى ، وأنه

لا يمكننا أن نحكم بعدل دون مقارنة وبغير أن تستثيرنا للحكم الراجح عقول أكبر من عقولنا . وقد تكلم عن دراسة أندرو برادلى (Andrew Bradley) عن الشعر وخلص منها بنتيجتين هامتين : الاولى ان الشعر — كالفنون الاخرى وكالدين والفلسفة — يحاول دائماً أن يعبر عن شىء يتكهَّن به مبهماً وغاية تعبيره أن يشير اليه . والثانية أن الشعر روح لا نعرف من أين مصدره وهو يتكلم بلغته الخاصة حينما يريد وهو حاكمنا قبل أن يكون خادمنا. وليست هذه الحقائق بالجديدة لدى الشعراء المثقفين ولكنها مجهولة عند كثيرين من الكتاب المحافظين الذين يتناولون نقد الشعر والشعراء جاهلين أو متجاهلين عنصر الشخصية وعوامل التعبير فى الشعر، وبين هؤلاء من يحسبون مع ذلك مجهود هذه المجلة لتصحيح مقاييسهم البالية نكبة على الشعر العربى !

دراسات الشايب

صرّحنا غير مرة أننا نقدّر بوجه خاص نقد الشاعر للشاعر اذا ما تجرّد عن الهوى . ويسرّ القراء أن يعلموا أننا تلقّينا وعداً صريحاً من الناقد الضليع احمد افندي الشايب مدرّس الأدب العربى بكلية الآداب بالجامعة المصرية بأن يوافى (أبولو) شهرياً بدراسة مستقلة وافية عن شاعر من المعاصرين فى غير ترتيب خاص . وستشمل دراساته الاولى خمسة شعراء معروفين وهم : محمود ابوالوفا ومحمد الهراوى وابراهيم ناجى وعلى الجارم ومصطفى صادق الرافعى .

وأخصّاء الشايب يعرفونه شاعراً عاطفياً يقرض الشعر لمتعته الخاصة ، وناثراً مبدعاً فى كل سطر من سطوره روح الشعر ، ولكن طبيعة حياته المدرسية وجّهته أخيراً أقوى توجيه الى الدراسات الأدبية والنقد الادبى فى محاضراته الجامعية وفى كتاباته الى المجلات الراقية . وكلٌ مستمتع بما دبّجته يراعتهُ يقدّر صفاءَ النفس وعمقَ التفكير واستقلال الرأى وقوة البيان المتجلية فى كتابته الموهوبة هبةً خالصةً الى الادب وحده . فلنا أن نعدّ هذه المؤازرة منه غنماً لأبولو ولقرائها نشكره له





قصة البخت النائم

للشاعر عثمان حلمي

— ٣ —

الملك : وهنا رقَّ له قلبُ الملكْ وأحسَّ الصدقَ في أقواله
إن إحساني وعطفي شملكْ أيها الغامضُ في أحواله
فاذا حققتَ يوماً أملكْ ووجدتَ البختَ في إقباله
عُدْ الينا بعده كي نسألكْ ما الذي شاهدته من حاله
أصدوقٌ هو في أقواله
أو كذوبٌ هو في أقواله

ثم لا تنسَ إذا قابلتَهُ بعد أن يصحوَ أن تسأل عنّي
قل لهذا البخت إن حادثته ما الذي يعلم من حالي وشأني
إن لي ملكاً اذا شاهدته قلتَ فيه انه جنّةُ عدن
وتلطفْ أنت إن ساءلته عن حياتي والذي أبصرتَ مني
مَلِكٌ بالعدل للأمة يبني
مجدها لم يطو من حقدٍ وضغنٍ

وأسأل البختَ : أما من سببٍ لاسى قلبي فاني لستُ أدري
غير همٍّ دائبٍ في طلبي وشجون كدن أن يذهبن صبري

لست أدرى كيف يحمى غضبى دون أن أزعج فى ملكى بشرّ
وحياتى غايةٌ فى العجبِ رغم ما قدنلتُ من جاهٍ وقدر
ولقد ضاق بهذا الملك صدرى
فمتى أهدأ فى سرّى وجهرى

أُبصرُ الايامَ فى عينىَّ سودا وأرى الدنيا بعين الحاقدِ
ملّ قلبى الواجدُ العانى الوجودا وغَدَتْ نفسى كنفس الزاهدِ
لا أرى فى هذه الدنيا سعيدا خُلق الناس بكون فاسدِ
وأساهم أين كانوا ان يبيدا رجع الكلُّ بهم خالد
وَلَدٌ يشقى شقاءَ الوالد
وتساوى هابطٌ بالصاعدِ

أين ألقى راحتى الكبرى ولى فى جلالِ الملكِ ما ليس لدونى
وحياة الملك زادتْ مللى كلما عشت بها زادت شجونى
لم يعد لى بينها من أملِ فى وجودى فمتى تهدا ظنونى
ومتى يبرحُ عنى وجلى ومتى ينعم قلبى بالسكون
كدتُ أن أفقد فى عمرى يقينى
ورأيت العيشَ فيه كالمنون

يحيى : قال ـ هذا لك يا خيرَ البشرْ أسألُ البختَ فبختى يعلمُ
فإذا ما عدتُ يوماً بالخبرْ زالَ عن نفسك هذا الالمُ
إنما الايام بالناس تمرْ وحياةُ الناس فيها حلمُ
حلمٌ يزعج والدنيا كدرْ أىُّ فرد من أذاها يسلمُ
وعميقٌ سرها لا يُعلمُ
وغبىّ الناسِ فيها ينعمُ

وسعى يحيي الى غايته في سكون ومضى في حاله
لم يفكرْ قطُّ في راحته لا ولا دار الهدى في باله
يعملَ الفكر على عادته ويثيرُ الهمُّ من بلباله
غير راضى النفس عن حالته تبعثُ الآلامُ من آماله
صوراً تترك في أمثاله
ما يُبين العزمَ في اعماله

كلما فكر في حال الامير كيف لا يرضيه ملكٌ واسعُ
أتُرى يزعجه صوت الضمير أم بملكٍ غير هذا طامعُ
ملكٌ ينعم في ظل القصور وافرُ النعمة فيها وادعُ
قال : أنىَّ لى بمخلوق شكور لم يَلُح لى في الحياة القانعُ
أين في الدنيا القريرُ الوداعُ
إن يكن فيها مليك جازعُ

موقفٌ من عجب حيَّرَهُ وأثار الشكَّ في أعماق قلبهْ
ملك في مجده ما سرَّه كلُّ ما شاهد من مجد بقربه
أيُّ شر في الهوى أبصرهُ تركت آثاره جرحاً بلبه
أيُّ حال في الورى نفره ملكه الواسع أو كفران ربه
ربما أحزنه سرٌّ بقلبه
فهو لا يذكر لى أسباب رعبه

وحياة الملك في بهجتها إن بدتْ يوماً لمن يجهلُها
تأخذ النفسَ على غرتها وتُريها كلَّ ما يذهلُها
توقظ الألباب من غفلتها وترى الأنفسَ ما يثقلُها
وتحس النفسُ من هيبتها رهبةً لا رهبةٌ تعدلُها

من حياةٍ هى لا تعقلُها
وجلالٌ وافرٌ يصقلُها

ومضى يحيي وحيداً ما له من أنيسٍ غير تلك الفِكَرِ
يلعنُ الدنيا ويبكى حاله ثائراً من ضرباتِ القدرِ
يوقظ الصبحُ به آمالهُ والدجى يسقيه كأسَ الحذرِ
لم يدعْ وقعُ الضنى أوصاله سالماتٍ وانثنى بالبَصر

منه يُطفى نورَهُ بالكدرِ
وغدا يحيي ضعيفَ البصرِ

ما الذى يرجوه من طول العنا بعد هذا السفر المرّ الطويل
وهو لليوم حزينٌ ما جنى غير ألوانٍ من الهمّ الثقيلِ
فاذا ما ذكرَ البختَ انثنى غاضباً من رقدة البختِ الضئيلِ
فهو أقصى أهله والوطنا عنهُ واختطّ له شرّ سبيلِ

ورماهُ البختُ فى شرٍّ وبيلِ
ماله أنّى تولّى من مثيلِ

ورأى يحيي قبيلَ المغربِ شبحاً أسودَ فى ثوبٍ قذرْ
قال : يا ويحى أهذا طلبى أم شقاءٌ آخرٌ لى ينتظرْ
ضلّ بختى بى فهل من سببٍ لهدى نفسىَ فى هذا السفرْ
سفرٌ قد هدّنى من تعبٍ دون أن أعلم للبختِ مقرْ

سفر طالَ ولكن لم يذرْ
لحياتى فى المنى غير أثرْ

وسعى نحو مكانِ الشبحِ فرأى شخصاً ضعيفاً راقدا

راقداً من تعبٍ لم يبرحِ قالَ:هل أوقظ هذا الهاجدا؟
ثم نادى مرةً ، لم يُفلحِ في الندا ، إذ ظلَّ هذا جامدا
ثم نادى ثانياً ، لم ينجحِ في نداه ، ثم هزَّ الساعدا

ثم هزَّ الجسمَ جسماً باردا
فانثنى الراقدُ حيّاً قاعدا

قال: من أنت وما هذا الكرى أيها النائمُ ؟ ما هذا الرقادُ ؟
قم ويكفيكَ رقاداً ما ترى ان طول النوم يقفوه السُّهادْ
إنَّ نوماً خالداً تحت الثرى وإذا نحن مضينا لا نُعادْ
هكذا المشهود من حال الورى غايةُ العمر انتهاءٌ ونفادْ

وحياة الناس سعيٌ وجهادْ
ليس يجديهم هجودٌ ورقادْ

فاستوى الجالسُ في جلستهِ وعلى عينيه آثارُ الوسنْ
ودنا والنومُ في مقلتهِ عالقٌ بالجفن من طول الزمنْ
لا يلوح الخيرُ في نظرتهِ أو على هيئته شيءٌ حسنْ
لبث الجالسُ في دهشتهِ لحظةً في صمته حتى اطمأنْ

وكأنَّ الوجهَ منه وجهُ جنْ
وهو في جلسته مثل الوثنْ !

قال يحيي في اضطراب :أنت منْ أنت لا تعقلُ أم أنت صنَمْ
وغريبٌ أنت من أيِّ وطنْ أنت ياهذا أجبني ثم نَمْ
أنت إنسٌ مثلنا أم أنت جنْ وسميعٌ أنت أم أنت أصمْ
حرتُ في أمرك قل لي أنت منْ أنت راعٍ فاذن أينَ الغنمْ

أم طريدٌ انت من ثارٍ ودمْ
أم تمادى بك فى الدنيا الألمْ؟

البخت : قال يا يحيى ألا تعرفُني ؟ إننى بختُكَ يا يحيى اطمئنْ !
بختك النائمُ قد أيقظتنى من سباتى وتجشمتَ المحنْ
وأنا اليوم وقد انقذتنى بالمنى والعزم من طول الوسنْ
أنا صاحٍ لك لا يمنعنى عن أمانيك صعابٌ أو زمنْ
سترى السعد من الآن فكنْ
عند ظنى لا تخيّبْ لىَ ظنْ !

إننى أعلمُ ما لا تعــــــلمُ أنا سرٌّ لم يذعــه القِدَمُ
قد جرى بى مذ خلقت القلمُ لك فى الغيبِ وما يجْـترمُ
كاتبُ الغيبِ وما يعتصـمُ منهُ مخلوقٌ ولا يُسترحَـمُ
قِسَمٌ : هذا سعيدٌ ينعمُ أو شقىٌّ أو جهولٌ مجـرمُ
كلُّ ما فى الارضِ هذا قِسَمُ
ليس من قوّتها مُعتصمُ !

إيه يا يحيى وقد أيقظتَـنى عُدْ ولا تخش شقاءً أو تخفْ
أنت كم جهلاً بسرّى لمتَـنى دون أن تعرف ما مثلى عَرفْ
كلما صادفتَ شراً زدتنى لعنةً وازددتَ فى الغيظ سخفْ
وتجاوزتَ إلى أن جئتنى بعد أن أصبحتَ فى حكم التلفْ
عُدْ ودع عن نفسك الحيرى الاسفْ
عُدْ فإن الوقت يا يحيى أزفْ !

أنت بعد اليوم فى ظل السلامِ أنا أرعاك بعين لا تنامُ
أنا حاميك ومثلى خيرُ حامى لك حتى يتولاك الحِمامُ

لا تخف فى موقف أىَّ انهزام لاولا يزعجْك فى الدنيا احترامُ
لك فى اليقظةِ أو عند المنام حارسٌ يرعاك منى لا ينامُ

كل أيامك سعدٌ وابتسامُ
ليس ينبوعك قصدٌ أو مرامُ

فاستمع لى إننى أنصحكا فاحفظ النصحَ ولا تكثر كلاما
لا ، ولا تشك فغرٌّ من شكا حظَّه أو أوسـع الدنيا كلاما
واذا لاحت الارض لـكا فرصةٌ فازدد نهوضاً واعتزاما
وانتهـزها إن من قد تركا فرصةً فى العمر لم يبلغ مراما

إن من عن فرص العمر تعامى
لم يَعُدْ يملك فى العمـر زماما

لا تدعْ من فرصـةٍ قط تمرْ واذا ضاعت فلُمْ نفسَكَ لُمْ
أنت إن ضيعتها ضعتَ هدرْ وتندمت وما يجـدى النـدمْ
زمنٌ قدّره فيها القدرْ زمنٌ قاس سريع لم يدمْ
فاذا ولتْ تولاك الـكدرْ واذن تدركُ ما معـنى الألمْ

قم اذن واسع الى شأنك قـمْ
لا ترع يوماً ولا تجزع لهمّْ

يحيى : قال ـ يا يحيى لقد أفـرحنى كلُّ ما قلتَ فهبنى منك صبرا
مرَّ بى دهـرى وما أنصفنى لا ، ولم يجعل لمجهودىَ قدرا
وركبتُ الصعب، ما أسعدنى لحظةً بل زاد بى فى العيش سخرا
ولقـد صادفت ما أحـزننى ولقدضقتبهذا الـكون صدرا

كلما ازددتَ على الايام خـبرا
زدت من قسوتها حزنا وقهرا

أيها البختُ وهل تعلمُ ما نالني في سفري من تعبِ
أنت لو تدرك ما حالي لما كنتَ الا راحمي من كُربي
أعلى غير هدى أسعى وما كان لا بدّ له من سببِ
سببٌ للسعد والنحس وما كان في جدها من لعبِ
والذي يفعمني بالعجبِ
هو جهلُ النفس أصلَ السببِ!

كيف أرتدُّ الى أرض الوطنْ دون أن أحسب ما سوف ألاقي
في طريقي أسدٌ قاسٍ خشنْ جائعٌ خلصني منه نفاقي
هل دواءٌ يبرئُ الجائعَ مِنْ جوعهِ اذكره وقتَ التلاقي
فاذا ما سكنَ الداءُ سكنْ وانتهى عن ضرري أو عن لحاقي
فهو قد قابلني دون اتفاق
ولقد فارقته بعد اتفاق!

ثم لاتنسَ سؤالَ الشيخ عنْ كنزه وهو مقيمٌ في انتظاري
وهو مخلوقٌ عجيبٌ لم يكنْ ابداً إلا مخوفاً في القفار
هجرَ الناس وفي القفر سكنْ مفرداً بين جبالٍ وصحاري
وحياتي لو تغافلتُ ثمنْ عنه إذ يبطش بي بطش اقتدار
فأجبْ يا بختُ عن سؤلي حذارِ
من غريب لم يرد غيرَ خساري!

وهناك الملكُ العاني أجبني بالذي تعلمُه عنه وتدري
ملكٌ آسٍ حزينٌ لم يدعني ان أرى وجهك لا بعدُ عسرِ
ما الذي يذهب عنه كلَّ حزن دلّني إن كنتَ تدري أيَّ سرّ
واذا ما عدتُ يوماً لم يلمني هو في جهلي ولا استصغر قدري
كيف يقضي العمر في خوفٍ وذعرِ
وهو لم يعكفْ على اتيانِ شرّ

البخت ـ قال : لا تكثرْ من السؤلِ وسرْ — أنا أُوحي لك ما سوف تقولُ
انا أرعاكَ فلا يزعجك شرْ — أينما ملتَ فبالسعدِ تميلُ
هكذا أودعَ بى سرّ القدرْ — وهو سرٌ قصرت عنه العقولُ
سوف لا تبصرُ الا ما يسرْ — لو سمعت النصحَ والنصحُ ثقيلُ
لا تُضع من فرصةٍ فهى تزولُ
ردُّها لو هى زالتْ مستحيلُ

ومضى يحيى إلى حيث أتى — فرحاً فى سيره نحو الوطنْ
قائلاً للنفس : يا نفسُ متى — أبلغ الأهلَ وفى اىِّ زمنْ
قلبُه من كلِّ همٍّ أفلتـا — يفتدى فى طربٍ لا فى شجنْ
لم يزل بعـد الذي لاقي الفتى — قلبُه قلبَ طروبٍ ما سكنْ
يأخذ الدنيا واقبالَ الزمنْ
بهدوءٍ وضميرٍ مطمئنْ

وإذا لاح له البدرُ تغنّى — بالأمانى للضياء السـاطعِ
وإذا ما أشرقتْ شمسٌ تمنّى — ان يرى الأهل بعيشٍ وادعِ
نسيَ المـاضى بما مرَّ وافنى — منه ما افنى بسوء الطالعِ
وإذا أبصر وجهَ الحسن أثنى — شاكراً كفَّ القديرِ الصانعِ
ومضى عنه خيالُ الجـازعِ
فهو مأخوذٌ بأمرٍ واقعِ

نبتَ العُشبُ على أعلى القمـمْ — وانثنى النـوّارُ بين النرجس
وكأنَّ الزهرَ فى روضٍ رُسِمْ — بيدٍ لم تقترف من دنسِ
كلمـا هبَّ على الزهرِ نسمْ — عُطِّرتْ منـه بروح قدسى
كادتْ الأرضُ ابتهاجاً تبتسمْ — وتجلّت فى الثيابِ السـندسى

في هضاب كلها لم تغرسِ
في الفلا إلا بذوقٍ سلسِ

صُوَرٌ شتّى من الحسن لها | أيُّ وقعٍ في فؤاد الناظرِ
أفعمت فناً وطارتْ بالنهى | في صفاءٍ بجناحيْ طائرِ
طرفُ يحيي عن جناها ما لها | أو سها عن كلِّ حسنٍ ساحرِ
فهو نشوانُ عما لاح بها | من رضاءٍ وجمالٍ باهرِ

في هضابٍ رُصِّعتْ بالناضرِ
من كمالِ صنعِ ربٍّ قادرِ

لم يرعه القفرُ أو وحشتُه | ورأى غيرَ الذى قد أبصرا
صوراً هامت بها مهجتُهُ | وهي ما أنكرها واستنكرا
لم يكن إلاّ الاسى آفتُهُ | حينما عادى القضا والقدرا
ورأتْ في ثورة مقلتُه | غير ما يلقاه في الكون الورى

كان أعمى في ظلام لا يَرى
فانتهى النحسُ واضحى مبصرا

تضحك الدنيا له عن ثغرها | كلما لاحت له بيضُ الاماني
ولكم جالتْ به في شرِّها | ورمته في شقاءٍ وهوانِ
ولكم حيَّره من مكرها | ما يثيرُ الحزنَ في صفو الجنانِ
عجزت مهجتهُ عن قهرها | ولقد يعجزُ عنهُ الثقلانِ

ظلَّ في الماضي حزين النفس عاني
فانثني يسعى على نور الأماني

هكذا الأيام والدنيا إذا ما | هيأت للمرء أسبابَ النجاحِ
لايرى الانسانُ في الدنيا ظلاما | بل يرى الليلَ منيراً كالصباحِ

ويري فى ضجة الدنيا سلاما ويرى فيها مجالاً للطماح
إن صحا بين المنى أو هو ناما لم يدرْ فى نفسه غيرُ الفلاح
دائم البهجة موفور المراح
يتلقى كلَّ أمرٍ بانشراح

ان لون النفس من لون الليالى وضياء الوجه من ضوء الفؤاد
وحياة الناس من حالٍ لحالٍ والليالى رائحات وغوادى
ووجود الناس فيها كالخيالِ مهجٌ تمضى وعمرٌ للنفاد
والمنايا عن يمين وشمالِ يتلمسن أساليب الفساد
وقليلٌ بالغٌ بعض المرادِ
وكثيرٌ خائب بين العبادِ

لا ترع من قسوة الدنيا ولا تملأ الدنيا بكاءً وعويلا
واتخذ للخير فيها سبلا لا تظنَّ الخير فيها مستحيلا
وانهب العمر اذا ما أقبلا نحوك الحظُّ ولو كان ضئيلا
فرصٌ ضيَّعها من غفلا لم تجد ان أفلتت عنها بديلا
لاتكن فى هذه الدنيا خمولا
واتخذ فيها الى النُّجح سبيلا

واذا أبصرتَ من حظ جمودا أو رأيت الحظَّ لم ينهضْ بكا
لا تزد نفسك بالحزن جمودا لا ، ولا تشف غليلاً بالبكا
متْ اذا ضيعك الحظ شهيدا للامانى فالردى خير لكا
من حياةٍ تبصرُ الايامَ سودا بينها والعيشَ فيها حالكا
لا تنم نوم خمولٍ هالكا
سلك الناس سوى ما سلكا

جدَّ يحيي ومضى يحيي طروباً بعد أن جرَّب ألوان الشقاء

لم يَعُدْ يحيي كما كان كئيبا   ما حزينٌ وطروبٌ بسواء
عاد من رحلته صدراً رحيباً   وفؤاداً لم يزد غير صفاء
ورأى من بهجة الدنيا عجيباً   ما رأته عينه رهن العناء

فله في سيره خيرُ عزاء
من جمال الأرض أو حسن السماء

وسعى حتى أتى قصر الامير   بعد ما جاس خلالَ البلدِ
فتلقاه ببشرٍ وسرورٍ   بعد أن صافح يحيي باليدِ
أبشيرٌ لِيَ أو لي كنذيرٍ   قال قل لي لا تخفْ من أحدِ
قل لِيَ الحقَّ ولو كان شعوري   عكس ماتعرفه من مقصدي

هل أسى تنسيَ فعل الحسد
أم أساها علَّةٌ في جسدي؟

يحيى : يا مليكي إنني أحمل سرّا   فاخل بي إن شئت أن تعلم سري
أخرج الجند وهبني منك صبرا   ثم عدني لا تجازيني بشرّ
واستمع لي لا تحقر لِيَ قدرا   والتمس لي يا مليكي كلَّ عذر
ان بختي بخفيّ الغيب يدري   وهو قد علمني ما لستُ أدري

فاستمع لي لا بغيظ أو بذعرِ
وتقبَّلْ كلَّ ما أوحَى ببشرِ

الملك — قال : قل ما قاله البخت فانى   لي قلبٌ خافق لم يطمئنْ
وأمان وسلام لك مني   وجزاء لك في البشرى حسنْ
هل سألت البخت في لقياه عني   وصحا أم ظل يغشاهُ الوسنْ
ما الذي يعرف من حالي وشأني   ان لليوم فؤادي ما سكنْ

كل شيء وله عندي ثمنْ
فأبنْ لي سرَّ آلامي أينْ !

يحيى : يا مليكي قال فى ردّ سؤالى　　عنك أنت امرأةٌ مثل النساء
لا يُساس الملك الا بالرجال　　هكذا تقضى تعاليمُ السماء
ضرب الله لنا خيرَ مثال　　فالدجى والصبح ليسا بسواء
إنّ فى تبديلها نيل المحال　　ليس فى تغييرها غير العناء

كل من يبرأ من داءٍ بداء
ما له بين البرايا من دواء !

فاتركى مظهرَكِ القاسى وكونى　　حيث كلُّ الخير فى صدق المظاهرْ
والبسى ثوبك فى ظلّ السكونِ　　وابعدى عن شجنٍ للنفس قاهرْ
لم يغير طبعهُ أىُّ فطينِ　　كيف يخفى الحق عن مقلة ناظرْ
زوّدى نفسك بالحق المبينِ　　لا يضير النفس عند الحق ضائرْ

وارجعى كامرأةٍ فالكذبُ غادرْ
وضياءُ الحقّ مثلُ الصبح سافرْ

ما لأنثى مثلُ ما للرجل　　طبعُها لو فطنَتْ غيرُ طباعهْ
فهى لا تحسنُ غيرَ الوجل　　وهى لا تقوى على مثل صراعهْ
ولها فى عمرها من عملِ　　غير ما يعمله صلبُ ذراعهْ
وهى لا تطربُ إن لم تنسلِ　　وهى لا تقوى على غير اتباعهْ

وهى فى مقلته بعضُ متاعهْ
وهى لا يعجبها غيرُ دفاعهْ !

كلُّ هذا كان من أسباب همكْ　　للاسى أصلٌ وللحزنِ سببْ
هكذا فاستبعدى عنصرَ غمّكْ　　ليس فيما قلتُه أىّ عجبْ
واظهري بالمظهر المجدى لرسمك　　انّ من غيّرَ طبعاً لم يُصبْ
ما خفى ما قلتُه عن بعض علمكْ　　لا ، ولا جئتُ بمينٍ أو كذبْ

أبعدي نفسَكِ عن هذا النصبْ
وخُذي زوجاً أميناً في النسبْ

توِّجي الملكَ أميناً عاقلا واجعليه لك زوجاً وأبا
رجلاً في كل شيء كاملا مستقيماً ليس يدري التعبا
لم يكن غِرّاً ضئيلا جاهلا جرَّب الايام فيما جربا
وادعَ النفس شجاعاً باسلا لا ضحوكاً ، لا ، ولا مكتئبا
إن دعته النفسُ للظلم أبى
وإذا أبرم أمراً ما كبا

الملكة : جئتَ لي بالحق لا بالكذب أيها الذاكر لي من صدق بختهْ
لم يكن غيريَ نسلٌ من أبي نخشى أن يذهب الملكُ بموتهْ
وأبى الا بقاء الملك بي وخلود التاج والمجد ببيتهْ
فدعاني ولداً في نسبي وهو أخفى الحق عن شعبي بصمتهْ
ثم وليت مليكا بعد موتهْ
ومضى والسرُّ مرهونٌ بوقتهْ

فاذن أنت الذي يصلحُ لي إنني أهواك من كل فؤادي
كن معي زوجاً وحقِّقْ أملي إن هذا هو لي اقصى مرادِ
وإرعَ لي مُلكَ أبي واحفظه لي وارقَ يا يحيي معي عرش بلادي
كن معي انت ولا ترتحلِ وغداً في الناس يا يحيى أُنادي
بك في قومي مليكاً في بلادي
باسمك الميمونِ يدوي كل نادي

لا تخيبْ ليَ يا يحيى رجاءا وتذكر كل ما مرَّ بعمركْ
ستراني كيف أفديك وفاءا وترى قومي َقد هاموا بذكركْ

فحياة لم تزد إلا صفاءا وبلادٌ همُّها إعلاءُ قدرِكْ
ونعيمٌ لم يفض إلا بهاءا كجزاءٍ لكَ يا يحيى لصبرِكْ

لا تضع من غفلةٍ فرصةَ عمرِكْ
ولك الأمر وإنّى رهنُ أمرِكْ

يحيى — قال يحيى : إننى لا أقبلُ كلَّ ما قلت فبختى قد صحا
وهو يرعى كلَّ ما قد أعملُ وإذا أفسدتُ أمراً أصلحا
ملءُ قلبي فى حياتى أملُ دونه الملكُ إذا ما نجحا
إنّ حظى فى حياتى مقبلُ خابَ من يقنعُ أو ما طمحا

وعلى من شئته أن يفرحا
فاتركينى ! إنّ بختى قد صحا !

الملكة : كيف لا تقبلُ يا يحيى رجائى أىُّ مجدٍ بعد هذا ترتجى ؟!
ترفضُ التاجَ بكبرٍ وإباءِ وهو أقصى غايةٍ للمهجِ
إنما تسعى على غير اهتداءِ فى ظلامٍ دامسٍ لم يُبلجِ
هل ترى أحسنَ منى فى النساءِ أمْ بملكى أنت لم تبتهجِ ؟!

أنت لم تنهج قويمَ المنهجِ
فامضِ عنى بسلامٍ واخرجِ !

ثم حيّا ربةَ التاجِ وسارا دون أن يحسبَ للآتى حسابا
زاعماً أن الذى كان انتصارا والذى أبرمه كان الصوابا
لم يفكر، لا، ولا شاءَ انتظارا أسدل الحمقُ على العقل حجابا
أمّلَ المسكينُ آمالاً كبارا دونها الملكُ إذا ما الملكُ طابا

وهو لم يفتح من الآمال بابا
أخطأ المسكينُ رأياً ما أصابا

نسىَ الماضى وما صادف فيه ... من صعابٍ وشقاءٍ وسقامِ
لم يُحدِّدْ فى المنى ما يبتغيه ... كلُّ ما صادفه دونَ المرامِ
لم يفكرْ بعد فى أىِّ كريه ... فهو ما فكَّرَ إلاَّ فى السلامِ
كيف والبختُ صحا وهو يفيه ... أينما كانَ بآمالٍ عظامِ

كيف يرضى بقليلٍ من حطامِ
بينها ملكٌ عظيمٌ مترامى ؟!

وتمادتْ نفسُ يحيى فى العنادِ ... خيَّمَ الحمقُ عليها والجشعْ
نسىَ النصحَ فما أصغى لهادى ... وتجلتْ فيه آياتُ الطمعْ
طمعٌ لم ينم فى جوِّ السدادِ ... وغرورٌ بهوى النفس اندفعْ
والذي يبرح فى غيرِ اقتصادِ ... من أمانيه بما يخشى صُرِعْ

ما له من صاحبٍ غير الجزعْ
والذى لايسمعُ النصحَ وقعْ

والذى ينسى التجاريبَ كبا ... وأضاع النفسَ فى العمر هبا
والذى لم يتخذها سببا ... فى طلاب النجح يوماً تعبا
والذى يعمى عن النور نبا ... عن سواءِ الحق مهما دأبا
طالما عانى الاسى وانتحبا ... من أبى غير الذى الحظُّ أبى

والذى عادى الليالى نكبا
بيدٍ تمحو الذى قد حسبا

أتُراه بعد أنْ ودَّع يحيي ... بهجة الملك قريرَ النفس ضحى
وهو لم يكسب من السالف شيّاً ... لا ، ولم يجن من الحاضر ربحا
كم سعى حتى أضاع العمر سعيا ... كادحاً يزداد فى الأيام كدحا
وهو فى ضوء المنى يسعى ويحيا ... دون أن يبلغ رغم الجهد ربحا

أترى لم يدَّكر للبخت نصحا
فطوى إلا عن الاحلام كشحا؟

أترى يحيي طروبا بهجا أم ترى عاوده صوتٌ خفى
هامسٌ فى نفسه بين الدجى همسَ من يبعث روحَ الاسفِ
ها هو الليل على يحيي سجى هل تُرى ظلٌّ حليف الصلفِ
أم تمادى الليـل حتى أحرجا قلبه ، أم بالاسى لم يعصف ؟
كم بجنح الليل من سرٍّ خفى
يبلغ النفسَ حدودَ التلف !

حينما تلتفت النفسُ الى صُوَرِ الماضى بعين الحاضر
وترى الآمالَ صارت مللا أو تلاشت فى الزمان الغابرِ
أو ترى العمرَ تولَّى عجلا بين أشجانٍ وهمٍّ قاهرِ
دون أن تبلغ يوماً أملا فيه أو فرصة سـعد ظاهرِ
يا ضياع النفس بين الحاضرِ
بيـد الذكرى وبين الغابرِ!

وهنـا أطرق يحيي أسـفا فى سكون الليل إطراقَ الاسى
فلقد أحيا به ما سلفا هامسٌ فى نفسه قـد همسا
قائلٌ : يا أيها المرء كفى غفلةً ! كم من غبىٍّ تُعسا
أنت ضيَّعتَ الامانى سرفا وتساوى بك من قد يئسا
والعمى إن هو غال الانفسا
يتساوى الصبح فيها بالمسا

أرفضتُ التاجَ عن رأىٍ حكيمٍ أم رفضتُ التاجَ عن رأى سقيمِ
فرصةٌ ضاعت فيا نفس أقيمى بعدها يا نفس فى ظلِّ الهمومِ

هل سواها ؟ إنني غير عليم وصروفُ الغيب كالليل البهيم ِ
ربما عُدت الى بؤسى القـديم إنني يا مهجتى جدّ مـلوم ِ
هل شقاء وأسى مثلُ النعيم ِ
ومليك قادر مثل العديم ؟!

ضاع من ضيّـع فى العمر الفرصْ فهو لن يلقى سواها عوضـا
وهو لا يرجـع الا بالغصص أينما حـلّ وأيان مضى
بالغ أقصى الأماني مَن حرص وأضاع المفـرطون الغـرضا
ان من لا يقنص الوقتَ قُـنص وأذلته تصاريف القضا
وكـذا العمر كبرق أومضا
فاذا لم تُعْنَ بالعمر مضى

ويح نفسى ما لها عادَ أساها ويح عينى ما لها جفّ كراها
إن نفسى لم يفارقها مناها ومنى نفسيَ ما عشت ضياها
وجلال الملك ما نال رضاها لا، ولا التاج الذى يرضى هواها
فهى إمّا عددت لى مشتهاها فلتذق من حزنها كأس رداها
فرصة ولّت وفى العمر سواها
فرصة تبلغ بالنفس رجاها

غـير انى قد صحا بخـتى وقاما وهو يحمـينى ويرعى أمـلى
لستُ ألقى فى الورى الا سلاما أينما سرتُ فبختى قِبَـلى
فعلام الخوف والوجدُ علاما وهنائى هو فى مستقبلى
أوسعتنى النفسُ فى أمرى ملاما وبدت قسوتها فى جـدلى
سوف أمحو فى حياتى وجـلى
إن أطال الله فيها أجلى

ظل يحيى بين يأسٍ وأملْ لم يودّعه اصطبارٌ أو جلدْ
لم يزعزعه من النفس جدلْ بين أخذ من أمانيه وردْ
لم يساوره من الفكر كللْ بعد أن فارق أنوار البلدْ
لا، ولم يقعده فى السعى مَلَلْ لا ، ولا فى طلب المجد زهدْ

كلما جدت به الآمال جدْ
ما انثنى عما تمنى أو جحدْ

وعلى بُعد رأى الشيخ المهيبا واقفاً وقفةَ شرٍّ فوق تلْ
قال يحيي : ربِّ ألهمنى نصيبا من صوابٍ واكفنى شرَّ الزللْ
وسعى حتى غدا منه قريبا سعىَ من يحمل فى النفس الوجلْ
ثم حيّا ذلك الشخص العجيبا بابتسامٍ وهو بالخوف ثملْ

قائلاً فى نفسه لما وصلْ :
ربِّ كن لى واكفنى شر الرجلْ !

الشيخ : فرنا الشيخ له فى حذرٍ قائلا : ماذا رأى البخت لنا ؟
هل وجدتَ البخت أم لم تعثرِ بالذى أمّلته بعد العنا ؟
وسألت البخت أم لم تذكرِ حالنا للبخت او أهملتنا
ها هو الكنز كسرٍّ مضمرِ لم يزل فى تربة الارض هنا

قل بحقٍّ ربما أخبرتنا
بجديدٍ يا فتى ينفعنا

يحيي : أيها الشيخ سألتُ البختَ عنكا قال : هذا قاتلٌ يخشى المصيرا
زاده الخوفُ من العالم شكّاً فهو لا يلقى من الناس نصيرا
انت تخشى منهمو بطشاً وفتكا فسكنت البيدَ منبوذاً حقيرا
انت لا تسكنها زهداً ونسكا إنما تخشى من الناس ثبورا

هكذا القاتل لا يبصر نورا
أينما يسعى ولا يلقى سرورا

دائم الخوف شديدُ الحذرِ دائبُ الحزنِ عميقُ الكدرِ
وافرُ الهمّ مريبُ المنظر ثائرُ النفس حديدُ البصرِ
دَمُ من اهلكته لم يُهدَرِ عبثاً حتى ولو لم تظهرِ
ولقد صرتَ طريد البشر فاقض هذا العمر بين الحُفَرِ
واذا لحتَ لهم فانتظر
بطشةً تُدنى بعيدَ العُمُرُ !

فاتخذ إن شئت فى الناس خدينا يكتم الاسرار ما عشت امينا
يحفظ العهد ويأبى ان يكونا كلما عاشرته يوماً خؤونا
جرَّب الايام والدنيا سنينا أودعته نفسه عقلا رزينا
كلما جربته ازددت يقينا فيه وازداد الفتى ودّاً متينا
صرِّفا كنزكما لا تستكينا
واقضيا العمر صفاءً وسكونا

قسّما كنزكما بينكما لك نصفٌ ولمن صادقتَ نصفُ
ليس يدرى الناسُ ما سرّكما لا ، ولا يفضحه غلٌّ وعنفُ
صرِّفا ما عشتما كنزكما ليس يسعى بكما خوفٌ وضعفُ
هو يغشى الناس بالمال فما كان فى الناس له ظلمٌ وعسفُ
وكذا يحلو لك العيش ويصفو
أيها الشيخ ولا يغشاك خوفُ

الشيخ : قال إنى لأرى فيك خدينا لك نصفُ الكنزِ لو تبقى معى
لا تدعنى حائر النفس حزينا وامح من نفسىَ بعضَ الجزع
ما عجيبٌ ان أرى فيك أمينا لم يعش بالمين أو بالخدع

إن نفسى تعرف الشخص الخؤونا وهى فيمن جربت لم تخدع
ها هو الكنز فصرِّفه معى
فهو إن ظلَّ هنا لم ينفع

يحيي — قال يحيي : أيها الشيخ أفقْ أنت لا تعرف ما تبغيه نفسى
ان بختى بعــد ما نام أرقْ وانتهى السالفُ من همى ويأسى
وصحا وهو بسعدى ينطلقْ وهو يحمينىَ من فقر وبؤس
فاستمع لى أيها الشيخ وثقْ إننى أفلتُّ من حزنٍ ونحس
كيف تُرضينى بنصفٍ أو بخمس
أو بكلِّ الكنز لو كان لنفسى؟!

عُرِضَ الملك على نفسى فما رضيتْ نفسى بملكٍ واسعِ
أبنصفِ الكنز تغرينى كما أُغريتْ نفسى بتاجٍ لامعِ
ثم ما ثارتْ لرفضى ندما لا ، ولا كنت أسىً بالجازع
ان بختى لحياتى رسما مجدها العالى بنورٍ ساطعِ
كيف أرضى بقليل ضائع
بعد ملك لا يُدانَى شاسعِ ؟!

ثم حيَّا الشيخَ فى لطف وولى فى ابتهاجِ الظافرِ المنتصر
زاعماً فى نفسه حمقاً وجهلا أنه جاوز حدَّ الظفرِ
كيف يدرى أنَّه خابَ وضلاً وهو فى نشوته لم يحرِ
بعد ما لاقى من الايام هولا ثم أولتـه صروفُ القـدرِ
فرصاً ضيعها لم ينظرِ
كيف ضاعت وانتهت بالصغرِ

طلعت من بهجة الصبح البشائرْ وبدا من جانب المشرق نورُ
وطوى عن طلعة الحسن الستائرْ بيـدٍ فنَّانةٍ ربٌّ قـديرُ

فاذا الكونُ بروحٍ منه عاطرْ　　يتجلى الحبُّ فيها والسرورُ
متعةُ الاعين فيها والخواطرْ　　وضياءٌ لدجى النفس ينيرُ

وكأن النفسَ عصفورٌ يطيرُ
أو كأن الصبحَ للنفس بشيرُ !

صورةٌ تبعثُ فى نفسِ الحزينِ　　هَدْأةَ الوادعِ فى ظلِّ السكونِ
تملأُ القلبَ بنورٍ ويقينِ　　وتزيل المرءَ من ماضى الشجونِ
وتبين الحسنَ حسناً للعيونِ　　ساطعَ الغرَّةِ فى شتى الفنونِ
بُعثتْ من رقدةٍ بعد المنونِ　　بيدٍ تقطر بالحسن الهتونِ

توقظ النائمَ من فنٍّ دفينِ
وتبين الفنَّ فى الحسنِ المبينِ

فتَّح الصبحُ على الكون بنورٍ　　فيه آياتُ المنى عند الورى
وتجلى بسنى الله القديرِ　　وصحا الوسنانُ من سكر الكرى
وتراءى الخلقُ فى خير شعورِ　　يبلغُ الخيرُ به أعلى الذرى
هكذا الصبح بديعٌ فى البكورِ　　فيه للاعينِ أحلى ما ترى

ومن الصبح جميلٌ كالبشيرِ
ومن الصبح مريبٌ كالنذيرِ

هاك يحيي هبَّ فى الصبح حزينا　　خافق المهجة جمُّ الندم
ماعسى يارب هذا أن يكونا ؟　　قال يحيي بلسان الألم
مالنفسى طفحت منى شجونا　　ولقلبى كالسعيرِ المضرَم ؟
ربما أبلغ فى يومى المنونا　　فلقد أبصرته فى حلمى

إننى أبصرت فى النوم دمى
يلغ الوحشُ به فى نهم !

لم يسر يحيى قليلا حينما لاح عن قرب له شخص الاسد
ريع من منظره القاسى فما ترك الخوف له أى جلد
قال : أدركنى يا رب السما وارعنى يا خالق مما أجد
لا تضيع يارب يوماً لى دما رب واجعل لأسى قلبى حد

ليس لى إلاك يا رب فجد
بخلاص فعليك المعتمد !

أقبل الوحش عليه غاضبا صاخباً بالشر حتى اقتربا
قال : ما خلتك إلا كاذبا كيف غررت بمثلى كذبا
كنت فى أى مكان غائبا وصحا بختك هذا أم أبى
إننى خلتك منى هاربا فتكلم ! هل عرفت السببا

سبب الجوع فجوعى ما خبا
زدت فى بعدك عنى سغبا ؟!

وهنا حدثه يحيي بما جد من رحلته طول السفر
ثم أوحى بالذى قد علما من حياة الوحش من خير وشر
قال : قال البخت والبخت كما قال يجرى بالذى قال القدر
فاستمع من نصح بختى حكما إننى جئتك منه بالخبر

هو سر فتقبله كسر
ثم دعنى بعد فى حالى أمر

قال إن شئت دواء السغب كل من الناس غبياً احمقا
دمه يكفيك شر اللغب ويذود العظم عنك القلقا
ذاك ما قد قاله فارتقب ذلك الانسان إما طرقا
ان بختى صادق لم يكذب لا تكذبنى فبختى صدقا

ان بخستى بصواب نطقا
ولسانى ليس يدرى الملقا

وهنا انقضَّ عليه الاسدُ قائلاً: انت الغبى الأحمقُ!
هـل ترى غيرك يوماً اجدُ صادقاً بين البرايا يصدقُ
فرصة أنت! أعنها أقعدُ؟ إننى انهى ضاعت أخرقُ!
أين من يحيى دمٌ او جسدٌ طاح فيه الوحش الا خَرِقُ
بقيت بعد المنايا تنطق
انه هذا الغبىّ الاحمق!

وانتهى يحيي من الدنيا ولمْ يجن من رحلته الا العدمْ
ما محا المكتوبَ فى لوح القدمْ لا، ولا غيرَّ ماخطَّ القلمْ
هكذا الدنيا حظوظٌ وقِسَمْ كلُّ حيٍّ حظه فيها رُسِمْ
خاطىء من يغتدي فيها بِهَمْ وغبيٌّ مَن تمادى فى الالمْ
وحكيمُ الناس فيها مَن علمْ
أنها كانت ولا زالت قِسَمْ!

(انتهت القصة)



ماكبيث لشكسبير

الفصل الخامس — المنظر الخامس

دَنْسِينِين — المَعْقِل من الداخل

(يدخل ماكبيث وسيتون وجنوده بين الطبول والاعلام)

ماكبيث: انشروا هذه البنودَ، انشروها واجعلوها بظاهر الاسوار
ليت شعري ما زال يعلو صياحٌ معلناً انهم دنوا في المَسَارِ(١)
نحن في معقلٍ حصين منيعٍ، مستخفٌّ بمثل ذاك الحصارِ
فليموتوا من حوله أَثَرَ القحطِ (م) وبَرْدٍ يعود بالاضرارِ
نحن لولا اعتزازهم بجنودٍ قد تخلَّت عنا اليهم ضوارِ
للقينا العدوَّ وجهاً لوجهٍ فرمينا بهم وراءَ الديارِ

(يسمع عويل النساء في الداخل)

ما ذلك الصوتُ؟ مِن أيْنَ هذه الضوضاءُ؟

سيتون: مولاي هذا صياحُ النِّساءِ، هذا البُكاءُ (يخرج)

ماكبيث: قد كدت أفقد من خوف مذاقته نعم، قد انصرمت للخوفِ أوقاتُ
مشاعري اليومَ منّي لا يحرّكها ليلٌ رهيبٌ تعالى فيه صرْخاتُ
وان جلدي وما يعلوه من شَعَرٍ إذا ألَمّت به تلكَ المُلِمَّاتُ
تراهُ منتفضاً كالدَّغْلِ منتصباً له على قصص الشؤمِ انتعاشاتُ

(١) المصدر «المسير» المستعمل شاذ لان قياسه من باب ضرب على مفعل بفتح العين، فكان الأصح ان يقال «مسار» كمعاش .

موائدُ الهول قد مُدَّت وقتُ إلى طعامها فى ظلام الليل أقتاتُ
حتى تشبّع فكرى من روائعها فلا أُرَوَّعُ (يعود سيتون)
ما تلك النداءاتُ ؟

سيتون : إن المليكة يامولاىَ قد رحلتْ (١)
ماكبيث : فى ساعة الضيّقِ تنهالُ الفجاءاتُ

قد كان أولى بها لو أنها انتظرت حتى تُلَمَّ لهذا الخطب أشتاتُ
غدٌ يمرُّ ، وفى آثاره أبداً غدٌ تدبُّ به للدّهر خُطُوَاتُ
هو السجلُّ كُتِبْنَا فى صحائفه لكلِّ مبتدئٍ فيه نهاياتُ
والناسُ حمقى مضَوْا فى ركْبِ آمُسِهِم (٢) حتى احتوتهم قبورٌ مُدْلَهِمَّاتُ
هيا اطفئوا ، أطفئوا القنديلَ قدذهبت أنوارُه ! إنما الدنيا خيالاتُ !
ممثّلون تَلَهَّوْا فوق مسرحها ثم انقضَوْا وتلاشت فيه أصواتُ
كأنها قصةٌ خرقاءُ يسردُها أحيمقٌ قد أكدَّتْهُ الشروحاتُ !

(يدخل رسول)

على لسانكَ أمرٌ أسرعْ ! أَبِنْ ما تُريدُ !
الرسول : مولاىَ ياذا الفضل إنِّـــى لا أجورُ وأعتدى
سأقول ما قد شاهدتْ عينى وما لمستْ يدى
لكنّنى لم أدْرِ كيفَ الأمرُ

ماكبيث : قلْ ياسيدى !
الرسول : بينما كنتُ حارساً ربوةَ التلِّ وعينى للأفقِ حيث يَدُورُ
وإذا بى رأيتُ غابة « بِرْنَا مَ » إلينا على الطريق تَسيرُ !
ماكبيث : كاذبٌ يا رقيقُ !

دعنى أقاسى منك سُخْطاً لو أنَّ قولىَ زُورُ
فاصطحبنى مدى ثلاثة أميا ل ترى غابةً إلينا تمورُ (٣)

(١) ماتت (٢) آمس جمع امس (٣) تتحرك مسرعة.

ماكبيث: إن كان كذباً ما ترى أو قصةً مزوّرَهْ
فإنما تُشنق حيّاً فوق أدنى شجرَهْ
يميتك الجوعْ الذى لستَ تُطيق أثرَهْ
وإنْ يكن ما قلتَه حقّاً نقلتَ خَبرَهْ
فلستُ مَن يأخذُ عندَ مثلِ هذا حَذَرَهْ
أعدّ نفسى للدّفا ع والوغى المنتظرَهْ
وأستثير الشكّ فيما زيّنتْ لى السَّحَرَهْ
قُلْنَ : تجرّأ لا تخفْ فأنت أهلُ المَقدُرَهْ !
إن تسعَ برنامُ لِدَنسينينَ تَلْقِ المغفرَهْ
والآن قد سارت لدَنْسينينَ غابٌ مُشْجرَهْ
إلى السلاح ، للسلاح وأخرجوا للدّسكرَهْ !
إن كان ما قد ادّعى حقاً فكيف المَعذرَهْ
لا فرّ ، بل ولا احتمى بالحصن إلا الخَسَرَهْ
انى سئمتُ اليومَ من شمسِ الحياةِ النّيّرَهْ
وقد وَدِدْتُ هذه الدّنيا تزولُ بَعثَرَهْ
دقّوا لها الأجراسَ فالساعةُ هوْلٌ خطرَهْ!
يا ريحُ هيّا فاعصفى ! تعَالى يا مُدَمِّرَهْ !
إن كان موتٌ فسلا حُ الجيش يحمى أظهُرَهْ !

(يخرجون)

عامر محمد بحيرى





خلود الشعر

سيفنى الشعرُ لو أنّا نسينا الألمَ الخالدْ
فلا دَمعٌ، ولا شكوَى ولا عانٍ ولا ساهِدْ

سيفنى الشعرُ لو أنّا نسينا آلابتسامات
فلا تفنى بمعبودٍ فناءَ اليومِ فى الآتى

سيفنَى الشعرُ لو أنّا عَمينا عنهُ فى الكونِ
فلا حُسنٌ ولا مُتَعٌ ولا سِحرٌ لِمُفتتنّ

سيفنى الشعرُ لو أنّا جَهِلْنا خَفْقةَ القلبِ
فتمضى الرُّوحُ فى الدنيا بلا وَحىٍ، ولا حُبّ

سيفنى الشعرُ لو أنّا حبسنا الرُّوحَ فى الجسمِ
فلا كَوْنٌ تطوفُ بهِ طوافَ الحقّ بالظُّلمِ

سنستغنى عن اللهفاتِ من أنفُسنا الحَيْرَى
إذا ما راحت الدنيا بجهلٍ تهجُرُ الشِّعرَا

سنستغنى عن اللفتات من أعيُننا العَطْشَى
إذا فرَّ إلَهُ الشعرِ حين نقوّضُ العَرْشا

أتستغني عن الأنفاس ، والأنفاسُ أشعارُ ؟!
فلا نطمعُ في الفردوْ س ، أو تُرْهِبُنا النّارُ

لنا الآمالُ ، والأحلامُ ، والدنيا بأجمعها
ببَسْمتها ، ببهجتها بلوْعتها ، بمدْمعها

فيومَ نفارقُ الدنيا وتلك قصيدةُ اللهِ
سنغرقُ في صداهُ العذْ بِ بينَ ضيائه الزّاهي

ونُصبحُ نحنُ ألحانًا تردِّدُنا فراديسُهْ
أمانينا هياكِلُهُ ونجوانا نواقيسُهْ

حسن كامل الصيرفي

****

نشيد الطيف الخالد

أو

عزف الضمير

(هتف بي طيف في سري ، فألقى في روعي معنى لا أدري لخبره مبتدا ، ولا لأوله منتهى ، بيد اني أحسستُ به زفرات تصعّد من قرارة نفسي ، وكأنه جلجلة الجرس يناغي في مهده ، أو صدى قرع الصفوان بعود نحاسي صقيل ، أو دقات ساعة الزمن وهي مثبتة في قلب تقول : الرحيل ، الرحيل ، فتجاوب هذا الصدى في سفح الأفق من فضاء الابدية اللانهائي بهذا الرنين الذي انبعث من الفؤاد على أسلات اللسان مقاطع موسيقية طربت لها وحدى)

ايهِ يا ريحانة (١) الوادي السحيقْ أنعِتي الاجيالَ من غورٍ عميقْ

(١) الصورة التي كانت في نفسي ساعة هذا النداء ، أني وقفت على قمة جبل تسامى في الارتفاع يكنفه واد سحيق مكفهر ، وفي وسطه زهرة مفردة على عود ضئيل مصفر ، تترنح شيئاً قليلاً ، فوقع في خلدي أن هذا هو وادي الفناء ، وان هذه الزهرة تحرسه من أحقاب متطاولة !

نفّسى عنى أزيزَ المرجلِ واهــزجى لى هزَجَ الحــادي الرفيقْ

« • »

إصدحى يُصغِ لنا قلبُ الزمنْ ردِّدى الأنغامَ من وحى الشَّجَنْ
رجّعى ما شئتِ من أغنيةٍ تصف الاشجانَ فى نفسِ الشَّجِنْ

« • »

حدّثى أختاه عن ذالكِ الأملْ حين كان الكونُ فى طىّ الأزلْ
كانْ فى عمياء لا نعرفها نحن فيها كالمعانى فى الجُمَلْ

« • »

حين كان الله فى عليائه يسمع التقديسَ من انوارهِ
وحدةُ الكون جمالُ الأوّلِ مَظهرُ التنزيهِ فى إظهارهِ

« • »

حين ، لا حين ولكن صانعٌ جلَّ ذاتاً عن خفيات الفِكرْ
إنما الحينُ سرابٌ خادعٌ خلّب البرق له أجلى أثرْ

« • »

قالت : اسمع يا نديمَ السهرِ همسةَ الاصداء من رجعِ الحنينْ
آهِ ! لو أسطيع ان يؤذن لى لسمعتَ اللحنَ فياضَ الأنينْ
نفثةُ الشعر على قيثارتى وحديثى صادقُ الوحى يقينْ
انما الأمر عماءٌ غامضٌ لاتجلّيه عميقاتُ الظنونْ

« • »

لا ، ولا هذى العقول النائرهْ فى فيافى الفكر تهذى هاذرهْ
هذه الذراتُ تمشى حائرهْ سابحات فى فضاءٍ مائرهْ
طابسات فى وجوم ثائرهْ أين ؟ لا أين ، ولكن سائرهْ
من سماء الله جاءت حادرهْ عن معمّى الكون تجلو سافرهْ

« • »

تسمع الآلام منها والأسى تقرأ الآمال عنها والمنى
وهى كالاحلام فى قلب الدجى وهى مزجٌ من قنوط ورجا

« • »

مُطفِلٌ فارق عينيها الكرى زادها الوجدُ التياعاً وجوى
ورّثت أطفالها كهفَ النوى حين ضلت عنه لا تدرى المَدَى

« • »

رنةٌ فى هزمها تحكى الأثيرْ أصــل هـذا الكون من نفح العبيرْ
سرهُ هـذا انها عـزفُ الضميرْ بلحونٍ مثل أناتِ الأسيرْ

« • »

زهرة لاحت لنا فى السحر من بديع الزهـر كانت أمـلا
قالت : اسمع ، لا تكن تحت السما بل سمـوّاً فـوق أطبـاق العـلا

« • »

إن هـذا الجسمَ مولودُ التراب يا له من هائمٍ نحو اليباب
لاتقل : كيف ؟ وهذا الأثرُ دائم المسرى كارسال السحاب

« • »

مطلع التفكير شيء آخرُ مهبط الأسرار روحٌ ساحرُ
منزعُ الآمالِ حيٌّ خالدٌ منشأ الابداع زاهٍ زاهرُ

« • »

عجبٌ للنـور فى جـوف الظـلامْ ! عجبٌ للنـار تزكـو فى الرّهامْ !
عجبٌ من محـض هـذا العجبِ ! أىٌّ شىء للبرايا فى وئامْ ؟

« • »

لاح شخصُ الكون فى سفح الوجودْ بعد طيٍّ فى غيابات العدمْ
ليت شعرى ! أىُّ حاليه تسودْ ؟ إتّخاذ القاع أم مثوى الديمْ ؟

« • »

في ظلال الحب كانت زورةٌ وانجلى المكنون عن سر الجمالْ
لست من ليلى ولا وعد الهوى إنما الكون جمالٌ في جمالْ
إنما الآلام فينـــــا نزوة تحفز الروحَ إلى صفو الكمالْ

« • »

جذوةُ الآمال فينا تتقدْ لا تجدّ السير ، يا صاح اتئدْ
كلنا نسعى إلى ذاك العَلَمْ نحن ندنو وهو منا يبتعدْ
غاية أحسبها مجهولة ألقِ هذا الحمل عنا واقتصدْ
ربِّ ! هذا القبر ما أطوله ! فيه يهوى الركب من وادي الأبدْ !
أبد الماضي ، وما الماضي سوى دقة الناقوس في فلك الأمدْ
ربِّ ! هذا الرحب ما أضيقه يخمد الأنفاس كالداء الألدْ

« • »

ربِّ ! هذا الليل ، ما أروعه ! يرعب الآساد في جوف الأجمْ
ربِّ ! هذا الشيخ ما أضعفه بين هذا الخلق من شتى الأممْ !

« • »

يتراءى خافضاً هامتـــــــه والبرايا منه خوفاً تضطربْ
هل تراه حاملاً راياتهـــا ؟ أم تراه الليث ، والليثُ يثبْ ؟

« • »

راقها منـــه جمالُ المنظرِ راعها فيه حديدُ النظـــرِ
أقبلت تسعى إليه في ارتيـابِ رتلت للشيخ آيَ الخفـــرِ
هيمن الشيخ عليها في ازورارِ نظرة الجبار وحي الشذرِ !

« • »

هزّ رأساً ثم ولى راكضاً يعتلي القمة في عليـا اليفاعْ
لمحة الناقد في أحشائها تكشف الأسرار من خلف القناعْ

« • »

نظرة فاحصة منـه على صفحة الخلق أضاءت سبلا
مفردٌ فى الخلق طلاع الذرى مطلق التفكير جوّاب الفلا

« • »

صورةٌ للكون فى باطنه مستجاش الروح وثّاب الخطى
آية الاعجاز فى ظاهره مستسرُّ العقل نزّاع القوى

« • »

شارك الأملاك فى عالمها يقرأ الحكمة فى لوح القضاء
نازع الأطيار فى أجوائها جاذب الأفلاك أجواز الفضاء

« • »

غاص فى غور المحيط اللجبِ يفتق الأصداف عن حُرّ الدررْ
سخر الأنجم فى مطلبه أنطق الفولاذ يدوى فى السحرْ

« • »

ما ظلام الكون إلا كسفٌ من شعاع النور ، أو لمع الضياءْ
ما حياة الخلق إلا حفنة من سديمٍ ، أو تمنينٍ ، أو هباءْ
هكذا الدنيا ، تراها لمحة ومطايا الكون يحدوها الفناءْ

« • »

ساد فى الكون ظلال وسكون غير أنات القلوب الداميـاتْ
أنةُ المصدور من ظلم العبادْ نفثة الحيران فى سر المماتْ

« • »

مال عرشُ الكون عن ميزانه حين عبَّ الشيخ من كأس المنونْ
جلل الآفاق حزنٌ فى وجومْ ضل شبلُ الغاب عن ليث العرينْ

« • »

إن فى جنبيَّ ناراً تستعرْ يا فؤادُ اهدأ خفوقاً واستقرْ
إن فى الاحشاء ناراً تضطرم يا حنينى خفَّ عنى واصطبرْ

« • »

يا حياتي هدأةً بعد الصخبْ   مزّق الاحشاءَ همٌّ في نصبْ
أيّما تبغين من هذا المطافْ ؟   أى شوق فى حناياك انسكبْ ؟
قالت : اسمع نغماً من مزهرى   ثم لمنى بعد ذا أو فاستجبْ
قلت : هاتى همسةً هادئة   إن قلبي لا يسليه الطربْ !

« • »

ثم راحت تتغنّى فى أنينْ   يا جمالَ الكونَ ، يا دمعَ الحزينْ
أنت لغزٌ فى غيابات السنينْ   هل ستبقى ؟ أم تقفّى الظاعنينْ ؟
قلت : كفّى ، لا تهيجى لى الكمينْ   إن هذا مبعثُ الداء الدفينْ

« • »

حرّكت أوتارها   غرد الطير وناحْ
هيجت أشجاننا   جاذب الليل الصباحْ
إيهِ يا ليل تحدث   كم جريح فيك ناحْ ؟
كم قرون قد تولت ؟   كم ثكالى فى نواحْ ؟
كم عليل يتلوّى ؟   فى حناياك استراحْ
فيك يا ليلُ فتونٌ   فيك يا ليل فلاحْ
أنت معنى خالدٌ   فى ضمير الكون لاحْ
غنِّ يا ليلُ قصيدى   وارو ما بعد الصباحْ
قد حباك الله حسناً   هاتِ ما يشفى الجراحْ

صادق ابراهيم عرجون

النهر المتدفق

هَبَطَ الارضَ من قديم الزَّمانِ بارقٌ في السماء قَيْدُ العَيانِ
شَقَّ ثَوْبَ السحابِ ، فالرَّعدُ صوتٌ من صَدَى المَزْقِ طنَّ في الآذانِ
وَهَوى كالمُسِفِّ يلْتَبِطُ الأَ رْضَ ، مُسجّى كالهامِدِ الوَسْنانِ
وأديمُ البَطْحاءِ قفرٌ مَحِيلٌ زَاخِرُ الرَّمْلِ ، عامِرُ الكُثْبانِ
وَرَوَاسٍ من الجبال تعالَتْ كَسَوارٍ يَرْفَعْنَ صرحَ الكيانِ
قِنَنٌ في الجواءِ ، أرهَفْنَ سَمْعاً يلتقطنَ الأخبارَ من كُلِّ جانِ
ليس في الأرضِ نأمةٌ لاناسٍ غيرُ صوتِ الرِّياحِ والثَّوَرانِ
زعزعٌ ضلَّتِ الدَّبورَ ، فراحا يرْجُوانِ اللقاءَ في دَكْضانِ
يسْحَبانِ العَجَاجَ[1] ذَيْلاً طَويلاً مِثْلما تَرْسِمُ الخُطَا قَدَمانِ
وأزيزٌ ، وضجّةٌ ، ودُخانٌ أَلبسَ الأفقَ أسْوَدَ الطَّيْلَسانِ
ثم لاحت بوادِرٌ من حَيَاةٍ صَخِبَت بالسَّوَامِ والانسانِ
وَمَضَى هَامِدُ البُرُوقِ فتيّاً يَتَلَوّى في السَّيرِ كالأفعوانِ

« • »

كنتُ يا نفسُ ، يومَ ذلكَ بَرْقاً في السمواتِ ، في أبرِّ مكانِ
وشققتُ السحابَ ، أهبطُ أرضاً ظلتُ فيها كالتَّائه الحيرانِ
جئتها زَاهِدَ البقاءِ طَريداً من حِلال[2] البروقِ والتَّهتانِ
ثم أبقى ، وحين تظمأُ نفسي أركبُ الموتَ ، جاهدَ الرَّقلانِ[3]
وأحُثُّ المطيَّ ، أقطع شوطي آيباً للبروق في سرياني
حيث كُنّا نعودُ بعد شتاتٍ فيمَ جُهْدُ الحياةِ والزّملانِ ؟

« • »

---

(١) العجاج : التراب الذى تثيره الخيل أو الريح (٢) الحلال : جمع حلة وهى القرية (٣) الرقلان والزملان : ضربان من السير السريع .

أنا يا نفسُ ذلك النهرُ يَجْرِى ضَلَّةً فى المسيرِ والرَّحَلاَنِ
كَوْثَرٌ فى الفَلاَةِ أتْعَبَهُ الركضُ فأمْسَى يَكِبُّ فى الجَرَيانِ
سادرٌ عمرَهُ الطويلَ حثيثاً طامياً فى الجفافِ والفيضانِ
يتخطى الصُّخُورَ وثبَ جَمُوحٍ كاسرِ القيدِ ، مُستبدٌّ العنانِ
حادياً بالخريرِ ركْبَ الليالى مُشجياً بالهديرِ سمْعَ الزَّمانِ
مُسْتَقِرٌّ النوى بصدرِ أجاجٍ بعد جُهدِ الاسغابِ (١) والصَّدَيانِ
وشفاهُ الأجاجِ عَطشى للثمٍ من شفاهٍ معسولةِ الذوقانِ
فلقاءٌ ، ولالقاءُ حبيبٍ بعد طولِ النَّوى ، وقُرْبِ التدانى
ناشرٌ صدرَه العريضَ بضمٍّ باسطٌ شَطَّه الطويلَ لعانِ
صَاخباتٌ أمواجُه مُقْبِلاتٌ مُدْبِراتٌ عن سِيفِهِ (٢) فى رهانِ
راقصاتٌ لبسْنَ من زبدِ البحرِ حُلىً كالعقود والتيجانِ
عاصباتٌ رؤوسها من جُفاءٍ غاسلاتٌ شُعُورَها فى جُمانِ
تعكس الشمسُ ضَوْءَها فتراهُ حبباً كالعقيق والمَرْجانِ
ذاهلاتٌ عن بَعْضها كحيارَى لحَتْ فى الشُّطُوط أشباحَ جَانِ
وترى البحرَ غاضباً فى هديرٍ وترَى النهْرَ سَاكناً فى أمَانِ
وترى النهرَ صَاخباً يَتلوَّى وترى البحرَ مطمئنّ الجنَانِ
وصَفيرُ الرياح ألحَانُ ناىٍ وَدَوىُّ الكهوفِ هزْجُ كمانِ
ذاك بحرُ الحياة يا نفسُ فيه ضجةٌ من تطاحُنٍ ودِهَانِ
حَرَكاتُ الأمواج فيه هُبُوبٌ لقتالٍ ، وشِدَّةٍ ، وطعانِ
وَقَوِىٌّ أدالَ حَقَّ ضعيفٍ وضعيفٌ ينُوءُ فى خزيانِ
واقْتِبالُ الأمواج فيه سباقٌ لطلابٍ ، كأننا فى رِهانِ
أنا يا نفسُ ، ذلك النهرُ مَاضٍ أتغنّى الحياةَ كالجذلانِ
وأمرُّ الحديثَ للغابِ دَهْرِى مثلَ قولٍ أذيعُهُ خِلاَّنى

(١) الاسغاب والسغب بمعنى الجوع (٢) سيف البحر بكسر السين هو ساحله

وأسوق المياهَ أروى فجاجاً يانعاتِ المُرُوج والطيّانِ[1]
وأنا الظّامئ « الطّريدُ » أروّى صادياتٍ ، والقلبُ فى ظمآنِ
وأُقضّى الحياةَ أرْجُزُ كالطيرِ عزاءً للواجدِ الولهانِ
فاذا دقّتِ النواقيسُ يوماً أرهفَ الكونُ سمعَهُ للاذانِ
وانقضى العيشُ ، وارتجعنا كما كُنّا هباءً فى مجهلِ الأكوانِ
ليس جِدّ الحياة ، وهى ظِلالٌ غيرَ نَوْحٍ وضجةٍ وأغانِ
ليتها ، والفناءُ يُنضبُ مأى أسمعُ الشّدْوَ من هتُوف القِيانِ
حيث كُنّا نعودُ بعد شتاتٍ فيم جُهْدُ الحياةِ والزّملانِ

احمد زكى فهمى البكرى

نشيد الخيـــام

صَوّتَ الديكُ والهزارُ تغنى فلماذا يعيقك الإغفاءُ ؟
وجرى الفجرُ جدولاً من ضياءٍ فاذا الأرضُ كلها لألاءُ
قم نبادرْ هذا الصفاءَ ونغنمه فقد لايعود هذا الصفاءُ
فرْشنا معطفُ الربيع الموشّى والنديمُ الوردية الحمراءُ !

الليالى خوادعٌ لم تصن قط موعدا
أىُّ عيش منعم لم تذره منكدا
لا تَتّكلنى إلى غدٍ أنت لاتملك الغدا
ربما نابك الاسى ربما غالك الرّدى !

قم ولا تحتفل بوعظ مُراءٍ زخرفٌ كلُّ وعظه وطلاءُ
يكدح الليلَ والنهارَ فهلاً فى سبيل الإحسان هذا العناءُ

(١) الطيان نوع من الزهر البرى .

ودلو يملك الوجود ويكفيه (م) رغيفٌ ومسندٌ ورداءُ
قل له لاتعظ على غير جدوى هى نفسى جهنم وسماءُ !

* * *

كأسُ خمرٍ هى الحياة وها نحـ ـن فقاقيعُها الضئالُ الطوافى!
هاتِ من وجنتيك عذبَ سلاف ومن الزقّ هات عذبَ سلاف
وانقر المزهرَ الحنونَ على سمعى تزلْ غمتى ويصفُ ارتشافى
قبل أن تنزع الليالى كؤوسى من عصيرِ الردى بسمٍّ زعاف
انزع القلب لذةً قبل أن تفجأ النوى
أىّ نورٍ وما خبا أىّ زهرٍ وما ذوى
قصر بهرام قد خوى قصر جمشيد قد هوى
وهنا الذئب قد عوى وهنا البوم قد أوى

أنا يارب عبدك المتجنى وكفى شافعاً لديك اعترافى
لا تلمنى على ذنوبىَ إن كا نت ذنوبى تعدُّ بالآلافِ
ربَّ كوز مشوّهٍ نبذوه رفع الصوت طالبَ الانصاف
أىّ ذنب جنيتُه ألأنى عند صنعى اهتزت يد الخزّافِ؟!

* * *

عالمٌ كله رياءٌ ومكرٌ ضائعٌ بين كاهن وإمامِ
يزعمان اكتشافَ ما قدّر الغيب ولم يخرجا عن الاوهامِ
قسّما الناس للنعيم وللنار احتجاجاً بفطرهم والصيامِ
فاذا الاعينُ اللواحظ نامت عنهما فالحرام غير حرامِ
خلنى فى غوايتى جاهراً كلّ محمرِ
غارقاً بين أبيض من كؤوسى واحمر
وغديرٍ وروضةٍ وحبيبٍ ومزهرِ
لاتضاعف ماسمّى بضروبِ التستّرِ
أجلٌ غيرطائلٍ لا تضمه بمصير النفوس بعد الحمامِ

لتكنْ ما تودُّ نفسك لكنْ لا تحاول بها أداة الانامِ
واذا سرت فى الرغام فخفّفْ جائر الوطأ رحمة بالرغامِ
انه من معاصمٍ ونحورٍ وشفاهٍ واكبدٍ وعظامٍ !

رئيف خورى
(مدرس الادب العربى بكلية الشرق)

طرطوس العلويين :

السفينة الحائرة

سرتُ فوق اليمّ فى الليل الحزينْ أغرقُ الآمالَ فى لجته
وأقمتُ الليلَ موصولَ الانينْ أندبُ الوجدانَ فى عُزلته

« • »

كم بكيتُ الناسَ طرّاً حينما خلتُهم فى المدلهمّ اشتركوا
إنما مَن كان لحاً ودما يتشكى الهمَّ من حيث شكوا
والذى أدهشنى أنْ كلما لحوا الدمعَ بعينى ضحكوا
خففى يا عينُ مما تسكبينْ واتركى العالمَ فى نومتهِ
إنما الانسانُ من ماءٍ وطينْ ونماء الاثمِ فى حومتهِ

« • »

يا سفيناً سار من غيرِ دليلْ يحمل الناسَ إلى شطّ الأسى
مُدْلجاً بالناس جيلا بعد جيلْ تائهاً من يوم نوحٍ ما رسا
جهل السفّان من أين السبيلْ وإلى أىٍّ يقود الأنفسا
ساءل الموجاتِ هلاّ يستبينْ ما طواه اليمُّ فى ظلمته
هاهو السفّان لليمّ رهينْ ونفوسُ الناس فى رحمتهِ !

* * *

يا لنفسى إنها قد هالها أن ترى الاحزانَ فى ثوبِ الفرحْ

كلما تلمح نفساً حولهَا وجدتْها طرحتْ عنها التَّرحْ
رُبَّ نفس قُدِّرَ الموتُ لهَا غرقت بين الندامى والقدَحْ
فتناست انهـا تطوى السنينْ ثم تلقى الموت فى رهبتـهِ
وتناست من ضجيج الشاربينْ انها تسلك فى شعبتهِ

« • »

لو صحا الانسانُ منجهل الكرَى لرأى العودةَ من حيث أتَى
ذلك الروح من الغيب سرَى والى الغيب سيُنْهِى الرحلةَ
وكذا الجسمُ إلى الموت جرَى أفما كان تراباً ميِّتَا ؟
عُدْ بنا للموت وارجع بالسفينْ عبثاً حاولتَ فى دَفَّتهِ
قد تولانا إلى المهد الحنينْ وتشوَّقنا إلى ضفَّتهِ

« • »

يا ضفافَ الموتِ طالت غيبتى خبِّرى بالله أنَّى نلتقى ؟
أنفَدَ السفَّانُ ما فى جعبتى من بقايا الصبر فى قلبي الشقى
رحمةً باللهِ رُدِّى غُربتى بعد عشرين (١) أشابت مفرقى
واجعلينى فى عداد الآمنينْ فى حرام الموت ! فى عصمتهِ !
وارسلى فى القلب من نور اليقينْ لمحةً تكشف عن ظُلمتهِ !

صالح جودت

شكوى وألم

ربِّ يا مَنَ خلقْتَ هذا الوجودَا عالماً رائعاً وفنّاً مجيدَا
أنت ربى أخذته من هباء ثمَّ أخرَجْتَه قوياً عتيدَا
قلت: كنه ! فكان لغزاً عميقاً وكتاباً مُسْتعجماً ونشيدَا

(١) عمر الشاعر

وبنيت السماء ذاتَ جلالٍ وجَمالٍ خلدتَه تخليدا
وجعلتَ الكواكبَ الزُّهرَ سُرْجاً ورُجُوماً وزينةً وجنودا
جارياتٍ فى سمتها من قديم لا حُيُوداً فى سَيرها أو شرودا
آية تملأ التقىَّ خُشوعاً ويكاد الجَحودُ ينسى الجحُودَا
إنما ظلَّ يا إلهىَ فكرى فى وُجود نلقى به التنكيدا
هل لخيرٍ ربّاهُ قد كان حتماً أن يجىءَ العذابُ فيه شديدا
هل يكونُ الوجود أحقرَ قدراً لو تكونُ الحياةُ عيشاً رغيدا ؟
أم يُصيبُ النظامَ فيه اختلالٌ لو أقمنا به مُقاماً حميدا ؟
عللونا وزينوا كلَّ قولٍ كلَّ قول نرى له تفنيدا
انَّ من يبدع الوجودَ جديرٌ أن يقيم العذابَ منه طريدا
ذاك أو يخلق العقولَ جماداً أو تكونُ القلوبُ فيه حديدا !

« ٥ »

بهظتنا الحياةُ يا ربِّ هماً وشقاءً فأفنتْ المجهودا
حطمتنا آلامُها ورمتنا بالدواهى وأنجزتنا الوعيدا
خدَّدَتْ خدَّنا الدُّموع اللواتى سِلنَ حتىَّ تركنه أخدُودا
غضَّنَتْهُ وهو الاسيلُ النقىُّ ثمَّ أذوت فى وجنتيه الوُرُودا
وحنتْ قدَّنا ثقالُ الرَّزايا بعد أن كان ناعماً أملودا
حمَّلتنا ما حمَّلَتْهُ الرَّواسى ألماً قاتلا وحُزناً مديدا
فاحتملنا وما نفثنا شُوَاظاً أو لفظنا على الحياة وقودا
بل بكينا بعد الدُّموع دماءً ونطقنا مع الأسى تنهيدا
وصَبَرْنا مذ قيل صبرٌ جميلٌ وجعلنا للصبر قلباً جليدا
وسلكنا مع الحياة طريقاً جعلته الحياةُ صعباً كؤودا

« ٥ »

هَلْ دَحَا اللّهُ هَاتِهِ الأرضَ دَاراً وقَرَاراً أم جَاحِماً مَوْقُودا ؟!

وَبَرَانا لِكَيْ نكونَ عِبَاداً أم إلى دولَةِ العَذابِ عَبيدا ؟!

ليتَ شِعرى أرقعةُ الارض دَسْتٌ[1] نَاوَلَتْهُ الأقدارُ رُوحًا مَرِيدا

أم تُراهَا كَدُمْيَةٍ ذَاتِ خَيْطٍ وَهَبَتْها مُدَاعِباً عِرْبيدا

أم تُراهَا إلٰهةً تَتَسلَّى أنْ تَرى رَهطَها رُكُوعاً سُجُودا

« ٥ »

مَا نَظَرْتُ الحياةَ الاّ تَرَاءَتْ لى دُموعاً ولَوْعَةً وقيودا

لَسْتُ ألقى إلاّ شَجِيّاً بَكِيّاً أو حزيناً أوْ وَالِهاً أو شَهيدا

كُلُّ شَيْءٍ سَنَنْتَهُ يا إلهى قَدْ جَعَلْتَ الآلامَ فيهِ بُنُودا

هِىَ فى الحبِّ تَجْعَلُ الحبَّ جَمْراً وفُؤادَ المُحِبِّ مُضْنًى عَميدا

وَهْىَ فى عَالَمِ الفضيلة سِجْنٌ قيَّدتنا بقهرها تقييدا

وهْىَ فى عَالَمِ الودَادِ احْتمالٌ واتِّبَاعٌ لِمَا يَسرُّ الوَدُودا

وَأراهَا خَلْفَ السُّرور نَذيراً تَمزُجُ الكَأسَ عَلقماً وَبَرُودا

وأراها مع التَّفكّر شَوْقاً وَحَنِيناً ينْفِى لَدىَّ الهُجُودا

وأراهَا مِن حَيْرةِ الغدِ خَوفاً يَجْعَلُ القَلْبَ راجماً مَكْدُودا

« ٥ »

كلُّ حَىٍّ يَشكو وكُلٌّ يُناجى بِشقَاهُ إلٰهَهُ المَعْبُودا

كلُّ حىٍّ مُلْتَقٍ على الكفِّ رأساً حَامِلٌ صَدْرُهُ فُؤاداً شرودا

فاسأل اللَّيْلَ هل أظلَّ خَليّاً واسأل البدرَ هل أضاء سعيدا

وا فُؤادى من أنَّةٍ تتهادَى فى هَزِيعٍ حتَّى تهزَّ الوُجودا!

وا لنفسى من صَرْخةٍ فى الدَّياجى وَنَشيجٍ مُرَدَّدٍ تَرْديدا!

يَخرقُ الصَّمْتَ فى الفضاء وَيَمْشى فى حَشَا اللَّيلِ رَاجفاً مَهدودا

ايه ردِّدْ أخى بُكاىَ وأمِّلْ علَّ فى الكوْن ساعداً مَمْدُودا

يا أخى انَّنى لِشكوَاىَ بادٍ ذى دُموعى نَضَّدْتُها تنضيدا

تونس : محمد الحليوى

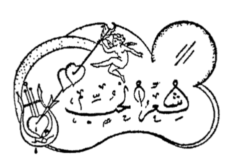
(١) الدست: رقعة الشطرنج .

حينما ...

حينما أمضت ذكاء يومها واستكانت للغروب المقترب
أخذتني سنة يا شؤمها ! فانطوت مسرعة صحف الكتب
غير أن العقل هات لاينام
شال بي طيف الى فوق الغمام وارتقى بي فوق آكام السحب
واستمر الطيف يسرى باهتمام فى ظلام الليل لا يشكو التعب
ومضى الطيف وئيداً فى الصعود
بان لى الكون كئيباً فى خمود ليس من حى أمامى يضطرب
غير أنوار بدت لى من بعيد تتراءى فى اضطراب المرتقب
ثم قال الطيف: هل ثم سؤال ؟
قلت : مهلاً إنما الدنيا محال ما عهدناه على كر الحقب
أخمود . فى ظلام وظلال ؟ ذاك أمر عجب أى عجب
بسم الطيف حزيناً واشارا
يا إلهى : إن أمراً قد أثارا فى محيط النفس هولاً يصطخب
رب إن الامر قد أشعل نارا أخذت بين ضلوعى تضطرب !
واستدار الطيف نحوى قائلا :
هل تريد الارض نوراً شاملاً ؟ حسبها الآن دخان ولهب
أتظن النور يبقى كاملاً ؟ فوق أرض كل ما فيها تعب ؟!
فوق أرض لقنت فتيتها : « خن أخاك اليوم فالليل اقترب »
وأشاعت بينهم حكمتها : « للعيش اليوم، إن الغد خب » (1)
ثم قال الطيف لى حين الرجوع :
إن ما أبصرت من نور يروع من يراه فى ذبول المكتئب
قبس قد لاح من خلف الربوع مشرق بين القبور والتراب !

محمد ابو الفتح البشبيشى

(1) خداع



قميص النوم

(كان الشاعر مريضاً فارتدى قميص النوم فشفى)

يا ليلةً سنحت فى العمر وانصرمتْ — هلاّ رجعتِ وهلاّ عاد أحبابى
يا ليت شهدك إذْ لم يبقَ لى أبداً — لم يُبقِ فى القلب تذكاراً من الصابِ
لم أنسَ مُهديتى جلبابَها وعلى — جسمى من السقم منها أىُّ جلبابِ
قميصُ يوسف ردّ العينَ مبصرةً — ففاز بالنورِ ذاك المطرِقُ الكابى
وأنتَ لو أنّ روحاً أزمعتْ سفراً — أعدتَها وخيالُ الموت بالبابِ
فذُدْ خيالَ المنايا اليومَ عن رجلٍ — أنشبنَ فى روحهِ أشباهَ أنيابِ
وإن عجزتَ فكن فى الموت لى كفناً — أمتْ وألقى إلٓهى غيرَ هيّابِ !

ابراهيم ناجى

مملكة السحر

هذا ضجيجُ الليالى — سُدَّتْ به أذناكا
فلستَ تسمع شكوى — من مستهامٍ دعاكا
وأنت فى ظلمةِ النو — رِ لا ترى عيناكا
فما تكاد ترانى — فى حين أنى أراكا !

* * *

هـذا مداىَ قريبٌ فأين منّى مداكا ؟
أكبرت وصلى دلالا وأكبرتْ ذكراكا
حبّيكَ فى الأرض لكن فوق السما منواكا
لكننى من غرامى وحيرتى فى هواكا
صوَّرتُ منكَ خيالا متى أراه أراكا !

* * *

لا نال قلبي مُناه إن كان قلبي سلاكا
أنت الذى تتجنَّى معذّباً مضناكا
فما لقيتك إلا كما التقى جفناكا !

* * *

يا ذاهلا عن غرامى تدلُّلاً . . رُحماكا !
خلفتَ جسماً طريحاً لا يستطيع حراكا
لكنه مِن هواه يطير حين يراكا
ملأت قلبيَ حُبّاً ولم أعد أهواكا
فلو طلبتَ مزيداً لما أصبتَ مُناكا !

* * *

يا واحداً فى عُلاه تحيةً فى عُلاكا !
لقد ترقّقْتَ حتى شابهتَ منى هواكا
فلو تحوّلتَ نوراً لكان طرفى احتواكا
ولو تحوّلتَ خمراً لكان ثغرى احتساكا
ولو تحوّلتَ روضاً وقد نشرت شذاكا
لكنتُ فيه فراشاً أرفّ حول سناكا
وكنتُ قضّيتُ عمرى أحسو رحيقَ جَناكا !

ص. ع. الهمشرى

زهرة النفس فى الربيع

ما بين يومٍ وليلٍ كستك (١) خضرُ الغصونْ
ما كنتِ بالامس الا رسماً لقلبِ الحزينْ
لو تصبح النفسُ يوماً فى مثل حُسن ازدهارِكْ !
يا نفسُ خلّى الامانى وهوِّنى فى ادّكارِكْ
دَعِى الصبا والتناجى دَعِى الهوى والفتونْ
طوفى بها عند روضٍ قبلَ انسكابِ الصباحْ
حيِّى بها نَوْرَ زهرٍ تَسفى عليه الرياحْ
وودّعيها وداعاً ولا تخافى العيونْ !
هناك زَهرٌ قديمٌ وأفرعٌ ذابلاتْ
مصفرّةٌ فى ترابٍ كأنهنّ الرفاتْ
عاملَ المرجُ منها فحطها للمنونْ !

* * *

قد خنتَ يا مَرْجُ عهداً قد خنتَه يا قاسى
ولم تزل لكَ جاراً يا مرجُ ، هل أنت ناسى ؟
فاذرف نداكَ عليها كدمعةِ الياسمينْ !
قسوتَ يا روضُ انى أرى ربيعَكَ يجنى
ولستُ أهتف يوماً اليكَ يا شجوُ عنى !
فالشجوُ زهرةُ نفسى ورىّ زهرِ الفنونْ !

* * *

ولو أطاع فؤادى وليس لى بالمطيعْ
فللرياضِ ربيعُ وليس لى من ربيعْ
ولو رميتُ شجونى فرميهنّ شجونْ !

رمزى مفتاح

---

(١) الخطاب لجيلة الفها الشاعر

الختـــام

عجباً لقلبٍ هيضَ منك جناحُهُ ... وجرى به نصلُ الندامةِ يذبحُ
ومضى الحمامُ يدبُّ فيه فان جرت ... ذكراك طار اليك وهو مجنَّح
لهفى على الناقوس بين جوانحى ... وعلى بقية هيكل لا تصلح
لا فرق بين انينه ورنينه ... وصداه فى وادى المنية أوضح
ياقلب ! صهباء الهوى وبساطه ... وكؤوسه المتجاوبات الصدَّح
وقف على متنقلين على الهوى ... يبغون من لذاته ما يسنح
متبدلين موائداً وأحبة ... ما خاب من حب فآخر يفلح
فالحبُّ آسيه وراء عليله ... فيهم وبلسمه على ما يجرح
ياقلبُ ! ويح ثباتنا ما ذا جنى ... أترى شعاعاً فى البقية يُلمح !

« ٠ »

يا أيها الحبُّ المقدَّسُ هيكلا ... ذاق الردى من عابديك مسبِّح
كثرت ضحاياه وطال قيامه ... وصيامه فمتى رضاءك تمنح ؟
يا دوحة الارواح يُحمد عندها ... فىءٌ ويعبد زهرها المتفتح
أينال ظلك والرعايةَ عابثٌ ... بجلالك البادى وآخر يجرح
ويبيت يُحرمه قتيلُ صبابة ... قضى الحياة الى ظلالك يطمح
ليلى ! حببتك كالحياة وذقتُ فى ... ناديك كأساً بالأمانى تطفح
فتكسرت قدح المنى ورجعت من ... سقم الهوى وهزاله أترنح
نزل الستارُ على الرواية وانقضت ... تلك الفصول وفُضَّ ذاك المسرح
فالآن يا ليلى سلام مودِّع ... باكٍ خيالك ليس عنه يبرح
يجزيك عن قلبٍ ذوى نبتُ المنى ... فيه وفارقه الربيعُ المفرح
عمراً سيلبث رهنَ حبك كله ... يُمسى على ذكراك فيه ويصبح !

ابراهيم ناجى

انا أبكيك للحب

لستُ يا أمسيَ أبكيكَ لمجدٍ أو لجاهْ
سلبته منّيَ الدّنيا ، وبزّتْني رداهْ
فأنا أحتقرُ المجدَ ، وأوهامَ الحياهْ

* * *

أوْ لعُمْرٍ ، بلغتْ منه اللّيالى منتهاهْ
وتلاشتْ فى خضمِّ الزّمنِ الطاغى قواهْ
فأنا ما زلتُ فى فجر شبابى أو ضُحاهْ

* * *

لا ، ولا أبكيك يا أمسى ، اذا ما قلت «آهْ»
لنعيمٍ ، لم يَنلْ قلبيَ منه مُشتهاهْ
فبنُو الايام فى الدنيا كما شاء الإلهْ

* * *

إنما أبكيك للحبِّ ، الذى كان بَهاهْ
يملكُ الدنيا ، فأنّى سرتُ فى الدُّنيا أراهْ
فاذا ما لاحَ فَجْرٌ ، كان فى الفجر سناهْ
واذا غرّد طيرٌ ، كان فى الشَّدْو صداهْ
واذا ما ضاع عِطْرٌ ، كان فى العطر شذاهْ
واذا مارفَّ زهرٌ ، كان فى الزّهرِ صِبَاهْ
فهو فى الكون جمالٌ ، يملكُ الأفقَ ضياهْ
وثُوَشّى هذه الأكوانَ بالسِّحرِ رُؤاهْ
وهو فى قلبي ــ الذى عانقه الفجرُ ــ إلهْ !

عبقريُّ السحرِ، مراحٌ، وديعٌ في سماهْ
يَنسجُ الأحلامَ في قلبي بأضواء الحياهْ
ويُغنيني ، فأنسى في مسرَّاتِ غِناهْ
كلَّ ما في الكونِ من حزنٍ وأفراحٍ عداهْ !

أبو القاسم الشابي

☆☆☆

الأمـــل

يا ملاكاً له القلوبُ عبيدٌ
أنا واللهْ
بكَ مغرمْ

أنت ملء النهى وأنت بعيد
وبك الجاهْ
يَستحرَّمْ !

أنتَ في ظلمةِ السمواتِ نجمٌ — يخطفُ العينَ لمحهُ حين يسرى
يخفق القلبُ في حبورٍ متى لا — ح ، وإن غاب أرسل الدمعَ يجرى
أنت ممشوقُ شاعرٍ بات يُزجي — لكَ من روض شعرهِ خيرَ زهرِ
يسهر الليلَ ينظم الشعرَ كالدُّرْ — (م) دعاءً لفاتنٍ ليس يدرى
رُبَّ خودٍ في رَيِّق العمرِ أصغتْ — لبُغامٍ مِن فيك يهمى بسحرِ
عَسَّلتْ وقعَه ملائكةُ الحبِّ — على أذنها بشهدٍ وخمرِ
سكرتْ منه فاستهامت وراحتْ — ترقبُ الخيرَ ، فانقلبتَ لِشرِّ
غادَرتْها تلك البشاشةُ لمّا — صَليتْ من جحيم إفكٍ وغدْرِ
آهِ . . يا مالكاً فؤاديَ ، مهلاً — أنت تُخفي للقلب سوءاً لعمرى
إنْ تقلَّبتَ أوْ تمنَّعتَ يوْماً — فرجائى ألا تُحقِّرَ شعرى !

مختار الوكيل

الأيام

تِهتَ ياصبُّ لجاءتْ ، تذكر العهدَ لديكْ
وتجنَّيْتَ فألقتْ قلبَها بين يديكْ
كيف بالله يذلّ الحسْنُ يا قلبي اليكْ
هكذا الأيامُ ! يومٌ لكَ والثاني عليكْ !

صالح جودت



الأبد الصغير

يا قلبُ ! كمْ فيكَ من دُنْيا مُحجَّبةٍ كأنَّها حين يبدُو فجرُها « إرَمُ »[1]
ياقلبُ ! كمْ فيكَ من كونٍ ، قد اتقدتْ فيه الشُّموسُ وعاشتْ فَوقَهُ الأُممُ
ياقلبُ ! كمْ فيكَ من أفقٍ تُنمِّقُهُ كواكبٌ تتجلّى ، ثمّ تنْعَدمُ
ياقلبُ ! كمْ فيكَ من قبرٍ ، قد انطفأتْ فيه الحياةُ ، وضجَّتْ تحتهُ الرِّمَمُ
ياقلبُ ! كمْ فيكَ من غابٍ ومن جبَلٍ تذْرِي به الريحُ أوْ تسمو به القِيمُ
يا قلبُ ! كمْ فيكَ من كهفٍ قد انبجست منه الجداولُ تجْرِي ما لها لُجُمُ

(١) إرم مدينة أسطورية أحاطتها الخرافات بجوٍّ خياليٍّ مسحور ، فزعمت انها بُنيتْ على حافة الجنة : أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب واللؤلؤ والمرجان وسماؤها من سحر مرصّع بالأحلام . . . وأنها لا زالت إلى يومنا هذا في صحراء العرب ولكنها محجوبة لا يراها أحد . . .

تمشي.. ، فتحملُ غُصنا مُزْهِراً نَضِراً أوْ وَرْدةً لمْ تُشَوِّهْ حُسنَها قَدَمُ
أوْ نحْلةً جرَّها التَّيار مُندَفِعاً إلى البحار ، تُغنِّي فوقَها الدِّيَمُ
أو طائراً ساحراً ميْتاً ، في مُقلتيهِ قد انْفجرَتْ جراحٌ جمَّةٌ ودمُ
يا قلبُ ! إنك كونٌ ، مُدْهِشٌ عجَبٌ إنْ تَسألْ الناسُ عن آفاقه بَجِمُوا
كأنك الأبَدُ المجهولُ . . ، قد عجَزَتْ عنكَ النُّهى ، واكفَهرَّتْ حولكَ الظُّلَمُ

« • »

يا قلبُ ! كمْ من مسرَّاتٍ وأخْيِلةٍ ولذَّةٍ ، يتَحَامَى ظِلَّها الألمُ
غنَّتْ لفَجْرِكَ صوتاً ، حالماً ، فرِحاً نَشْوانَ ، ثم توَارتْ ، وانْقضَى النَّغمُ
وكمْ رأى ليْلُكَ الأشْباحَ هائمَةً مذعورةً تتهاوى حولها الرُّجُمُ
ورَفْرَفَ الألمُ الدَّامي بأجْنحةٍ من اللهيب ، وأنَّ الحزنُ والنَّدَمُ
وكمْ مشتْ فوقك الدُّنيا بأجمعها حتَّى توارتْ ، وسار الموتُ والعدمُ
وشيَّدَتْ حولكَ الايامُ أبنيةً من الاناشيدِ ، تُبنَى ، ثم تنهدِمُ

« • »

تمضي الحياةُ بماضيها وحاضرها وتذْهَبُ الشمسُ والشُّطآنُ ، والقممُ
وأنْتَ أنتَ الخِضَمُّ الرَّحْبُ : لا فرَحٌ يبقى على سطحِكَ الطَّاغي ، ولا ألمُ

« • »

يا قلبُ ! كمْ قد تملَّيْتَ الحياةَ ، وكمْ راقصتَها مرِحاً ، ما مسَّكَ السَّأمُ
وكمْ توشَّحْتَ من ليلٍ ، ومن شَفَقٍ ومن صباحٍ تُوَشِّي ذَيْلَهُ السُّدُمُ
وكمْ نسجْتَ من الأحْلامِ أرْديةً قدْ مزَّقَتْها الليالي ، وهْيَ تبْتَسِمُ
وكمْ ضفَرْتَ أكاليلاً مُورَّدَةً طارتْ بها زَعْزَعٌ تدْوِي وتحْتَدِمُ
وكمْ رسمتَ رسوماً ، لا تُشابهها هذي العوالمُ والأحلامُ والنُّظُمُ
كأنها ظُلَلُ الفرْدَوْسِ ، حافِلةً بالحورِ ، ثم تلاشَتْ واختفى الحُلُمُ

« ٥ »

تَبْلُو الحياةَ ، فتُبليها ، وتَخْلَعُها وتَسْتَجِدّ حياةً ما لها قِدَمُ
وأنْتَ أنْتَ : شَبَابٌ خالدٌ نَضِرٌ مثلُ الطَّبيعَةِ : لا شَيْبٌ ، ولا هَرَمُ

أبو القاسم الشابى

الغـــد

غيب تذوب به أحاجى الساحرِ وسفينةٌ فى عرضِ بحرٍ ثائرِ
وجموعهم فى شطه يتزاحمو ن بكل قلب ثائرٍ او طائر
يهفو الى شبح السفين ليستبيـ ن حظوظه فى كف دهر غادر
فكأنما طيرٌ على أغصانه يرنو الى ضوء الصباح الباهر

* * *

وأنا إذا هوت الأمانى لا أرى بين المنى وصريعها بالخائف
وأرى غداً متألقاً ... فى أفقه زهرُ المنى يصبو للثم القاطف
يا قلب لا ترهب غداً ... فلربما يحييك بالآمال لحن العازف
وورودُ روضك تنتشى بسلافه من ثغرِ حبٍّ صامتٍ أو هاتف

المهرى مصطفى

الذكرى

ذكرى تَمُرُّ بخاطرى الآنا أغضى عليها الدهر نسيانا
غرقت بلجِّ الليل آونةً وَطَفَتْ على الايام أحيانا
ما كان أقسى ماتجدِّدُه فى قلب موتور بما كانا
مالجتُ منها حالَتىْ عَجَبٍ كنتُ الطروبَ وكنت اسوانا
جاهدتُ نفسى لستُ أذكرها وكأنما جاهدتُ إمعانا !

« ٥ »

هلْ أمست الذكرى تؤرّقنى كالامس أم باتت تواسينى ؟
أين الحنين يلوح مُتّشداً من لدعة التحنان تُضوينى ؟
هذا الجوى برد على كبدى بعد الجوى يذكو ويصلينى
أتحاول الآلامُ ترضينى بنزوحها عنى الى حين
أم تترك الايامُ ربوتها للريح تذروها وتُبقينى؟!

« ٥ »

لى عنك آمالٌ تباعدنى وغداً عن نرجوه آمالى
فاليك يا ذكرى مُهادنتى قد لا أُحِسُّ خيالك البالى
أسرفت فيما مرّ من ألمى وطرحتُ ما أسرفت من بالى
اليوم يحْيي فى الفؤاد هوى ورد الحياة وملء أوصالى
هذا الحبيب أبرُّ بى كنفاً وأحبُّ من محبوبك الخالى

محمد فريد عبد القادر

لحن اليأس

الشاعر: فى ظلام الليل والدنيا سكونْ صَاحَ بى يهتفُ بالشكوى الأمـلْ !
حَيْرَتَا ! لم يَدْرِ حىٌّ ما يكونْ يا رفاقي خبّرونى ؟ ما العملْ ؟ !

« ٥ »

ما عسى يفعل ذو القلب المُعَنَّى ماعسى يصنع ذو اللبّ الكئيب ؟
جُنَّ لى حينما حظىَ جُنّا زاد خطبى كلما وافت خطوبى
لو بِعَدْنٍ عشت ما أحسست عدنَا صاح انى آذنتْ شمسُ مغيبى
ودنا منى فوافانى الأجلْ !

اليأس : إيه ياشاعرُ! انّ الكون مُلكى وعليه كنت جباراً عتيّا

لم أدعْ فى الخلق آمالا لدرك — لا ، ولو كنت على الدنيا نبيّا
كتب الله على الأيام سفكى — منذ كان الدهر فى المهد صبيّا !
إنْ بكيتَ اليوم فالكلُّ سيبكى — لن ترى عندى من الكل حظيّا !

الشاعر : عادلٌ أنتَ ! فما بال الورى — فى سرورٍ وانا اليوم مُعَنَّى ؟
عادلٌ أنت ! فما لى يا ترى — فى شقاء وسواىَ اليوم يَهْنَا
قد مللتُ الآن من طول السُّرَى — وبحظى البؤسُ فى الدهر تغنَّى
وجرى الدمعُ فأضحى أنهرا — لم أجد فيه ـ لِكَىْ أنجُوَ ـ سُفْنَا

اليأس : ايه ياشاعرُ ! أيامٌ ستمضى — كل ماتلقاه شىء غير باق !
فاقض حقَّ اليأس فالكلُّ سيقضى — انَّ كلا سوف يلقى ما تلاقى
كم سماءٍ بدلت منى بأرضٍ — وجميعٍ آلَ حتماً لافتراق
بُحْ بما تشعر يا شاعرَ ! أفْضِ — وامـلأْ الارض مع السبعِ الطباق

الشاعر: أيهذا اليأس قد أوديتَ بى — أينما سرتَ بدا فيك نصيبى
ربَّ حبٍّ لك يوماً سار بى — أترى يا يأس هل كنت حبيبى ! ؟
صاحبى ما كنت يوماً مطلبى — أيهذا اليأس رفقاً بالغريب
أنا فى الدنيا غريبُ الكوكب — كوكبٌ هالتُهُ كل الخطوب !

اليأس : أيها الشاعرُ قد أطربتنى — ببكاء فوق تغريد البلابلْ
سرنى منك بكاء سرنى — منك دمع فوق سفح الخد هاطلْ
ومن الآمال هيا فاقتنى — كلها ـ مهما بها خودعت ـ باطلْ
وبلحنى فى البرايا غننى — ان لحنى مطربٌ للنفس قاتلْ

الشاعر: أيها اليأسُ سلامٌ بيننا — دائمٌ لاينقضى طولَ الابدْ
بارك الله بذا الحب لنا — لا يَرُدْكَ اليوم من بعدى أحدْ
قد تصادقنا فإما مسَّنا — أحدٌ كنا عليه كأحدْ
علَّنا يا يأسُ نصفو علنا — من عداءٍ بيننا أو من حسدْ

اليأس : أيها الشاعرُ كم تسخرُ مني ... ان ذا يا شاعري بعضُ الاملْ
من يصاحبني على الدنيا يجدني ... عن طباعي طول دهري لم أحُلْ
أنا يأسٌ ! أبعدْ الآمالَ عني ... بي شقاء الناس في الدنيا اكتملْ
ولسيَّان عدوي مثل خدني ... انا حربٌ للفتى طولَ الاجلْ
الشاعر : رباهُ ان اليأس بات معاندي ... فأخذت أجعل منه بعدُ صديقا !
حاولتُ أن يرضى لكي أحظى به ... ما كان يوماً باللقاء خليقا
لكنني رمتُ السلامة فانثني ... وطغى فطوَّقني الأذى تطويقا
ربُّ العنْ الحظَّ الكئيبَ فانه ... رغم الرضاء به غدا زنديقا !

عبد الغني الكتبي

٭٭٭٭٭

ليلة

يا ليلةً وصلتنا بالنعيم فِدًى ... لكِ الليالي التي ولَّتْ على حَزَنِ
فليتَ صبحَكِ لا يَغْشَى معاهدَنا ... وليت أنّ نهار الناس لم يَكُنِ !

محمد مصطفى الماحي

٭٭٭٭٭



أبلن أو أفولن وما ورد فيه من اللغات

ومعنى هذا الاسم

طالعتُ مراراً في مجلتكم البديعة كتابة اسم أَبُلُّن بصورة (أبولو) ، والذي أراهُ انكم اتبعتم في رسم هـذا العَلَمَ الانـكليز إذ يقولون Apollo أو اللاتين وهم يقولون Apollo في حالة الرفع فقط . وهتان اللغتان تجيزان مثل هـذه الصيغة

الاسمية . وفى هذين اللسانين أمثال هذه الصيغة شيء كُثار : من ذلك بلاطو Plato فى أفلاطون ويونو Juno فى يونون وجيجرو أوكيكرو Cicero فى جيجرون اوكيكرون ، الى غيرها.

أمّا العربية فلا تجيز مثل هذه الصيغة وذلك ان (أپولو) منتهية بواو ساكنة وإذا وقع فى كلامهم شبيه ذلك يلحق بآخره هاء، فيشبه حينئذ : قمحدُوَة وترقُوَة وسنوتُوَة لكى لا تسكن الواو بل تفتح .

أو ان تشدد الواو وتحرك فيأتى اللفظ حينئذ شبيهاً بقُوّة وفوّة وحُوّة أو عَدُوّ وسُمُوّ وعُلوّ الى غيرها ، وتُعَدّ بالعشرات .

وهناك طريقة ثالثة هى : ان يسكن ما قبل الواو ، ويحرك هذا الحرف بحركة الاعراب فى المعربات ، وبحركة غير المنصرف فى الأعلام الممنوعة من الصرف ، مثل بَدْو وشَدْو وعُلو ودَوّ فى الاوّل ، ونحو مَرْو (بالفتح اسم بلدة) وبِلْو (بالكسر من مياه اليمامة) وخَرْو الجبل أو خَرْو (لقرية فى ايران) .

وهناك علة أخرى لقولنا أبُلُّن أو أفُولّن لا (اپولو) هى : انّ الأقدمين مِنّا هكذا سموهُ . قال ابن أصيبعة (١ : ١٥) : « وحكى انه وُجد علم الطب فى هيكل كان لهم برومية ، يعرف بهيكل أبُلُّن ، وهو للشمس » اه . وسمّاهُ فى موطن آخر (١ : ٤٥) أفُولُون . قال (١ : ٤٥): « ان المركَّب الذى كان يبعث به فى كلّ سنة ، الى هيكل افولون ، ويحمل اليه (الى سقراط) ما يحمل ، عرض لهُ حبس شديد » اه .

وعرّبهُ ابن القفطى بصورة أبُلُّن. قال (ص٧٢) : « ابلن الرومى حكيم طبائعى، ويقال هو أوّل حكيم تكلم فى الطبّ ببلد الروم ، وكان فى الزمن القديم ، وهو أول من استنبط حروف اللغة الاغريقية ... وكان زمنه بعد زمن موسى بن عمران النبيّ عم . . . »

وذكره صاحب دائرة المعارف بصورة أبُلُّون (راجع ١ : ٣٣١) والظاهر ان الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف اعتمد على هذا السفر حينما كتب مقالتهُ (١ : ١٣٢ إلى ١٣٤) لان العبارات فى الكلامين المذكورين تكاد تكون واحدة والاغلاط واحدة . فقد قال صاحب الدائرة : « ومن الحيوانات التى خُصصت به البجع والديك والباشق والذئب والغريفون والصرصور والبازى » ، وقال الاستاذ

المعلوف : « وخصص به من الحيوانات الذئب والبجع والصرصور والديك والباشق والبازى » اه. وأهمل الغريفون . وكلاهماذكر البجع.وهو وهم ظاهر لان البجع هو Pélican والمخصص به كان القنقس Cygne وهو الذى سماه الدميرى « التمّ » وبعضهم « إوزّ العراق » (راجع « لغة العرب » ٨ : ٣٥٩)



الاب انستاس مارى الكرملى

وكلاهما ذكر الباشق والبازى والصواب : النسر Vautour والبازى (راجع فى هذا البحث معلمة لاروس الكبرى ١ : ٤٨٤) . وكلاهما ذكر بين النباتات « التمر الهندى » (كذا فى دائرة المعارف أى بتثليث ثاء الثمر والصواب « التمر الهندى » بمثناتين . وذكره الاستاذ المعلوف بصورة التمر هندىّ . والصواب « التمر الهندى » الذى هو الحُمَرَ (بضم ففتح) ولم يذكر كلاهما النخل مع انه كان موقوفاً عليه.

وفى الدائرة (ص ٣٣٢) ما نصّهُ : « وقد قال هيرودوتوس المؤرخ ان اسمه عند المصريين هوروس » ، وقال الاستاذ عيسى (ص ١٣٣) : وذكر المؤرخ

هيرودوتوس ، أن اسم ابولون عند المصريين هوروس» . قلنا : وفى قول الاثنين هيرودوتوس وهوروس غلطان : الاوّل ان هيرودوتس تكتب بلا واو بين التاء والسين ، لان الأحرف العليلة عند اللاتين واليونانيين تقسم قسمين : قسم العليل المقصور وقسم العليل الممدود . والمقصور يقابله عندنا احدى الحركات الثلاث والممدود يقابله احدى أحرف العلة الثلاثة . فهيرودوتس Herodotus مقصور الآخر فكان يجب بلا واو على حدّ ما فعلنا هنا . وأما هوروس فصحيح لفظه « حوريس » بحاء فى الأول وياءٍ وسين فى الآخر ، كما أثبتهُ أحمد كمال فى كتابه بغية الطالبين ص ١٧٩ و ١٨٩ والمؤلف حجة فى الالفاظ المصرية القديمة .

بقى علينا أن نثبت صحة كتابة Apollon فى لغتنا ، وعندنا ان أحسن صورة له هو « ابولن » أ و « افولن » ولا فرق عندنا أن يكون بالباء الموحدة أو المثلثة أو بالفاء كما قالوا : اصبهان واصبهان واصفهان ، واشباه هذين المثالين أكثر من أن تحصى ومعروفة عند السلف ، انما المهم أن نعرف الحرف الثالث ، أيكون واواً أو لاماً مشدّدة بعد حذف تلك الواو ؟

قلنا : الأحسن ابقاء الواو والسبب هو ما تقدم ذكره من أم الحروف العليلة المقصورة والممدودة لأن الحرف الغريب الأوّل فى Apollon ممدود ويقابله عندنا الواو ، وأما الحرف الثانى الدخيل الذى فى آخر الكلمة فمقصور ويحاذيه عندنا الضم غير الصريح عند قوم ، أو الصريح عند قوم آخرين ، ولهذا نقول « ابولن أو افولن » على ان الذى يقول : « ابلن أو افلن » يزنهما أو يزن كلاًمنهما وزناً عربياً هرباً من التقاء ساكنين ، أولهما حرف علة ، وهو قبيح ومكروه فى نظر الصميم من الصرفيين والنحاة واللغويّين ، وإن كان قد ورد فى لغتنا ما يقارب هذا التركيب كقولهم دابّة ودويبّة وغيرها .

وحذف الواو من أبلن قديم من عهد الجاهلية . نستدل على ذلك من أسماء المدن التى سمّاها به اليونانيون أو الرومان فى ديار الشرق ، حينما كانوا فيها . من ذلك الأُبُلَّة وهى من انحاء البصرة . وآبِل (كصاحِب) وهى اسم أربعة مواضع كلها فى سورية . وكذلك أُبْلِيّ (ككرسيّ) جبل عند اجأ وسلمى . وأُبْلَى (كحُبْلَى) لجبال فى الحجاز . فهذه وغيرها كلها باسم ابلن أو اوأبولن ، الا ان العرب الأقدمين لم يعرفوا مدناً قديمة باسم « افلة أو أُفليّ أو آفِل » أو نحوها اللهم الاَّ ان يقال ان « عَفشُولة » التى فى مرج ابن عامر ، و « عفلان » لجبل فى

نجد ، و« عفلانة » ، لماءة عادية فى نجد أيضاً هى كلها من هذا القبيل . .

أمّا كتابة النون فى آخر ابولن أو أفولن فضرورية على كلّ حال لأنها تظهر فى اللاتينية نفسها فى غير حالة الرفع ، فيقال Apollonis مثلاً فى حالة الاضافة ، وأما فى اليونانية ، فانها ترى متصلة به لاتفارقه أبداً فى جميع وجوه اعراب الكلمة بلا شاذ واحد . ولهذا نرى من الواجب أن تكون تلك النون فى اللفظ العربى اتباعاً للأصل .

معنى أبُولُّن

لم يتفق العلماء على معنى اسم هذا الاله ، وسبب هذا الاختلاف عدم معرفتهم أصله . فلقد تضادّت الآراء فى أصل موطنه الأول حتى ليحار المرء فى اتباع واحد منها ، لأن منهم من قال انه إله شمسىّ كان يعبد فى غربى آسية ، مثل « بعل » أو « أدونس » السورى وهو « مِيهْرُ » أو « مِيثْرَا » عندالفرس ، ولهذا ذهبوا الى أن أصله آسوىّ ، وآخرون قالوا انه « حِسْر » (اى ازوريس) المصرى بنفسه أو حوريس أو « رع » أو « فْرَعْ » ، واما الأكثرون وفى رأسهم اتفريد ملر Otfried Müller العلامة الشهير ، فانهم يقولون بان أصله الحقيقى هلّنى ولا صلة له باىّ معبود آخر . وفى هذا الحدس الاخير لا تتفق الاحاديث الخرافية فى البلد الذى وُلد فيه : فالالياذة ترى انه وُلد فى لوقية ، ونشيد هُومَرِىّ يجعله يولد فى ذيلس ، ثم جاءت المأثورات بعد ذلك وروت انه وُلد فى الغابة المقدسة غابة أرتوجية وهى قريبة من أفسس ؛ ومأثورة أخرى تزعم أنه وُلد فى تجورة فى بيوتية ، أو فى زستر فى اتيكة إلى آخر ما هنالك من الخلافات التى لا تحصى ولا تستقصى .

وعلى كل حال ان الذين يذهبون انه هَلِّـنىُّ الاصل ، لا يقولون أبداً أن معناه « الهدّام » كما قاله معرب الالياذة سليمان البستانى (ص ١٢١١) ، فهذا أحط الآراء وأسخفها ، لانه يشتق اسمه من الفعل اليونانى Apollumi وهو خطأ لا يذهب اليه إلا المبتدئون فى درس اللغة اليونانية . وكيف يُنْعَت الاله بالهدّام ، والناس لا تريد أن تعبده إلا ليكون محيياً قوياً معمراً مشيد أركان البيوت ومؤيدها ، بما فى مكنته من الوسائل الالهية التى فى أيديه ؟ — وعليه يجب أن يكون معناهُ عاملاً نشيطاً فعالاً محسناً إلى البشر ، لا متلفاً مخرّباً هدّاماً . فهدم الصفات

لا تلحق إلاَّ بالأرواح النجسة الخبيثة ، أرواح الشياطين دون غيرهم .

وقد عدد العلاَّمة اميل بواساك صاحب معجم أصل ألفاظ اللغة اليونانية آراء جميع من تقدمه من اللغويين الثقات وجميع من عاصره إلى يومنا هذا وبيَّن فسادها الواحد بعد الآخر (راجع كتابه فى الصفحة ٧٠)

Emile Boisacq. - Dictionnaire étymologique de la lungue grecque. Paris, 1923.

وذهب إلى أن أبولن من أصل افل Apel الذى يعنى رقِّى وأقام وبعث ونشر وأنمى إلى أمثال هذه المعانى . فيكون مؤدى اسم هذا الاله : « النشيط الناشر المرقى الخالق المبدى » .

قلنا : هذه المعانى لا ترى فى لغة من اللغات المعروفة اليوم فى ديار الغَرْب ، بل ترى فى اللغة العربية ، فقد قال علماء لغتنا أفِلَ الرَّجُلُ كَفَرِحَ ، اذا نشط فهو آفِلٌ . كذا فى النوادر (التاج) . أفرأيت كيف ان اللغة الضادية تحلُّ المعقدات ، وتفكّ المقفلات ، وتزيلُ المشاكل ، بينما أن سائر اللغى تبقى صامتةً لا تبدى حراكاً ؟

زد على ذلك ان وزن فَعْلُون لو قلنا : « أفلُون » يدل على نوع من المبالغة ، فى الأعلام كما فى النكرات فزَيْدون وسَعْدون وخَلْدُون تدل على كثرة الزيادة والسعادة والخلود فى من سُمّى بأحد هذه الاسماء ، فيكون معنى افلون : « العظيم فى نشاطه » وأعمال النشاط لا تحصى . وأما فى النكرات فكقولك زَيْتون وليْمون وشَيْخون . فكل هذه الألفاظ تدل على كثرة فى الزيت والليْم (الماء أو العذب منه) والشيخوخة . قال فى التاج فى مادّة ش ى خ : «قال شيخنا : الثانى (شيخون) غريب غير معروف فى الأمهات المشهورة وأورده بعض شراح الفصيح وقالوا : هومبالغة فى « الشيخ » : من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب . . . » فهذا ما يدعم رأينا فيحمل أفلون عليه ، وعلمه فوق كلّ ذى علم .

بغداد : الاب انستاس مارى الكرملى

(نشكر لأستاذنا الجليل بحثه الممتع ونكرّر اننا لا نرى اسم « أبولو » أثقل من اسم « ارسطو » الشائع بل من أخفّ الاسماء نطقاً ، وهو رأيٌ يشاركنا فيه كثيرون من القرّاء . بقى أن نشير إلى أنّ الذوق الموسيقى فى اللغة واحترام التقاليد فى تعريب الاسماء أمرٌ قابلٌ للتهذيب فى مختلف الازمنة ، ولا يضيرنا استعمال الصيغة الانجليزية إذا اعتبرناها أخفّ وألطف من غيرها ، وقد استعملها المغفور له شوقى بك فى أبياته الرقيقة كما استعملها خليل شيبوب وغيرهما من شعرائنا الممتازين — المحرر) .

موسيقية الشعر العربى

— الوزن والقافية —

ان أحسن ما يُطلب اليوم فى التعابير الحيوية « الموسيقية التلفظية » التى جهلها السلف الكرام وخصوصاً التعابير الأدبية فى النظم والنثر . إننا لاننكر أن القوم ذكروا لفصاحة الكلام حدوداً منها « عدم تنافر الكلمات » ولكنهم لم يتمكنوا من وضع مقياس لهذا التنافر فبقى مستنداً الى الذوق وما زال الذوق غير قياسى ، حتى قالوا فى بيت ابى تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى ، واذا مالمتُه لمتُه وحدى

انه غير فصيح لتنافر كلماته ، ولو قرأوه على مقياس « الموسيقى التلفظية » لم يضعوه ذلك الموضع المعيب ، فانه متسق الكلمات منقادها مسمحها ، لاتتضارب حروفه ولا تصطدم أصواتها ، ولو صح قولهم فيه لصح فى قوله « ولا تزر وازرة وزر أخرى » من تواتر الواوات والزايات والراءات ، والحق الذى لاريب فيه أن موسيقية الآية مطردة . والموسيقى التلفظية تشمل الاوزان والقوافى والكلمات والحروف ، وما هى الا « تمدد اللفظ بحسب أحرفه وتمدّد صوته على حسب مخرجه بلا تصادم فى الالفاظ محدث لاصطدام الاصوات » فالشعر يجب أن يبحث فيه عن

هذه الخصيصة كما يبحث عن قوته وبراعته فهى مساعدة له على كثرة تأثيره فى النفوس وملاءمته للطباع وثارته لخوالج العواطف، فان الشعر قد يستقبح لسوء وزنه وخشونة قافيته وهو خلو من بشاعة المعنى سالم من الابتذال . وكذلك القول فى النثر ، وها نحن أولا نبسط للقارىء الادلة :

(١) موسيقى التلفظ للاوزان والقوافى

مضى على الشعراء عصور كانوا فيها يباهون بارتكابهم أصعب الاوزان وتعلقهم بأغرب القوافى الثقيلة القليلة حتى أن أحد ملوك الاندلس (ابا يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) كان يقترح على الشعراء عروض الخبَب لاستصعابه اياه فكانوا يتبارون فيه ، ولذلك انشده على بن حزمون المرسى قصيدة على ذلك البحر أولها :

حيّتك معطـرة النفس نفحات الفتح بأندلس

فاستجادها واستحسنها[١] وهذا أكره ما سمع عن مغرم بالأدب لانه قد قيده بأصفاد صدئة فكيف يجتمع الغرام والصفو ؟ تأمل القصائد الشهيرة ودواوين الشعـراء الفحول تجـد حسن اختيارهم للبحور والقوافى واضحاً . ألا ترى الى قول امرىء القيس أو قول أحدهم عن لسان حاله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فانك تجد له رقة وموسيقى وتأثيراً لاتجدها فى قولى انا للتمثيل :

تعاليا نبك بذا المـنزل دار حبيبى ذكره مقتلى

وإن كان فى البيت الثانى من المعنى ما هو أوجه وأوسع ، ثم انظر قولى :

قفا نبك من ذكرى الحبيب المزايل بسقط اللوى بين الذُّرا فالحوامل

تجـده بالنفس أليق وبالعواطف أمس[٢] لان الامتـداد اللفظى (من موسيقى التلفظ) فى « المزايل » و« الحوامل » أشد إثارة للروحية العربية من القافية الأولى « منزل» و « حومل » فقد تطور الوزن بهذه الزيادة اللفظية تطوراً محزناً للقارىء وليس المراد هنا الا التحزن ، ثم ان قولى :

قف نبك من ذكرى الحبيب الراحل عند اللوى الى الدخول الماحل

---

(١) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ١٩٤

(٢) دخول الباء على معمول اسم الفـاعل واسم المفعول بدلاً من لام التقوية مطرد فى كلام العرب وهو من القواعد التى استدركناها على العلماء ونشرنا بعضها فى مجلة المعرفة ومجلة الـكلية للجامعة الاميركية ومجلة لغة العرب .

ليس فى رجزيته مثل ما فى تلك الامتدادات من اللباقة واللطافة والتحزن ، والسبب ان المقام مقام توجع وتريث لامقام خار وتسرع ، ومقام ترفق وبكاء لا مقام تهدد وتوعد ، وهذا شيء يعرف بالشعور والذوق الموسيقى المعروف المقياس، وبهذا الذوق الموسيقى يجد العاطفى قول عبيد بن الأبرص « أقفر من أهله ملحوب » أنموذجاً لمخالفة الشاعر لمقتضى الحال فى الأوزان ، وتأمل قولى :

قفا فهنا البكاء على الحبيب   قفا نضف البكاء الى النعيب

وهو من الوافر، تره أرق وأوقع فى النفس وأدل على مقتضى الحال ، فالوافر أحياناً أحوى للرقة مما تقدم وأوصف للحزن وأنسب باثارة العواطف، وبه نالت الشرف الخالد والتالد ومحالفة الاجيال والقرون مرثية ابن الانباري للوزير ابن بقية :

علو فى الحياة وفى الممات   لحق أنت احدى المعجزات

وبه سالت الرقة وتناثرت العواطف وتجسمت الحسرات فى مرثية تماضر الخنساء لاخيها وهى :

أفيقى من دموعك واستفيقى   وصبراً إن أطقت ولم تطيقى

فالرثاء إذن والتوجع والتألم والترفق تستوجب الوافر وما قاربه[1] للعلل السابقة التى بسطناها من لزوم كون الوزن موافقاً لموضوع الشعر، فتقاطيع الوافر موافقة للبكاء والتحزن على حسب الطبيعة العربية وعلى هذا يجب أن تستقرى بحور الشعر العربى ويخصص البحر أو أكثر من البحر بحال من أحوال الانسان وروحية من روحياته .

أما موسيقى التلفظ للقافية فواجب مراعاتها - كما قدمنا - لان نوع تصويت الفم بالقافية هو من الموسيقى فى القراءة ، ويحدث تأثيراً وافراً فى الاسماع ، وها نحن أولاء نذكر البيت الواحد مكرراً باختلاف القافية فيه مع الحفاظ على الوزن لتظهر صحة ماذكرناه فانظر هذين البيتين :

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قفا نبك من ذكرى حبيب وملعب   بسقط اللوى بين الدخول فرحب

تجد أن الباء أرق وأحق بهذه الحال من اللام ، ثم تأمل هذين البيتين :

قفانبك من ذكرى حبيب وملعب   بسقط اللوى بين الذرا فالحوامل

قفانبك من ذكرى الحبيب المفارق   بسقط اللوى بين الدخول فعالق

تجد القاف أرق وأوقع فى الحس وأرن فى الأذن وأحزن من اللام ، وبهذا المقياس ترى الفرق بين البيتين الآتيين :

---

(١) كالبسيط وهو الذى خلد : (أضحى التنائى بديلاً من تدانينا)

أفيقي من دموعك واستفيقي وصبراً إن أطقت ولم تطيقي
أفيقي من دموعك واستجيبي وصبراً إن أجبت ولم تجيبي

ولهذه الاسباب الموسيقية ترى اكبر القصائد العُصْم المجوَّدات « رائيات » لان الراء أرق الحروف العربية فى التقفية ، وقافية الراء هى التى ساعدت كثيراً مع الوزن على خلود قصيدة الكاتب الأبرع ذى الوزارتين أبى محمد عبد المجيد بن عبدون التى يقول فيها :

الدهرُ يفجع بعد العين بالأثرِ فما البكاءُ على الاشباح والصُّوَرِ ؟

وهى التى أظهرت الجمال اللفظى فى قول ابى العتاهية اسماعيل بن القاسم :

لهفى على الزمن القصير بين الخورنق والسديرْ

فكأن الراء « وعاء رقة وحنان وتحزن فى الشعر العربى » بل ان كثيراً من القصائد غير الرائية لو استبدلت الراء لقافيتها لكان لها شأن غير شأنها الأول. والراء تشبه أصوات الاوتار ولا سيما الزير ولذلك ترى الموسيقى الفرنجية تتخذها أرق النغمات فى سلم الالحان ، فهذا شيء مجمع عليه . ويلحق بموسيقى القوافى حركاتها فان الضمة والكسرة والفتحة أحرف مضمرة اذا أشبعت رجعت الى أصولها فلذلك يكون لها تأثير بليغ فى مقتضى الحال وكل حركة منها تناسب حالا وتستحبّ له على غيرها ، ألا ترى أن بيت الخنساء المتقدم آنفاً المكسور القاف اذا حول الى هذه الصورة :

أفيقن من دموعك واستفيقا وصَبراً إن اطقت ولم تطيقا

يبتعد عن الرقة قليلا لأن القاف رقيقة والفتحة لاتوافق رقتها لتضخم رنينها بعكس الكسرة، ثم إذا حُوِّل البيت الى :

أفيقوا من أساكم واستفيقوا وصبراً إن تطيقوا ولم تطيقوا

ابتعدت القاف عن الرقة اكثر من ابتعادها عنها بالفتحة ، ولا يلزم من قولنا هذا ان الضمة تأتى دواماً للخشونة ولا أن الكسرة دائمة للرقة ولا أن الفتحة لما هو بين بين لان الحال تختلف باختلاف الحرف ، ولكن أحسن ما يقال فى الضمة « انها لا تناسب الرقة لتطابق الشفتين بصوتها وهو الى الخشونة أميل » فما يسميه علماء اللغة وآدابها بـ « تنافر الحروف » انما هو تعاكس الموسيقى التلفظية بين أحرف الكلمة ، فذلك مانع من اتساق الاصوات الحرفية الطبيعية ، والموسيقى

الرقيقة فى الحرف فى مخالفة أينما حل ومع أى حرف ائتلف . وكما تُراعى موسيقى التلفظ فى الكلمة الواحدة يجب مراعاتها فى الجملة والتعبير ، واذا تخالفت الموسيقى بين الكلمات قبحت وصعب النطق بها وقل تأثيرها ، وقد قدمنا انهم سموه تنافر الكلمات ولكنهم لم يتخذوا له من الموسيقى مقياساً وذلك ما سبب الاختلاف والاضطراب ؟

بغداد: مصطفى جواد



ابن رشيق

رأيه فى الشعر والشاعر

دخلت إلى درس عمدة ابن رشيق وفى نفسى له إجلال واكبار ولدىَّ آمال عريضة فى أن أخرج من هذا الدَّرس بمذهب شامل فى نقد الشعر وطريقةٍ محكمةِ الوضع بين تناول الآثار الادبية والحكم عليها ونظرةٍ عالية الى وظيفة الشعر والشاعر فى الحياة — وكان عندى مبرر لهذا التفاؤل وهاته الآمال الغزار وقد قرَأتُ تقاريظ كثيرة لكتابه وسمعتُ فى مجالس الأدب ثناءً حاراً على براعة نقده ودقة نظره وإصابة مرماه . ورأيتُ ابنَ خلدون يذكره فى عدة مواضع من المقدَّمة ويثنى عليه ويجعله ثانى اثنين فى أفريقيَّة فى الادب ويجعل كتابه نمَطاً فى النقد لم يسبق اليه ولن يكتب بعده نظيره . وابنُ رشيق يعدُّ من أهل القرن الخامس للهجرة وهو قد عاش فى عصر نضجت فيه العلوم العربية ودونت واستقلت فنون الآداب والحدرت

اليه كتبُ أهل القرن الثالث مثل كتب ابن قتيبه والجاحظ وابن سلام وفيها النّواة الأولى لفن النقد الأدبي ثم انحدرت اليه كذلك كتب أهل القرن الرّابع مثل مؤلفات أبي هلال العسكري والقاضي الجرجاني والآمدي ، وهي وان كانت تحتوي على ملاحظات فنية مفرّقة هنا وهناك في غير نظام وعلى غير قاعدة إلا انها كانت أشبه بطفولة النّقد وسذاجة الصّبا، والقريحة النقادة التي خلقت حقاً للنقد لا يعجزها أن تجعل من هاته البذور الصالحة فناً مستقلاً قائماً بذاته تجمع شتاته فكرة عامة ووحدة شاملة وطريقة يبتدئ منها واليها يعود .

هكذا حدّثتُ نفسي قبل البدء في قراءة العمدة وعلى هذا الأمل أخذتُها وعكفت على مطالعتها زمناً وقلبتها ظهراً لبطن وبطناً لظهر ولكنني - وياللخيبة - خرجتُ منها يائساً قانطاً وصدرتُ عنها حزيناً كئيباً وقلتُ هكذا قضى على الأدب العربي أن يظلّ خالياً من النّقد وأن يبقى مرتبطاً بالرواية والبيان والبديع الى أبد الآبدين، وأن تنهج كتبه كلها نهجاً واحداً وتضرب على وَتر فردٍ وسواءٌ أخذتَ كتب القرن الأول أو الخامس فانك لاتجد إلا أقوالا متراكبة وأنقالاً متراكمة ولا تقرأ إلا الرأى ونقيضه والفكرة وضدها متاخيين متساندين في موطن التمثيل للنظرية الواحدة إلى غير ذلك من التشتيت والبلبلة والتداخل والفوضى والخروج عن موضوع الحديث واستطراد في غير محله وكلّ ما يجعل تلك الكتب الكثيرة كتاباً واحداً ونُسخةً مكررة.

وقد ساءني من ابن رشيق بالخصوص رأيه في الشعر والشاعر: فالشعر هو آلة المدح والفخر وتحصيل المقام عند الملوك ومن فضله ان الشاعر يخطب الملك بكاف الخطاب وينسبه الى أمّه (!) وان الكذب الذى أجمع النّاسُ على قبحه حَسَنٌ فيه وأن للشاعر أن يُطري نفسه وليس لأحد من الناس أن يفعل ذلك . ويردّ على من يكره الشعر بان النبي وجلة الصحابة كانوا يسمعونه ويحرضون عليه ويجازون قائله وان الخلفاء والامراء والقُضاة والفقهاء قالوه، وانه اذا بلغت بالدّنيء نفسه وطمحت به همته إلى أن يصنع الشعر فانه يكفأ به الأيادي ويحل به صدر النّادي . ثم هو لا يقول لنا ما هو الشعر في الباب الذى عقده لحده ، بل اكتفى بنقل آراء متباينة وحدود

متناقضة في تعريفه منها الظريف ومنها المخزى الذى لا يدلُّ إلا على نَظَرٍ مُنْحطٍ الى الشعر . والعجيبُ انه يَنْقل تلك الاقوال المأفونة ولا يعقب عليها ولا يضيف اليها شيئاً من عنده، فمجال الكلام على الشعر مجالٌ واسع والنظرة اليه تدلنا على مقياس لرجل ودرجة فكره .

بلى ! ان لدينا حدّاً شعرياً صنعه ابنُ رشيق بأمر وليّ نعمته الكاتب ابن أبي الرّجال :

الشّعْرُ شَيْءٌ حسنٌ ليس به من حَرَجِ
أقلُّ ما فيه ذَهَابُ الغَمّ عن نفس الشّجِى

إلى آخر الأبيات .

ذلك هو الشعر — أمّا الشاعرُ فهو طالبُ فضلٍ !

قال (ص ٤٥) : « وأحمق الشعراء عندى من أدخل نفسه فى هذا الباب (أى السياسة) أو تعرّض له ومالشاعر والتعرض للحتوف وإنما هو طالب فضل فلِمَ يضيع رأس ماله ؟ »

وهو كالمهرج فى البلاط الملوكى : قال (ص١٤٩) : «والفطنُ الحاذق(من الشعراء) من يختارُ للاوقات ما يشاكلها وينظر فى أحوال المخاطبين فيقصد محابّهم ويميل الى شهواتهم وإن خالفت شهوته ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره . . »

أليس هذا من المخزى ؟ أليست هاته وظيفة مضحك الملوك ؟ ثم إن الشاعر مأخوذ بآداب ملزم بمراعاتها فعليه أن يكون حُلوَ الشمائل نظيف البزة مأمون الجانب سهل النّاحية وطيء الاكناف ليكونَ محبوباً عند الناس مزيّناً فى عيونهم قريباً من قلوبهم ولتهابه العامة ويدخل فى جملة الخاصة .

ولك أن تقول إن هذه هى الارستوقراطية فى الصميم والتظرف فى أجمل مناظره .

ونحن نسأل ابن رشيق كيف كان البُحترُى جليس المتوكل ونديمه الدّائم وهو مَنْ يعلم قذارةً ووساخةَ ثوبٍ ؟ وكيف اختص أبو الفرج الاصبهانى بالوزير المهلبى

وهو لا يُطاقُ في مؤاكلة ولا يزين المجلس بنظافة بزته ؟ أم أنّ المعول في محبة الشاعر وقربه من القلوب غيرُ حلاوة الشمائل ونظافة الثوب ؟

والشاعر في رأيه مطلوبٌ بمعرفة كل علم من لغةٍ وخـبرٍ وحسابٍ وفريضةٍ وعليه أن يأخذ نفسه بحفظ الشعر ومعرفة الأنساب وأيام العرب، ولا يجوز له أن يكون مُعجَباً بنفسهِ مثنياً على شعره، وعليه أن يتواضع لمن هو دونه ويعرف حق من فوقه من الشعراء. وغايةُ ما يطلب منه أن يكون نسيبه يُذلّ ويُخضع ومدحُه يُطرى ويُسمع وهجاؤه يُخل ويُوجع وفخرُه يخبّ ويضعُ وعتابهُ يخفض ويرفع .... إلى آخر ما هنالكَ من الكلام الكثير الذي تبحث فيه عن كلمة تَـندّ عفواً من قلمه تلمحُ منها نظرةً إلى صميم الشعر وفهماً عالياً لوظيفة الشاعر فلا تظفر بها ليس في « العمدة » فقط بل في سائر كتب الأدب القديم .

فأين نحن من حقيقة الشعر الخالدة — الشعرُ الذي هو أجلّ وأعلى صـورة ظهرتْ فيها الفكرة الانسانية — الشعر الذي يستمد من الوجود مادّته ومن القلب وحيَه ومن الموسيقى جَرْسَهُ ونغْمتَهُ ، الشعر الذي يخـاطب الحواس بعاديّ اللفظ ويناجي الروح بنُورانيّ المعاني فيستولي على الانسـان كله جسماً وروحاً ويرفعه إلى عالم الفكر ويُقرّبه من حظيرة القدس فيعبُّ من نهر الحيـاة وينتشي بخمرة الجمال والكمال .

بلى ! وأينَ نحنُ من حقيقـة الشاعر الخالدة ، الشاعر الذي هو رسول الحياة لأبنائها الضائعين في دروبها الغامضة والمدلجين في ظلماتها المدلهمة ، الشاعر الذي هو رائد المدنية وحامل شُعلة النور الالهي إلى الأمم المـاشية في حالك الظلمات أو المتخبّطة في داجي المُلمّـات ؟

وأنتَ تبحثُ عن العلة التي قعدت بالادب العربي عن اللّحاق بالآداب العـالمية والانضمام إلى تُراث الانسانية وتحاول أن تتعرّف السبب الذي أبعدهُ عن الطبيعـة الحية وفصله عن الحياة فيُمْكنُـك أن تردّه إلى تلك النظرة الوضيعة التي كان يُـنظر بها إليه والى هاته الوظيفة الحقيرة التي كانت تُسْـنَـدُ له .

فابتداءً من اليوم الذي دخلت فيه « الرَّغْـبَـةُ » وأصبح الشاعر يتزلّفُ به إلى الملوك والأمراء ويتصيد به البيضاء والصفراء صارت حياةُ الشاعر جزءاً من حياة الممدوح ومُـكمّلاً له وملحقاً به، فهو لا يتنفسُ إلا في جوّه ولا يحيا إلا في

محيطه ولا يرى نفسه إلا فى مرآته ولا يفتح بصره فى هذا الكون إلا ليفتش فيه عن معنى يمتّ إلى الممدوح بصلةٍ ولا يُوجِّه فكره إلا فيما له علاقة قريبة أو بعيدة به .

فالبحرُ يرمزُ إلى كرم الممدوح وسماحته :

هو البحر من أىّ النواحى أتيتَهُ فلجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهْ !

والشمسُ ترمزُ إلى وضاءة وجه الممدوح وإشراقه :

وكأنّ الشمسَ لمّا طلعتْ فانجلتْ عنها عيونُ النّاظرينْ

وجهُ إدريسَ بن يحيى ابن على ابن يعقوبٍ أمير المؤمنينْ !

وأفق السّماء خلقه الله ليتناوله الممدوح وهو قاعد :

لو نالَ حىٌّ من الدُّنيا بمكرمةٍ أفقَ السّماءِ لنالتْ كفُّهُ الأُفُقَا

والربيع يضحك لأن الممدوح جعله كذلك بأنسه :

يا سيداً أضحى الزمان بأنسه منه ربيعًا

والجبل سيمثل رصانة الممدوح وحلمه :

وإنْ هوى الجبلُ الراسى فذا جَبَلٌ راسٍ لنا بَعْدَهُ — أعظِمْ به جَبَلاَ !

والأوديةُ تسيل ومكانُ تجمُّعها يُشبه اجتماع الكرم فى صاحبه :

إن المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلكَ اللهُ منها حيث تجتمعُ

وهكذا وهكذا — وما ذا عسى القائل أن يقول والمحصى أن يحصى؟! وهل تكفى المجلدات للاحاطةِ بمثل هذا المعنى ولواحقه وإقامةِ الدّليل على أن الشاعر القديم لا يسرّح نظره فى هذا الوجود إلا لينتزع من آياته صوراً يحتاج اليها فى نظم مديحه أو معانى يُضيفها إلى ممدوحه .

وأما قراءةُ كتاب الوجود لحلّ معضلاته وفض مُشكلاته والاشرئباب إلى أسراره والإفضاء إلى أغواره فذلك ما ظفر به القليلون من شعرائنا الأقدمين وهم أصحاب العبقرية التى تدفعها الحياة إلى ذلك دفعاً وتضطرها اليه اضطراراً .

وابتداءً من اليوم الذى قيل فيه انّ أعذب الشعر أكذبه وانّ الكذب المجمع على قبحه حَسَنٌ فيه أصبح الشاعر غيرَ مُطالب بالصدق ولا محاسبٍ على الحق، وسواء

أجدَّ أم هزَل وأصابَ فى قوله أم خطلَ وخرق الطبيعة أم جاراها وخالفَ سُنن الله فى كونه أم وافقها وأتى بالمعقول أو بالمحال واتبع طريق الحق أم بُطلَ الضلال فهو غير مأخوذ بقوله ولا محاسب عن هزله ، ما دام كذبه سائغاً مقبولاً ومُحالُه لطيفاً ظريفاً وما دام يُسلى ويُطرب ويُلهى ويُلعب ويدفع عادىَ السآمة وطارقَ القلق!

فلكى نعرف نُحُولَ المتنبّى العاشق نقرأ قوله :

كفى بجسمى نحولاً اننى رَجُلٌ   لوْلا مخاطبتى إياكَ لم ترنى

أو قول زميله الآخر :

ذبتُ من الشوق فلو زُجَّ بى   فى مُقلة النائم لم ينْتبهْ

وكانَ لى فيما مضى خاتمٌ   فالآنَ لو شئْتُ تمَنطقتُ بهْ!

ولكى نعرف هيبة ممدوح أبى نواس نقرأ قوله :

وأخفتَ أهلَ الشركِ حتى انّه   لتَخافُك النُّطَفُ التى لم تُخْلَقِ!

أوْ قَوْلَهُ الآخر :

حتّى الذى فى الرَّحْمِ لم يكُ صُورةَ   لفُؤادِهِ من خوْفِهِ خَفَقانُ!

أو قول أبى تمَّام :

لقد بثَّ عبدُ الله خَوفَ انتقامِهِ   على الليلِ حتى ما تَدِبُّ عقاربُهْ!

وحتى البكاء يكون بعينٍ واحدةٍ :

بكَتْ عينىَ اليسرى فلما زَجَرْتُها   على الجَهْلِ بعد الحلمِ أسْبَلَتا معا!

فماذا وراء هذا وأمثاله الكثير جداً غير المبالغة الكاذبة والغلوّ الفاحش والبعد عن البساطة التى هى سمة الأدب العالى وعنوان القريحة المطبوعة ؟

وهاته النظرة الوضيعة هى فى رأيى علة وقوف الشعر وجموده على تلك الانواع المنحصرة فى المدح والهجاء والفخر والرّثاء كما انها سببُ رُكودِ ريح النقد وبقائه على عهد الطفولة . وهكذا ظلّ الشعر ضائعاً فى الذكاء واستنباط المعانى الدّقيقة البارعة أو ما يسميه الافرنج « subtilites » وبَقِى النقد كذلك لا يشتدّ أسره ويقوى ساعده لانه قنع من الشعر بتلك المعانى البارعة والاستعارات المستجادة والكنايات اللطيفة وظلّ يتناول القصيدة بيتاً بيتاً وشعر الشاعر الواحد مُتجزّئاً مُقسماً كل جزء

يلحق بنوعه فى باب البديع ولم يتناول البتة روح القصيدة وفكرتها العامة ولا طبيعة القائل ومزاجه الخاص به وذاتيته الشائعة فى آثاره ثم يرد كل أثر إلى مؤثره وكل مُكَوَّن إلى مكوِّنه ويتبين مدى العوامل السياسية والعوامل الاقليمية والفروق الجنسية فى تكوين الأثر وتكييف صاحب الاثر .

فلكى يتبدل أدب أمة يجب أن تتبدل مقاييسها وقد آن أن تتبدَّل مقاييسنا ليتبدل أدبنا ، فلننظر الى الشعر نظرة عالية ولنرفعه إلى درجة الوَحْى حتى يكون عنصراً من عناصر الجمال البادية والخفية فى هذا الوجود ولنطلب من الشاعر أن يكون جاداً لا هازلاً وقائداً لا مقوداً ولننظر اليه كصاحب رسالة فى الحياة يرفع الجماهير إلى مثله العليا ويغريهم بطلابها.

ذلك ما يجب أن يكون عليه الشعر والشاعر فى هذا العصر وما يجدر بنا أن نكرّره على الدّوام ونركزه فى الاذهان ؟

تونس : **محمد الحليوى**



الشعر الفلسفى

الحياة والموت

كان الدكتور يعقوب صروف رحمه الله فى رحلته الأخيرة الى أوروبا فجاشت نفسه بهذه القطعة الفلسفية . وقد جرى فى القصيدة على مذهب الذين يستدلون على خلود النفس بأن فناءها يجعل أعمال الخالق من قبيل العبث الذى لا يسلّم به عقل عاقل ، غير انه اعترضته بعد ذلك فكرة أخرى : هى ان فى جسم الانسان من التركيب العجيب الذى بلغ ما بلغه من التطور المستمر من قرون لا تحصى ، بل فى كل جزء من أجزاء الجسم من الحكمة والدقة والقصد ما يفوق وصف

الواصفين ومع ذلك تراه يموت وينتن وينحل جسمه الى عناصره الكيماوية فتبقى فى التراب أو تدخل فى أجسام النبات ولا يقول إن موته وانحلاله يجعل عمل الخالق من قبيل العبث ، فلماذا لا يحل بالنفوس ما يحل بالاجساد ؟ خطر له هذا الخاطر فتولته الحيرة ؛ ولكنه ما لبث أن خطر له فأزال حيرته فعبر عن ذلك الخاطر بابيات مفادها أن الأجسام مؤلفة من دقائق كهربائية كما أثبت العلم الحديث وهى التي يسماها كهارب جمع كهرب تعريب اصطلاح إلكترون electron ويقوم اختلاف الاجسام باختلاف عدد الكهارب فيها ووضعها وحركاتها، وعليه فاذا مات الجسم وانحل فعناصره الاصلية أى كهاربه التى يتألف منها لا تتلاشى بل تبقى فى الوجود كلها ولا ما يمنع أن تتركب ثانية بصورة جسم غير منظور لانها فى الأصل غير منظورة أي يكون منها جسم روحانى لسكن النفس . واليك الأبيات :

سبعون حولاً لقد مرّت وما وجدت ... نفسى مقرّاً لها فى العالم الفانى

فهل إذا عمرت سبعين أخرى ترى ... من مرفإٍ بين أبحار وخلجان؟!

كلا وأجسامنا والموت يرصدها ... فالنفس مَرفأُها فى عالمٍ ثان

فرضان : إمّا فناءٌ والبناءُ له ... لغوٌ وإمّا بقاءٌ شاءه البانى

أما وأجسامنا ليست سوى صور ... مشكلات بأشكال وألوان

كهاربٌ حركتها النفس فانتظمت ... فى شكل مستودع للنفس جثمانى

حتى اذا تمّ فى الدنيا تطوُّرُها ... طارت الى منزل فى الكون روحانى

وللتطوُّرِ أحكامٌ مقرَّرةٌ ... والنفس والجسم فى الأحكام سيان

لابد للعلم من يوم يفوز بها ... يُبيِّنُ الحقَّ فيه خيرَ تبيان

اسماعيل مظهر



تداعى الخواطر والافكار

كلمة رد على الرافعى

اطلعت على الجواب الذي نشرته مجلة (أبولو) الغراء فى عددها الثامن لأديبنا الرافعى فى الرد على كلمتى التى انتصفت بها لشوقى منه فى العدد السابع للمجلة المذكورة ، وقد وجدت (الجواب) - على اختصاره - معلول الحجة لا يغنى فى موضع التدليل ؛ ولم يتناول بالبحث مما أخذته عليه سوى المكابرة والاصرار على تغليط شوقى فى جملة (مناد دعا) من قوله :

ليلى ، مناد دعا ليلى ، فخف له نشوان فى جنبات الصدر عربيد !

وان المعنى مأخوذ من قول المجنون :

دعا باسم ليلى غيرها ، فكأنما أطار بليلى طائراً كان فى صدرى !

ولله در الرافعى على هذا الاصرار على التغليط الذى لا مبرر له فى مثل هذا المقام، ولو جاء من الرافعى عن ارتفاع ذراع أو باع ، ما دام الغرض مقصوراً على الوصول إلى الحقيقة فى صورة الأداء . وكان يكفيه حسن التوجيه مخرجاً لما وقع فيه ، وجديراً به أن « يصطفى » الصمت لنفسه لا أن يدفع بها فى مجال البحث والمناظرة بعد أن انكشف له غلطه فى التغليط .

وكنت أود أن أتبسط فى ردى على الرافعى لولا ضيق الوقت وكثرة الأشغال ، وأنى آتى لقراء مجلة (أبولو) الزهراء برد مطول على جوابه «المختصر» عسى ان يحل من الرافعى فى موضع القبول ويكون من البوادر الحسنة التى يمكن اعتبارها مقدمة لتغيير الرافعى ذهنيته فى شاعرية شوقى . وأرجو أن أكون موفقاً فى ردى هذا بازالة ما علق بذوق الرافعى عن كل ما يتصل بآثار شوقى الشعرية ، لما أعهده فى الرافعى من الالمعية بالرغم عن «اختصار» ردى هذا على كلمته « المختصرة » التى جاءت مبتورة لتناولها طرفاً واحداً من الموضوع هو : الاصرار على اثبات الغلطة النحوية ، وان بيت شوقى مأخوذ معناه من بيت المجنون .

قال الرافعى: « ان شاعرنا (شوقى) لم يخترع شيئاً ، ولم يُوحَ اليه بشىء ، ولم يزد أن قلد وتابع » وأقول : ان الجمل الثلاث ذات معنى واحد ، وكان الرافعى فى غنى عن هذه الاطالة فى « جوابه المختصر » ليكون وصف الاختصار أكثر

انطباقاً على الواقع . وهنا لا بد لى أن أشرح له معنى الابتكار ليكون الشرح المذكور مستنداً للردّ عليه ، لان العاطفة (على ما يظهر) قد ابتعدت به عن فهم ماهية الابتكار فى الشعر ومظهر العبقرية فيه . فأقول : ليس الابتكار أن تأتى بخلق جديد لا نظير له فى الوجود لان ذلك ما لم يدخل فى طوق ارادة البشر ، وانما هو نتيجة لما يحصل فى الذهن من تداعى الخواطر والأفكار المأخوذة بالمحاكاة عن الأغيار أو التى عُرفت بالتجربة والاختبار ، ولذلك يجب أن يظل معنى الابتكار منحصراً فى الاطار الذى يتمثل فيه تطور الشيء بمقتضى نواميس الحياة . والابتكار فى الشعر لا يخرج عن هذا الأصل ككل ابتكار : فالمعانى فى أول علوقها بالأذهان ، انما أخذت عن طبيعة الوسط ما فيه ، وعما قام به الانسان من الاختبار ، فتكونت من وراء ذلك « مجموعة ذهنية» يأخذها الجيل عن الجيل بعد أن يزيد عليها كل جيل ما وصل اليه فى مدى المعرفة ، وأنت لا تروق لك خاطرة ترى فى نصابها مسحة الابتكار إلا ووجدت بعد البحث والتحليل أن لتلك الخاطرة أصلاً سبقها هى مظهر تطوره فى الوجود . وشوقى لم يخرج عن هذا الاصل المعروف فى بيته المذكور ، فان للخاطرة التى احتملها بيته أصلا ترد اليه ، وقد يكون ذلك الأصل فى بيت المجنون كما قد يكون فى غيره : ذلك لأننا لا يمكن أن نعتبر بيت شوقى وبيت المجنون على اتحاد فى المعنى بحال من الأحوال . ويظهر ذلك عند الرجوع ثانية الى المقارنة التى تضمنها ردي الأول فى العدد السابع من هذه المجلة فلا حاجة الى الاعادة والاطناب وقد قلنا هناك أيضاً : « ان العبقرية غير مقصورة على ابتكار المعانى وحدها ، وانما قد تظهر فى طريقة الاداء وفى انتقاء اللفظ للمعنى وفى كل شيء يظهر فيه التفوق» . وزعم الرافعى انى قلت فى ردي الاول عليه « ان شوقى لم يكن يدرى من أين أخذه أى لم يطلع على بيت المجنون » فأقول إن ذلك مجرد تقوّل لا غير ، فلم يكن البحث دائراً على ان شوقى لم يدر من أين أخذ بيته المشار اليه لانه لم يُسأل عن المصدر وانما سُئل عن الظروف التى أحاطت به عند وضع البيت المذكور ، كما أنى لم أقل بشيء يفهم منه ان شوقى لم يطلع على بيت المجنون . وكل ما قلته فى هذا المعرض هو : « ان شوقى كان صادقاً فى قوله — لا أدرى — عند ما سُئل عن ظروف وضع البيت المشار اليه» فارجو مراجعة الردّ الأول ثانية للاعتراف باضطراب فهم المقصود .

وقال الرافعى : « وأما الغلطة النحوية فقد قال بعض النحاة فى مثل هذا المقال ان النكرة فاعل مقدم » ثم قال : « والاصل ان الكوفيين يجيزون تقدم الفاعل

على فعله . . . » ثم قال أيضاً : « وقد ردّ البصريون مذهب أولئك فلا يجوز عندهم تقدم الفاعل وإن كان بعض من اتبعهم كابن عصفور والأعلم قالوا بجوازه لضرورة الوزن » وأقول ان التناقض ظاهر فى قوله : « قال بعض النحاة » وفى قوله : « والاصل أن الكوفيين . . . » إذ لا يمكن اعتبار مذهب الكوفيين بالدرجة التى يوضع فيها رأى البعض من النحاة ، عدا أن قواعد اللغة فى الاعراب انما تقوم على مذهب الكوفيين والبصريين معاً والمذهبان متكافآن . ويثبت من وراء ذلك أن قول شوقى « منادٍ دعا » لا غلط فيهِ على مذهب أهل الكوفة مع امكان تخريجه على ما تقتضيه ضرورة الشعر على المذهب البصرى (لا على رأى بعض من اتبعه كما زعم الرافعى) . وليت شعرى ما يقول الرافعى فى قوله تعالى (ان هذان لساحران) وقوله (إنا من المجرمين منتقمين) ألم يكن ذلك مخرجاً على احدى لغات العرب بصرف النظر عما ورد فى هذا المجال من مختلف التأويل والتوجيه ؟ فاذا أمكن الاستناد على إحدى اللغات فى الاعراب أفلا يكون الاستناد فيه على مذهب شائع ذائع كالمذهب الكوفى من باب الأولى ؟

وقال الرافعى: « إن ابن مالك لم ينقل هذا وانما نقله الدمامينى » يريد ما ذكرته فى ردى الأول عليه من أن ابن مالك روى عن الاعلم وابن عصفور ان وصالاً فاعل يدوم فى قوله: (وصال على طول الصدود يدوم) وأقول: راجع المجلد الأول من (شرح التصريح) لخالد بن عبد الله الازهرى (ص٢٦٩) وفيها تقفون على رواية ابن مالك عن الاعلم وابن عصفور. أما كون ابن مالك من الرواة فذلك مجرد تقوّل علىّ لا غير، إذ لا يكفى لان يكون ابن مالك من الرواة مجرد ما حكاه عن الأعلم وابن عصفور . ثم رأينا الرافعى فى آخر « جوابه المختصر » قد تكلف وتفلسف . وإذا كان قد جاء بشىء له قيمة ، فانما جاءه مثار ذلك (من العراق لا من انقرة) ، ونحن ننتظر تصليح القاعدة والاعراب من قبل علماء الأزهر على ما يقول الرافعى !

وهنا اكتفى بما تقدم وأرجو أن تكون فى كلمتى هذه كفاية تختم المناظرة ؟

حسين الظريفى

الخيال الشعرى عند العرب

ردٌ على نقد

فى العدد السابع من هاته المجلة كتب حضرة الأديب الفاضل مختار الوكيل عن « الخيال الشعرى » وصاحبه كلمة طيبة كلها أدب جم ونقد نزيه محتشم ، وانني أود أن أحاوره حواراً هادئاً رقيقاً فى بعض ما آخذه عليّ فى الكتاب المذكور شاكراً له ما خصّني به من ثناء .

أخذ عليّ الأديب الفاضل ذهابى الى نفى الخيال الشعرى عن الأدب العربى القديم قائلا « ان العرب كانوا على نصيب ممتاز من الخيال الشعري خصوصاً بعد تمازجهم بالفرس واليونان فى عهد بنى العباس على نقيض ما يذكره المؤلف من انهم لم يتأثروا بهؤلاء ولم يمتزجوا باولئك لعنجهية وغطرسة فيهم . . » ثم ذهب بذلك على وجود الخيال الشعرى فى الأدب العربى بقصيد البحترى فى الربيع :

أتاك الربيعُ الطلقُ يختال باسماً من الحسن حتى كاد أن يتكلما الخ .

وبنونية ابن حمديس الصقلى المشهورة فى وصف البركة ، وبأبيات أبى الطيب :

وقفتَ وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم ، الخ .

ويلفتنى الى دالية ابن الرومى الغزلية فى «وحيد» ورائيته الرثائية فى « بستان» ومن ثمّ حملنى على « التطرف » و « المغالاة » وحب الطفرة ولكنه اعتذر عنى بأن ما دفعنى إلى ركوب ذلك السبيل الاّ حبّ « الاصلاح » و « الرغبة » فى « شحذ العزائم واستنهاض الهمم » ، الخ .

وانى فهمتُ من كلام الاديب الناقد ودلائله أنه يعنى « بالخيال الشعرى » غير ما أردتُ أنا منه فى فصول الكتاب ، فهو يريد به خيال المجاز والاستعارة والتشبيه وغير هاته من براعات الالفاظ والتعابير التى أشبعتها كتب البلاغة على اختلافها بحثا ودرساً . وهذا ضرب من الخيال لا انكره على الأدب العربى ولا ينكره أى باحث يحترم نفسه ورأيه ؛ بل إننى ازعم أن الآداب العربية غنية بهذا اللون من الخيال غناء مفرطاً ، وأن لها فيه القدح المعلى والسهم الموفور . ولكن الخيال بهذا المعنى ليس مما تدور عليه ابحاث الكتاب وقد تحدثت عنه فى صفحة ١٣ وسميته « بالخيال الصناعى » أو « الخيال المجازي » وقلت اننى لا أريد أن أعرض لهذا النوع من الخيال المألوف لانه وان دلّ على بعض نواحٍ خاصة

من روح الأمة فهو لايدل على « مقدار شعورها بتيار الحياة كعضو حيّ في هذا الوجود » وانما أردت منه معنى جديداً لايخلو من دقة وعمق ، فقد عنيت به (كما قلت بصفحة ١٢) ذلك الخيال الذى « اتخذه الانسان لا للتزويق والتشويق ، ولكن ليتفهم من ورائه سرائر النفس وخفايا الوجود . . . » وقلت انى أسميه « بالخيال الفنيّ » لأن فيه تنطبع النظرة الفنية التى يلقيها الانسان على هذا العالم الكبير ، واسميه « الخيال الشعري » لانه يضرب بجذوره الى أبعد غور فى صميم الشعور . فالخيال الشعرى بهذا المعنى العميق الذي تلتقى فيه الروح الفنية والفلسفية فى آن ، والذى نفهم منه نفسية الأمة وندرك ما الذي لآفاقها الروحية من عمق وسعة وضياء ، ذلك هو الذي أدرت عليه ابحاث الكتاب وكسرت عليه فصوله.

والذى يدل على أن حضرة الناقد يريد « بالخيال الشعرى » ويفهم منه الصناعة البلاغية لاخيال الاحساس والشعور والاندماج فى الاشياء اندماجاً فنياً — ما ساقه من الأدلة الشعرية على وجود الخيال الشعرى عند العرب: فأبيات المتنبي التى ساقها شاهداً على ذلك ليس فيها من الخيال الشعرى الذي نعنيه أى حظ أو نصيب وانها لأبعد عنه وعن الاتصال به من كل شيء . وقصيدة ابن حمديس فى وصف البركة هى حجة ناهضة على وجود الخيال الصناعى فى الآداب العربية وأنا معه فى ذلك، ولكن ما حظها من الخيال الشعرى بالمعنى الذي بينته ؟ لا شيء على التحقيق ، فهى لم تخرج عن تلك التشابيه الذهبية الخاطفة التى امتلأ بها الادب العربي امتلاء غريباً ولم تعدُ تلك الروح الشائعة فى الآداب العربية التى لا تحيط من الاشياء الا بظاهرها المادية من لون وشكل ووضع وما اليها . وهى لهذا حجة تضاف الى ماعرضته من شواهد فى فصول الكتاب — تؤيد ما ذهبت اليه من أن روح الادب العربى القديم مادية سطحية فى نظرتها الى الكون وتناولها الاشياء وانها لاتأخذ منها الا ملامحها البادية .

والغريب انه يناقضنى بقصيدة أبى عباده : « أتاك الربيع ...» الخ. وبالاشارة الى دالية ابن الرومى فى « وحيد » مع أننى قد أتيت عليهما وعددتهما — فيما عددت — من نوادر الخيال الشعرى وبوا كيره فى الادب العربى أثناء البحث عن « الطبيعة » و « المرأة » فى هذا الادب (صحائف : ٤٨ — ٥٧ — ٦٣) .

والاغرب من ذلك ذكره أننى قلت إن العرب لم يتأثروا ولا امتزجوا بالفرس ولا باليونان ، مع أننى قلت بالحرف الواحد بصفحة ٤١ : « .. حتى أظل العصر

العباسى حياة العرب فكانت عادات وأخلاق وأمزجة وطباع ، غير ما ألف العرب من طباع وامزجة واخلاق . وكان أن اصطبغت الحياة الاسلامية بصبغة مشتركة من حضارات عتيدة متباينة تكوّنت منها حضارة جديدة مهلهلة ناعمة تجمع كل ما عرف الفرس والروم والاسلام من فكر وطبع ودين. فكان لهذا كله اثر غير يسير على النزعة العربية الجافية ، وكان ان أتقن العربية كثير من الفرس والروم ونظموا فيها بأمزجة غير الامزجة العربية واذواق غريبة عن اذواق العرب . . » الخ . وانما الذي قلت غير هذا ان العرب وإن ترجموا فلسفة اليونان وعلومها وحكمة فارس وفنونها فانتفع بذلك الذهن العربى فانهم لم يترجموا من آداب اليونان والرومان شيئًا ولا من آداب الهند وفارس إلا قليلا وجعلت هذا من الأسباب التى أبقت روح الأدب العربى على حالها الأولى رغم تطور أسلوبه وتغيره باختلاف العصور والاوساط . وعللتُ عزوف العرب عن ترجمة الآداب المذكورة بتشبع أدب اليونان والرومان بالنزعة الوثنية التى جاء الاسلام لمحاربتها وباعتداد العرب بأدبهم الأول وايمانهم بأنه هو المثل الأعلى الذي لا يُحتَذَى غيره (ص ١٤٠ — ١٤١) ولعل من أسباب ذلك أيضاً أن العرب لم يتصلوا بفلسفة اليونان وعلومها إلا عن طريق تراجمة « النساطرة » و « اليعاقبة » وهؤلاء لم يعنوا من ثقافة اليونان بالقسم الفنى وانما عنوا منها بما يتصل اتصالاً وثيقاً بصفتهم الدينية اللاهوتية ، ولعل ما فى آداب اليونان وفنها من روح وثنية قد كان ينفرّهم هم أيضاً منها .

« • »

وبعد ، فأنا أحب أن يعلم الأديب الفاضل أننى إذا كنت أدعو إلى التجديد الأدبى واعمل له فان ذلك لا يدفعنى إلى الهزء والسخرية بآداب الأجداد — كما قد حسب — بل اننى لأومن كل الايمان بما فيها من جمال فنى وسحر قوى ، واعتقد انها قد آتت فى عصورها الحية لأجدادنا كل ما طمحت اليه أشواقهم من غذاء معنوى دسم . ولكننى أؤمن إلى جانب ذلك أن فى الحياة آفاقاً مجهولة ساحرة غير ما فى الادب العربى من آفاق ، وأن هذا الادب إذا كان قد سدَّ خَلَّةَ ابائنا الروحية فانه لعاجز كل العجز عن أن يشبع ما فى أرواحنا من جوع وعطش وطموح ، وانه إذا كان لزاماً علينا أن نعجب بهذا الأدب ونفخر به كحلقة من سلسلة ذاتيتنا العربية وكمنجم ذهبىّ نرجع اليه كلما أردنا أن نصوغ لأفكارنا حليها الساحر

الجميل — فان ذلك الاعجاب لا ينبغى أن ينقلب فى نفوسنا إلى تقديس فعبادة فجمود فاطباق لابصارنا عن كل ما فى السماء من أشعة ونجوم . هذا رأيى ، وهذا بعض ما دعوت اليه فى كتاب « الخيال الشعري عند العرب »

وما أحسب فى مثل هذا شيئاً من الغلو أو الاغراق أو تنقص أدب الأجداد أو الزراية عليه .

فان كان ناقدى المفضال يأبى بعد هذا الا اعتبارى « متطرفاً » غالياً ومتنقصاً لأدب الأجداد فليفعل وأجرى على الله ؟

أبو القاسم الشابى

الأدب الشعبى

ليس يَعنينى أن أشيد بديوان (الشعلة) — آخر وأروع دواوين أبى شادى — وربما لم يُعن صاحبُه الآن بمثل هذه الاشادة وقد كاد يسلك مسلك صاحب (أهل الكهف) فى حصر توزيع كتابه ، ولم يحفل بعامة القراء بل فاجأهم بقوله فى الاهداء إلى مُلهمةِ وحيهِ وأغانيهِ :

اثنان هذا الشعرُ تحفل رُوحُه ... بهما: حنانُكِ أنتِ ثم حنانى

ردّدتُه نَغَمَ الحياة ، فان نأتْ ... بنواكِ عاد نشيدُه فرثانى

فاذا ابتسمتِ فكلُّ شعريَ خالدٌ ... وإذا عبستِ فكلُّ شعريَ فانِ

وودّع كل مَنْ تَعَوَّدَ الانتقاصَ من النُّقّاد بقوله (قصيدة « التجاوب » ص ١٣٦) :

وإنْ آثرتَ أن تُزرى بشعري ... وتلهو عن دُمُوعى أوْ حَنانى

حُرِمْتَ جماله ، وحسبتَ أنى ... خسرتُ ، وما خسرتُ ولا الأمانى !

ليس يَعنينى ذلك ولا التنبيه إلى التنويع المحبوب فى هذا الشعر الزاخر الحافل بشتى الأحاسيس وألوان التأمّلات والتفاعل النفسى وبمختلف النظرات إلى الحياة وبموجات العواطف المتباينة بحيث يُعطينا صورةً صحيحةً من نفسية وذهنية هذا

الشاعر المصرى تبعاً للمؤثرات المتنوعة فى حين أن معظم الشعراء المعاصرين يهمه أن يظهر أمام القراء بالصورة التى ترضيهم أو التى تستهويهم أى « بالبذلة الرسمية » فقط — وحال هؤلاء الشعراء حال من ينظم للقراء قبل أن ينظم لنفسه مأخوذاً بروح الفن وحده .

ولكن يَعنينى بصفة خاصة فى ديوان (الشُّعلة) مسحةُ الأدب الشعبى ، ولست أعنى بذلك الروح القومية الخالصة الشائعة فى الديوان — روح الايمان بالتعاون وبُغض التنابذ وتقدير الزعماء على اختلاف أحزابهم كقادة فى جيش الوطن — وانما أعنى المحاولة الجريئة للنهوض بشعور الجمهور أو على الأصحّ ذلك التأثر بشعور الشعب والتعبير عنه فى لهجةٍ قريبةٍ من لهجته كما نرى فى قصيدة « المصاب » (ص ١١٣) وهى جدٌّ فى مزاح نظمها من بحرٍ زجليٍّ وصوَّرَ فيها أبلغَ تصوير فزعَ بعض الأجانب المحتالين الذين كانوا يستغلّون الفوضى الطبية فى مصر أسوأ استغلالٍ لملء جيوبهم بالمال على حساب الجمهور الغافل . ومهما يكن من شيء فأظن أنّ ترك هذا الميدان من الأدب الشعبى للزجالين وللنظم العامى وحده ليس مما ينهض بأدب الشعب ، بل مما يؤدّى إلى إقصاء الجمهور عن الشعراء بدل متابعتهم . وكنتُ أودّ أن أرى قصائد متعددة من هذا اللون من الأدب فى ديوان (الشُّعلة) بدل الاكتفاء بعرض نماذج قليلة منه ، فلعل صاحب الديوان وزملاءه الشعراء المجددين يتحفون الأدب المصرى بالكثير من هذا الشعر فى المستقبل فيخدمون الأدبَ الشعبيَّ أجلَّ خدمةٍ وينهضون بالشعر المصريّ نهضةً شاملةً ؟

عبد الرحيم صالح

توارد الخواطر

بمناسبة مقالة « توارد الخواطر » فى عددكم الاخير أودّ أن أشير الى قصيدة العقاد التى عنوانها « وصايا مقلوبة » فى ديوانه (وحى الاربعين) ففيها نظر الى فصل عنوانه « نصيحة ابليس » فى كتاب (حديث ابليس) لشكرى إلا أن « نصيحة ابليس » فكاهية ولا تحبب فيما تدعو اليه الوصايا المقلوبة من الدنايا ولو عن غير قصد . وقراءة الفصل والقصيدة توضح أوجه التشابه وأوجه الاختلاف .

وقصيدة « ترجمة شيطان » للعقاد انما دعا اليها اطلاعه على قصيدة « الملك الثائر » لشكرى الا ان قصيدة العقاد اميل الى السخر واليأس ونقص فيها جانب الايمان من قصيدة « الملك الثائر » وكتاب (مجمع الاحياء) للعقاد فكرته الاساسية وبعض أفكاره التفصيلية من فصل عنوانه « مؤتمر الحيوانات » من كتاب (حديث ابليس) .

وقد لاحظت معانى كثيرة فى ديوان (وحى الاربعين) قد وردت من قبل فى دواوين شكرى .

قال العقاد :

هـذه الروعةُ هل تجمعها　　فى مدى يوم لحومٌ وعظامْ ؟

لا ، وربى ! بل دهورٌ غبرت　　قبلما تتقنها الايدى الكرامْ !

وقد قال شكرى من قبل :

ما كان مثلك فى الاكوان مَنشأه　　الا بخبرة أزمانٍ وازمان

استخلصتك دهور مثلما خلص الـ　　ـعطر الزكىُّ ، فيا عطراً لاكوان !

مجاهل الزمن الماضى وحاضره　　لصنع حسنك فى بدعٍ واتقان

وقال العقاد :

ما تغنى الطير الا بعض ما　　أنت راويه ولا ناح الحمامْ !

وقد قال شكرى من قبل :

والطير ما نطقت إلا لحسنكم　　فانت للكونِ طراً خير عنوان

وقال العقاد : « فيك من كل ربيع طلعة » الخ . .

وهو مثل قول شكرى :

أنت مرآة ما يجىء به الكو　　ن من الحسن بكرة واصيلا

فأرى منك نسمة كليالى الـ　　ـصيف حيث النسيم يسعى عليلا

وأرى منك فى الخريف شبيهاً ، الخ . الخ .

وقول العقاد :

فيك منى ومن الناسِ ومنْ　　كل موجودٍ وموعودٍ تؤامْ

مثل قول شكرى :

أنت عنوانٌ لما أنشده فى الخطرات
كل كون كان أو لم يك من ماضٍ وآتِى
فيك لى منه أمانىُّ النفوسِ الساميات

وقول العقاد : « فيك من دنياك نقص رائق » :

مثل قول شكرى من قبل :

أنت جميل كالحياة محبب وان كنتَ مثل العيش مرُّ التجاربِ

وقال العقاد : « ومن الاخرى تباشير التمامْ »

مثل قول شكرى :

بعالم أنت من بشائره بشرى طيور الربيع بالزهر

وقال العقاد فى ديوانه الاخير أيضاً :

الى الغورِ ، أمّا ثلوج الذُّرى فلا خيرَ فيها ولا فائده

وقد قال شكرى فى الجزء الاول فى هذا المعنى :

فان الزهر فى القيعان ينمو وان الثلج فى قمم الجبالِ

وقال العقاد :

ويا بؤسَ فانٍ يرى ما بدا من الكونِ بالنظرةِ الخالدهْ

وقد قال شكرى فى قصيدة « الملك الثائر » يخاطب الله :

إذاً أعِرْها لحاظاً منك صادقةً تتلو لنا العيش محمودَ الصحيفات
ندري الوجود كما ندري الوجود بها ونرتضيه بارواحٍ أبيّات

وقول العقاد :

واناس يزعمون الـ قردَ انساناً تدلّى

لو قلبته وجعلته : « وقرود تحسب الانسان قردا قد تدلّى » ، لكان هو والقطعة الفكاهية المقصودة فى فصل « قرود القرود وقرود البشر » فى كتابه (حديث إبليس) لشكرى. وكل هذه الاشعار فى ديوان العقاد الاخير الذى طبع حديثاً ؟

أحمد حلمى

العقاد فى الميزان

تتبعتُ ما نشرته أپولو والبلاغ والاهرام وغيرها من الصحف من حوار حول الشعر والشعراء فعنَّ لى إبداء الملاحظات الآتية التى أرجو أن تتلقوها بقبول حسن:

(١) لقد أخطأت مجلة أپولو فى السماح بكل هذا الفراغ لنقد شعر العقاد كيفما كانت منزلته أو ادعاؤه فى الوقت الذى لا يُرضى الشاعرَ هذا النقدُ ويعدُّه اساءةً اليه ولا تعنيه مبلغ استفادة الأدب ذاته من وراء ذلك . ومتى وُجدتْ هذه الروح فالاحجام عن نشر النقد أوْلى بكم اذا كنتم مخلصين فى خطتكم وهو ما لاأشكّ فيه .

(٢) لقد أخطأ العقاد فى احتمائه براية السياسة واستغلاله المجلات والصحف السياسية لهذه الغاية وللنيل من مناظريه، فهذه سُنَّة سيئة. وبصفتى أحد المعجبين بكتابته لا يرضينى تسجيل هذه العادة المنتقدَة عليه ، فهى أكيداً مُصَغِّرَةٌ لمنزلته الأدبية خصوصاً وما تكتبه تلك المجلات مملوءٌ بالمغالطات وتشويه الحقائق مابين بترٍ عجيب وسوء تفسير واختلاق محض. وهى منسوبةٌ اليه على أى حال ، فلامفر من أن يعتبرها مناظروه دليلا على افلاسه الادبى .

(٣) اقترح عليكم قفل هذا الباب بالنسبة للعقاد والعناية بنقد الشعراء الآخرين فليس من الانصاف قصر الاهتمام على العقَّاد وحده خصوصاً وهو لا يقدّر ذلك، ولا يفرّق ما بين رأى المجلة الخاص أو رأى لجنة النشر وبين آراء كتابها ومراسليها ، بل يظهر لى أنه يبغض كثيراً أن يتناوله النقد الأدبى من أى ناحية ، وليس له من سعة الصدر نصيب .

(٤) مهما قيل وكُتِبَ عن عيوب العقاد النفسية وعن مستوى آثاره الأدبية فعندى أن الرجل أحسن إلى أساليب النقد الأدبى ولو مجاراةً للنقَّاد الغربيين ، ولو لم يكن له من فضل سوى الترجمة أو التلخيص المفيد للآثار الأدبية الاجنبية لكفى هذا للتنويه به .

(٥) شعر العقَّاد كيفما قلَّبناه شعرٌ ممتازٌ فى مجموعه ولا يبخسه قدرَه ما فيه من توارد خواطر وسقطات كثرتْ أم قلَّتْ ، فقد أُخِذَ على المتنبى نفس هذا العيب ومع ذلك فلا تزال الشعر المتنبى مكانتهُ العالية فى الأدب العربى .

(٦) انّ نهضة الشعر العربى تترتب كثيراً على تساند الشعراء ، ولذلك لا يجوز أن يُسمَح لأى شاعر — سواءٌ أكان العقاد أم سواه — أن يسىء بأنانيته وجموحه إلى هذه النهضة ؟

اسماعيل بخاتى



بلوتو وبرسفونه

(فى هذه القطعة مثالٌ معتدلٌ من النظم الحُرّ الجامع بين الشعر القصصى وشعر التصوير)

كم عَذَّبَتْ (بلوتو)(١) حياةُ الشُّرُودْ عن عالَمِ الحىّ وحُسْنِ الوجودْ

قد خَصَّهُ الموتُ ، وفى مُلْكِهِ قد عاشَ فى اليأسِ الالَهَ الوحيدْ

لم تَرْضَهُ زَوْجاً ولا آمَنَتْ بِمُلْكِهِ الضافى بناتُ الأُلوهَهْ

عيشٌ كموتٍ كلُّه مُظْلِمٌ وحسرةٌ ملءُ الحياةِ الكريهَهْ

كم ساءلَ الأربابَ إنصافَهُ وساءلَ الربَّاتِ إسعادَهُ

فلم يَنَلْ غيرَ عزوفِ المُنَى عنه كأنّ الرَّدَى صادَهُ

وهكذا قَضَّى حياةَ الأَبَدْ فى عُزلةٍ بل ظُلمةٍ للعَدَمْ

لا يَعرفُ العطفَ عليه أحَدْ الا صَدَى الموتِ ونَوْحُ الأَلَمْ

حتى اذا اليأسُ تمادَى بهِ وأظلم الكونُ جميعاً لَهُ

آثَرَ أن يغزوَ ربَّاتِهِ ويخطفَ الحظَّ كمَنْ نالَهُ !

* * *

هذى (دِمِتْرا)(٢) أنْبَتَتْ زهرَها فى المَرْجِ مُذْ هامت بهِ (برسفونْ)

وأنْضَجَتْ ما شاقها نُورُهُ من مُثْمِرٍ يَبسمُ للناظرينْ

فراحت الابنةُ فى فَرْحَةٍ تقطف من زهرٍ ومن فاكهَهْ

الفَرْحةُ تُشْقِى نفوسَ الوَرَى فكيف إنْ طارتْ بها الآلههْ ؟!

(١) اله عالم الموت (٢) دمترا : الهة الأرض ، وبرسفون : ابنة دمترا الجميلة

وشامَها (بلوتو) فشامَ المُنى ... فى أخذِها أخْذَ القوىِّ العزيزْ
قد يُسرف الحرمانُ ، لكنّه ... إذْ يُسرفُ فى مَنْعِهِ قد يُجيزْ !
وبينما الزّهرُ لدى (برسفون) ... يُحيّى سَنَاهَا ويَحْيَا لَهَا
ويَنعم من لَمْسِها مِثْلَمَا ... تُناجى الجداولُ إقبالَها
وتَهوَى الحشائشُ مَشْياً عليها ... فما كان ذلك إذلالَها
ويَحتضنُ الماءُ أطيافَها ... برفقٍ اذا الحَرُّ قد نالَهَا
وتُلْقِى عليها الغُصونُ الظلالَ ... حوانىَ بالحبِّ فى نومِها
وبينا تُغنّى أغانى الجمالِ ... مياهُ الجداول ملءَ الطَّرَبْ
وكلُّ الوجود قريرٌ بها كما نعمتْ بجمالِ الوجودْ
رآها (بلوتو) فتاق إلى اغتنام التى يشتهيها شريكهْ
فليس لمُلْكٍ جَمالٌ يُحَبُّ ... اذا حُرِمَ المُلْكُ عطفَ المليكهْ

* * *

أهابَ (بلوتو) بذاكَ الثّرَى ... فَشُقَّ ، وأقبل فى مَرْكَبَهْ
فأفزعها أنْ بَدَا عندها ... وانّ الاسارَ غدا حظّها
وهيهات يُجدى صِياحٌ لها ... ففى لحظةٍ مُسْرِعاً نالَها
وفى الأرض غار بها وانتهى ... الى مُلكِهِ، فازدهتْ كوكبَهْ !
وكان الربيعُ حليفَ الدوامْ ... على الأرض لاينتهى نَضْرَةَ
فلمّا مضت ونأت (برسفونُ) ... تجلّى الشتاءُ وراحَ الربيعْ
فناحتْ (دِمترا) التى استصرختْ ... لإنصافِها كلَّ ربٍّ سَميعْ
ولكنْ (بلوتو) أخيراً وَفَى ... الى أمِّها فترةً كلَّ عامْ
تَزورُ بها الأرضَ فى نَشْوَةٍ ... فتلقَى (دمترا) وتَلْقَى الزهورْ
فتبتهجُ الأرضُ من زورةٍ ... لها وتُغنّى نشيدَ السلامْ
وتُكسبها من حياةِ الربيعِ ... رواءً يغيب بباقى الشهورْ

فنى الأرض غيبتُها غيبةٌ لأنس الربيع الصبىِّ الجمالْ
فيطغى الشتاءُ ويحيا الورى بذكرى الربيع الحبيب الخيالْ
وتجلس حينئذ (برسفونُ) على عرشها و (بلوتو) القرينْ
الى أن يحينَ الظهورُ الجديدْ فيأتى الربيعُ ويمضى الجليدْ !

* * *

الأرضُ تفترُّ لها خُضرةٌ بالزّهرِ فى موْجٍ جميلٍ نضيرْ
كأنَّه نثرُ أغانى المُنَى من بعدِ تجوالٍ لها بالأثيرْ
وإذْ تعتلى (برسفونُ) الرُّبَى لتجمعَ الزّهرَ لاكليلها
يروعُها (بلوتو) بوثبٍ له مِنْ باطنِ الأرض لتذليلها
كصُفرةِ الحُلَّةِ تلقى لها مِنْ صُفرةِ الخوفِ ولونِ الالمْ
مروَّعةً تعجز عن وقفةٍ كما فاتها جَمْعُ رشيقِ الزّهَرْ
فكانت بلفتتها حيرةً تحدَّتْ وخافتْ وثوبَ القَدَرْ
وما رحمَ القدرُ المستعزُّ ولا هابَ أمراً اذا ما اقتحمْ
وثارَ الجوادان – من ثورةٍ لهذا الضياء – ببحر الضياءْ
فقد ألفا ظُلمةً للماتِ وليلُ المماتِ بحورُ الفناءْ
ولكنْ (بلوتو) ببأسٍ له يصدّ بقبضته الثائرينْ
ويرنو اليها بسحرِ العتىّ ويخطفها بيدٍ من حديدْ
وما لمحةُ الفنّ فى صورةٍ تثور على دهشةِ الناظرينْ
بأهونَ من دهشةٍ للتى أدالتْ نظامَ الربيعِ الفريدْ
وصارت عزاءَ المماتِ الوحيدْ !

احمد زكى ابو شادى





ليل الشاعر

عادت الشاعرَ يوماً بعضُ آلامِ الحياهْ
فرأى الكونَ كما قد صوّرَ الكونَ أساهْ
مِن شقاءٍ مبتداهُ واليه منتهاهْ
ثم جنّ الليلُ إذ كان معى يبكى هواهْ
قال : ما للّيل كالطوفان يطغى جانباه ؟!
لكأنّ الدّورَ فُلْكٌ بِتْنَ غرقَى فى دُجاهْ
وكأنّ الشهْبَ أمواجٌ تلاشَى فى ذُراهْ
وكأن السحْبَ أفلاك على تلك المياهْ
وكأنّ البدر يعلوها منارٌ فى سناهْ
وكأنّ الخلق حيتان تهاوتْ فى ثَراهْ
وأنا حوتٌ بهذا اليَمّ قد ضلّ وتاهْ !

« • »

الليلُ مُذ كان ليلاً وَهْمٌ سحيقُ الحوافى
فى هوله الشهبُ غرقَى طوْراً ، وطوراً طوافى
والليلُ قُبّةُ دَيْرٍ الكونُ فيها طَريحُ
أشباحُه فى ثَراها والنجمُ فى السقف رُوحُ
والليلُ جسمُ شهيدٍ والشُّهْبُ آثارُ طَعْنِ
أو طيفُ عاذلِ صبٍّ فى وجههِ ألفُ عيْنِ

والليلُ أُفقُ خلودٍ أطيارُهُ من نورِ
أو روضةٌ فى جناها أو زهرها البلّورى
أو فى سماء البرايا يمّ الخطوب الغواشى
والنجمُ حظٌّ تلاشى أو فى طريق التلاشى
ما أحسبُ النجمَ الا صدعاً بهذا البناء
من زفرةٍ أطلقتها أفواهُ أهلِ الشقاء
والليلُ ليلٌ لقومٍ أخنى عليهم بلاء
إن طاب للمرء عيشٌ فالدهر طرّاً ضياء

« • »

وانبرى الشاعر يرقى فى تهاويلِ سماه
كان يبكى فتبدّى البشرُ منه فى مُناه
وكأنى اسمع الوحىَ اليهِ او أراه
وأحسُّ النفَسَ الصاعدَ من همْسِ الشفاه
ورأيتُ النورَ غشّاهُ ، وبالفيض غذاه
وجلالُ الشعرِ والرُّوحُ السماوىُّ احتواه
وكأنّ الكونَ عبدٌ وهْوَ فى الكون إله
قلت : صِف لى الليلَ فى تلك المراقى ... ما عساه؟
قال : فالليلُ حجابٌ للتّجنّى والشّكاه
وَحَبيبٌ بحبيبٍ يلتقى بعد نواه
خُلِقَ الليلُ أميناً لفتى قُرْبَ فتاه!

« • »

الليلُ ظُلمةُ حظٍّ فيها بريقُ الأمانى
أو مَرْبَعٌ من نعيمٍ فيه تميس الغوانى
والليلُ محرابُ شاكٍ جَمِّ التّأبّى عَيوفِ
أو هيكلٌ للتّناجى أو مسرحٌ للطّيوفِ

أو صـدرُ صَبٍّ رحيبٌ قد غُصَّ بالمـؤلمـاتِ
تُـلَطِّـف الهمَّ فيه طوائفُ الذكرياتِ
والليـلُ بحـرٌ نَؤومٌ أسماكُهُ النـيِّراتُ
سَهْمَى كَلَوْحـةِ رسمٍ المـوتُ فـيها حَـياةُ
أو فَضْـلةٌ من رداءٍ بالسحـرِ لـفَّ البرايا
فيه ثقوبٌ تَدلَّى النورُ منها هدايا
و زَجْـرةٌ من مَغيظٍ أو زَفْرةٌ من جحيمْ
فيها الدخانُ ظـلامٌ والنارُ فيها نجومْ

« • »

ومضى الشاعرُ يحكى عن مَناهُ وعَناهْ
وكأنْ لم يبق فى دنياهُ مأخوذٌ سواهْ
يُلْـهَمُ الشعرَ كما يُلْهَمُ انفاسَ الحياهْ
قلتُ : ما البدرُ الذى راح يُجلّينا ضياهْ ؟
قد وصفتَ الليلَ والنجمَ ، فأكمِلْ ! قال : آهْ !

« • »

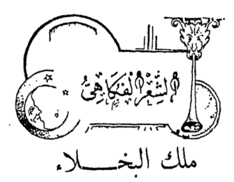
ياعاهـلاً فى بِساطِ الدُّرِّ وَشَّاهُ وَشْيَا
ياراعياً فى قطيع النجومِ هل تُؤْتَ مشيَا ؟
البدرُ إن لاحَ شيخٌ فى درسِ سحرٍ مهولِ
او فى الحجيجِ امامٌ صلى بألفى قبيل
أو فى جموعٍ زعيمٌ قد قام فيهم خطيباً
أو قائدٌ فى جيوشٍ يطوى الليالى حروباً
أو راصدٌ سوف يبقى فى مسرح اللانهايهْ
ما مثّل الناسُ حتى تُقْضَى فُصُولُ الروايهْ
البدرُ والنجمُ كانا قيثارةً من لآلى

لشاعرٍ حطمتها أيدي الدهور التوالي
والبدرُ والنجمُ كانا قلباً فرّته العوادي
والشهْبُ بعضُ البقايا من اصل هـذا الفؤادِ

« ٥ »

هكذا الشاعرُ يرْعى الكونَ والكونُ حماهْ
كلما أبلى شجوناً جعل الشعرَ عزَاهْ
فاذا بالشعر دمعٌ من بكاه لشجاهْ
واذا بالشعر وجدانُ المُعنّىَ وَجَناهْ
فمُصابٌ في التجنّي ومصابٌ في النجاهْ

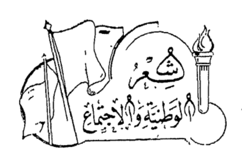
محمد زكي ابراهيم



ملك البخلاء

بخيلٌ يُنفِقُ الأيامَ جَمْعاً ويحْيا بين طيّاتِ القماطِ
فلم يعرف من الدنيا نعيماً ولا معْنىَ الوجود والاغتباطِ
جَهولٌ بالحياة ومبتغاها عليمٌ بالحسابِ بلا غلاطِ
شحيحٌ في محاربة المنايا يبزُ (القرش) من سمّ الخياطِ
ويكْرَهُ أن يرى الطبّاخَ يوماً ويَلعَنُ من يسير (ببقسماط)
يعيشُ معيشةَ الصوفيّ كُرْهاً فصَرْفُ القرش ضرْبٌ بالسّياطِ
وأشهى ما يُرجّيه حَياةٌ بلا (بِدَل) يُفصّلُ أو (بلاطي)
يمرُّ المعْوَزُونَ به سِراعاً مخافةَ أنْ يناديهمْ .. « يا عاطي ! »
فمنْ يستَجْدِهِ في حالِ بُؤسٍ يَكُنْ كالريح مرَّ على البلاطِ !

حسين كامل الصيرفي



الكشاف الأعظم

تحية صاحب السمو الملكى الامير فاروق ولى عهد المملكة المصرية
فى حفلة تنصيبه «كشافاً أعظم»

جلوتَ المنى أيها الموسِمُ — وزانتْ ضُحَى شمسِكَ الانجمُ
وزادت رياض الحمى نضرةً — أماليد عن زَهر تبسمُ
أقرَّ النواظرَ تهذيبها — وتدريبها المونقُ المحكمُ
صغارٌ تُقوَّمُ أعطافهم — لينموا صلاباً كما قوّموا
تراهم على درجات الصبى — كمختلف الدُّرّ إذ ينظمُ
يعلمهم من مراس الحياة — أولو الذِّكر والخبر ماعلموا
فيمضون فى خوضهم لاعبين — اذا قوّضوا وإذا خيّموا
ويضحك من خُشُب شُرَّعٍ — بأيديهم الرمحُ والمخذَمُ
ليهنئْهم اللهوُ لاعيبَ فيه — يشوب الصّفاء ولا مأثمُ
يذكّ النهى ويشدُّ القوى — وما فى عواقبه مندمُ
فتنمو الجسومُ على صحة — وتُكفى الخلائقُ ما يسقمُ
وتبنى لاوطانهم أمة — أبرّ بها ولها أرحمُ
جنودٌ ولكن لتُرعَى الحقوق — على يدهم ويصان الدمُ
كفاة لانفسهم بيِّنٌ — لهم ما يحلّ وما يحرمُ
اذا استنجدوا أنجدوا المستضامَ — ولو كلفوا جللا أقدموا

ومهما تجشمهم الواجباتُ ... مِن المطلب الصعب لا يُحجمُوا
فهــم كالشـوها وحفاظها ... ورُوّادُهُ حيثما يَمَّمُوا
غداً يسفر الدهرُ عن حالة ... وهم فى رجالاتهـا مَـنْ همُ
ويحمــدُ فى الشّوط تبريزهم ... اذا ما جـلا نقعـهُ عنهـمُ
قُصاراك من نخبةٍ فى البنين ... تحبُّ ومن صفوةٍ تُـكرَمُ
فـكيف بهـا وهى معروضةٌ ... و (فاروق) كشافها الأعظـمُ
تسير وأعلامها مومئاتٌ ... الى أيّها البطلُ المعلمُ
الى الفرع تنميه أزكى الأصول ... وينصره الرأىُ واللهذمُ
فخارٌ لمصر بشبـل العرين ... يشبُّ ويـكلاهُ الضيغمُ
مَرُوضاً على الوثبات الـكبار ... ومهجةُ مصر له ترتمُ
فأوّلُ مرقاته ذروةٌ ... وغـير الذُّرَى ما له سلمُ
لك الله فى النشء ياخـيرَ مَنْ ... يُطاع وياخير مـن يُخدَمُ
أسرَّك من قومـك المخلصين ... ولاء تبينتَـهُ منهـمُ
وهزَّتك هزَّةُ تلك الجوانح ... إذْ تتولى وإذْ تقسمُ
وراقتك بهجةُ تلك الدموع ... بمرأى أبٍ لابنـه يلثمُ
سلمتَ مَـلاذاً لابنائهـم ... فأسنى الأمانىّ أن تسلموا
وأن تظفروا فى كفاح العلى ... والاَّ يفوتـكمُ مغنمُ
تبوَّأتهُ منصباً لا يقوم ... باعبائه المبشرُ المؤدمُ
فلم تسمُ عفواً الى أوجهٍ ... كما شاء مَحتدُك الافخمُ
ولـكن دعاك اليـه النبوغُ ... وأيّده مجـدُكُ المـلزمُ
كمالُ حجّى فى اقتبال الصبى ... تبـارك واهبـك الأكرمُ
وخلقٌ رعى حُسنَ تثقيفه ... منقفك الارشـدُ الأحزمُ
مليكٌ على قـدر الحادثات ... اذا عظمتْ شأنهُ يعظمُ

له إن يشأ نقضُ ما أبرمتْ ... ولا ينقض الدهرُ ما يبرمُ
قويّ المشيئة نفّاذها ... بماضٍ من العزم لا يثلمُ
متينُ الحصاة طويلُ الاناة ... اذا سئم الجدُّ لا يسأمُ
نصيرُ العلوم نصيرُ الفنون ... مُعنّى بابكارها مغرمُ
يرى منه فى كل معنى طريفٍ ... على كلِّ مفخرةٍ قيمُ
ويبغى لأمته خيرَ ما ... يروم الحكيمُ الذى يحكمُ
فينفعها رأيه المجتنى ... وينفعها غرسه المُطعمُ
ويبنى الصروحَ لعليائها ... بناءً على الدهر لا يهدمُ
ففى كل منتجعٍ للرُّقى ... له معهدٌ وله مَعْلمُ
تكاد على متوالى الفصول ... من العام أنواؤه تَنْجُمُ
لو استنّ فى الجود ما سَنَّه ... لما كان فى بلد مُعدِمُ
عَوارفُ تملأ رحبَ الديار ... فكيف يعدّدها المرقَمُ
يتيه البيانُ بأوصافها ... ويوشك أن يُفصحَ الُمعجمُ
إلى خطط فى العلى لم تَدعْ ... مجالاً يُلمّ به اللوَّمُ
ومن آية الفضل أن الأُلى ... أبوها عليه بها سلّموا
فلو قدر السلفُ الأمجدون ... لدانَ لمحدثها الاقدَمُ

* * *

أمولاىَ هذى قوافٍ سمتْ ... اليكَ ولم تُغْرِها الانعمُ
جواهرُ مِن منجمٍ فاخرٍ ... تأتّت وأنت لها المنجمُ
فما فى القلادة غير الفريد ... ولا فى الاشعةِ ما يُتهمَ
وما فى الهديّة عاريّةٌ ... بها مَن يقدّمها يوصمُ
جلا لكَ شعرى بها صورةً ... على الدهر تزهو ولا تهرمُ
وما أنا من يعتفى مانحاً ... وبى من غِنى النفس ما يعصمُ

على أنها ساعةٌ للسرور ... اتيحتْ وصدرى بها مُفعمُ
فهنّأتُ ربَّ الحمى بابنه ... وأرسلتُ فكرى كما يُلهمُ
وانطقتُ قلبى بما صانه ... زماناً فلم يبتذله الفمُ
وَلائى ولائى ، فان أنكرتْه ... أناسٌ فانى به أعلمُ
وأدنى همومىَ ما أخروا ... من القولِ فيه وما قدّموا
فدُمْ للسماحة يا شمسَها ... ودُمْ للندَى أيها الخضرمُ
وعاش ابنُكَ المفتدَى يقتفى ... أباهُ وفى ظله ينعمُ

خليل مطران

جولة الشاعر

قومى ! و ما قومى سوى شيعتى ... يَراعتى والليلُ والفرقدُ
أطلقتمونى شاعراً ساهراً ... والناس محظوظون أو رُقدُ
أرود ما بين الثرى والسما ... أستكْنِهُ الخلق وأسترصِدُ

* * *

أمرُّ بالزارع فى كوخه ... ما فيه تأريكٌ ولا مصعَدُ
إن يغترب يذهب الى بَيْدَرٍ ... أو حقله يرويه أو يحصُدُ
فأكبِرُ الهمّةَ فى بؤسه ... وعونَهُ دنيا به تجحدُ
عيشِ النبيين ، فأنعم به ... من كافلٍ يشقى ولا يكنَدُ
فمرةً يرعى قطيعاً له ... عصَاهُ تسترجعُ ما يشردُ
كأنه موسى على رعْيِهِ ... فى متعة الحضر غدا يزهدُ
ومرةً يشجيه مِزمارُه ... كأنّهُ داوود إذ يغردُ
ما أجمل الغادة فى ريفها ... أخلاقها عن قدسها ذُوّدُ
تحمل الجرّة مملوءةً ... تمشى بها ما ساندتها يَدُ
لو أدركَ الأعرابُ إجهادها ... ما كانت الأنثى إذاً تُوءدُ

* * *

وأدخلُ المدنَ أرى ما بها الزيغَ والدعوى وما يُفسدُ
كم قرٌ مغرورٌ بها مترفٌ مستمرئٌ في عيشهِ يرغدُ
وكم شحيح كانز ماله يوغِلُ في الجمع ولا يرقدُ
أغشى الجاميعَ على حيرة من رؤية الضدين إذ أشهدُ
كم من مناحات على راحلٍ ومهرجانٍ لامرئٍ يولدُ
وكم جماعات على مشهدٍ وكم من جيوش للبلى تحشدُ
وأبصر القين على كيره يجهده التطريقُ والمِبرَدُ
يجهد ما يجهد لم يجزهِ عن جُمله مُسَخَّرٌ يسمدُ
وراكباً سيارة فخمةً كأنّه في قومه السيّدُ
وراجلاً يمشي على رَسْلهِ ومسرعاً صاح به الموعدُ
الكلُّ مصروف الى قصده فأقفر الهيكلُ والمسجدُ
جانبتهم في الطير مستبصراً وقد تآخى الصقر والصِّفْرِدُ (١)
فوق غصون الدَّوْح في ظلها كم مستفيء عندها يربَدُ
وجدول قالَ على جسره بعضٌ وبعضُ القوم يسترفدُ
وكرمة قامت على عرشها في الروض وهو المزهر المُورِدُ
ناست دواليها . ثريّاتها أعنابُها سبحان من ينضِدُ
وطاح بي السير الى منتأى حيث الوحوش العجم والفدفدُ
اراحت النفس بما شاهدت والمرء مأخوذٌ بما يشهدُ
الوحشُ للوحش به رحمة فما لنا في نوعنا نأسَدُ
حتى إذا استوعبتُ أخبارَهم أُبتُ اليكم مُخبراً أنقدُ

* * *

قومي ! وما قومي سوى شيعتي يراعتي والليلُ والفرقدُ
ملكُ سليمان تُرى ملككم وانني في شعبه الهدهدُ !

اسماعيل سري الدهشان

---

(١) طائر جبان يدعى ابو المليح



طفل يستقبل العام السادس

كنتُ فى العام الذى ولّى صغيراً غير أنى أقرأ الآنَ الكتابا
وأجيد العَدَّ ، لا أخطىء فيه وكذا أكتبُ ما يُملَى صوابا

« • »

كنتُ لا أجلس — فى الغالب — إلا ضاحكَ السِّنِّ ، على رُكبةِ أمى
كنتُ فى خامسِ أعوامى ، فلما صرت فى السادس زاد الآنَ عِلمى

« • »

أذهبُ اليومَ إلى مدرستى حافظاً دَرْسِىَ فى كل نهارِ
فوق ظهري جعبتى شاهدةً باجتهادى ، وهو حَسْبِى من فخارِ

« • »

كلما ينطق أستاذىَ أصغى واعياً ما قال ، لا مُفرِّطا
وهوَ مسرورٌ بجِدِّى ، إذْ أراه دائماً يَبسم لى مغتبطا

كامل كيلانى

فوائد القصص

للشاعر الفرنسى La Fontaine لافونتين

خُذْ عن البُهمِ حكمةً او حصافهْ ضَمِنَتْها حكايةٌ أو خُرافَهْ
كم تَعافُ النفوسُ قولَ حكيم فاذا صيغ قصةً لن تعافَهْ
وانْظر الاقتصادَ فى النمل ، وانظرْ همة النحل واظِّرافَ الزرافَهْ
لاتظنّ الذكاءَ وَقْفاً علينا فاحتكارُ الذكاء للناسِ آفَهْ

القردة الصغيرة والقرد الكبير والجوزة

للشاعر الفرنسي فلوريان

١٧٩٤ — ١٧٥٥

وقردة لدْنة في ميعة العُمرِ   تملكتْ جوزةً في غصنها ينعتْ
وظنّت الجوزَ مأكولا بقشرته   عضّت فصُدّت فقالت بعدأن غضبتْ :
« كم أسمعتنيَ أمي كل تأكيدِ   من أن للجوز طعماً غير موجودِ
حتام نسمع من آبائنا قَصَصاً   يضللون به في كل مقصودِ !
الى جهنم - بئس الجوزُ من ثمرِ ا »
ألقتْ بها فتلقاها وكسّرها   بين الحجارة سعدانٌ - وقشّرها
واعمل النابَ فيها ثم قال لها :   « أرى لامك حقاً في نصيحتها
فالجوز خير غذاء يستلذ به   لكنه بعد جهد الكسر بالحجر »

المغزى :

لا يرغد العيش في الدنيا لساكنها   الا ببعض جهاد الجسم والفكرِ

قصة لويس الثاني عشر والخبز

للشاعر الفرنسي Andrieux أندريه

١٨٣٣ — ١٧٥٩

اليكم قصة عن خيرِ قرمٍ   فرنسيٍّ تملك خيرَ فكرِ
تجنب في الرعيةِ أيَّ ظلم   فكان له لديهم حسن ذكرِ

« • »

قد اتّهم الوشاةُ له وزيرا   يسوم الذلّ فلاحا فقيرا
فاحضر ذلك الطاغي لديهِ   بلا استدعاء بينة عليهِ
وقابله على الترحاب حتى   كأنْ ما كان من أمرٍ تأتى
وقال له بألفاظ الدهاء :   « دعوتك ياوزيرى للغذاء »

***

وكان المَلكُ أوعز للطهاة باعداد العديد من الصنوفِ
وتهيئة الموائد فاخراتٍ ولكن مابها صنف الرغيفِ
فكان الضيفُ فى دهشٍ عجيبٍ يحاول كشف ذا السر الغريبِ
أهاب به المليكُ وقال: ويحكْ! أليس الأكل ترغب فيه نفسكْ
أجاب: العفو يا مولاىَ انىّ أرى ما لا رأت من قبل عينى
ولكن لاأرى خبزاً أمامى فآكل ما أريد من الطعام
فقال له المليك: اذهب بعيداً فلا أهلاً بمن آذى العبيدا
ويكفى ما رأيت الآن درسا بلطفٍ منك إحساساً ونفسا
ومادام الرغيف أهمَّ قوتٍ وافضلَ ما يقدم للغذاء
فأحرى ان نعامل موصليه الينا بالكرامة والسخاء
فنحن عيالهم فى العزِّ نحيا وهم يتذمرون من الشقاء

اسماعيل سرى الرهشانه



نقد الطريقة الرمزية

وشرح أثرها فى أساليب الشعر ومعانيه

مذهب الرمزيين كما أعتقد يشمل أموراً منها إحلال المشبّه به مكان المشبه وحذف المشبه فى كثير من المواضع، ومنها ادخال تشبيه فى تشبيه واستعارة فى استعارة وخيال فى خيال، وثالثها الاسترسال فى وصف الهواجس النفسية من غير تمهيد أو شرح ويرمزون لهذه الهواجس بأشياء تذكرهم بها، ورابعها انهم قد يشبهون

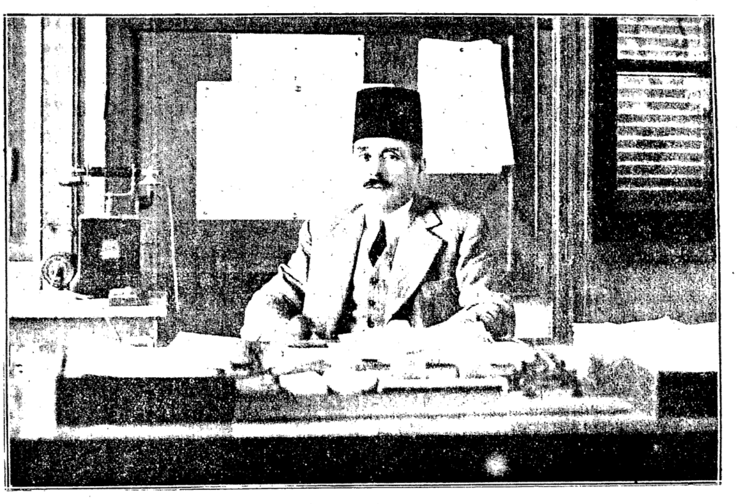
شيئاً بشيء آخر وهذا الشيء الثاني يشبهونه بثالث والثالث برابع الخ. ثم يحذفون كل هذه الاشياء ماعدا المشبه به الرابع فانهم يبقون لفظه كي يكون رمزاً للمشبه الاول .
ولا شك أن هذا المذهب يتطلب ذكاء وانتباهاً وثقافةً من الشاعر والقارىء ولكن أصحابه قد نسوا قول بندار الشاعر الاغريقي القديم (على ما أذكر) وقد أراد أن ينصح شعراء عصره : « ابذروا البذر باليد لا بالزمبيل » يعني أن الزارع إذا رمى بذراً كثيراً في مكان واحد فان النبات الذي ينبت قد يقتل بعضه بعضاً ، وكذلك الشاعر إذ أدخل الصور الشعرية بعضها في بعض في جملة واحدة أفسد بعضها بعضاً . ثم ان الاسلوب قد يتهم بالضعف اللغوي مهما كان صاحب الاسلوب مضطلعاً باللغة وذلك لان أسباب التعلق بهذا المذهب كثيرة وليس السبب واحداً ، فمنها: (١) ان الشاعر قد يلجأ اليه عمداً متكثراً بأخيلته وصوره الفنية ناسياً قول بندار الشاعر الاغريقي الذي سبق ذكره ، (٢) ومنها أن الشاعر قد يلجأ إلى هذا المذهب اذا أعوزته الكلمة الصحيحة فيضع الكلمة التي تحضره ولا يعدم وجه شبه بين مدلول الكلمة الاولى ومدلول الكلمة الثانية فتصير الكلمة التي وضعها رمزاً للتي لا يذكرها على سبيل وضع المشبه به مكان المشبه (٣) ومنها ان هذا الوضع قد يكون لمرض في مزاج الشاعر يعرفه الاطباء ـ ففي الحالة الاولى قد يكون الشاعر مضطلعاً بأساليب اللغة خبيراً بها ولكنه في أسلوبه يستوي والشاعر غير المطلع لتشابه طريقتهما والناقد معذور إذا سوّى بينهما .

فالاستكثار من الصور الفنية في الجملة الواحدة باستعمال رموز الشبه يؤدي إلى غموض الصورة العامة كما يؤدي إلى قتل الصور الجزئية بعضها بعضاً كما يقتل النبات النبات في المكان الواحد ، وأسلوب الشاعر المطلع يختلط بأسلوب الشاعر غير المطلع كما فسرت وما تستدعيه هذه الطريقة من الذكاء والانتباهاً والثقافة ليس أعز ذكاء ولا أفضل انتباهاً ولا أجل ثقافة. ألا ترى أن حل معميات الكلمات الافقية والرأسية التي تنشر مسابقاتها في الجرائد والمجلات يستدعي أيضاً ذكاءً وانتباهاً وثقافة من القارىء ؟ وهذه الطريقة الرمزية تؤدي إلى فتور العاطفة وقلة تأثر القارىء لشعور الشاعر .

ان اكثار الشاعر من قرض الشعر ليس بعيب حتى ولو أدى إلى أن يكون في شعره غير المختار فان اجادة الشاعر المكثر واساءته قد تأتيان منه عفواً اثناء اكثاره وقد يفقد بعض اجادته اذا فقد بعض اكثاره فلا يكون الاكثار مستهجناً

الا اذا دفع الشاعر الصانع لعجلته الى طريقة الرمزيين اى الى استعمال كلمة مكان أخرى وعبارة مكان عبارة ثم الاحتجاج لهذا الاستعمال بايجاد وجه شبه بين الكلمتين او العبارتين التى حلت احداها محل الاخرى على سبيل حذف المشبه وإحلال المشبه به مكانه او احلال الرمز مكان الامر المرموز له . فهذا المذهب اذا قل اتباعه كان حلية تقبل وتستملح اذا قرب وجه الشبه، أما اذا كثر استخدامه وبعد ما بين المشبه به والمشبه المحذوف وما بين الرمز والمرموز له أدى الى المآخذ التى شرحتها فى شرح طريقة الرمزيين ، ولا شك ان المكثر العجلان قد يتأثر هذه الطريقة اذا وضع كلمة مكان اخرى أو جملة مكان أخرى. ولكن هذا التأثر قد يكون مرجعه الى اعتقاد الشاعر ان هذه الطريقة تزيد الأخيلة والصور الفنية فى الجملة الواحدة ناسياً أن الصورة تمحو الصورة كما يقتل النبات النبات فى المكان الواحد وناسياً ان هذ التكثر بالرموز لا يغنى عن سيل العاطفة المتدفق ولا عن المعنى الهام الأجل . على ان منزلة الشاعر لا تقدر بان نضع حسناته فى كفة ميزان وسيئاته فى كفة أخرى ثم نسقط من الحسنات بقدر السيئات ، فاذا فعلت ذلك ذهبت بعض السيئات ببعض الحسنات والحسنات حسنات لا يتغير عنصرها ، فمنزلة الشاعر إذاً هى منزلة أحسن شعره . هكذا يقيس الدهر اكثر الامور فيشيد بالحسنات ويقبر السيئات إذا وجد للحسنات مذيعاً . وقد تنشأ السيئات اذا أكثر الشاعر من التجارب كما يصنع الكيمائى وحاول ان يمهد منهجاً جديداً وكان جريئاً ذاهباً مذهباً بعيداً فى هذا الطريق غير المعبَّد فان التجارب فى الامر الجديد غير المعروف قد يفشل بعضها كما يحدث فى معمل الكيمياء ولكن الشاعر اذا أجاد بسبب جرأته وذهابه مذهباً جديداً كانت إجادته اعظم من اجادة الشاعر المحاكى الذى يتبع الطريق المعروف المملول . وليس من المحتوم ان يفشل الاول فى كثير من محاولاته الاولى: ألا ترى ان الكيمائى قد يصيب فى أول محاولة ؟ وانما يرجع ذلك الى استعداد الشاعر واطلاعه وذكائه وتأنيه حتى يأتيه الشعر بدل أن يسعى هو الى الشعر ، وانما يسعى الشعر الى الشاعر فى حالات خاصة ليس له سلطان عليها ، ولكنها اذا عرضت للشاعر قدحت خياله وذاكرته وحشدت له المعانى والاساليب من غير ان يسعى اليها فتعطيه موضوع قصيدته ومعانيها وصورها الفنية من غير ان يتكلف طريقة الرمزيين اللهم الا اذا كان مريضاً بذلك المرض الذى يغريه بوضع كلمة مكان أخرى وفى هذه الحالة يتبع الطريقة الرمزية حتى فى حالات ايحاء العقل الباطن والاندفاع الشعرى .

أما ان الشعر الرمزى يجد قراء وأنصارا على غموضه فلاسباب عديدة :



(عبد الرحمن شكرى — أحدث صورة له)

٢٠٣٢

(١) ان بعض القراء يكتفى من الشعر بمدلولات بعض الكلمات وبنغمة الوزن: فبعضهم اذا قرأ قصيدة غير مفهومة لم يرعه انه لا يفهمها ولم يقلل ذلك من لذته فان لذته فى مدلولات وصور بعض الكلمات مثل النجوم والحب والأزهار والحياة. فاذا قرأ كلمة الحياة تصور ماشاء من صور الحياة أو تأثر شعوره بها ، واذا قرأ كلمة الحب ذكر مواقفه وبؤسه ونعيمه ، واذا قرأ كلمة النجوم سامر النجوم وكان حادياً لها فى السموات فيحس كأن النجوم تسير على توقيعه ويكاد يسمع لها غناء ونغماً أثناء رقصها فى دوراتها واذا قرأ كلمة الأزهار ناجته بألوانها وشذاها وكأن الحياة لديه زهرة كبيرة كثيرة الالوان أو كأن القصيدة التى يقرؤها زهرة كبيرة من زهرات الحياة والحب ومن كان مثل هذا لا يهمه فهم القصيدة .

(٢) ان بعض القراء لايكتفى بمدلولات بعض الالفاظ فى القصيدة بل يفهم القصيدة حقاً وإن كان لايفهمها أكثر الناس ولكنه يفهم فيها ما يشاء من المعانى لا ما يعنيه الشاعر ويحسب ان الشاعر يعنى ما فهم منها او لا يهمه ما يعنى الشاعر .

(٣) ان بعض القراء يفهم مايستقيم فهمه من القصيدة ويحسن الظن بما لا يفهم وما يفهم منها يغريه بهذا الظن الحسن أو قد لا يغريه وانما يحسن الظن بطبعه .

(٤) ان بعض القراء كالعباد فى معابد القدماء لايحمدون من الشاعر الا ما كان غير مفهوم من شعره كالعباد الذين كانوا لايحمدون كهانة الكاهن الا اذا كانت غير مفهومة ، وهؤلاء القراء يحمدون من الشعر ان يكون سراً رهيباً مغلقاً محجوباً عن النفوس كسر الحياة وكسر الموت ولا يلتذونه الا اذا كان كذلك .

(٥) ان بعض القراء له تلك الملكة وذلك الذكاء والانتباه وغيره من المواهب التى تجعله قادراً على فهم الرموز الشعرية الكثيرة المتداخلة وهؤلاء يلتذون الشعر كما يلتذ قرّاء المعميات الافقية والرأسية البحث عن تلك الكلمات التى ذكرت رموزها كما يصنعون فى ملء المربعات الخالية البيضاء فى مسابقات المجلات .

فيستجيد هؤلاء القراء مهارة الشاعر أو عجاته فى وضع الكلمات مكان الكلمات كرموز لها على هذه الطريقة المقتضبة .

(٦) ان بعض القراء لا يفهمون الشعر ولا يحاولون فهمه ولكنهم يخشون ان يتهموا بالبلادة وقلة الثقافة اذا قالوا انهم لايفهمون فيدعون فهم ما لا يفهمون .

(٧) ان للتمجيد والاستحسان عدوى كعدوى البغض أو الود أو الحب أو الاستهجان أو القدح أو التثاؤب ، فاذا تثاءب أحد الناس رأيت كثيرين يتثاءبون ، وكذلك إذا سرت عدوى التمجيد والاستحسان رأيت كثيرين من القراء قد أصيبوا بعدوى

الاستحسان وهم لايفهمون ما يستحسنون .

(٨) ان بعض الناس يستحسن شعر الشاعر لانه صديق يثق به في الحياة ، وما دام الشاعر موضوع ثقته في معاملات الحياة فان شعره موضع ثقته أيضاً على جهل منه بالشعر . وهذا القياس خطأ منطقي ولكن النفوس مولعة أحياناً بالاخطاء المنطقية بل ان تلك الاخطاء المنطقية تكون في الحياة أحياناً كما تكون التوابل في الطعام صلاحاً ولذة فلا يسيغ المرء الحياة الا بها في تلك الاحايين.

(٩) ان بعض القراء يزدري الشعر المفهوم إما لانه يعد وضوحه اتهاماً لعقله بالعجز عن فهم العويص الغامض وإما لانه يضن على الشاعر بان يحدد معنى شعره ويعد ذلك غروراً منه وكبراً . ومثل هذا القارىء يود أن يشارك الشاعر في تحديد معنى شعره فيعظم القارىء بذلك عند نفسه وهذا لا يستقيم إلا اذا كان الشعر غامضاً ، أو مثله كمثل الجليس الذى يقطع عليك حديثك كى يوضح لك معنى ما تقول. ولعل قارىء هذا المقال قد لقى من الجلساء من يجاهد ويجالد كى يفعل ذلك ويغضب اذا لم تهىء له فرصة .

(١٠) ان بعض القراء قد يستولى عليه الملل اذا كان معنى ما يقرأ مفهوماً فهو يباعد الملل عن نفسه بالتأمل في رموز الشعر غير المفهوم.

(١١) ان بعض القراء يرى ضرورة له في الحياة أن يعبر عما تكنه نفسه من الاشجان والهواجس وما يرى من الآراء ؛ فعنده شعور الفنانين وليس عنده قدرتهم على النظم أو النثر ، فلابد له من شاعرأو كاتب يفهم في شعره أو نثره تلك الآراء ويشعر فيه بتلك الاشجان ولا يستقيم له ذلك الا اذا كان الشعر أو النثر غير مفهوم .

(١٢) ان القارىء قد يكون مصاباً بالمرض نفسه الذى يجعل الشاعر أو الناثر يضع الكلمة مكان الأخرى فيستحسن المريض طريقة المريض .

(١٣) قد يكون غموض الشاعر من أجل خطأ منطقي أو انقطاع الصلة المنطقية الصحيحة اللازمة بين أجزاء شعره وهذا كثيراً ما يعرض أيضاً للقراء فيفهمون منطق الشاعر على انه صواب وهو خطأ لانه يوافق طريقة منطقهم وتفكيرهم .

فالطريقة الرمزية من قديم الزمن يجلها كثير من القراء إذا سرت عدوى التمجيد وقد يقابلها بالعداء في أول الأمر . والشاعر قد يدرك هذه الأسباب

وغيرها إما بالغريزة وإما بالتفكير المنظم فيرى فى هذه الطريقة منافذ له إلى الجمهور واستحسان الناس وتمجيدهم فيتعمد تأثر هذه الطريقة . وقد يكون هو نفسه كالجمهور ممن تؤثر فيهم هذه العوامل أى قد يكون الشاعر ممن يكتفى بمعانى وصور بعض الألفاظ كالازهار والنجوم والحب والحياة فلا يهمه المعنى العام ويعد هذه الالفاظ ثروة شعرية كبيرة ، أو قد يقف الشاعر أمام شعره كالعابد أمام كهانة الكاهن ، أو قد يكون الشاعر نفسه كالقارىء فيفهم فى شعره ما ترتضيه هواجس نفسه لا ما تؤديه الالفاظ ، أو قد يكون الشاعر كبعض أولياء الله الصالحين الذين يقولون كلاماً غير مفهوم فيفسره أشياعه كل تفسير يرون فيه سر الحياة وسر الموت ومفتاح مغاليق الكون .وقد يجمع الشاعر بين المكر والسذاجة فى اتباع هذه الطريقة كما يجمع الفلاح بين المكر والسذاجة . اما ان الجمهور اذا سرت فيه عدوى التمجيد يقدس الطريقة الرمزية فامر يعرفه من درس تاريخ الاديان ورموزها من عهد قدماء المصريين والبابليين والاشوريين والاغريق واليونان والرومان وغيرهم من الامم القديمة ولعل بعض المسيحيين فى العصور المختلفة لم يتأثروا تعاليم المسيح عليه السلام كما تأثروا رموز فصل من الانجيل يدعى ابو كالبس Apocalypse ولا تحسبن ان الطريقة الرمزية قاصرة على صغار الشعراء فجيته Goethe كان مغرى فى بعض مؤلفاته بالرموز، ومن أدباء العصور الحديثة أديب قد أكثر من الطريقة الرمزية حتى ليحار الانسان فيه فلا يعرف أهو عبقرى مفكر كبير أم مشعوذ أم هو الاثنان معا واعنى موريس ميترلنك .

على أنه لا يصح أن نجعل مرجع كل شعر لا يفهمه القارىء إلى الطريقة الرمزية فقد يكون العيب عيب القارىء وقد يكون عيب الناظم وقد يكون عيب كليهما وقد لا يكون هناك عيب فى أحدهما .

فالشاعر المثقف والقارىء الذى لا يعرف من الثقافة غير القراءة كيف يلتقيان والشاعر والقارىء إذا اختلفا فى مقدار الثقافة أو فى نوعها كيف يتفاهمان كل التفاهم والشاعر المفكر الذى يبحث فى خفايا النفس والقارىء الذى لا يفكر ولا يقدر أن يبحث فى خفايا النفس كيف يتعارفان ، أضف إلى ذلك انه قلما تجد اثنين من الناس يتفقان فى طريقة التفكير أو طريقة الشعور كل الاتفاق لاختلاف صفات نفسيهما الموروثة واختلاف اتجاه الذهن وقتاً ما . ومن أجل هذه الاسباب اختلط الحابل بالنابل فى عصر كثرت وتنوعت فيه الثقافة وصار الرمزيون يحيلون على الثقافة وانواعها وطرق التفكير والشعور ومقدار العرفان إذا لم يفهم القارى

شعرهم وليس الامر كما يزعمون فى بعض شعرهم إذا صدق زعمهم فى بعضه .

وقد يقتفى الشعراء الطريقة الرمزية على اختلاف ثقافتهم فبيننا أستاذ شاعر عبقرى وناثر كبير يتعصب للقديم ويزدرى الجديد وبعض مؤلفاته لم يؤلف مثلها عربى صميم لان الصور الفنية والرموز الشعرية فى بعضها تتقاتل تقاتلاً عنيفاً تقاتل النبات فى المكان الواحد وهو مضطلع بالاساليب العربية الصحيحة وباللغة الفصيحة ولكن بعض مؤلفاته غير مفهوم بسبب كثرة التشبيهات والاستعارات والصور والرموز الشعرية التى يطمس بعضها بعضاً فى الجملة الواحدة، وبيننا شاعر آخر عبقرى يتعصب للتجديد وهو مكثر يدل إكثاره فى موضوعات مختلفة على اضطلاع باللغة ولكنه يكثر من الرموز الشعرية والصور الفنية احياناً اكثاراً قد يغطى على اضطلاعه ويجعل بعض قوله مبهماً .

ولا شك أن طريقة الثقافة فى الشعر قد تلتقى وطريقة الرمزيين أو تقترب منها وان اختلفتا فى الاصل وذلك لأن بعض الرمزيين مثقفون وان اختلفت ثقافتهم فى النوع والمقدار ولأن الشاعر المثقف لا بد أن يكون كثير الاشارات إلى ظواهر كونية وحيوية وإلى حقائق مادية وإلى حالات نفسية مختلفة ، وهذه الاشارات قد تكون شبيهة بالرموز أو الطلاسم عند الجمهور اذا لم يمهد الشاعر لها ويوضحها ما استطاع ولا يصح أن ننصح بترك الثقافة وقصر الشعر على المعانى المعروفة والصور الفنية الموروثة والحالات النفسية الموصوفة المألوفة إلا إذا كان الشعر شعراً خاصاً لطبقة غير مثقفة والا كان الشعر فقيراً معدوماً ميتاً لا روح فيه .

اما نصيحتنا فهى أن نصون الثقافة عن أساليب وطرق الرمزيين التى يستخدمها المثقفون وغير المثقفين منهم فلا نضع كلمة أو عبارة مكان اخرى كى تكون رمزاً لها ولا أن ندمج الصور الفنية بعضها فى بعض فى جملة أو بيت واحد متكثرين بذلك من الأخيلة والاستعارات والتشبيهات ومتعجلين فى ايجاد وجه شبه بين شيئين على طريقة الرمزيين .

وينبغى أن نذكر قول بندار الشاعر الاغريقى الذى سبق ذكره ومعناه أن الصور الجزئية اذا ازدحمت فى جملة واحدة طمس بعضها بعضاً كما يقتل النبات النبات وغطت على العاطفة وعلى قدرة الشاعر اللغوية والفنية، وينبغى أن ننبذ الاستنتاج غير المنطقى وان لا تكون الصلة المنطقية مقطوعة بين أجزاء الكلام وان نذكر

ان المعنى أوضح ما يكون فى تلك الأساليب التى يتمصصها ويتذوقها القارىء كما يتمصص الشراب الحلو وقد يلحس شفته ولسانه بعد أن ينطق بها ، وهذه الاساليب لا تنقاد للشاعر الا فى حالة من حالتين :

(الاولى) اذا تأنى الشاعر ورفض أن ينظم الشعر حتى يسعى اليه الشعر ، وهذا يكون فى حالات خاصة من حالات المزاج لاسلطان له عليها . وهذه الحالات تقدح خياله وذاكرته وتحشد له اطلاعه وتمده بموضوع شعره ومعانيه وعاطفته وقد يكون عقله قبلها غير متجه الى هذا الموضوع وللعقل الباطنى أثر فى هذه الحالات، ولا يستقيم العقل الباطنى فى هذه الحالات إلا اذا كان صاحبه مثقفاً خبيراً باللغة وأساليب الفن وبينه وبين العقل الظاهرى صلة متينة وهذه طريقة من نالوا شيئاً من العبقرية .

(الثانى) اذا سعى الشاعر الى الشعر عمداً بذكرة وذاكرة قوية مقيداً كل الاساليب العذبة التى يمكنه ان يعبر بها عن معنى من معانى موضوعه مستجمعاً لتلك المعانى مستعيناً بكتب اللغة والادب والمعجم فيكون مثله مثل من يهىء ادوات العمارة أمامه قبل أن يبنى القصر الفخم، وهذه طريقة أساتذة الصنعة . وقد حدثنى أديب توفى الى رحمة الله انه زار مرة شاعراً كبيراً توفى أيضاً الى رحمة الله ولم يكن الشاعر فى غرفة مكتبه فوجد الزائر القواميس وكتب اللغة مفتوحة ووجد أوراقاً قيد بها الشاعر قوافى تناسب معانى منثورة ؛ فدهش الزائر ، ثم دخل الشاعر ورأى دهشة زائره فضحك وقال : لاتظن ان هذه الاشياء تغنى عن الملكة الشعرية وانما هى أعوان لها وللذاكرة لاجادة الصنعة وانما مثلك مثل من رأى أتربة واحجاراً أو ادوات عمارة مبعثرة فساءه منظرها ولو عاد بعد قليل لرأى قصراً منيفاً . وقد يلجأ الى كل هذا أو الى بعضه أساتذة الصنعة كما يلجأ اليه من وهب شيئاً من العبقرية وكما يلجأ اليه أحياناً من جمع بين الاثنتين وقد يستغنى عن ذلك العبقرى بما يُحشد له من اطلاعه فى تلك الحالات النفسية الخاصة التى يتنبه فيها العقل الباطنى والتى لا سلطان له عليها والتى تجمع له شتات ذهنه من غير عناء وسعى من قِبله .

ولكن ينبغى للشاعر أن يميز بين تلك الحالات النفسية الخاصة التى يستيقظ ويتصالح فيها العقلان الباطنى والظاهرى وبين حالات أخرى لاتصالح للشعر إذ لا تتفق فيها يقظة العقلين الباطنى والظاهر معاً فيكون كل منهما فيها غافلا منابذاً لاخيه. وقد يشعر الشاعر شعوراً يدفعه الى النظم وقد يتألم اذا لم ينظم، ولكنه مع ذلك لاتتفق له تلك الحالة التى تقدح طبعه وذاكرته وتحشد له نفسه واطلاعه من غير عناء . فاذا نظم الشعر

ولم تتفق له الحالة الاولى لم يكن شعره من أجود مايقول فان للعقل الباطنى خـدمات وللعقل الظاهرى غفلات نسيان تـكون أشبه بالسراب يظنها الشاعر فرصة وهى ليست بفرصة كما يظن المصحر السراب ماء . فالشعر طريقتان لابد من أحداهما أو كلتيهما: طريقة أهل العبقرية صغرت العبقرية أو عظمت ، وطريقة أساتذة الصنعة. ومما يؤسف له ان الطريقة الرمزية قد يتأثرها العبقريون واساتذة الصنعـة فتفسد بعض ما يكتبون اذا غالوا فى اتباعها كما انه قد يفسد بعض ما يكتبون انهم لايسعون الى الشعر سعىَ ذلك الشاعر الـكبير الذى هيأ أدوات عمارته قبل أن يبنى قصره المنيف ولم يشعر بزلة أمام زائره لعلمه أن ماهيأ لا ينبى ملـكته الشعرية ،أو يتريثون حتى تعرض لهم تلك الحالات التى يصطلح فيها العقل الباطنى والعقل الظاهرى والتى تحشـد لهم ما اضطلعوا به من غير عناء بل يقولون الشعر بايحاء العقل الباطنى وحده وبما يشعرون من الرغبة فى عمل الشعر من غير تهيء حقيقى له أو يعملونه صنعة من العقل الظاهرى من غير أن يعدوا له أعوانه التى استعان بها ذلك الشاعر الـكبير. ولقد يفيد الشعر مخالفة الشاعر للمنطق واصوله ظناً منه انما وافق اصول المنطق الصحيح كان فلسفة لا شعراً وانما يأتى اليه هذا الوهم لان بعض ما يشرحه الشاعر من حالات النفس وما قد تجمع النفس من النقيضين والضدين وما يستعين به الشاعر من الصور لايضاح تلك الحالات النفسية وتلك الاضداد الروحية أو العقلية الحقيقية الطبيعية يخالف المنطق السطحى الظاهر المألوف وإن لم يخالف منطق الحقائق النفسية والعقلية وهنا أيضاً قد يختلط الحابل بالنابل فيحيل الشاعر على المنطق الصادق العميق وإن خالف شعره كل منطق .

ولا بد من ايضاح أختم به هذا المقال وهو أن طريقة الرمزيين تختلف مظاهرها وليست كل صفاتهم ترجع إلى استخدام الرموز وهى الصفة الاساسية : فبعضهم تغلب عليه خصائص المـكثر من التشبيهات والاستعارات وإن قلت رموز الشـبه فى شعره إلا أنه من الواضح ان ازدحام التشبيهات والصور الفنية يضطره إلى استخدام الرموز واحلال المشبه به مكان المشبه والاكـثار من ذلك كى يجد لهـا مكاناً فى شعره، فيقتضب اسلوبه اقتضاباً ينافى البيان لا على سبيل الايجاز المحمود . وبعضهم ترى اكثر رموزه ليست على طريقة حذف المشبه واحلال المشبه به مكانه بل على طريقة الرمز للـكلمة بما يشبهها او يقاربها أو يذكر بها . وبعضهم لا يـكثر من الرموز اللفظية بل يرمز للمعنى بما يقاربه أو بما له صلة به كصـلة الذكرى أو قد يرمز للحالة النفسية بحالة أوصورة تذكر بها . وبعضهم قد تكون الصفة الغالبـة

عليه من صفات الرمزيين ادخال المعنى فى المعنى والصورة فى الصورة . وكل هذه الصفات لا تعاب إلا اذا كان البيان والفصاحة لا يستقيمان معها فيجب اذن أن يسهب الشاعر ويكون اسهابه هو الفصاحة فان الصور الفنية التى يقتضى البيان عنها ابيات عدة إذا سلكت فى بيت أو جملة واحده تضاءلت ، والتمييز بين الايجاز المحمود والاسهاب اللازم لا يكون إلا مع الذوق السليم والاطلاع الصحيح. والشاعر الرمزي قد يقضى أياماً فى نظم قصيدة على طريقة الرمزيين فلا تكون فى منزلة قطعة من الشعر يقولها ارتجالا فى تلك الحالة النفسية التى يستيقظ فيها العقل الباطنى ويتفق والعقل الظاهرى . وينبغى أن يميز الشاعر بين نوعين من الارتجال : ارتجال إيحاء النفس الذى يحشد للشاعر ما اطلع به من غير عناء وارتجال الناظم الذى أوتى سهولة فى النظم والذى يقدر أن ينظم متى شاء فى أى موضوع نظماً ليس بخالد، وشتان بين الارتجالين ؟

عبد الرحمن شكرى

☆☆☆☆☆☆☆☆

عناصر جمال الفكرة فى الأسلوب

١ — جمال الإبهام الرمزى

هذا العنصر هو أسمى ما يصل إليه الفكر العبقرى فى نواحى تفكيره وليس هذا متيسراً عند كل الكتاب أو الشعراء وإنما نراه عند القليلين الأفذاذ الذين يترجمون للناس عن سفر الطبيعة البشرية الخالدة .

ولكى تفهم المعنى المقصود من الابهام الرمزى سأسوق لك أمثلة مما نحسّ به أو يقع لنا فى تجارب الحياة منه :

(١) هناك صور عديدة من ذكريات الطفولة ترتسم فى عقولنا وتجد فى بقائها فيها خصباً ونماء قوياً . . ولعلها تكون تافهة لا قيمة لها خلقتها ظروف صبيانية ينفر منها الشباب ويضحك ، ويحاول أن ينساها الشيبُ وإن كان يجد فيها إحساسات لا يدريها . هذه الصور التافهة الكثيرة تبقى فى العقل وتركز دون غيرها من صور

قد تكون فى غاية الأهمية . . . نحاول أن نعلل ذلك ولكن للاسف لا ندرى وانما هناك تعليل واحد وهو أن هذه الصور أو الذكريات وقعت ومثلت فصولها مع حادث استرعى انتباه الشخص وأثر تأثيراً ضعيفاً أو قوياً فى حياته . فهى رموز لهذا الحادث وقد يُنسى الحادث وتبقى هذه الرموز واضحة جلية .

(٢) أحسّ أنا وتحسون أو يحس بعضهم بشعور غريب عند ما نسمع طائر « الفتاح » فى الشتاء . هو طائر محبوب لنا جميعاً لا لشكله ولا لصوته لان هناك فى الطيور ما يفوقه جمالا وغناء وانما لشيء آخر هو رمز له : إن هذا الطائر يفد الى مصر فى الشتاء فصوته يحمل الينا صورة رائعة للشتاء — صورة الأشجار العارية المجردة والغدران الجافة من صُبابة مائها . والبرد الشفيف القارس وأكداس الأذرة المبعثرة على الشواطيء وغير ذلك من الصور التى تتألف عن الشتاء مع صوت هذا الطائر .

ولكن هل هذا يكفى لتعليل ما نحسّ أو نشعر به عند ما نسمع صوت هذا الطائر السحرى الغريب ؟ كلا ... فان هناك شعوراً آخر يمتزج بهذه الصور : هو ذكريات حداثة مرت لنا فى بدء سير قافلة حياتنا : ذكرياتٌ حلوة ومريرة قصدتنا فى عُرْف هذه الدائرة من الزمان وهى الشتاء .

على أن هناك شعوراً أبعد من هذا أيضاً : شعوراً قد يكون مكتئباً وقد يكون فرحاً . هذا الشعور يساورنا عندما نسمع هذا الطائر ولا ندرى سبب ما يبعثه صوته فينا من غريب الاحساس ومختلف الشعور ،وغاية ما نقوله إن فى صوته إبهاماً رمزياً لمعنى فى نفوسنا .

والآن نسوق لكم الأمثلة الشعرية :

يقول الشاعر أبوشادى فى قصيدته « اللهيب المقدس » :

قد رشفنا مُنى الحياة بثغرٍ وارتوينا من اللهيبِ المقدَّسْ

الى أن يقول فى خاتمتها :

ربّ شَدْوٍ بها أطال حياتى فحياتى من اللهيبِ المقدَّسْ

فالابهام الرمزى هنا فى « اللهيب المقدس » فالكلمتان تحملان الخيال على أجنحة هفافة إلى وادٍ من أودية الجن أو الاطياف أو كما كتبت عنها فى « المقتطف »

الى مدينة سحرية من مدن الخيال . . من مدن الشفق أو الفجر أو الى معبد بوذا ألمح لهيب الآلهة المقدّس وقد حجبه الضبابُ وخفقت فيه مشاعل الانبياء ...

ان العقل الراجح ليعجز عن ترجمة اللهيب المقدس . . وان الخيال ليقف حائراً مشدوهاً أمام تفسير هاتين اللفظتين وإن كا يجد فيهما العقل والخيال ألفة قد تصل فى بعض الاحيان الى حدود المعرفة القوية وآصرة الصداقة والخلطة . لكن هذه المعرفة والصداقة مبهمة .. مبهمة لأنها انتقلت من المجال الكامن الى اللاشعور قبل أن تنضج فى حيز الشعور المطلق القوىّ .

ونقرأ أيضاً للدكتور الشاعر فى قصيدته أغنية البرتقال :

عشقتْ عصيرَ البرتقال فذهبتْ بعصيره النارىَّ من شفتيْهـا
ومصصتُ أخرى بعد أن جادت بها فاستفتُ حـلوَ غرامها بيديْهـا

حتى إذا لم تَبقَ منها نفحةٌ وظللتُ كالظمآنِ عاد إليْهـا
الى آخر الابيات ...

فنجد الابهام الرمزى موجوداً هنا فى « النارىّ » وأى نعيم نارى يلتمسه القلب الحران فى ظلال هذه الجنة المتأججة ، ولكن هى جنة العشاق والنار فيها نعيم يوعد به العاشقون ولو أنزل الرحمن قرآناً على أهل القطبين لوعدهم بالنـار نعيماً يشفون به صبارة البرد !

ونجد ذلك أيضاً فى شعر فيلسوف الهنـد العظيم رابندرانات تاغور فى كتابه (هدية العشاق) إذ يقول فى وصف الصمت : « السكون المشمس » .

والآن نسائل أنفسنا متى كان للعدم المطلق لونٌ ؟ ومتى كان لعـالم الأرواح الشفاف قالب يقيد كيانه ووجوده ؟ هذه صورة أيضاً لا يقبلها العقل ولا يرضاها الواقع ، ولكن يعود فيقبلها العقل ويرضاها الواقع ثانية فاننا عنـد ما نجلس فى بستان هادىء ساكن رأدَ الضحى ترتسم فى عقولنـا صور متفاوتة لهـذه الساعة التى مرت بنا ، فاذا ما استعرضنا صورة ملازمة لهذا السكون وهو الشمس فلم لا يكون السكون إذن مشمساً ؟ !

ولكن هل هذا يكفى لتعليـل ما نشعر به من الاحساس الغريب عنـد ما نقرأ لفظة « السكون المشمس » . . كلا . . فان هناك معنى أبعد وأعمق من ذلك وتكون هذه الألفاظ ابهاماً رمزياً لهذا المبهم العميق .

وتظهر هذه الفكرة السامية فى قصيدة للشاعر جميل يقول فيها :

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد لها مَثلا فى سائر الناس يوصف

فمنهن حب للحبيب ورحمة بمعرفتى منه بما يتكلف

ومنهن ألا يعرض الدهر ذكرها على القلب إلا كادت النفس تتلف

وحب بدا بالجسم واللون ظاهر وحب لدى نفسى من الروح ألطف

ولكن هل هذه الأنواع من الحب هى التى يقصدها الشاعر أم أنه ضاق ذرعاً عن ايضاحها فاكتفى بهذه التفسيرات المعقولة ؟ إنه يحس بشىء آخر أبعد مما يقصده ونحن أيضا نحس بذلك ؛ ولكن لا يمكننا تفسير ذلك المعنى المبهم لصنوف الحب التى تختلج فى قلب وعقل المحب الفانى فى فكرته .

وهناك نوع آخر قريب من الابهام الرمزى وهو مألوف شائع تشترك فيه الاحساسات والعواطف وترتاح اليه فى شىء من الهدوء والقناعة وتشارك الشاعر فيه فى شىء من الوفاق والتآلف وهو جمال سهل صادق يقدره العقل بالنسبة للنوع الأول كما نقدر العاطفة بجانب العقل . من أمثلة هذا النوع قول قيس :

وإن تك ليلى قد أتى دون قربها حجابٌ منيعٌ ما اليه سبيل

فإن نسيم الجو يجمع بيننا ونبصر قرن الشمس حين تزول

وأرواحنا بالليل فى الحى تلتقى ونعلم أناً بالنهار نقيل

وتجمعنا الارض القرار وفوقنا سماء نرى فيها النجوم تجول

فهذه عاطفة خفية يحسّ بها كل عاشق .

ونعد القراء أننا سنتناول فيما بعد شيئاً عن : (١) جمال الايحاء أو الحصر (٢) جمال موسيقى الاوزان (٣) جمال سحر الالفاظ ؟

م . ع . الهمشرى

توارد الخواطـــر

— ٣ —

وقف عند حافة الدنيا شاعر التهى وقد علت ضجات الكون الخاوية ، فاشتغلت بها العقول العاميـة : العقول الضحلة بمعدها عن التفكير العلمى وقصورها عن الفلسفة الثائرة الحية واطمئنانها الى العمى الحيوانى الذى لا يحسُّ الا بما يجرى فى مريئه ولا يقوم احساسها الا كما يقوم احساس الحيوان على ملابسات عيشه الأدنى .

وقف الشاعر فلم يبلغ أذنه من تلك الضجات عزفٌ نئيمٌ ولا ركزٌ خفيضٌ وصمت صماته الرهيب وقد انبعث خياله وراء أفق الفكر الانسانى انبعاث الحمائم البيض توغل فى الجواء .

ثم تحركت فى يديه أوتار القيثارة الالـهية . . . فقال :

ويا منهلَ الحسن الذى أنا حائمٌ ... عليه ولم أرو الغليـل الذى بيا
ويا واحة العيش الجـديب أحبه ... على جدبه لو أن فيك مقاميا !
لقد جبت هذا العيش والعيش بلقع ... وأبت وما أعقبت الا كلاليـا
وأبصرت فيك الماء كالخمر سلسلا ... وأبصرت فيك الغصن فينان زاهيا
وأبصرت أثماراً هنـاك وموردا ... لذيذاً فلم أملك علىَّ طماحيـا
فقلت لقلبى انما العيش فى الهوى ... ولا عيش الا أن تنال الأمانيـا
وما أحسب النفس اللجوج شفاؤها ... من العيش ما يدنو وإن كان شافيا
فمن لى بماء الخلد أروى به الصدا ... فما الخلد الا نجعتى وشفائيا
وما العيش الا مطلباً بعد مطلب ... فكيف أرى فى العيش جذلان راضيا
ولو كنت رباً نافذ الأمر قادراً ... لاعطيت نفسى سؤلها وعباديا
حبيبيَ لا والله ما الكفر شائقى ... ولكن قول النفس ياليت ذا ليا !
جنون الامانى فيك أحلى من الحجى ... ألذُّ الأمانى ما يجنّ فؤاديا !

هـذه نغمات قلب يرى الجمال بعين الشاعر التى ترى كل شىء ، ولـكنه ينكص عن الجمال محروماً أو مصرداً نـكوص الانسان فى انسانيته العاجزة عن كل شىء .

هذه قصيدة « جنون الأمانى » لعبد الرحمن شكرى .

ولما أخذ العقاد هذه القصيـدة لينظمها من جـديد — وهو يأخذ قصائد شكرى لمبرر من المبررات المحزنة التى ارتجلها له الاديب الرقيق القلب حسن فرحات فى العدد التاسع من (أبولو) — ارتأى العقاد ان يغير فيها تغييرين :

(١) العنوان ، إذ سمى قصيدته « الجحيم الجديدة » .

(٢) جعل هذه الامانى أمانى كل انسان .

فـكان هـذا هو الـكبوة التى تفلع اللب ، لان شكرى يصف حركات نفسه وذات ضميره ، فأخذ العقاد تلك الامانى فنسبها الى كل انسان وقال : ان كل انسان فى جحيم لانه يرى الحسن والسعادة والحب فلا يدرك منها اربه وان القلوب الوامقة تفنى على لظاها ويفنى الجمال .

يأخذ صمّة شكرى لقلبه وامانيه فى خلود الجمال والحب فيصف بهاسواد الناس وما أقل فى الناس من يصطلى من اجل ذلك مارج الجحيم ! وفوق ذلك فهـل كل الناس مصدود عن جنة الجمال يتهافت عليها فيرد ، وينشها حتى يتخدد لحمه ويسلّ عليه جسمه ويخترم الداء الدوىّ سحره ؟ !

أليس فى الناس تحت ظل الورد حبيب بين يدى حبيب ، فى غفـلة الزمان أو فى يقظته ؟ !

قال العقاد واضعاً قصيدة شكرى فى وزن آخر وقافيه أخرى :

أرصـــد الله للمحبين ناراً فى سماء الجـــال والالباب
أجـزل الطيبـات للنازليها وحماهم عن وردها المستطاب
ابن منع النعـيم وهو قريب منك لهو العذاب لا كالعذاب

ويصف هذا الجحيم بنفس ألفاظ شكرى :

شادهـــا مرمراً وفجّــر فيهـــا سلسبيلاً من خمـرة الارباب

(الى غير ذلك فليراجعه من أراد التطبيق خوف الاطالة)

وأخذ العقاد بقية وصفه من قصيدة أخـرى لشكرى اسمها « الفردوس » يصف

فيها الفردوس والحرمان وهو لباب قصيدة العقاد وحواشيها .

قال شكرى :

شريد اللب هامى الدمع عانى نبتْ عيناه عن زهر الجنان
ترتل حوله الأملاكُ آياً وطير الأيك تصدح بالأغانى
ونور الخلد وضّاء عليه ينير الزهر من حدق الحسان
تظلّ النفس منه فى ربيع مذاع العطر محمود الزمان
تظلّ النفس تمرح فى رباه وتبصر حولها حلمَ الأمانى

ويقول العقاد :

وبناها على النجوم وغشّاها بوشى السنا وريق الشباب
أجزل الطيبات للنازليها وحماها عن وردها المستطاب
ان منع النعيم وهو قريبٌ منك لهو العذاب لا كالعذاب
هذه جنة المحبين لاذوا من ذراها بجنة للعقاب
من شعور الملاح حيّاتها السو د ، وأقواسها من الاهداب
وتولى فيها عذاب المحبين (م) بلاغ المنى من الأحباب

وهو بنصه قول شكرى عن الحرمان :

بأية شقوة قد رعت حتى فؤادك ليس ينعم بالأمانى !
يظل الناس حولك فى نعيم وقلبك كالكليم من الطعان
فيا بؤساً ، ويا تعساً لصبٍّ شقىٍّ فى الفرادس والجنان !
دماؤك فى العروق لها لهيب كأن دماك ريقة أفعوان
تمدّ إلى وجوه القوم لحظاً وتنشد صنو نفسك والجنان [1]
وليس الخلد إلا قرب خل جميل النفس محمود العيان

ذكر العقاد ذلك أيضاً فى قصيدته مع الاختلاف الذى أشرت اليه وهو تعميم

(١) الجنان : الفؤاد

الوصف ونسبة تلك الامانى إلى الناس جميعاً بينما شكرى يصف نفسه . ثم عاد العقاد يقول مثله :

فإذا أضرم الجوى قلب خلٍّ وتهادى شوقاً على الاكواب
قيل هذا للوصف لا للتعاطى ولسكب النفوس لا لانسكاب
أيها العارفون هـذا جزاء ساقه الله للقـلوب الصوابى
جنة يهرع البعيـد اليهـا ويودّ المقيم بابَ المآب

وبعد قصيدة شكرى قصيدة أخرى اسمها « حلم بالفردوس » وهى طويلة غزيرة المعانى عميقة الاحساس يصل فيها الشاعر باحساسه إلى ما اثبته العلم بالتحقيق . يشير فيها إلى أن جنون الانسان بالفراديس ليس غير حنين الغرائز الانسانيـة الموؤودة ، الى العصر الذى كان يعيش فيه الانسان فى الغاب . وقد اقتصر العقاد منها على الحباب دون الغمر فأخذ من وصف الجنان والحسرة على فواتها ، وهذه القصيدة وحدها تتضمن كل ما فى قصيدة العقاد .

قال شـكرى :

فيا حُلمَ الفردوس حبك ذكرة لأيامِ عيشٍ فى الجنان وسامِ
ورثنـا ولوعاً بالنعيم وطيبه وعيش قـديم قـد مضى بسلام
ورثنا بنى حواء شوقاً وحسرة فأنفسنا مما تروم دوامى
وكل مرام نرتجيـه تذكر لعهد جنان قد مضى ومرام
أكاد أرى الفردوس خضراً غصونه فليت مقاماً فى الجنـان مقامى
وأبصر فيها الضوء لا ضوء مثله له بهجة فى زهرها المتسامى
واسمع فيها الطـير تشدو فأنثنى وقلبىَ من ذكر الفرادس دامى
فآوى الى عهـدٍ مضى ثم أنثنى الى مقبـل من دهرنا المـترامى
وكل جمال يسحر القلب طيبه فيا ليت أوراق النعيم خيـامى
سراب طماح المرء فى غـير كنهه وما هو الا مثـل حـلم نيـام

لعمرى هذا هو الشعر العالى !

وبعد قصيدة العقـادُ تلك قصيدتان فى الرثاء مأخوذتان من شعر شوقى أترك النظر فيهما لمن يعنى بذلك ، ورثاء شوقى غرير حيثما نظرت فيه وجدت مآخذ العقاد

منه . ولعل العقاد معذور فى هذا التأثر كما قال الاديب حسن فرحات ، ولكن فى هذا وحده .

ثم تأتي قصيدة العقاد « خذوا دنيا كم » يقول فيها :

ربيـــع رياضنـــا ولى أمن أعطافك النَّشرُ ؟

شذى زهرٍ ولا زهرٌ فأين الظـلُّ والنهرُ

وأنظر لا أرى بدراً أأنت الليـلةَ البـدرُ ؟

نعم أنت الرحيق لنـا وأنت النـورُ والعطرُ

ولها عشرات المآخذ من شعر شكرى كقوله (جزء ٧ ص ٥٣) :

وكيف أصيب لى منجى وأنت النفس والقدرُ ؟

ومنها : أغرك مقول المتبو ل : أنت الشمس والقمرُ ؟

اذا ما لجَّ بى وَلهٌ فترب بقيعةٍ دُرَرُ

ومنها : يقنتك غير من أبغى وانت السمعُ والبصرُ

ولو انى حسبتكم جلاكم حامىَ العطرُ

ومأخوذة أيضاً من قول شكرى (جزء ٤ ص ١٧) :

وأبصرت فيك الماء كالخمر سلسلا وأبصرت فيك الغصن فينان زاهيا

وأبصرت أثماراً هناك ومورداً لذيذاً فلم أملك علىَّ طماحيا

ومن قوله (جزء ١ ص ٥٦) :

زارنا والليل منبسط فرأينا طلعةَ الشمسِ

وبعد ذلك قصيدة العقاد « البحر والحياة » وقد سبقت الاشارة الى مطلعها وهو قوله :

لبيك يا بحرُ من داع نطوف به ظمأى فنروىَ ولم تعذب مساقيهِ

وهو من قول شكرى :

إن لم أنل منه ما أروى الغليلَ به قد يحمــد المرءُ ماءً ليس يرويهِ

ويقول العقاد :

وانت تكبرنا طوراً وتصغرنا مَن يكبرْ العيش يصغرْ من دواعيهِ

هكذا ورد البيت بحيث لا يفسره سابقه ولا تاليه ... وكيف يكبرنا البحر وكيف يصغرنا ؟ لست أدرى ! وكيف نصغر دواعى العيش؟... لست أدرى !

وبالرغم من أن العقاد شرح البيت فانى لم أفهم البيت ولا الشرح ولا فهم غيرى، غير ان الفاظ البيت بعينها وردت فى قصيدة شكرى « البحر والحياة » قال شكرى :

ويصغر فى مرآك عيش ابن يومه   ويكبر رأى معمل فيك سائرُ

إذن صدق الرافعى ، ومثله من يصدق ، فهو يقول : اذا التوى عليك بيت من أبيات العقاد فهو موضع ترجمة أو موضع نقل .

ثم يقول العقاد :

وفيك يا بحر عدل الموت «مطرد»   لكن عدلك عدل غير مكروه

استعار لفظة «مطرد» يشبه بها اطراد جبروت البحر باطراد موجه، وهو ممسوخ من قول شكرى فى قصيدة البحر أيضاً :

ويصطخب الآذىّ فيك كأنما اصـ   ـطخابك من حكم المنية ساخرُ

وأما البيت الذى هو واسطة العقد فى قصيدة العقاد وبيت القصيد ، ومن أجله سمّى القصيدة « البحر والحياة » فهو قوله :

يا بحرُ اذكرتنى بحر الحياة وما   يجيش مابين ماضيه وآتيهِ

وكل فكرة القصيدة تدور حول هذا البيت وتنبع منه وهو من قول شكرى فى قصيدة « الشلال » (ج ٧ ص ١٥) يخاطب البحر :

لك وقع الاقدار حتى لقد خلـ   ـتك رمزاً رمزته للقضاء

ومن قوله فى قصيدة « الحياة والبحر » :

خريرك يحكى صدحة الدهر صامتاً   كأنك دهر بالحوادث مائرُ

والفكرة مأخوذة أيضاً من شكرى من كتاب (الثمرات) المطبوع سنة ١٩١٦ من مقاله « على ظهر البحر » ص ٧٨ :

(والبحر كالنفس فإن للبحر أمواجاً وللنفس أشجاناً ، والبحر كالدهر فإن للدهر أمواجاً كأمواج البحر ، والبحر كالحياة فان البحر يفزع كما تفزع الحياة)

ويقول العقاد :

وكم قريب تفاديه ونسمعه اقصى الكواكب أدنى ما أدانيه

وهو من قول ابن الرومى :

هى فى العين وهى ابعد من نجـ ـم الثريا فهى القريب البعيدُ

وللعقاد مآخذ كثيرة جداً من ابن الرومى اغفلت ذكرها وتجدها فى كتاب «السفود» وهو من مفاكهات مصطفى صادق الرافعى .

وقال العقاد :

والبحر حىّ ولولا ذاك ما انطلقت فينا الحياة اذا عجت أواذيه

تقرأ هذا البيت فتشعر بان الرجل قال شيئاً طالما احسست به ولكنك لم توفق الى رسم ذلك الاحساس . وجمال البيت يرجع :

(١) الى نسبة الحياة للبحر

(٢) الى انه يبعث فينا العزمة والحياة والمضاء

فأما عن الأولى فقد قال شكرى يخاطب البحر :

أخفقٌ واعصارٌ ورجع وسورةٌ كأنك حىّ نابضُ القلب شاعرُ!

وأما الثانية فهى أيضاً من قوله فى قصيدة «الشلال» :

انت ايقظتنى وقد كنت وسنا نَ تخلتُ الأكوانَ طرّاً ردائى

هاتف فى خرير مائك قد أذكرنى عزمتى وماضى مضائى

انت مثل الشباب عزماً وبطشاً ووضاءٌ ، أحببْ به من وضاء

وبعد ذلك قصيدة العقاد «على شاطىء البحر» يقول فيها :

مضطرب المتن وترتيله اخلد من متن الرواسى الصلابْ

وهو من قول شكرى فى «الشلال» (ج ٧ ص ١٤) :

احسب الخلد مثل مائك ينها ر ونفسى فى مائه كالهباء

ثم مقطوعة العقاد «اين السعادة ؟» :

ياسائلى أين السعادة أين صفو العيش أينْ ؟

ان السعادة لن تراها فى الحياة بمقلتينْ

خُلقتْ لأربع أعين تخلو بها ولمهجتينْ
لك مقلتان ومهجة أترى السعادة شطرتينْ؟!

وهذه الفكرة مأخوذة بجملتها من شعر أمين بك ناصر الدين الشاعر السورى وله بها ولع شديد وقد أجادها وأحسن فيها مثل قوله فى قصيدة «الابتسام» التى نشرت بمجلة (الزهور) سنة ١٩١٣ :

هو نور ساطع لكنه بين قلبيْ عاشقين انقسما
فاذا ما العين بالعين التقت حاول الجزءان ان يلتئما
واذا الوجهان ضاءا فرحاً تمَّ للجزئين ان ينتظما

ولا شك ان لمقطوعة العقاد أصلا فى دواوين شكرى . غير انى لم أجد الجزء الثانى والثالث والسادس منها ، وكل ما أخذ العقاد التى اذكرها تقع فى نصف دواوين شكرى !

ثم تأتى قصيدة شكسبير للعقاد . فأحيل القارىء الى كتاب إمرسون (Representative Men) وفيه عن شكسبير مقال وافر نظم العقاد بعضه فى شكل قصيدة ا كذلك فعل فى كتاب فيكتور هيجو (وليام شكسبير) . وقد أشار العقاد الى بيت واحد مفرد بقوله : « هذا المعنى من إمرسون على ما أتذكر » !

وللعقاد مقال عن شكسبير فى كتابه (ساعات بين الكتب) مترجم كله عن امرسون على ما أتذكر !

وفى قصيدة شكسبير هذه بيت غير مقتبس من امرسون وهو قوله :

فرد من الناس لو شذَّ الوفاء به أهونت غدر جميع الناس بالذمم

وهو من قول شكرى (ج ٤ ص ٤٥) :

لولا خيانتكم ما خلت من شجن ان الفضائل من أحلام يقظان

ويختتم العقاد قصيدته بقوله :

مجاور الموت هل ألفيت فى يده بقية منك لم تقرأ ولم تشم

الى آخر هذه الفكرة المكرورة . وهنا أحيل القارىء الى مراثى شوقى التى اشتهرت بهذه المعانى كرثائه لجورجى زيدان ونقولا رزق الله وعشرات غيرهما . ثم

نرى بعد هذا قصيدة العقاد « القربان الضائع » وهى مأخوذة من شكرى بجملتها .
قال العقاد :

إله عرش الجمال ما بى يقصر عن وصفه خطابى
ما لضحاياى لا أراها لديك بالموضع المجاب
يأبى القرابين غاليات ويرفع البخس غير آب

وقال شكرى من قصيدة « قربان القلب » — (جزء ٧ ص ٥٩) :

لا تخجلن اذا علمت محبة تحكى الصلاة وتشبه القربانا

وقال أيضاً (جزء ٥ ص ١٧) :

راحة عيشى ونومى خصّا لقربانها النفيسُ

وقال أيضاً (ج ٥ ص ٢٢) :

فانت أنتَ اله الحسن كم سجدت لك النفوسُ ولباك المحبونا

وانى لالفت الادباء الى أننى أكتفى بامثلة قليلة من ديوان شكرى طلباً للايجاز مع ان الواقع انك تجد فيه عشرات المآخذ لكل معنى من معانى العقاد ، ومثال ذلك قصيدة العقاد « القريب البعيد — ص ١٥٩ » التى ذكرت لها عدة مآخذ . ولكن القارىء يجدغيرها لاسيما فى قصيدةشكرى «القريب البعيد» (ج ٤ص٣١) وكذلك ذكرت فى المقال السابق مآخذ قليلة لقصيدة العقاد :

روضتى ظللها الموت وظلتها الحياةُ
بين موت وحياة لا تضيق المهجاتُ

مع ان العقاد استعمل هذه الفكرة وطائل فيهـا فى مواضع عديدة من ديوانه ولها كذلك عدة مآخذ من شكرى . قال العقاد :

حياة لها حدٌّ ولا حدَّ للردى فليتَ المنايا والحياة تواليا
كما تتوالى يقظة النوم والكرى وتعقب انوار الصباح الدياجيا
اذن لتشوّقنا الحمام اشتياقنا الى النوم واشتقنا الحياة دواليا

وهى من قول شكرى (ج ٧ ص ٤٣) وزنا وقافية ومعنى :

حمدنا مهود النوم ان شابه الردى وان لم يرع بالحلم من كان كاريا
رزقنا فلم لا يرزق الدود بعدنا أليست فضول العيش خلقاً دواليا؟!

فياليت ان العيش يخلف ميتة دراكاً كما يطوى النهار اللياليا !

هذه قصيدة « الموت » وهى تقع فى قرابة ثمانين بيتاً ، وستدوم روعتها مادامت روعة الموت آخر الاباد ؟

رمزى مفتاح

*****

أدب الحرب

دراسات جديدة للادب المكشوف

للدعوة الى السلم

عرضت احدى دور السينما بالقاهرة فى أوائل هذا الموسم فيلم « الصلبان الخشبية» وهو مقتبس عن قصة للروائى الفرنسى « دولاند دور جليه » تكلم فيها باسهاب عن موقعة المارن المشهورة ، وندّد بالخسائر فى الارواح التى لحقت الشعوب ارضاء لمطامع الساسة ونزعاتهم . وقبل ذلك باسبوع ، عرضت رواية « الرجل الذى قتلته» لموريس روستان مؤلف «النسر الصغير» و«سيرانو دى برجراك» ،وهى لا تخرج فى مغزاها عن رواية «الصلبان الخشبية» سوى فى تأنيب الضمير الذى لحق أحد الجنود الفرنسية بعد قتله أحد أصدقائه من الجنود الالمان فى موقعة حربية ،وانتهازه فرصة الهدنة ليرحل الى ألمانيا ويبوح بهذا السر لاسرة الجندى القتيل حتى يخلص من عذاب نفسه وضميره .

فى هاتين القصتين لون جديد من التفكير ، أطلق عليه النقاد فى أوربا اسم «أدب الحرب » أو « أدب المستقبل » ، وهذا النوع المستحدث من الكتابة هو بلا شك احدى النتائج التى تمخضت عنها الحرب العالمية الاخيرة ، وتناولت ألواناً شتى من التفكير الحر والتجديد السريع، وهو لا يتعرض كما يفهم من الاسم الذى أطلق عليه لوصف الحروب والمعارك أو كيفية تعبئة الجيوش وفن قيادتها ، كلا وانما الغرض منه الدعاية للسلام ونشر فكرة عامة ضد الحرب باعتبارها جريمة ضد الانسانية، ومن

خلال تحليلنا لا سلوبه نراه يمتّ الى الادب الواقعى بصلة قوية .

ومن الكتاب الذين تزعموا هذا النوع من الادب واشتهروا به أريك ماريا الكاتب الالمانى ، مؤلف القصةالعالمية « كل شىء هادىء فى الميدان الغربى » والتى أثارت — لدى عرضها على الشاشة الفضية — إشكالا سياسياً بين الدول ، خاصة فى ألمانيا والنمسا، وقدّروا عدد النسخ التى بيعت من هذه القصة باكثر مما بيع من الانجيل منذ بدء طبعه . وقد وضع الكاتب الذى نحن بصدده عقب ذلك قصة « فى طريق



محمد امين حسونه

العودة » ظهرت فى العام السالف،واضطرمؤلفها بسببها الى هجر وطنه والالتجاء الى سويسرابعد تجنسه بالجنسية السويسرية ، وذلك لما لحقه من الانتقاد المر من الصحافة ومن الرأى العام الالمانى .

وقد وضع أخيراً البروفسور لامونت عضو مجلس الشيوخ عن جامعة بريتوريا ، كتاباً أطلق عليه اسم « الحرب والخمر والنساء » وكان قد اتخذ قبـل ذلك اسم

« سنت مندا » ، وقد طرد الاستاذ المذكور من وظيفته لأنه تحدث عن فظائع الحروب بشكل مروع يدعو إلى كراهية الشبان للتجنيد ، وسمعنا عن الروائي الانجليزي المعروف كربتون ماكنزي ، الذي أخرج أخيراً « ذكريات يونانية » ان الحكومة البريطانية قدمته للمحاكمة ، لان كتابه المذكور حوي نقداً مراً للقائمين بامر الحرب ونشر فيه وثائق سياسية سرية تؤيد دعايته ضد الحرب ، حصل عليها وقت أن كان موظفاً بادارة المخابرات العسكرية البريطانية خلال الحرب الأخيرة . وما نظن القراء قد بعدت عن أذهانهم حكاية فيكتور مرغريت الروائي المشهور الذى طرد من عضوية مجلس الشيوخ وحُرِم وسام « جوقة الشرف » الفرنسي لانه تجرأ في روايته « لا جرسون » على كشف الحقائق البارزة في الخلق الفرنسي وتصوير نفسية وأفكار الفتاة العصرية عقب الحرب العظمى ، وكيفية استقلالها في آرائها ونزوعها إلى رغبات آثمة. كذلك شاهدنا مسرحيات اندريه دي لورو الكاتب المسرحي الذائع الصيت ، والذي أصبح ثقة يرجع اليه في درس أدب الحرب، رأينا المسرحيات التي أخرجها أخيراً تحوى هذا النوع من الكتابة ، حتى ان تريستان برنار قلده في روايته الأخيرة « ٢٤ ساعة في باريس » .

هؤلاء هم بلا شك زعماء هذا الأدب وأساطينه وأول من أخرج للناس صوراً صحيحة عنه ، وهناك بضع روايات قصصية صغيرة ظهرت باسلوب « أدب الحرب » نذكر منها « تاجر السيجار » لمؤلفها جلبرت فرنكاو ، وهو كاتب امريكي تحامل فيها على الالمان ورماهم بالوحشية ووصف فوزهم في بعض المواقع بأنه كان في صورة تشمئز منها الانسانية . ورواية « الجنود الثلاثة » وهي لمؤلف أسباني لم يشأ أن يذكر اسمه ، و « طيور الحرب » لطيار امريكي، و« المعركة السرية » لكاتب اسمه مترام ، جرى مؤلفوها في الدعوة ضد الحرب باعتبارها جريمة انسانية .

ويظهر أن الكاتب الاشتراكي المعروف برنارد شو تأثر بهذا النوع من الأدب ، فقد طالعنا في أحد أعداد التيمس الأسبوعية انه وضع مسرحية أطلق عليها اسم « أصدق الخبر » ، وقد عُرضت أخيراً على أحد مسارح وارسو ببولندا ، فكانت سبباً في منع عرضها ثانية وطُرد مراقب الروايات المسرحية من

وظيفته لسماحه بتمثيلها ولانها تحمل دعاية سيئة عن الحرب . ومن المعروف أن السياسة البولندية الآن لا تقر هذه الفكرة البغيضة إلى قلوب الزعماء هناك ، وقد سبق لهذه المسرحية أن عرضت فى الولايات المتحدة ، فلاقت نجاحاً مطرداً ووضعها النقاد المسرحيون هناك فى الصف الاول .

ولما ذهب مندوب « الديلى هرالد » إلى برنارد شو ، يستوضحه عما حدث بشأن روايته « أصدق الخبر » فى بولندا وعن موقف مراقب الروايات المسرحية هناك أجابه : « انه مراقب نافع ، لان الرواية أرسلت إلى إدارة المطبوعات لاقرار ترجمتها ، ويظهر انها اعجبت المراقب هناك ، فأمر أحد مسارح وارسو بتمثيلها فى الحال ، مما اضطر مجلس الوزراء الى الانعقاد وحذفه الجزء المتعلق فيها بمناوأة الحرب . ولكنى عارضت فى هذا معارضة شديدة ، لأن حذف هذا العنصر المهم فى الرواية معناه بترها من أصلها » .

* * *

ومما نذكره هنا أن بعض الشعراء والأدباء الاولين حوت آثارهم الأدبية الشيء الكثير عن أدب الحرب : فهوميروس خلد حرب طروادة فى الالياذة ، وتولستوي تحدث عن فظائع حرب القرم فى روايته « الحرب والسلام » بعد أن شاهد هذه الحرب بنفسه وسجل وقائعها ، ودواوين الشعر الجاهلى فى الادب العربى حافلة بالكثير من الأشعار التى تصف حروب القبائل وأهوالها كحرب البسوس والوقائع التى اشترك فيها عنترة وسجلها فى أشعاره الحماسية .

على أن ما ندهش له حقاً ان حروب نابليون التى هزت العروش والتيجان فى أوروبا وأقلقت العالم فترة طويلة لم تجد من الكتاب والشعراء من تصدّى لوصفها غير ما ظهر لكارليل وهيجو وهو تافه صغير ، وأما شيللى وبيرون وسكوت وغيرهم من أعلام الأدب فى أوروبا وممن عاشوا فى هذه الفترة فلم نسمع انهم تأثروا بحروب نابليون وأخرجوا للعالم ثماراً أدبية رائعة من ايحائها ....

ولنعدْ الى التحدث عن الميزة التى اتصف بها « أدب الحرب » — سواء شعراً أو نثراً — لنقول إن أبرزها تصويره شناعة الحروب وحياة الجنود الخاصة فى المعسكرات، وما يكتنف هذه الحياة من رغبات قد نستبعدها نحن أبناء السلام !

وفى انتشار هذا الادب الصريح بهاته الصورة الحقيقيــة العارية ، المجردة من كل زخرف وتــكلف ، سبب قوى من أسباب تبغيض الشعوب فى الحروب ، وقتل روح الحمية فى نفوس الافراد والجماعات ، لانه مطبوع بطابع خاص من صور بغيضــة للجهاد ، هذا فضلا عن انه من أخطر الدعايات للشباب فى امتشاق الحسام وخوض ساحات الوغى والقتال !

ويمكننا أن نحكم أن هذا الادب قد استمدَّ روحه وأسلوبه من :

١ ــ الأدب الواقعى الذى يصوِّر الحياة الحقيقية دون زخرفة ولا تهذيب .

٢ ــ الأدب الروسى — خاصةً القصصى منه — والذي أصبح زعماء الواقعيين يحاولون جدهم الوصول اليه ومحاكاته والتمشى مع نواحيه المفروضة .

٣ ــ روح الحرية التى تغلغلت فى الادب الفرنسى وطبعتــه بطابع خاص من « الادب الاباحى » أو الادب الصريح . وما إقدام بعض الـكتاب فى فرنسا (أمثال فيكتور مرغريت) على اخراج « لاجرسون » وأشباهها الا أثر عميق من آثار الحرية القلمية التى ترتع أوربا فى أحضانها اليوم ، والتى تمخضت عن الحرب العظمى ، وجعلتها تصور حياة الافراد والجماعات بما فى أوضارها من إباحيات وشواذ .

* * *

كذلك كان « ادب الحرب » — شعراً ونثراً — وكان اثره الشديد فى تنفير الناس من الحروب ونتائجها المخيفة ، ولانه عمد الى ادق وتر حساس وهو تصوير حياة العسكرية الخفية وصفاً مسهباً .

ولندلّ على شدة تعلق الناس بهذا الادب وانتشاره نقول ان كتاب « كل شىء هادىء فى الميدان الغربى » طبع منه للآن بعشرات اللغات المختلفة ملايين صوّر النسخ وقد حوى هذا الـكتاب من اثار الحروب وويلاتها ما تقشعرّ له الابدان ، وكيف انها اصبحت سبباً فى فناء الشعوب والجماعات وهذا كله نتيجة خلاف تافه يقوم بين اثنين من ساسة دولتين مختلفتين ، وارضاءً لمطامعهما ونزعاتهما الاستعمارية .

ولهذا الادب اليوم أنصار عديدون يرحبون به عن طيبة خاطر ، ويدعون اليه جهد

طاقتهم ، لانه اصبح أداة فعالة فى تقويض اركان الحروب ، ولانه سلاح ماض يشهرونه فى وجوه الذين تستهويهم اراقة الدماء وافناء المال والبنين .

على ان السؤال الذى يدور بخلد أساطينه ومروّجى فكرته اليوم هو :

هل يؤدى هذا النوع من الكتابة والشعر رسالته كاملة غير منقوصة فيحقق الآمال المعقودة على لوائه وهى . . . السلام ؟

هذا ما سوف نرى ، ولعلّ الغد يأتينا بشىء جديد !

محمد امين حسونه

الوطنية فى الشعر

قرأتُ ما نشرته (أبولو) عن ذكرى المرحوم حافظ ابراهيم فى العدد الأخير (صفحة ١٠٧٨) فأكبرتُ هذا الوفاء العالى . وكان يُشاع ان وزارة المعارف تعارض فى إحياء ذكرى شاعرنا الكبير ، ومثل هذه الاشاعة لاتخرج عن دائرة السخافة والاستغلال السياسى ضد الحكومة الحاضرة أو ضدّ وزير المعارف. وانى شخصياً لست من أشياع هذه الحكومة ولكن الأدب بمعزل عن كل ذلك. والحق يقال إنّ عطف وزير المعارف الحاضر على الشعر والشعراء لم يسبق له نظير حتى ولا فى عهد المرحوم على مبارك باشا . وغايةُ الأمر انّ وزارة المعارف أحلّت شوقى فى منزلة العبقرية التى يستأهلها ، وليس معنى ذلك أنها لاتقدر نبوغ حافظ وفضله الكبير على الشعر العربى . ومع الاعتراف بأن لحافظ قليلاً من الشعر السياسى الذى لاترتاح اليه الحكومة الحاضرة فمعظم شعره قومى عام ورجال السياسة لاينظرون إلى الشعراء هذه النظرة الضيقة بل يعترفون لهم بالحرية الفنية المطلقة ، ويرفعونهم فوق القيود المألوفة . وانى أكتب هذه السطور وأمامى ديوان « الشعلة » لأبى شادى فأعجب لشجاعته الأدبية فى قصائده الوطنية الخالدة المتأجّجة اللّهب ، المتسامية فوق الاعتبارات الشخصية والحزبية ، وقد أعجبتنى بصفة خاصة أربع قصائد له : الأولى قصيدة «الشعلة» فى مستهلّ الديوان (ص ١١) وفيها يقول :

فأمّا وماضى المجدِ أصبح صورةً ... وماتت كما مُتنا السيوفُ الصّوارمُ

فهل يخذلُ القوّادُ حتى بحبّهمْ ... ذويهم؟ وهل دونَ التآخى الدعائمُ؟

لخيرٌ لنا أن نغتدى دونَ قائدٍ … مِنَ الحربِ كلٌّ فى ردِ اهِ ايُساهمِ
وما أنا مَنْ يَنْسَى لهم فضلَ ما مَضَى … ولا أنا مَنْ يَنْسَى الذى هو قادمُ
ولكنما هذا التطاحنُ هوَّةٌ … تَرَدَّوْا بها ، فالغانمُ اليومَ غارمُ

وفى هذه القصيدة تَتَجَلَّى الروحُ القومية الصادقة وإنْ كانت مشوبةً بالتحسُّر على ما نُكِبَتْ به مصر من جراء التطاحن الحزبى الذى لا يتفق وأحوالها الخاصة .

والثانية قصيدة « الوصايا المنبوذة » (ص ٥٩) وقد نظمها لمناسبة مرور العام الأول على وفاة المغفور له سعد زغلول باشا ، ويقول فى مطلعها :

لم تَبْقَ من (سَعْدٍ) لمصرَ وَصيةٌ … الاّ تَهَاوَنَّا بحقِّ بقائها
العامُ مَرَّ ، فمرَّ بعد وفاتهِ … حُلْوُ الاخاء لمصر فى أبنائها
أسَفِى على الأعذار وهى كثيرةٌ … جَعلتْ مواطنَ دائها بدوائها
تُهَمٌ تُكالُ بلا حساب مُقْنِعٍ … للساكنين الخُلْدَ من شهدائها
كلٌّ ببالغ فى العداء لندّه … ماذا ترَى تركوا لدَى أعدائها ؟ !

والثالثة قصيدة « الزعامة » (ص ١٠٧) وقد وجَّهها الى دولة صدقى باشا معاتباً لإصغاره من قدر الزعماء المعارضين ، وفيها يحثه على بذل مجهوده لاعادة الوحدة القومية ، إذ يقول :

إنَّ الزعامةَ للتداوُلِ دائماً … ومِنَ الرجاحةِ أن نُذيعَ صَلاحَها
يتراشق الزعماء ، لكنْ فى غدٍ … يتصالحون ويطلبون سَماحَها
فكن الجرىءَ وللمروءةِ صالحاً … وكنْ الزعيمَ مبدّداً أتراحَها
يتناوب الزّعماء فضلَ قيادةٍ … لكنْ تَضافرهمْ يُعِزّ سلاحَها
ليس التآلفُ غيرَ برءِ جراحِها … حين التَّحَزُّبُ يَستثيرُ جراحَها

وأمَّا الرابعة فقصيدة « البيئة الجانية » (ص ١١٧) وقد رفعها الشاعرُ الى دولة صدقى باشا « شاكياً من المحاربة العنيفة التى كان وجَّهها اليه بعض كبار ذوى النفوذ من أجل أعماله الثقافية العامة . والواقع انه لم يُعْرَفْ عن عَهدٍ للنور يُعانى فيه الادبُ والادباء الحلوكةَ العامة والاضطهادَ كما يعانون فى هذا العهد » على حد

تعبير الشاعر نفسه . وقد كان لهذه القصيدة وقعٌ قويٌّ فى الدوائر الادبية وفى وزارة المعارف بالذات ، وهى بمثابة دعاية قوية للأدب والأدباء وليست قصراً على شكاية الشاعر الخاصة ، وفيها يقول شاعرُنا بيته المشهور عن هذا البلد التَّعِس :

يُحارَبُ فيه العبقريةُ مثلما يُطارَدُ لصٌّ أو يُدَاسُ عَديمُ !

فى كل هذا الشعر تَـتَجلَّى روحٌ جبَّارةٌ متحفِّزةٌ لاتَـقبل الضيم لوطنها ولا لذاتها ، وتتعالى بشعر الوطنية عن نظم المأجورين المدَّاحين والهجائين من أذناب الأحزاب الذين يُسَـمّيهم أبوشادى « سماسرة الهوان » ويقول فيهم مناجياً وطنه:

ما لى وأطيافُ الربيع تَشوقنى أُشْجَى كما يُشْـجَى الغمامُ بموطنى
فيجىءُ حتى فى الربيع كأنه صُوَرُ الحدادِ لحزنِ ولحزنِ ؟!
وطنى ! نُـكِـبْتَ بـكل غرٍّ نافخٍ فى شُعلةِ الحقـدِ المدمِّرِ لا يَنِى
يتظاهرون وأنت وحدكَ غارمٌ وهُمُ الجُناةُ وإنْ عُدِدْتَ المُجْـتَـنِى
كُلٌّ يحقِّر نِـدَّهُ ، وكأنّمـا المجدُ أن يؤذى أخاه بمطعنِ
فاذا التعاونُ سُبَّةٌ وجريرةٌ واذا التنابذُ مثلُ داءٍ مزْمنِ
لولا سماسرةُ الهوان لمـا غدا هذا الهوانُ يَنالُ عزّةَ موطنى

ولا أنكر أن بعض الشعر الحزبى تبدو عليه سِمةُ الاخلاص ، ولـكنَّ معظمه نظمٌ ميتٌ لا روحَ فيه وقد تَسمَّمَ بالضغائن والاحقاد واتسم بالتـكلف المرذول. ومثل ذلك الهراء الصحفى لايجوز أن يُعدّ شعراً ، ولا غرابة اذا وُضعَ أصحابه فى موضع الزراية بهم ولم ينالوا شيئاً من الاحترام الذى يناله الشاعرُ القومىُّ المتسامى فوق الاعتبارات العرضيّـة الفانية. وهذا التسامى نجده فى وطنيّـات ولىّ الدين يكن وشوقى وحافظ وأبى شادى وغيرهم من الشعراء الذين نزَّهوا أنفسهم عن صغائر الحزبية من مَلقٍ وممالأةٍ وتحاملٍ وأنانيـةٍ ونحو ذلك من الصفات التى عانى ويعانى الشرقُ العربىُّ من بلاياها .

واذا كان عدد هؤلاء الشعراء الوطنيينُ بالمعنى الا كمل ضئيلاً ، فان آثارهم ليست كـذلك وهى بعيدة الأثر فى قومهم بل فى العالم العربى .

أنتقل بعد هذا الى مسألةٍ غريبة يروّج لها بعضُ المجددين من الشعراء وهى ان شعر الوطنية والاجتماع ليس من الفنّ فى شىء . وأغلبُ ظنى أن حكمهم هذا نتيجة السقوط الذى تدلَّى اليه الشعرُ العصرىُّ بعد اتخاذه أبواقاً رخيصة للاحزاب السياسية فهم معذورون بعضَ العذر إذا تأثروا فى أحكامهم بتلك الحالة المحزنة المخجلة .وأما شعرُ الوطنية والاجتماع الذى يتفجَّر منه الاخلاصُ وحرارةُ الشعور فلا يتعارض والجمال الفنىّ فى شىء ، وهذه قصيدة حافظ فى دنشواى من أخلد الشواهد على ذلك. وعلى هذا فالخير كلّ الخير أن نحرص على مناهل هذا الشعر الحىّ المهذّب ، وأن نفرّق بين الشعر السياسى المصطنع وشعر الوطنية الصادق ؟

محمد صبحى

أبولو فى الميزان

يعلم صديقى الدكتور ابو شادى محرر مجلة (أبولو) مدى ما أحمل له من مودة ومقدار ما أكنّ له من تقدير وما أرجو له من توفيق جزاءً وفاقاً لجهوده الوفير وانتاجه الشامل الكثير .

لهذا ما شككتُ لحظة فى أنه لن يؤول نقدى الذى أسوقه فى كلمتى هذه إلّا إلى الرغبة المشتركة فى التعاون والبحث ابتغاء الوصول إلى الحقيقة وإلا إلى أنى مدفوع برغبتى فى أن يكون انتاجُه موفقاً قدر ما هو كثير ومجهوده نافعاً مثل ما هو وفير.

وفى الحق انى لأجدنى مضطراً لأن أكاشف صديقى الدكتور أباشادى باشفاقى عليه مما يزعمه تجديداً فى الادب العربى أو فى الشعر العربى . نعم أنا مشفق عليه وعلى مجهوده الذى لو وجهه الى ناحيته الواجبة لكان أكثر فائدة أو أقرب الى الفائدة فى حين أنى لست بمشفق على الشعر العربى ولا على الادب العربى فهما بخير والحمد لله ، وسيظلان فى خير بعون الله رغم ما يحاوله المجددون أو أشباه المجددين .

ولست أكتم صديقى ابا شادى ولا المدرسة الحديثة الآخذة بمبادئه أوالآخذ هو بمبادئها أنى أصبحت وكثيرون مثلى لا نطيق هذه التيارات العنيفة القوية التى

يحاولون أن يوجّهوا بها الشعر العربي — وإلا فما هذه القصائد التي تبتدىء بقافية وتنتصف بقافية ثم تنتهي بقافية ؟ وهل نضبت اللغة عن أن تدرّ قوافي متحدة لقصيدة واحدة ؟ وما شأننا نحن في أن يعجز الشاعر عن أن تنساق له القافية الواحدة في القصيدة الواحدة فيلهو بالقوافي ثم يعبث ثم يريد أن يحملنا في النهاية لا على أن نصدق أن هذا عجز منه بل على انه تجديد ؟ — وماذا يضرّ ؟ أليس الشعر الانجليزي كذلك غير مقيد بقافية ؟ وما القافية والتمسك بها ؟ وما هذا القديم والتعلق به ؟

هم اليوم لا يتمسكون بالقوافي ، وأخشى أن يجيء اليوم الذي لا يتمسكون فيه بالاوزان ، بل انهم ليرسلون القصيدة الواحدة من أوزان متعددة ، بل انهم ليكتبون القصائد الطويلة في أية ناحية من نواحي الشعر بالقوافي المزدوجة .

أرجو أن أعتذر عن نفسي وعن جمهرة كبيرة من قراء اللغة العربيـة عن فهم ما تذهبون اليه مما تسمونه تجديداً ونحن نحسبه نسخاً للأدب العربي والشعر العربي على السواء .

إن الشعر في أبسط تعاريفه كلام موزون مقفى ، فان فقد الوزن والقافية فلا أسميه شعراً ، ولو دققتم عنقي . إنني لا أدين بما تكتبون من هذا الكلام أو هذا الشعر «الفرانكو — آراب» وإنني لا أستطيع أن أميزه أو استسيغه أو أوافقكم على انه شعر .

وقد أفهم أن تعبث دينا ليسكا « بريمونا » فتنحت ألفاظاً من اللغة العاميـة وتكسبها هذه الموسيقى الافرنجية ، وان بديعة مصابني هي الاخرى تلبس بعض الكلام العامي ثوب الوزن الافرنجي ، فما عليهما عتب ولا ملام . ولكنني لا أفهم الشعر العربي بجلاله وروعته ومجده وعظمته يراد به أن يتخلى عن موسيقاه بل عن شكله وعن أخصّ خصائصه .

ثم ما هذا الشعر المنثور ولماذا لا يكون النثر المشعور ؟ !

الحق ان هذا كثير ، وانكم تحت شعار التجديد تريدون أن تمزقوا كل قاعدة وتهتكوا كل تقليد ، وإلا فهل أعجزتكم اللغة كلها عن أن تجدوا اسماً لمجلتكم فسميتموها « ابولو » ؟ وهل من ضرورات الثقافة الاوربية أن نحيد عن كل ما هو شرقي أو عربي أو مصري ؟ وهل من الذوق أن نعبث بالذوق العربي كلّ عبث فنرسل قصائد الرثاء في قوافي مزدوجة والقصائد القصصية لا في قوافي مرسلة فحسب بل في أوزان مرسلة أيضاً ؟ إنني لا أزال أخشى أن يقترب اليوم الذي تدفعوننا فيه الى أن لا نكترث بالاوزان اكتراثاً .

إن للتجديد لحداً وللخروج على القديم لحداً وللاستحداث لحدّاً ، وان الاصل فى ذلك كله أن لا نخرج على الاصل ولا نتحلل من الشكل .

جدّدوا من المعانى ما استطعتم ، وأدخلوا من الخيال ماشئتم ، واعنوا باللفظ السلس الموسيقى ما أردتم ، وجانبوا حوشىّ الكلام ما قدرلكم ، ولكن لتحافظوا على الاصل دائماً ولتحترموا الشكل فى كل حال .

ثم ما هذه المعانى التى تريدوننا أن نكون معكم وقت التفكير فيها لنفهمها وإلا كنا فى نظركم حانقين على التجديد والمجددين ؟ وما هذه الألفاظ والقوافى التى تلقون بها فى أشعاركم لتسدّ فراغاً قدرت أن تسده أو لم تقدر وتؤدى معنى أتيح لها أن تؤديه أولم يتح، فان لم نفهمها أولم نرتح لها كنا فى نظركم محافظين رجعيين،ولماذا لا تكونون أنتم المقصرين العاجزين ؟ ثم ما هذا الاكثار ، وما هذه الاشعار المترجمة أو التى تبدو كالمترجمة ، فان دللنا كم على ذلك كنا فى نظركم عائقين معطلين أو متأخرين ناكصين ، كأنا قد تعلمنا فى الكتاتيب وأنتم تعلمتم فى جامعات السماء ؟!

إن الشعر فى نظرى ونظر الذين يتذوقونه أو يسمعون عنه مجموعة من معانٍ وديباجة فى أوزانٍ وقوافٍ . هذه عناصره فليأخذ بها من أراد أن نعترف به شاعراً ، فان تخلف عن عنصر منها كان عاجزاً عنه دون أن نكون نحن العاجزين عن فهمه و تقديره أو مجاراته على السواء .

هذه يا عزيزى أبا شادى عجالة أكتبها مخلصاً للشعر ولك ، راغبا فى أن يكون انتاجك ومجهودك موفقين قدر ما أراهما وفيرين ، وإنى واثق أنك لن تحملها منى إلا على أحسن المقاصد وأبرئها ، فانت تعرف إعجابى بنشاطك ، ولا أكتمك أنى ترددت كثيراً فى أن أكتب لك فى هذا لولا أنك حفزتنى لان أكتبه بل طلبت منى أن أكتب ما أريد حينما التقيت بك أخيراً فى اجتماع موسم الشعر . فهاك ما كتبت لك أن تنشره ولك أن تعلق عليه ما شئت ، وللزمن والرأى العام أن يحكما على أيّنا أصلح رأياً وأقوم سبيلا ؟

حسن الحطيم

* * *

تعليق المحرر

يسرنا كلّ السرور أن نتلقّى هذا النقد من صديقنا الفاضل معبّراً عن رأيه

ورأى أصدقائه من اخواننا الشعراء المحافظين .

ويلوح لنا من مراجعته أنه محصور فى النقط الآتية :

(١) الاعتراض على تغيير القوافى وعلى التخلّى عنها وعلى مزج البحور .

(٢) الاعتراض على الشعر المترجم وعلى اذاعة المعانى الغربية النافرة عن ذوقنا العربى .

(٣) الاعتراض على الشعر المنثور .

(٤) اتهام الشعراء المجدّدين بالعجز .

ونحسب اننا تناولنا جميع هذه النقط بالدرس والتعليق عليها فى أعداد (أبولو) الماضية وقد تكلمنا من قبل عن الدافع الثقافى العام لاختيار اسم عالمى لهذه المجلة، فلا حاجة بنا إلى الردّ الطويل عليها فى هذا المقام ، وقد تكون لنا عودةٌ اليها فى المستقبل إذا ما قضت المناسبات بذلك لأن وقتنا الآن أضيق من أن يتسع لاكثر من السطور التالية إذ أننا تلقينا هذا النقد والمجلة على وشك الصدور .

(١) ليس الشعر هو الكلام الموزون المقفى حسب التعريف العربى القديم الذى يردّده صديقنا الفاضل ، وانما الشعر هو البيان لعاطفةٍ نفّاذةٍ إلى ما خلف مظاهر الحياة لاستكناه أسرارها والتعبير عنها . فاذا جاء هذا البيان منظوماً فهو شعرٌ منظومٌ ؛ وإذا جاء منثوراً فهو شعرٌ منثورٌ ، وجميع الآداب العالمية الناضجة تعترف بهذين القسمين للشعر وإن أعطت للشعر المنظوم الصدارة لجمعه بين بيان العاطفة وموسيقاها .

لا فائدة من التشبّث بتعريف محلىّ أو قومىٍّ للشعر بل يجب أن يكون التعريفُ الصحيحُ مستمَداً من أسمى ما بلغ اليه الفنُّ من تحليلٍ لروح الشعر ومعناه ومبناه . ومتى آمنّا بذلك أصبحت مسألة القافية وتنويع البحور ومَزْجها أمراً ثانوياً ، لأن الشاعر الناضج الشاعرية المتمكن من اللغة الصافى الطبع لا يجوز لنا أن نُلقى عليه دروساً فى كيفية استعمال القوافى والبحور فله من طبعه الشعرىّ خير ملهم ودليل، وان المعانى الشعرية هى التى تبحث عن ثوبها اللفظى وليس الثوب هو الذى ينبغى أن يسيطر عليها . ان الحرية جزءٌ أصيلٌ من الفن بل أساسٌ عظيمٌ له ، والتطوّر الفنى للشعر فى أمم شتى أظهر لنا أن هذه الحرية المهذَّبة تعطينا من روائع التعبير الشعرى ما لا تظهر به فى الشعر المقفّى والمقيَّد ببحر معين ، ولا سيما فى

مجال القصص والتمثيل حيث تمتزج المواهب الشعرية بالفطرة فى التعبير فيسمو الشعر فوق مظاهر الصناعة. وليس التوشيح والنظم المتعدد القوافى من القصيد القديم الا أمثلة لمحاولة التحرر لدى القدامى من العرب . فليس عجيباً ان ينزع الشعر العصرى إلى البساطة والطلاقة والتعلق بمثل أعلى فى التعبير بدل التعلق بأساليب اللغة والبيان والبديع لذاتها .

(٢) لا غرض لنا من نشر الشعر المترجَم سوى تطعيم أدبنا بآداب الامم الاخرى كما تفعل هى نفسها ذلك ، ولا ضرر علينا من هذا التلقيح الأدبى لأن نتيجته بقاء الصالح الملائم لجوّنا وبيئتنا فنحن نكسب على أى حال . ومن الخير لنا أن نقف على النظرات والخواطر الشعرية والبيان العاطفى لشعراء الأمم الأخرى . ومن كل ذلك تتشعب دراسات شتى مفيدة ، وتتداعَى الخواطر الشعرية فى نفوس شعرائنا .

(٣) الشعر المنثور ضرب من ضروب الشعر معترف به لدى جميع الامم الراقية ولا يمكننا أن نجحده ، وهو ليس مجرّداً من الموسيقى. ويَرتقبُ النُّقاد ممن يؤلف الشعر المنثور أن تكون شاعريته على درجة عظيمة من القوة بحيث تعوّضنا عن بعض التخلى عن الموسيقى فى بيانه . وعلى أى حال نحن لم ننشر سوى نماذج قليلة من هذا الشعر آخرها « طيف الربيع مع الشاعر » للآنسة جميلة محمد العلايلى ، وهى فيما نعلم أبرع من أجادوا وأجدن بيننا فى هذا الضرب من الشعر العصري وفى الواقع ان صور التعبير اذا كان فى أحد طرفيها الشعرُ المنظوم وفى الطرف الاخر الشعر المنثور (أو النثر الفنى كما ينعته صديقنا الدكتور طه حسين) فبينهما يقع الشعر الموزون المرسل ، والشعر الموزون الحر ، ثم الكلام الموزون (وهو ما يُنسب ظلماً الى الشعر) ، والكلام المنثور الدارج فى الجرائد والكتب ونحوها.

(٤) أما عن الاشفاق علينا فنقبله فى صورة واحدة وهى النقد الفنى لشعرنا كنقد ديوان « الشعلة» مثلاً بحرية فنية صادقة . وأما عن زملائنا المجددين وفى طليعتهم مطران وشكرى وناجى والشابى فاتهامهم بالعجز لا نقابله إلا بالابتسام فجميعهم مارسوا ضروب النظم ببراعة فائقة ولا نعرف شاعراً من المحافظين استطاع مثلاً ان يبرزلنا تحفة رائعة كقصيدة قلب راقصة أو العودة لناجى اللهم الا اذا عدّ صديقنا الحطيم القصيدة القفطانية لأخينا الهراوى (وقد أشار اليها الدكتور زكى مبارك فى «البلاغ» فى مضبطته الفنية لمجلس الشعراء) من روائع الادب التى يجوز لمجانبها أن

يشفق علينا . نحن لا نشفق على اخواننا المحافظين لانتاجهم الذي لا يتجاوز غالباً طبعات منوعة غير مصقولة للشعر القديم ، بل يؤلمنا أن أغلبيتهم العظمى غارقة الى أذقانها فى المحاكاة ولا تفهم حتى تعريف الشعر فضلاً عن التصوُّف بروحانيته ، وهم بعد ذلك يتغنون بواجباتهم المقدسة نحو إنهاض الشعر العربى ويحاربون بوسائل ومظاهر شتى مجهود (جمعية أبولو) . وان الزمن المطَّرد الذى يأبى الوقوف لكفيل بأن يحكم لنا أو علينا ويعلن أىُ الفريقين أجدر بالبقاء : مَنْ يقاومه ويصادم قوانين الحياة ، أو من يسايره ويتطلع إلى آفاق بعيدة من الحياة المتجدِّدة الروعة .





الحيــــاة

هاج النسيمُ العندليبَ فى السحرْ فهزّه الغرامُ وجداً فصفرْ
وغازلَ الوردَ على ضوء القمرْ وردّدَ الفضا صداه فاستمرْ
والماء غنى بخريره الشجرْ
وباتت الشمألُ ترقص الزَّهرْ

ياحبذا الالحانُ فى الاسحارِ من بلبلٍ شادٍ وماءٍ جارِ
ومن نسيمٍ مرَّ بالازهارِ تخاله يلعب بالاوتارِ
أمسى له فى كل دوحةٍ أثرْ
وكلُّ عودٍ فيه عودٌ ووترْ

مرّ النسيمُ العـذبُ والعيشُ حـلا والبلبلُ الشادى تلا ورتلا
وأذّن الديكُ بنا : حيّ على ...! والوقت قد طاب وساغت الطلى

فاغتنمْ الوقت وفزْ واقضِ الوطرْ
واجنِ من اللذة بالعيش الثمرْ

واختلط الفجرُ بضوء البدرِ إذِ الدرارى انتثرتْ كالدرّ
فى ليلةٍ ما خلتُها من عمـرى قتلتُها سكراً وأىّ سكرِ

وكل ما شاهدتُ فيها قد سكرْ
من حيوان ونبات وحجرْ

واستتر النجمُ إذِ الصبحُ بدا ومدّتْ الصبا الى الورد يدا
يمسح عن جبينه قطر الندى تنثر ذاك اللؤلؤَ المنضدا

فالطلُّ أنجمٌ إنْ النجمُ استترْ
والروضُ كالسماء زانه بالدُّرَرْ

والزهرُ الكؤوسُ والطـلُّ طـلى بين كرام الشرب باتت تُجتلَى
حتى إذا الورد بها قد ثملا عربد فى الروض النسيمُ واعتلى

فاصطكت الكؤوس والطل انتثرْ
وانسكب الشرابُ والجام انكسرْ

بينا الصَّبَا والروض فى وفاق تميل بالأغصان للعناق
تضمها من فرعها للساق تحكى الحبيبين لدى التلاق

اذا بريح صرصرٍ تُعمى البصرْ
أعقبها رعدٌ وبرقٌ ومطرْ

ما ابتسم الصباحُ حتى قطبا إذْ جاءت الريحُ تسوق السحبا
وبعـد ما الهزارُ غنّى طـربا صـاح الغـرابُ ناعباً مكتئبا

فأعقب السرورَ حزنٌ وضجرْ
وبان بعد صفوِ عيشها الكدرْ

كذا الحياةُ دأبها جزرٌ ومدّ تعاقبَ السرورُ فيها والكمدْ
فالعين إن قرت بها تلق الرمدْ وكلُّ شيء ينتهى الى أمدْ
والمرء لاينفكّ يحذر القدرْ
والموت لا يبقى غداً ولا يذرْ

طهران : ميرزا عباس خان الخليلى
(صاحب جريدة إقدام)



حيوان المرجان

هذه القطعة مقتبسة عن قطعة للشاعر الانجليزى منتغمرى ومن نظم المرحوم الدكتور يعقوب صروف ، وهى من أمتع الشعر العلمى المقتبس . ولكى يفهم الأدباء فيها تاماً ما فى هذه القطعة الفريدة من قوة الوصف وحسن السبك ودقة التعبير ، نأتى على مجمل الرأى العلمى فى تكوين المرجان . فحيوانات المرجانة تبنى بيوتها على جوانب الجزر حيث عمق الماء لا يزيد عن ثلاثين قامةً وترتفع رويداً رويداً إلى أن تبلغ وجه الماء ، فاذا أصيبت الجزر بحادث طبيعى فخسفتْ بها الارض كما تخسفه فى أماكن كثيرة بقى المرجان مرتفعاً لأنه يزيد بتكاثره ونموّه مقدار ما تخسف الأرض الى أن تغور الجزيرة كلها فيبقى المرجان حلقة مفرغة ويموت من داخل الحلقة وتتكسر هياكله وتصير رمالاً وتمتزج بما تلقيه عليها الأمواج من الاصداف

والاشنان والحجارة البركانية ، فتصير تربة صالحة لنمو النباتات فتأتيها بزوره محمولة على عاتق الأمواج . وقد يشتد عنف الأمواج فتتكسر بعض جوانب الحلقة وتصيّرها مرفأ أميناً للسفن . وما نراه جارياً الآن فى البحار كان جارياً فيها خلال العصور الجيولوجية الأولى فتكوّن جانب كبير من صخور الارض وجبالها من هياكل المرجان ولم تزل آثارها فى الصخور الى يومنا هذا . واليك الابيات :

ترى عجباً من كائن دأبه البنا ولم يبن غير الرمس بيتاً لنفسه
تراه إلى العلياء يطمح شاخصاً ويرقى اليها شاخصاً فوق رمسه
أنوفٌ من الأقوات، لكنّ قوته مُجَاجَةُ بحرٍ فى قرارة نفسه
فيبنى من الصلصال بيتاً عماده إلى القبّة الخضراء يسمو برأسه
تجمّعها من ذرة بعد ذرة كما جمّع الخطّاطُ أحرف طرسه
ويبسطها فوق البحار جزائراً لتقوى على سعد الزمان ونحسه
فتصدمها الأمواج صدمة فيلق ترى المجد مرسوماً على وجه ترسه
فيقطع أوصالاً ويبقر أبطناً ويهلك ابداناً بشدة بأسه
وتغدو به تلك الجزائرُ والرُّبى مرافئ فى كيد الزمان وبؤسه
ويلقى عليها الموجُ بزراً وتربة فتصبح روضاً قد تباهى بغرسه
فقل لى رعاك الله أى قبيلة تقاوى بنى المرجان أو بعض جنسه
وما عمل الانسان من كل أمة أعاريبه ، أقباطه ، بعد فُرْسه
وما كل ما أبقوا على الأرض جملة كآثار بوليبيغراء (١) وكلسه
هياكلهم أهرامهم ورؤوسهم كنقطة طرس خط من بحر نفسه

اسماعيل مظهر

البحارة

لشاعر الهند وفيلسوفها رابندرانات تاجور

هل سمعت ضوضاء الموت هناك ؟

(١) تعريب Polypegeral

هل وصل الى أذنك نداالاقد عَلَتْهُ قَعْقَعَةُ السحاب وتلاطم الامواج ؟

إنه نداء ربان السفينة فى بحارته :أن أديروا سكان[1] السفينة واجعلوها شطر الشاطىء المجهول !.. إن الوقت قد أسرع فمضى وقت الاستقرار والهدوء فى الميناء ...

هناك حيث تُشْتَرَى السلعة وتُبَاعُ فى أى مكان ، .. وبلا انتهاء . .

هناك حيث تدفع الأشياء البالية بالتعب وبالصدق فى صفاء !

« • »

أفاقوا لجأة مذعورين ، وقد استولى الوجل على القلوب ، وأخذوا يتساءلون :

« أيها الرفاق .. هل تعرفون كم هى الساعة الآن ؟ .. أما آن للفجر أن يبزغ . . ؟ »

لقد ساقت السحبُ أمامها النجوم فلم يَبْدُ منها بصيص .. وهل مَنْ يرى أصبعه وهو يشير ؟

« • »

إنهم يسرعون فى السير مهرولين ، وقد قبض كلٌّ على مجذافه بيده . . أما المخادع فأصبحت خالية جوفاء..والأمهات تصلى وتضرع الى الرحمن .. والزوجات قد اتخذن لهن أمكنة عند عتبة الدار .

لقد علا البكاء ، وأخذت زفرات الفراق تصعد إلى السماء ، وهناك أيضاً ربان السفينة ينادى:« هلموا يابحارة .. فالوقت قد أزف ، وبقاؤنا فى الميناء قد انتهى »

« • »

إن مكاره العالم ومساوئه قدطَفَتْ هناك على الشواطىء ، ومع ذلك فعليكم أيها البحارة أن تأخذوا أمكنتكم ، بينا أرواحكم قد خضعت للأسى هادئة مطمئنة ! . .

مَنْ تريدون أن تلوموا . . ؟!

طأطئوا الرؤوس ، وانظروا الى أقدامكم !

إن الذنب ذنبكم ..وذنبنا !.. فجبن الضعيف وانكماشه ،وعجرفة القوى وطغيانه.. الشره الى النجاح . . الحقد النامى فى نفوس المخطئين ، وتكبر بنى البشر وتعاليهم،

(١) - سكان السفينة : دفتها

والتسابُ الذى يلحق الانسان ليلَ نهار . . كل هـذه النقائص قد حالت أمنَ الاله وسلامه إلى جلبة وضجيج تلمحها فى ثوران الزوبعة !

« • »

وكما يكشف غلاف البذرة ساعة النضوج عما يخفيه .. فلندع العاصفة تحطم هذا الغشاء، وتعلن عن سويداء قلبها فى قعقعة الرعد وتجاوب صداه !

كفى غروراً بنفسك، وتفاخراً بنقائصك .. وبهدوء الساجد الخاشع لتـذهب إلى هذا الشاطىء المجهول !

« • »

لقد عرفنا الآثام وخبرنا الذنوب صباح مساء ، كما وعينا الموت أيضـاً وعرفناه . ان الآثام لتمر من فوق عالمنا هذا متخذة شكل السحب ، هازئة منا بهذه القهقهة التى ترسلها فى البرق الخاطف .

وفجأة ستقف السحب ، وعندئذ تبدو الآية للعيان . . وعندئذ يجب أن يقف الرجال قبالتها منادين : ! نحن لا نهابكِ أيتها الوحوش الـكاسرة ! . . لقد حيينا وكانت حياتنا من أجل مكافحتك ، والآن سنسلم أرواحنا ونحن فى يقـين من أن السلام حقيقة لا خيال ، وأن الطيب من الأعمال لا ريب فيه ولا خـداع ، وأن هناك واحداً لا يموت !

« • »

لو أن الحياة لا تتخذها مقرها عند قلب المنية

لو أن زهر الحـكمة لا تتفتح عن عمدٍ للحزن والألم

لو أن الخطيئة لا يخفت صوتها وتندثر عند إذاعتها وكشفها

لو أن التـكبر والعظمة لا يتـكسران تحت عبء الزخارف ...

إذاً مِنْ أينَ يأتى هذا الرجاء الذى يأخذ بهؤلاء الرجال من بيوتهـم ، وما أشبههم بنجوم أخذت فى الاختفاء وراء أشعة الصباح !

« • »

هل دم الشهداء ، ودموع الأمهات ستذهب هباءً فى ذرات هـذا الأديم ،

ولا يُعطَوْن الفردوس بهذا الثمن ... ؟

وعند ما تُمَزِّقُ عن الانسان حُجُبُ البشرية ، ألا يظهر له فى هذه اللحظة عالم اللانهاية ؟

محمد فريد طاهر

الشباب والشيخوخة

عن لورد بيرون

(لورد بيرون أو جورج جوردون هو الشاعر الارستقراطى العربيد ، المحدر من صلب أب عربيد وأم ملتاثة العقل بلهاء . فيجب أن نتمثل فى الذهن طبيعة هذا الخلق لندرك قول الشاعر فى القطعة المترجمة فيما بعد أن القليلين الذين يظلون يتشبثون بأهداب السعادة بعد ذبول زهرة العمر وخمود جمرة العاطفة هؤلاء الذين يأملون أن يسعدوا كما سعدوا فى الماضى يتساقون الى الاسفاف والتدلى الى حمأة الشهوات . فهذا المعنى هو فى الحقيقة صدى لما أصاب الشاعر وما انتهى اليه كل من أبيه وأمه . وهذا الشاعر الذى انكبّ على ملذاته انكباباً والذى شذ فى خلقه شذوذاً بعيداً فلم تعد تطيقه زوجه فزعمت أنه قاس وأنه مجنون وأبت العيش معه وأيدها فى إبائها الشعور العام فى ذلك العصر (حياة الشاعر من سنة ١٧٨٨ إلى ١٨٢٤) بل لم يعد يطيقه وطنه نفسه ففارقه فراقا لا أوبة له وخرج منه عام ١٨١٦ بقوله المأثور : إما أنه لا يصلح لبلاد الانجليز أو أنها لا تصلح له — هذا الشاعر هو الذى يقسم الناس فى كبرة السن شطرين : شطر اطمأن إلى النهاية المعروفة من التقاعد والخمول ، وشطر يجرى وراء سراب السعادة الماضية فيدرك السراب ، ولكن ما ظل السراب من الحقيقة ؟ — المترجم)

« ١ »

ليست هناك فرصة يمكن للدنيا أن تمنحها كتلك التى تسلبها
وعند ما تتلاشى بهجة الفكر فى ألفاف العواطف الخامدة
لا تسرع فى اختفائها فقط تلك النضرة البادية فوق وجنة الشباب البضة
ولكن وقبل أن يؤذن الشباب بالرحيل تذوى أيضاً زهرة القلب الغضة

وهؤلاء القليلون الذين تطفو أرواحهم فوق حطام السعادة

ينساقون فى وشل الذنوب ومحيط الرذائل

وقد فقدوا فى مجراهم ابرة البحر التى تهديهم أو أنها تشير عبثاً الى شاطىء لن تترامى اليه بعد أسمال شراعهم الممزق

فيهبط على نفوسهم برود الموت هبوط العدم

فلا تعود تهمها نكبات الغير ولن تجسر على الامل فى أن تحدب على نفسها ثم يتجمد هذا البرود الثقيل فوق ينابيع عبراتنا .

فاذا ظلت العين تحفظ بريقها فانه بريق الجمد البادى بها

واذا التمع الذكاء فاسترسلت الشفتان بسحر الحديث ونفّس الجذل عن الصدر

فى صميم الليل إذ لاتعود ساعاته تهبنا أمل الراحة الماضى

فما ذلك سوى أوراق اللبلاب تلتفّ حول البرج

فتبدو فى ظاهرها خضراء زاهية وهى فى باطنها مهدمة غبراء .

« • »

آه لو اننى يعاودنى شعورى الماضى أو لو اننى رجعت شخصى الاول أو لو اننى استطيع البكاء كما كنت أبكى منظراً بات فى ذمة الماضى ، فكما تكون الينابيع فى الصحراء حلوة عذبة وقد تكون فى حقيقتها آسنة نتنة كذلك تهمى لى تلك العبرات وسط صحراء الحياة الخرساء .

عبد المنعم دويدار



المهرجان السنوى

لجمعية أبولو

اجتمع مجلس (جمعية أبولو) برئاسة خليل مطران بك فى يوم ٢٤ مايو الماضى وقرر فيما قرّره إقامة المهرجان السنوى للجمعية فى فبراير المقبل على نحو ما أعلنّا فى

العدد الماضي (ص ١٠٧٧ — ١٠٧٨) ، على أن يُذاع هذا القرار منذ الآن على حضرات الشعراء في العالم العربي ليوافوا الجمعية بنفائس منظومهم في شتى فنون الشعر، وبما لديهم من دراسات متنوعة للشعر والشعراء، بحيث لايتأخر وصول ذلك إلى سكرتير الجمعية عن آخر ديسمبر سنة ١٩٣٣، حتى تتمكن الجمعية من تنظيم المهرجان التنظيم اللائق بالغاية الأدبية المنشودة منه . وسننشر تفاصيل اضافية عنه في الوقت الملائم .

موسم الشعر

كنا انتقدنا فكرة اقامة مهرجان للشعر في المولد النبوي وهي التي دعا اليها حضرة الشاعر الفاضل الحاج محمد الهراوي (ص ١٠٧٩ — ١٠٨٠) ولكن الاجتماع التمهيدي الذي عقده بعض الشعراء والادباء لهذه الغاية أنكر الفكرة كما أنكرناها وآثر بدلها اقامة موسم سنوي للشعر.

ولما عقد الاجتماع الثاني لهؤلاء الشعراء وغيرهم يوم ٢٦ مايو الماضي بدار لجنة التأليف والترجمة والنشر كان أول بحث المجتمعين حائماً حول ما اتضح لهم من القرار السابق لجمعية أبولو في نفس هذا الموضوع فاعتذر الشاعر الحاج محمد الهراوي بأنه لم يكن له علم به وأنكر الحاضرون فكرة تجاهل الجمعية وفضلها وخدماتها، وبناءً على اقتراح الشاعر الههياوي صدر قرارٌ من الاجتماع بدعوة (جمعية أبولو) للاشتراك فيه . وتبعاً لذلك وافق المدعوون من أعضاء (جمعية أبولو) على هذا التعاون ما دام لا يتعارض وخطة الجمعية .

ثم دار البحث حول تسمية الهيئة المجتمعة وتحديد أغراضها فتقرر أن يكون اسمها (جماعة موسم الشعر) وأن تكون غايتها مقصورة على اقامة هذا الموسم السنوي ، ولم يوافق المجتمعون على تحويلها إلى جمعية عامة للشعر والشعراء كما حاول بعضهم ذلك إذ عدّوه خروجاً على الغرض الأصلي من الاجتماع واستغلالاً له في غير المنشود منه .

وبعد ذلك انتخبت اللجنة التنفيذية للجماعة بالاقتراع السرّي فكانت النتيجة كما يلي بترتيب أغلبية الاصوات : الشعراء الهراوي ، الجارم ، ابوشادي ، الماحي، الههياوي ، مطران ، القاياتي .

وستتولى اللجنة التنفيذية تنظيم اقامة هذا الموسم .

جمعية عكاظ

أظهرت الشهورُ الطويلةُ التي مضت منذ تأسيس (جمعيــة أبولو) على أن فريقاً من حضرات الشعراء — وفي مقدمتهم الحاج محمد الهراوى والشيخ احمد الزين وحسن افندى الحطيم والشيخ عبد الجواد رمضان — لا يمكن أن يرتاحوا إلى مجهود الجمعية وإن اعترفوا بنبالة مقاصدها وبالمجهود العظيم الذى بذلته حتى الآن لخلق روح الاخوّة والتعاون والانجاب بين الشعراء . وسببُ استيائهم على ما يقــولون يرجع إلى التجديد «الخاطىء» الذى اتصفت به وإلى رغبتهم في المحافظة بكل حرص على الأسلوب العربي الأصيل .

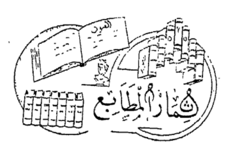
ولا نعرف نحن أننا حاربنا الأسلوب التقليدى الجميل متى جاء على لسان شاعر مجيد، كما رأى القراء فى نماذج لشعر شوقى ومطران ومحرم وناجى والشابى وغيرهم ، فالشاعرُ الموهوبُ الناضج يعلن شعرُه الجمالَ سواء أكان أسلوبه تقليــدياً أم غير تقليدىّ ، ولــكننا فى الوقت نفسه لا يمكن أن نجعل أنفسنا بمعزل عن الثقافة العالمية ولا يجوز أن نقاوم التفاعل الادبى الطبيعى .

وقد علمنا أنّ حضرات هؤلاء الاصدقاء اعتزموا أن يؤسسوا جمعيــة باسم (جمعية عكاظ) للدعوة إلى مذهبهم الاصولى مع اصدار مجلة باسم (عكاظ) للغرض نفسه .

ونحن نرحّب بهذا المجهود الانشائى إذا ما وُضــعَ موضعَ التنفيذ باســلوب مستقــيم صريح ينطوى على تبادل الاحترام مع الزملاء والتعاون فى المسائل العامة التى لا خلاف فيها . ولحضرات قرائنا الذين يرتاحون الى هذه النزعة أن يراسلوا صاحب الاقتراح حضرة الشاعر الحاج محمد الهرّاوى بدار الـكتب المصرية بالقاهرة .

ونظنّ أن موقفنا جلىٌّ صريح : فقد تقدّمنا إلى العمل بروح الجماعة والتجديد والاصلاح وبغير انتظار أى مساعدة مادية من أحد، وما زلنا محرومين حتى مساعدة وزارة المعارف وغيرها من الهيئات التعليمية حتى الآن. وكان ذلك فى وقتٍ شغِل فيه الشعراء بالمظاهر والشخصيات وحبّ الزعامة ، فبذلنا كل ما فى وسعنا للقضاء على هذه السفاسف وتوجيه الشعر توجيهاً فنّــياً خالصاً حسب اعتقــادنا . وقد لبث بعضُ الشعراء متشبثين بفرديتهم أو بالدعاية لامارة الشعــر أو بنحو ذلك من الدعايات الشخصية التى لا نقرّها بحال والتى لا يمكن اخفاؤها تحت أىّ ستار . فاذا وُجدتْ جمعية جديدة ولو كانت محافظة فى روحها فلن يعترض عليها أحــدٌ بل الأمر على العكس لأنّ الخلاف البرىء على الآراء الفنية غنمٌ كبــيرٌ للفنّ ذاته ، وأمّــا اذا اتـُّخِذت الجمعيةُ وسيلةً للطنطنة بالاسماء والالقاب وللمجــاملات على

حساب الفنّ ذاته (ولنا فى الماضى عِبَرٌ كثيرةٌ من هذا القبيل) فلنْ يكون من وراء مثل هذا التصرّف أيُّ خيرٍ ، ويكون من أصالة الرأى أن يستظلّ جميعُ الشعراء بعلم أبولو فى أُخوّتهم الاجتماعية وهم بعد ذلك آراؤهم الفنية الشخصية يدعون اليها كما يشاءون بين زملائهم وعلى المنبر العام فى هذه المجلة وفى غيرها من المجلات الأدبية الحرة . ان من السهل خلق الجماعات ، ولكن ليس من السهل استبقاء روح التعاون بينها ، والشعراء ما زالوا مستضعَفين فأحرِ بهم أن يزيدوا وحدتهم قوة على قوة بدل الانقسامات الشكلية وما تجره وراءها من التحزبات الشخصية .



حافظ وشوقى

للدكتور طه حسين — ٢٢٤ صفحة بمقياس ١٤ × ١٩½ سم . طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة . الثمن عشرة قروش مصرية

مِن حقّ (أبولو) ومن الحق عليها أيضاً أن تعنى بهذه الابحاث النقدية التى تتصل بالشعر والشعراء ، ولقد يكون هذا الحق لزاماً إذا كان الحديث عن « حافظ وشوقى » وكان صاحب الحديث هو الدكتور طه حسين . ولن يفهم من هذا العنوان أن هذه الفصول النقدية نوع من الدراسات الفردية الجزئية التى تعنى بهذين الشاعرين لذاتهما فقط ، وانما هى فصول كتبت لتكون مبادىء عامة تدخل فى أبواب التاريخ الأدبى والنقد الأدبى ، ولا سيما هذا النقد الخالق الذى يبغى صاحبه رسم الخطة الصالحة للانشاء والتقدير والتأثير فى البيئات ويحاول « اثارة الميل القومى الى درس الأدب والعناية به وتقوية الذوق الفنى وتوجيهه هذا الوجه الجديد الذى يلائم حياتنا وآمالنا ومُثلنا العليا فى هذا العصر الذى نعيش فيه » .

ولسنا نشك فى أن الدكتور طه حسين من دعاة التجديد وأنصاره العاملين على بسط نفوذه وسيطرته على الحياة العامة وبخاصة هـذه الحياة الأدبية . فكان بذلك من أعرف الناس بهذين الأصلين اللذين يقوم عليهما ما يسمى التجديد أو النهضة أعنى الإحياء والابتكار . وقد عَرف الدكتور للكتاب المحدثين جهودهم الصادقة فى نقل النثر من أسلوب يكاد يكون أعجمياً إلى هذا الأسلوب الرائع القوىّ الذى يؤدى وظيفته الادبية والاجتماعية خير أداء ولكن الدكتور ينعى على الشعراء فناءهم فى تقليد القدامى ويرميهم بالجهالة والغرور . . أفهذا الحكم يطرد ويتناول الشعراء جميعاً من ناحية ؛ ثم يتناول شعر الشعراء كله من ناحية أخرى ؟ ألم يكن



الدكتور طه حسين — ريشة صبحى افندى توفيق — عن جريدة (الانذار)

البارودى مجدّداً حتى فى الاوزان الشعرية والموضوعات والمعانى ؟ وما الرأى فى اسماعيل صبرى ؟ أفلا يجد فى حافظ وشوقى من المناهج الحديثة والنزعات الجديدة مايحمد لهما ويميزهما من شعراء العصور السابقة؟وأخيراً ماذا يقول فى هذه المدارس الشعرية الحديثة التى تجهد جهدها فى تمصير الشعر ووضعه وضعاً جديداً يلائم الدنيا الجديدة ؟

ثم يعرض الدكتور لمسألة « الحرية والفن » دون أن يقول رأيه صريحاً ولكنه يدعو الى حرية العلماء . أفليس فى ذلك دعوة أيضاً لحرية الفنيين ؟ كنا نود من الدكتور أن يدرس هذه المسألة فى الأدب العربى ولاسيا أن لها أمثلة عند أبى نواس

ومدرسته ، ثم يقول لنا الى أى أحد يباح للفنى أن يمضى وراء الجمال فى مجالاته المختلفة ؟ وما رأيه فى نظرية (الفن للفن) ؟ وهل تقف غايات الفنون عند التهذيب والفضيلة ؟

للدكتور بعد ذلك فصل ممتع حقاً فى تأريخ النثر العربى فى العهد الأخير، ومما يلفت النظر فى هذا الفصل مهاجمة الدكتور من يقولون بأسبقية النثر على الشعر فى الوجود سواء منهم القدماء والمحدثون ، وظاهر أن رأى الدكتور حق واضح فليس من شك أن الشعر لسان الحياة الطبيعة الأولى وأن هومير سبق أرسطو ، وأن البداوة القصصية سبقت الحضارة المفكرة العالمة . ولكنا نسأل الدكتور : أحقاً أن مؤرخى الأدب العربى يريدون بالنثر فى هذه المسألة ناحيته المعنوية ؟!.. الذي نعرفه أن القدماء حين قالوا بأسبقية النثر أرادوا به الكلام المنثور غير المنظوم دون أن يعنوا بالناحية المعنوية ، فأخذهم الدكتور بما لا يجب أن يؤخذوا به .

ويلتقى الدكتور عقيب ذلك بشعرائنا الثلاثة حافظ وشوقى ومطران ويتناول شيئاً من شعرهم بالنقد والتحليل ذاهباً فى ذلك مذهباً معنوياً بيانياً . . . وهو فى ذلك موفق من غير شك ، ويظهر أن هذا النحو من النقد ملائم تمام الملاءمة لمذهب النقاد من أصحاب البحترى وأبى تمام والمتنبى (فى الموازنة والوساطة) ولكن هناك هذا المذهب الذى يقوم على وحدة القصيدة، بل وعلى وحدة الشاعر نفسه وشخصيته ومذهبه الفنى والموضوعى ، وفى رأينا أن هذا أجدى على الشعر والشعراء من هذه الملاحظات الجزئية التى تتصل بالأسلوب أكثر من اتصالها بالموضوع . وقد يعتذر الدكتور بضعف هذه الشخصيات ، وغموض هذه المذاهب أو هوانها فى طلائع هذه النهضة الحديثة ، ولكننا عن هذا نفسه نسأله : أليس يجد للبارودى وصبرى خواصهما الموضوعية والمعنوية وشخصيتهما التى تتصل بحياتهما وبعصرهما ؟ ! ثم ما شأن حافظ وشوقى ؟! حافظ شاعر مصر والمسجل تاريخها وموقفها من الاحتلال، حافظ الصريح الشفاف ؛ وشوقى شاعر الغناء الحديث، حافظ الشعبى وشوقى الارستقراطى ؟

وأما الفصل الأخير الذى درس فيه الدكتور شاعرينا العظيمين ، ووقف فيه منهما موقفه هذا النزيه المبرور فعندنا أنه من خير ما يظفر به التاريخ الشعرى . ألمّ فيه الدكتور بحياة الشعر العربى وحياته الحديثة خاصة وبحياة الشاعرين والعوامل

الرئيسية التى كوّنت شعرهما ولوّنته بشتى ألوانه ، ثم الطوابع التى امتاز بها كلاهما ، وهو اثناء ذلك يؤرخ معهما الشعر الحديث كله والشعراء المحدثين جميعهم ويضع مقاله دستوراً للمؤرخين وسجلاً لحياة هذين الشاعرين . ولا يسعنا إلا شكر الدكتور ، ودعوة الشبان الى درس كتابه والانتفاع به .

احمد الشايب

هرمن ودورتيه

تأليف يوهان ولفجانج فون جوته وترجمة محمد عوض محمد —
١٤٤ صفحة بمقياس ١٨½ × ٢٠ سم . — أصدرته
لجنة التأليف والترجمة والنشر — طبع بمطبعة
فاروق بالقاهرة الثمن خمسون مليماً

من المجازفات الخطيرة أن يقتفى أثر المصدر الذى استقى المؤلف العبقرى منه جوهر عمله ، لأن الرجل الوحيد الذى يمكنه معرفة ذلك هو آخر من يحاول أن يكشف لنفسه أو للناس السر الذى بنى منه هيكل هذا العمل .

إن مهمته الوحيدة الخلق ، فهو منصبّ بكل أدوات بنائه وبكل ما عنده من الذخائر والمؤن على الانشاء وليس هو بمسؤول بعد عن معرفة مصدر هذه الأدوات والذخائر ، ففى اللحظة التى ينتهى فيها من عمله ويبدأ العالم الحائر يتكلم عنه ويبحث وينقب عن السر أو الوحى الذى استعان به المؤلف على انشاء عمله — يضع هو (المؤلف) أصبعه فى أذنه حتى لا يسمع أى صدى أو صوت من الماضى الذى تركه خلفه ، ويبدأ عقله يتجه بكليته الى الحاضر او الى المستقبل فيتهيأ لخلق جديد ولعمل قد تقع حوادثه فى عالم يتفاوت فى عناصر كيانه عن العالم الذى مثل فيه حوادث العمل الاول .

نعم إن الرجل الوحيد الذى يعرف مصدر هذه القصة لم يترك لنا أثراً يهدينا اليه . ولعله تنبأ بحيرتنا ، ولعله ابتسم ابتسامة خفيفة ذات معنى حينما قرأ فى الغيب أن أكبر النقاد الالمان والفرنسيين والانجليز سيقفون حيارى حينما يتلمسون مصادر هرمن ودوروتيه فيعييهم البحث ويضنيهم التنقيب ثم يطمئنون الى السكون المصرّ

والصمت الكظيم حتى يظهر فى عصرنا هـذا علامة منقب فى مصر فينبش الأدب الالمـانى ويقلب فى أمشاج الثورة الفرنسيـة حتى تتيح له الأقدار أو يسخر هو الأقدار أن تحمل له صور الماضى كله على طريقـة « اينشتين » على بعـد الشقة فيما بينهما ويستعرضها فى صورة البروتستنتيين المهاجرين من سلزبورج،ثم تتأنق الصورة فيلمح المستكشف الفاضل فتاة من المهاجرين على قسط وافر من الجمال يقع فى حبها شاب من شبان المدن فيسألها فى شىء من المكر البرىء أن تخدم عنـد ذويه فترضى ثم ينتهى الأمر بزواج الفتى من الفتاة .

الى هذا الحادث التافه الذى يمثل كل يوم فى الحيـاة يريد أن ينسب الدكتور طه حسين مصدر قصة هرمن ودوروتيه وهو كما أرى أنا ويرى المنصفون من الادباء رأى بعيد فهو نكر واحجـاف لعبقرية شاعرنا العظيم الذى خلق « فاوست » و « فرتر » و « ولهلم ميستر » .

إن المصدر الذى استقى منه الشاعر جوته أبعد بكثير مما يظن الدكتور طه حسين وحسبك أن تقرأ ما كتبه استافورد و ولتر باتر عن هرمن ودوروتيه لتعلم إلى أى حد كنا محقين فيما أخذناه على الدكتور طه حسين فى ذلك .

ومحور القصة فى ذاته بسيط ليس بالجليل الشأن ولا بالخطـير ، وكل ما فيه هو استعراض محلى وزمنى للحياة. وهى صورة لا يقبلها الذوق فى كل عصر ولا يجد فيها العقل مأوى للفكر والتأمل،وما هى إلا استعراض فنى للتاريخ مع قليل من الخيال الطموح إلى المثل العالى،بخلاف فاوست أوفرتر فكل منهما قصة كل عصر وكل منهما رضى كل عاطفة ومأوى ومتعة كل عقل .

وأشخاص الأبطال فى القصة لا يبلغ منهم التأنق الفنى أو يبلغون هم من التأنق الفنى بقدر ما بلغه فاوست الطبيب أو إبليس أوفرتر الشاكى المتبرم،وإنما أبطال هرمن ودوروتيه عبارة عن صور منعكسة عن صور أخرى فهى باهتة ، وأكبر الظن أن جوته تأثر إلى حـد كبير بأبطال القصص الاغريقى فى ذلك الوقت حتى غمرت شخصيات أبطاله فى هذه القصة مسحة السذاجة مع الخشونة الغفلة البريئة .

* * *

والآن هل أساء الدكتور محمد عوض فى نقله هذه القصة إلى لغتنا أم أحسن ؟

أما نحن فنقول إنه أساء وأحسن : أساء لأنه اختار قصة لا تلائم المستوى الذى نطمح اليه فى نهضتنا الأدبية الحاضرة،فكل منقول نريده أن يكون عالياً يستعرض الحياة فى صورة من التأمل الفلسفى العميق الذى يفتح أمام شبابنا أبواب الحياة فيستعرضون أسرارها ويفهمونها على حقيقتها كما فعلته فاوست وفرتر من قبل، وقد يكون من الخطأ أن ننقل اليهم قصة كهرمن ودوروتيه فيأخذونها على أنها نموذج من الأدب السامى الرفيع وبذلك تضيع الفائدة المرجوة من الترجمة — ونحن لا ننسى ما حدث فى الأدب الروسى إبان نشأته وما كان من أمر الروسيين الأدباء فى اغفالهم نوع ال mystery وال miracle (وهما مدرجا الرواية الانجليزية) وبدئهم بترجمة أقوى ما ظهر فى نوع ال interlude مثل رواية 4p's ثم مفاجأتهم القراء بعصر المأساة الصادقة true tragedy ثم عصر الياصابات حيث ترجموا خير روايات شكسبير .

وأحسن الدكتور محمد عوض أيضاً لأنه نقل لنا صورة مستحبة فنية محدودة الزمان والمكان استعرضت لنا عادات الالمانيين وحياتهم آنئذ وأمكنتنا أن نعرف إلى أى حد أثر الوسط المحيط بالشاعر جوته فى أدبه عامة وفى شعره خاصة ؛ فهى فى الحقيقة دراسة متممة لرواية فاوست العظيمة التى وفق الدكتور فى نقلها إلى العربية والتى نعدها عنصراً قوياً سيكون له أثر يحمد فى نهضتنا الأدبية الحديثة .

***

على أننى قبل اختتام كلمتى أريد أن أقول كلمة عن الترجمة . فهل أداها الدكتور محمد عوض محمد كما ينبغى أن تكون وكما تشترطه الأمانة فى النقل؟ لقد راجعت بعض النسخ الانجليزية والفرنسية فأدهشنى تصرف كان الدكتور مندوحة عنه. مثال ذلك قوله فى صفحة ٣٤ « فى تلك الليلة الليلاء . . . الخ » فإن لفظة ليلاء غير موجودة فى الأصل وقد أساءت إلى المعنى فإن النار كانت ملتهبة طول الليل وكان الأفق كما فى الترجمة الانجليزية فى لون أرجوانى !

وهنا مواقف أخرى نقفها مع الدكتور فى أسلوبه فهو قد تأثر تأثراً كبيراً بالأسلوب الافرنجى وظهر ذلك فى نواحى كثيرة فى الترجمة . مثال ذلك :

(١) فى صفحة ٢٩ قوله « ألا إن السعداء لا يدركون أنه لم تزل فى العالم معجزات تقع . . . الخ » .

(٢) فى ذيل صفحة ٣١ قوله « سعيد لعمرى فى هذه الأيام : زمن التشرد والاضطراب ، سعيد جداً من يعيش فى داره فريداً وحيداً ، لا زوجة تفزع إليه ولا ولد . . . الخ » وغير ذلك وأنا أعتقد ان فى مقدور الدكتور الفاضل ملافاتها فى الطبعة الثانية .

وفى النهاية نشكر للدكتور الفاضل أنه نقل الينا صورة واضحة للشاعر العالمى جوته بترجمته لفاوست وهرمن ودوروتيه .

وكم نحمد له يداً كريمة لو تفضل فترجم لنا رواية وهلم ميستر ؟

م . ع . الهمشرى

بولس وفرجينى

نقلها الى العربية إلياس أبو شبكة ، ١٧٥ صفحة بحجم ٢٠ × ١٤ سم .
الثمن ٨ فرنكات ، طبع مكتبة صادر ببيروت

نعتقد أنه ما من أديب شرقى لم يطلع على رواية « الفضيلة » أو بول وفرجينى التى نقلها الى العربية الكاتب المبدع المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى ، ونميل إلى الاعتقاد أن كل من اطلع عليها قرأها بلذة وشغف أكثر من مرّة واستمتع بأسلوبها الرائع لما اشتهر به المنفلوطى من جمال الصياغة وحسن التعبير وصفاء الديباجة فقد كان رحمه الله يسوق المعانى فتنقاد اليه طائعة مختارة وكانت كلماته تنبعث فى النفس كما تنبعث المياه العذبة فى الزرع المصوّح فتنعشه وتحييه وكما يتساقط الغيث على الأرض المجدبة فيورثها الخصب والنماء . وانه لمن الفضول حقاً أن نقدمه الى القراء ، فقد كان رحمه الله خالداً فى النفوس غنياً عن أى تعريف .

يسوقنا الى هذه المقدمة عنوان هذه الكلمة : رواية « بولس وفرجينى » التى عربها الأديب الياس ابو شبكة ، ففى خلوة تلوناها فى هدوء وسكينة حتى نؤدى واجب الانصاف نحو معربها ، فاذا بنا أمام تعريب يختلف غاية الاختلاف عن تعريب المنفلوطى . نعم يختلف اختلافاً جوهرياً بيناً فقد كان المنفلوطى كما يعرف القراء

يعنى بالديباجة المشرقة والأسلوب الصافى الذى يتسرب إلى النفوس كما تتسرب المنى المرموقة ، وهذه هى الناحية التى انفرد بها المنفلوطى .

أما العناية بالدقة الحرفية وملاءمة الاصل فذلك آخر شىء كان يفكر فيه المرحوم المنفلوطى .

ومن الانصاف أن نقرر فى هذه الكلمة الموجزة أن ما أغفله المنفلوطى من المزايا فى ترجمته قد تفرد به الاديب الياس ابو شبكة فى نقله ، فقد تقيد بحرفية الرواية واستطاع بتمكنه من اللغتين العربية والفرنسية أن يخرج لنا ترجمة صادقة أمينة ، هى والاصل كالحسناء وخيالها فى المرآة ، وعندنا أن لكل من المعربين فضلا لاسبيل الى جحده وانكاره .

وليس يستغنى قارىء الاسلوب العربى عن أىّ من هذين اللونين ، فمن شاء الألفاظ الموسيقية الرنانة والاسلوب السحرى الخلاب فليقرأ تعريب المنفلوطى ومن شاء الرواية كما كتبها المؤلف بلا زيادة ولا نقصان ولا تصرف فعليه بترجمة أبى شبكة .

والحق أننا قرأنا هذه الرواية فاستحسناها وأعدنا تلاوتها فزادت فى نظرنا حسنا وجمالاً ، حتى لم نستطع أن نتمالك أنفسنا من تهنئة معربها الفاضل على حسن توفيقه وإبداعه فى كل مواقف الرواية تقريباً .

وإذا كان لنا من رجاء نقدمه اليه فهو أن يزيدنا من هذه الطرف النادرة التى نرى فيها ذخيرة من أنفس الذخائر للادب العربى الحديث ، وان ثقافتنا لتستفيد أعظم الفوائد بنقل المشهور من الآثار الأدبية الغربية على تفاوت درجاتها وتنوّعها حتى لاتبقى المكتبة العربيةُ قاصرةً على أدب العرب وحدهم ، وهذا القصور يُنشىء عزلةً ضارة بمداركنا وتفكيرنا كما نشاهد عند كثيرين ممن يجهلون اللغات الأجنبية فقلما تمتد نظراتهم ويتسع أفق تأملاتهم وتفكيرهم ؟

يوسف احمد طيره

✻✻✻✻✻✻✻✻

سنوحي

تأليف محمود درويش — ليسانسيه في التربية والآداب
٧٠ صفحة بحجم ١٢ × ½ ١٥سم ، الثمن ٣٠ مليماً
طبع مطبعة سمير بالقاهرة

فجاءت كثوبٍ ضمّ سبعين رقعةً منوّعةَ الأشكال مختلفاتِ !

استفد مما تقرأ ، ولا تستفد مما تكتب . . . هكذا يقول العلماء النفسيون وهكذا نقول نحن ناصحين للأديب صاحب رواية «سنوحي» لو صح أن نسميها رواية فتجمعها الصلة اللفظية بروايات شيكسبير وجوته وشوقي !

ليس للرواية صلب أو ما يسميه النقاد الانجليز plot وليس للرواية حاشية تكسو هذا الصلب underplot تتأنق الحوادث فيها ، وليس في الرواية ضجة الانتقال وتوارد الحركة rapidty of action وليس في الرواية خيال سام lofty imagination وليس في الرواية لباقة humour تستهوي القارىء ليبتسم ، أو نتهاون فنقول تتملق بشفتيه ليضحك وإنما كل ما تفخر به الرواية هو الذخيرة من التفاصيل التي يسمونها details.

فالرواية إذن قد فقدت كلَّ عناصرها الفنية حتى أنها لم تكمل فيما حققته من الاخبار التاريخية .

وهناك موقف في الرواية كنت أحب أن يتنزه عنه الاديب المؤلف فهو تضمينه إياها ترجمة حرفية لحادثة زوس لصديق له وهو يدخل قصر ما كبث وهذه المحادثة تفيد التنبؤ بالشر الذي سيلحق الملك دانكان .

فالأديب محمود درويش يقول على لسان بخمو :

رحماك يا ملكَ البلا د ويا سليلَ الآلهةْ
فالقلب صار معذَّباً والنفس أضحت والهةْ
فلقد شهدتُ عواصفاً في ليلتي متتاليهْ
والسحب تمطرنا دماً والناسُ تجرى ذاهلهْ .. الخ .

ويقول على لسان زوس : « لقد رأيت ليلة أمس رؤى مفزعة . . كانت البروق تقصف والعواصف تدوى والسحاب يتكاثف والأرض تزلزل زلزالها . . .» الخ ..

وفى الرواية أخطاء كثيرة لغوية وهناك أيضاً زحافات وخروج عن الاوزان . وأول ما صادفنى منها حديث سنوسرت فى الصفحة الثالثة وفى ذلك يقول :

ولسوف أنسى راحتى حتى أنل فخر الجهاد
خطر الجبان من الحيا ة مذلة ونفاد
أما الشجاع فانه أحرى بحب بلادى

وللقارىء أن يتأمل !

وفى النهاية نتمنى للأديب محمود درويش كل توفيق فى أعماله المستقبلة مادام لايسرع الى التأليف بغير استعداد تام ومادام يستهدى بالنقد الصحيح

م . ع . العشرى

الأمواج

ديوان شعر، نظم احمد الصافى النجفى – ١٤٧ صفحة بمقياس ١٥½ × ٢٢¾ سم
طبع المطبعة العصرية بدمشق . الثمن نصف ليرة سورية

أكبر ما يجنى على الشاعر العربى ظروف البيئة التى يحيا فيها وأعظم ما يهدم فيه مُثُلَ الحرية أفكار القوم الذين لا يعرفون من معانى الحرية إلا أنها الفوضى والثورة والجنون . فهذه الافكار السخيفة تحوّل الشاعرَ مرغماً الى نواحى لا يجب على الشاعر أن يترامى فيها إلا اذا كانت أجنحته تحتمل السموّ فى أجوائها دون أن تعلق بريشها من ذراتها ما يشينها . ويضطر الشاعر أن ينظر الى الأفق الذى لا يستطيع هؤلاء إلا التحديق فيه ، أما الآفاق البعيدة وأما ما وراءها فليس فى هذا فائدة، ولن يعدّ الشعر المستوحى من هذه الآفاق شعراً، ولن يعتبر الشاعر شاعراً إلا ذا كتب فى الحوادث الجارية وساير القوم خطوة بخطوة .

ولكن هـل يجب على الشاعر أن يكون طوع الجماهير ؟ وأن يكتب مايريدون لا مايريد وحيه ؟ لا فللشاعر رسالة أسمى من كل ذلك . . . للشاعر أن يأخذ بيد الناس الى معالم النور المطموسة فى حلوكة الرغائب الثائرة فيقف عند آفاق هذا النور يغنيهم ما يذهب عنهم مرارة الانتظار حتى يبدو لهم ما وُجد الشاعر فى الحياة من أجله.

والشاعر أحمد الصافى النجفى أحد شعراء العراق المثقفين بالأدب الفارسى صاحب ديوان الامواج له نظرات نحو آفاق بعيدة إلا أن الوسط يحوّل نظرته ويقوده الى حيث يكتب الى المستر كراين ، والى العميد ، وفى مستشفى وطنى ، فلا تحسّ بنكهة الشعر فى ذلك . غير أنه عنـد ما يخلص من قيوده ويعود الى ربّات الشعر تسمع منه فى (أنغامه المشوّشة) :

أرى الشعر فى الارواح لا السجع كامناً ولا فى بحور خاليات من الدرّ
فكم شاعر ما فاه بالنظم مرة وكم ناظم ما قال بيتاً من الشعرِ

وعند مايقف أمام الحقيقة فيراها مطموسة فى أحاجى الناس مكتسية ثوباً من ألوان الحياة يحجبها عن عابديها يهتف من قرارة نفسه :

ليت الحقـائق ما اكتست لوناً فما شغل الورى عنها سوى الالوانِ
تأبى السفور فما كشفت حجابها إلا تبـدّت فى حجابٍ ثانِ
لا تمدحوا حسن البيان فطالما أخفى عيوب الشيء حسنُ بيانِ

الا أن هذا النفَس الجميل يتلاشى فى تكلف لم أجد له مبرراً فتجد الشاعر قد هوى من سمائه حين يقول :

فى شارع الوجـدان يسر تلقَ الهـدى يا تائهـاً بأزقـة البرهان

على ان هذا التـكلف الذى وجدتُ صوراً منه كثيرة فى صحائف الديوان سرعان ما يتلاشى أمام روح شاعرنا عند ما تجتذبه ربة الشعر فتعيـده الى سمائها فتسمعه يقول بعد أن يتخطى « شارع الوجدان» و« أزقة البرهان » :

ما أسعد الحيوان غير مكلفٍ بدخول حرب الكفرِ والإيمانِ
يا ليت من فرض التساوى فى الورى ساواهم فى العقـل والعرفانِ
لم نشهد الحيوانَ جُنَّ كأنما داء الجنـون اختص بالإنسان

وللصافى فى ديوانه قصائد ممتازة فهو وصّاف بارع يظهر ذلك فى قصيدته « الليل

والنجوم » وإن كان فى بعض تشبيهاتها نظر الى لدات أُخر ،إلا أنها تفيض بتشبيهات مبتكرة .ولعلّ شاعرنا يتحفنا عن قريب بمجموعة أخرى من شعره الصافى يكون فيها بعيداً عن آفاق الناس قريباً من المُثُل العليا التى قدّم اليها أمواجه والتى بها يحياو فى سبيلها يموت : الحقيقة ــ الحرية ــ الرحمة .

ولعله يجعل الحرية أول أمثلته العليا وهنا يكون قد أدّى رسالة الشاعر التى تنطوى عليها نفسه الحساسة الفياضة بمعانى الحياة العميقة ؟

حسن كامل الصيرفى

أعدادنا الممتازة

ونصرة المجلات الثقافية

هذا ثالثُ أعدادنا الممتازة التى أصدرناها فى العام الأول من حياة المجلة ، وبودّنا أن يحين اليوم الذى تكون فيه جميع أعدادنا ممتازة . وانما يكون ذلك حينما يُقبل القراء الاقبالَ الكافى على المجلات الأدبية والعلمية بدل اقبالهم على الجرائد الصفراء وصحف المهاترة البذيئة التى انتشرت سمومُها فى جميع الطبقات المصرية ولم يَنج منها حتى طلبة المدارس . وقد ريعت لبذاءتها النيابة العمومية ، ولكنّ هلعها واجراءاتها لن تجدى فتيلاً ما لم يكن لوزارة المعارف شئٌ كبيرٌ من الهيمنة على الصحافة ، وما لم تحفل وزارة المعارف ذاتها بتشجيع المجلات العلمية والفنية والأدبية التشجيعَ الكافى حتى تستطيع أن تعيشَ وتطرد تلك الصحف المنحطة من المجتمع المصرى .

ولوزارة المعارف فضلٌ سابقٌ فى احياء مجلات المقتطف والهلال وفتاة الشرق وغيرها ثم فضلٌ لاحقٌ فى احياء مجلة المعرفة بعد أن كدنا نفتقدها ، ونحن نتطلع إلى معاونة الوزارة لتستطيع (أبولو) أيضاً أن تؤدّي رسالتها الثقافية فى العالم العربى خير أداء ، وفى ذلك الغنم الأدبى لمصر . وكيفما اختلفت الآراء فى موضوعات المجلة — وهو اختلافٌ مشهودٌ فى جميع المجلات الراقية — فمّما لا جدال فيه باعتراف كبار رجال التعليم فى الوزارة أنفسهم أن هذه المجلة أثبتت فى هذه الشهور

الطويلة كفايتها للنهوض بفنّ الشعر بغيرةٍ وجراءةٍ واخلاصٍ ، وقد التفّ حولها العديدون من الشعراء فى العالم العربى كما كانت واسطةً قويةً لاذاعة المجهول من أدب الكثيرين ، وكلّ ذلك لخير لغتنا الشريفة . ولن يجحد ذلك غير من كان قصير النظر يعيش فى دائرة من نفسه وصحبه ولا يحسّ بتيارات النهضة الفنية فى العالم.

ولنا فى ذمم القراء واجب التعاون على زيادة نشر المجلة والتنويه بها وحثّ باعة الصحف على المناداة عليها ، فاننا بحكم شواغلنا ونزعتنا الخاصة من أبعد الناس عن الاتصال بادارات الصحف ، ولسنا ممن يستجدون تقريظها ولا ممن يعرفون الملقَ ولا صُنوفَ المدح والهجاء واسترضاء العامة كوسائل للدعاية والاعلان ، بل نحن نرحب بنقدنا فى نفس مجلتنا . والنتيجة الحاضرة هى حرماننا من نصيبٍ كبيرٍ من المعاونة الصحفية التى كثيراً ما تُقدَّم بطريقة ببغاويّة إلى كلّ صفيقٍ يتناوب الاحتلال لادارات الصحف ، وأصبحت تكافنا الاعلاناتُ البسيطة فى الجرائد أجوراً فوق طاقتنا .

لا حقّ لنا فى التذمُّر من شيوع الصحف والمجلات المنحطّة التى تتناول بالباطل أعراضَ الناس وأخلاقهم ومجهودهم ، وتصغر كلّ أديب مستقلّ ، وتسخّر كل شىء للدجل السياسى ، وتعمل على هدم المجلات النافعة ، ما دامت الهيئات التعليمية وجمهرة الخاصة مقصّرين فى واجباتهم نحو المجلات الادبية والفنيّة والعلمية الراقية . ولعلّ هذه الكلمة التى نرسلها لمناسبة صدور عددنا الثالث الممتاز يكون لها أثرُها الحميدُ فى شتّى البيئات التى تقدّر منبرنا الحرّ وغيرتنا الادبية الخالصة وخدماتنا الماضية والحاضرة للادب العربى حتى نستطيع فى المستقبل أن نضاعف خدماتِنا المرجوّةَ له .

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠١١	٢	إذ لاهمّ	لاهمّ
١٠٩٨	٢	غايةُ	غايةٌ
١٠٩٩	٣	يعملَ	يعملُ
١٠٩٩	١١	الوداع	الوادع
١١٠١	١٢	قاستوى	فاستوى
١١٠٢	٥	العرم	العزم
١١٠٢	١٥	يحى	يحيي
١١٠٢	١٦	عَرِف	عَرَّف
١١٠٣	٦	كلاما	ملاما
١١٠٤	٢٠	لا	الا
١١٠٨	١٥	يدري	أدرَى
١١١١	١٢	غايةٌ	غايةِ
١١١٥	١	يحى	يحيي
١١١٦	٣	الحرن	الحزن
١١٢٣	١٥	ودِدت	وَدَدْت
١١٢٦	٢	يصغِي	يُصْغِ
١١٣٦	١٦	منَ	منْ
١١٣٧	١٣	بالداواهي	بالدواهي
١١٤٩	٦	يمن	يمن
١١٥٩	١١	نماضر	تماضر
١١٥٩	٢٣	دكرى	ذكرى
١١٦٢	٣	الجرجابى	الجرجانى
١١٧٠	٨	يخرح	يخرج
١١٧٨	٢٢	لكان هو والقطعة	لكان هو القطعة
١١٧٩	٢٥	فلاتزال الشعر المتبنى	فلاتزال لشعر المتنبي
١١٨٢	١٤	للماتِ	للمهاتِ
١١٨٨	٢٠	مجدُكَ	مجدُكَ
١١٨٩	١٣	أن يُفصحُ	أن يُفصحَ

فهرس

صفحة

كلمة المحرر

الشعر القصصى

الشعر التمثيلى

الشعر الفلسفى

شعر الحب


المجلد
الأول
العدد
الحادي عشر
أبولو
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي
لسان حال جمعية ابولو
عدد خاص
بذكرى المغفور له
محمد حافظ ابراهيم بك
١٨٧١ — ١٩٣٢ م.
مطبعة التعاون



شاعر الوطنية المصرية

محمد حافظ ابراهيم بك

(من ريشة الفنان المصرى محمد محسن بدوى)



فى الحادى والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ م . ودّع شاعرُ مصر الكبير محمد حافظ ابراهيم أنفاسَ الحياة الدنيا فذهب بذهابه أعلى صوتٍ وطنى عرفته مصر من فوق منبر الشعر .

وقد أصدرت زميلتنا (السياسة) فى ٢ سبتمبر من العام الماضى عدداً خاصاً به كما عُنيت الصحفُ والمجلاتُ والجمعياتُ الأدبية فى العالم العربى بدراسته وتأبينه أسابيع متوالية ، الى أن فُجِعَ العالم العربى بنعى شاعر العربية الأشهر أحمد شوقى بك فى الرابع عشر من سبتمبر الماضى فباتت فجيعةُ العربية مزدوجةً بوفاة علمين من أشهر أعلام الشعر العربىّ فى عصره الحديث ، واهتمت الصحافةُ العربيةُ بأداء واجبها الادبى نحو ذكراها . وقد أصدرت هذه المجلةُ عددها الخاص بذكرى شوقى فى ديسمبر الفائت ورأت من أقدس الواجبات عليها إصدار هذا العدد الخاص بذكرى حافظ لمرور سنة على وفاته .

ونحن لا نحبّ التكرارَ كما لا نُعنى بما عُنى غيرنا بتناوله من الدراسات السابقة فجعلنا كلّ بحوث هذا العدد جديدة خاصةً بهذه المجلة ، وبذلنا جهدنا فى الاختيار وتخلّينا عن مألوف الرثاء شعراً ونثراً قانعين بالجديد المفيد أو بالنقد الجدّى الممتع .

وكيفما كان الحكم الفنّى على شعر حافظ فلا يمكن لأية جمعية شعرية تحترم نفسها الاّ أن تحفل بذكراه — ذلك لأن حافظ يمثل حلقةً قويةً من حلقات الاتّصال والتقدم فى تاريخ الشعر المصرى بل فى تاريخ الشعر العربى ، كما أنّهُ كان اللسان الفصيح لآمال مصر وآلامها فى زمن تفشى فيه العيّ والجبن بل البكم بين الشعراء ، وحسبك من شاعرٍ أن يكون لسان أمته المبين فى مثل تلك الظروف ، وليس من الانصاف أن تكتفى بوزن شاعر وزناً مطلقاً ولا تزنه وزناً نسبياً . ليس من الانصاف مثلاً أن تنسى ظهور البارودى فى زمن تفشت فيه الأمية والروحُ العاميةُ والضعفُ اللغوىُّ ، وضاعت ملكة البيان الشعرى ، فظهر ذلك

الشاعر المتفوّق التقليدى ليعيد للأدب الشعرى مجدَه القديم وليتتلمذ عليه حافظ وأنداده . وإذا كنا نحن الشعراء المحدثين لا يرضينا روحُ التقليد المضيع للشخصية الفنية ، فهيهات أن ننسى فضلَ أعلام المحافظين أمثال البارودى وشوقى وحافظ فى استرجاع الثقة الأدبية لاستئناف سير القافلة بعد وقوفها. على هذا الأساس نكبر مجهودات الاعلام السابقين من شعرائنا وإن أصبحت فى ذمة التاريخ ومآلها فى الغالب أن لا تكون لها أكثر من صفة أكاديمية لأثر من الآثار الأدبية التاريخية.

كان حافظ فليسوفاً اجتماعياً وسياسياً بسليقته ، وكان خبيراً بالرجال بعيدَ النظر ، ولذلك كان موفّقاً فى أكثر من موقف كشاعر زعيم ، ولكن الطبيعة هيأته ليكون فى الاكثر ترجماناً لأمته ، وقد أحسن التعبير عنها أيّما احسان ، وكان جريئاً كلَّ الجراءة فى تعبيره كلما أُتيح له ذلك . وبعد هذا كان حافظ شاعرَ العروبة ، وكان لإخلاصه أثرٌ بعيدٌ فى احياء روح التآخى والتعاون بين أبنائها ، وعلى الأخص بين المصريين والسوريين .

وقد عِيبَ على معظم الشعراء أنهم ينزعون إلى القديم وينظرون دائماً إلى الى الخلف ، ولكن حافظ برغم المحافظة التى قيد نفسه بها مضطراً ومختاراً كان فى طليعة من ندّدوا بذلك وهو القائل مخاطباً « الشعر » :

ضِعتَ بين النُّهَى وبين الخيالِ ... يا حكيمَ النفوسِ يا ابنَ المَعَالى
ضِعتَ فى الشرقِ بين قومٍ هُجودٍ ... لم يُفيقوا وأمةٍ مِكسالِ
قد أذالوكَ بين أُنسٍ وكأسٍ ... وغرامٍ بظبيةٍ أو غزالِ
عِشتَ ما بينهم مُذَ الآَ مُضَاعاً ... وكذا كنتَ فى العُصُورِ الخوالى
آنَ يا شعرُ أن نفكَّ قُيُوداً ... قيَّدتنا بها دعاةُ المُحَالِ
فارفعوا هذه الكمائمَ عنّا ... ودعونا نشمّ ريحَ الشمال !

والقائل أيضاً :

ملأنا طباقَ الأرض وجداً ولوعةً ... بهندٍ ودعدٍ والربابِ وبوزعِ
وملّتْ بناتُ الشعرِ منّا مَواقفاً ... بسقطِ اللوى والرقمتين ولعلعِ
تغيرتْ الدنيا وقد كان أهلُها ... يرون مُتونَ العيس ألينَ مضجعِ

وكان بريدُ العلمِ عيراً وأينقاً متى يَعيها الايجافُ فى البيد تظلعِ
فأصبح لا يرضى البُخارَ مطيّةً ولا السلكَ فى تيارهِ المتدفّعِ
ونحن كما غنّى الاُوائلُ لم نَزَلْ نغنّى بأرماحٍ وبيضٍ وأدرعِ
عرفنا مَدَى الشيء القديم فهل مدًى لشيءٍ جديدٍ حاضرِ النفعِ ممتعِ ؟

وشعرُه مرآةٌ صادقةٌ لمجتمعه، ونهزةٌ تحفزهم الى الأمام، ونُورٌ وجّهه الى طريق المستقبل المأمون :

قصائدٌ هى للآداب مَفخرةٌ سارتْ مَسيرَ الهُدَى فى كل مُضْطَرَبِ
وما يزال دوىٌّ مِنْ وقائعها فى مِسمعِ الدهرِ للاجلالِ والرَّهَبِ
فى كلّ بيتٍ شُواظُ النارِ مُزْعِجَةً للغاصبينَ وهزّاتُ القَنا السُّلُبِ
وكلُّ غضبةِ صِدقٍ منه بالغةٍ فصلُ الخطابِ وآياتٌ من الخُطَبِ
مُرَدَّدَاتٍ بإيمانٍ كأنَّ بها مَجامعَ الوَحْىِ عن مَاضٍ من الحِقَبِ !

وقد كان حافظ فى كلّ شعره يعمل للتقدم ، فكان له أثره فى النهضة الحاضرة وحتى فى أمداحه « للدولة العلية » لم يكن مدفوعاً الى ذلك بحبّ الاستبداد وهو الذى كرهه منذ نشأته ، ولا بحبّ الرفد والجاه فقد سُدَّتْ الأبوابُ فى وجهه ، ولا بمراعاة الاعتبارات الرسمية إذْ لم يكن بالموظف حينذاك ولم يكن له شأن بالقصر ، ولكنه كان مدفوعاً بروح السياسى الذى يرى نفعَ أمته مرتبطاً بعظمة تركيا الاسلامية ، وكذلك كانت وجهةُ نظر المغفور له مصطفى كامل وسواه من الساسة المصريين فى ذلك العهد الى أن ظهر أحمد لطفى السيد بك وحزب الأمة بالسياسة المصرية البحتة . فلئن جارى حافظ بيئته فما كان ذلك الاّ فى الاحساس العام ولم تكن مجاراة الضرير ، ولئن جارى المتقدمين أحايين فى أساليبه فذلك من تأثير محفوظه الكثير ومن تأثير تعاليم أستاذه البارودى الذى أراد أولاً أن يستعيد أزهى عصور الشعر العربى .

ومما عِيبَ على معظم شعراء العربية حتى المعاصرين منهم عنايتهم بالموسيقى اللفظية لا أكثر ولا أقلّ ، ولكن حافظاً ضمّن شعره الكثير من علل المجتمع وما رآه من العلاج لها بروح المرشد الأمين حتى لُقِّب بالشاعر الاجتماعى ، فلا نكون منصفين إذا اعتبرنا ذلك النقدَ فى غير تحديدٍ منطبقاً عليه . واذا طبقناه

عليه فانما ذلك لان حافظا كانت له طبيعة شعرية عرفها جلساؤه فى مرتجلاته البديعة ولكنه أفسدها بمطاوعته المتحذلقين وبحرصه على ارضاء القُدامى من الأزهريين وغير الأزهريين (على نحو ما فعل المرحوم شوقى بك فى أحايين) فكانت النتيجةُ أنه صار غالباً الشاعر النحّات المتمحّل بدل أن يكون الشاعر الحرّ المطبوع ، وحبَسَ فى نفسه أو ضاعَ فى مجالسه وفى مَباذله خيرُ شعره العاطفىّ الوجدانىّ لأن التقاليد كما قدمنا كانت تأبى عليه تدوين الشعر المرتجل المطبوع ، وطالبُ الشهرة مضطر عادة إلى مراعاة التقاليد ، وما كان لحافظ كما لم يكن لشوقى إغفال هذا الاعتبار .

ومعرفتنا بحافظ أكثر من ربع قرن أقنعتنا بصحة فطرته الشاعرة التى زكتْ فى بيئة الامام محمد عبده بقدر ما أصبحت أسيرةً لتقاليد الصناعة واللغة . فكان حافظ إذا أفلتَ من ذلك الأسر يجىء لنا مرة بالممتاز المعجب ، وأخرى بالمبتذل الذى لا يعلو فوق مستوى مقالة صحفية منظومة ، وما ذلك إلا لأنه تارةً يعبّر عن نفسه أصدقَ تعبير أو يُدْفَع دَفعاً باحساس أمّتهِ إلى ذلك من حيث يدرى أو لا يدرى ، ومرة أخرى يشعر بمنزلته من الشعب فينظم بعقله الواعى وحده لارضاء الجمهور فيبتعد بذلك عن الشعر الفنى ولا يُنصف سمعته الأدبية .

لم يكن حافظ إذن بالرجل الرجعىّ وإن كان محافظاً فى حدودٍ ، ولئن كان ممن نظروا إلى الشعر كلون من ألوان الغناء وممن آثروا اللفظ على المعنى متناسياً أن الشعر روحٌ وتصوّفٌ أى اندماج كونى فى الجمال والحياة قبل كل اعتبار آخر ، فقد جاء شعرُه صوتاً للنهضة الوطنية وأحياناً دليلاً لها ، فلا يصحّ إذن أن يقال عن شعر حافظ إنه صيغةٌ أخرى من السجع ومن فنون الترف والترهّل الذهنى ، وان المقصود إليه من شعره مجرد الايقاع واللهو اللفظى الذى يخرجه من دائرة الشعر الرفيع إلى دائرة الموسيقى المألوفة كما هو نظم الكثيرين . لقد جمع حافظ بين المتناقضات فرضخ للبيئة اللغوية المحافظة التى اتصل بها فى كثير وثار عليها أحياناً ، فكان يذهب من النقيض إلى النقيض ، ولو أنه اكتفى بالتضلع اللغوى ثم أطلق نفسه على سجيتها لجاءت حريةُ تعبيره منسجمةً منظّمةً لا اضطراب فيها ولا تبذّل ، وهو الاضطراب والتبذل اللذان يتعرّض لهما السجينُ الذى يظفر بحريته ثائراً بعد حبس طويل ولكن ليعود إلى ذلك الحبس ثانية ، فهى حرية غير مأمونة وتكييفها ونتائجها على مثالها .

إن حافظاً شاعرٌ حاضر البديهة سريع التأثر (impressionist) ولكنه أفسد

طبيعته بالصناعة بدل إطلاقها على سجيتها ، وفلول المدرسة القديمة التى أساءت اليه وإلى الشعر العربى بتوجيهه الى ناحية النظم الذى لا ينسجم وطبيعته ما تزال تحاول الضغط على المدرسة الحديثة لتنهج ذلك النهجَ العقيم فى حين أنّ لكل شاعر فطرته وطريقته التى لن يجنى خيراً ما بتجاهلها ومعارضتها . ونحن لا ندرى ما ذا استفاد الشعرُ العصرىُّ من اقلال حافظ الصناعى وهو المكثر بطبيعته ، أو من مقاومة فطرته السمحة السهلة . ويقيننا أنه لو لا ذلك لكان انتاج حافظ لا يقل عن انتاج شوقى ، ولكان شعره مطبوعاً بطابع مصرى جميل ، ولجاء جامعاً للكثير من صُوَرِ الحياة المصرية عاطفةً ووصفاً ، قاريخاً ووعظاً ، ولتنوعت مظاهرُه ، وربما كان قد اكتسح المسرح المصرى أيضاً .

ولا يسع المؤرخ الأدبى الذى يترجم لحافظ أن يغفل المنافسةَ الشاذّة التى كانت بين حافظ وشوقى ، ثم سَرَتْ عدواها إلى شعراء آخرين ، ثم تشكّلت بصورة حرب بين المحافظين والمجدّدين من الشعراء . ولم يكن مَبْعَثُ كلّ ذلك سوى التهافت على اكتساب الجمهور فى حين أن الجمهور لا يَعْدُو الموجَ الصاعدَ الهابط الذى لا يستقرّ ولا يُؤْمَن جانبُه على حَدّ تعبير أستاذنا مطران ، وقد كانت لمطران مواقف عديدة محمودة للتوفيق مابين المرحومين شوقى وحافظ . فالتهافت على نيل رضاء الجمهور أوالنزول بالشعر إلى مستوى الجمهور كان ضرراً بليغاً للشعر ولأعلام الشعراء الراحلين أنفسهم: فقد أنقص منزلة الشعر الفنية ، ودعا الى حروب شخصية عجيبة ، كما خلق جوّاً مدهشاً من الغرور لا نزال نرى تأثيره فى تهافت الشعراء والكتاب على أماكن الصدارة من هذه المجلة وغيرها مع أن صفحاتها فى منزلة واحدة ، ومن غرور المبتدئين الذين يتعالون عن كلمة تنقيح أو ارشاد أو تهذيب من أساتذتهم الشيوخ ويتهافتون على ألقاب المديح السخيف . وهذه روحٌ مريضةٌ قاومناها كلَّ المقاومة وإن رضخت لها بعضُ المجلات الادبية مضطرة لأسبابها الخاصة . نعم لايجوز التّغاضى عن هذه الحقيقة بل يجب أن يستفيد من دروسها المصلحون من ابناء هذا الجيل الذين يهمّهم التسامى بالشعر العربى وبمنزلة شعرائه .

* * *

وبعد، فنحن نُهدى الى روح حافظ الشاعرة الوطنية الحبيبة المبجّلة هذا العدد التذكارى من (أبولو) وبِمَنّه الصراحة التى تعشّقها حافظ منا ومن سوانا طول

حياته. وقد وقع اختيارنا على صورة فنية للذكرى لم يسبق نشرها وهي للأديب الفنّان المصري الشهير شعبان زكي وهي تمثل دار الإمام الشيخ محمد عبدة في حالتها الراهنة — تلك الدار العزيزة التي قال عنها حافظ :

فيا منزلاً في عين شمس أظلّني وأرغم حُسّادي وغمّ عُداتي

والتي كثيراً ما كانت موئله ومهبط وحيه . رأينا أن ننشرها في هذا العدد التذكاري لأنها ألصق بحياة حافظ من كل ماعداها من المعالم المصرية ، ولأنها مظهر الذكرى الحزينة الذي لا يجب أن يخفى عن الشعب المصري . وقد تأثر الرسّامُ الفنّان بمظهر سقف الساقية المائل فتخيله كبيت العنكبوت المكبَّر رمزاً للاغفال ودليلاً على مبلغ اهمال الدولة والشعب لآثار العظماء ، وشاء الرسّامُ أن يصوّر الدار تحت تأثير غروب الشمس في لحظة أبدت الفارق الشنيع بين حاضرٍ عافٍ وماضٍ كانت فيه الدارُ مَطلَعَ الاشراق الثقافي والديني في مصر .

إن اسم حافظ لن يُنسَى في تاريخ الشعر العربي ، وأمّا الشعر العربي ذاته فلن يصدعه ممات حافظ ولا غير حافظ كما يُوهِم النّادبون ، فانّ موتَ العظيم يُلهب تلاميذه وأنداده بالشعور بالمسئولية والاندفاع الى الانجاب السامي . والواقع انّ الشعر العربي يخطو الآن خطوات فسيحة نحو الكمال الفنّي المنشود ، وهو ما يعترف به كلُّ ناقدٍ مطلعٍ يقارن بين الآثار الجديدة النابضة بالحياة في الشعر العربي وبين الجديد من الشعر العالمي في الاقطار الأخرى . وأمّا الذين لايزالون يبحثون في القوافي والأوزان ، وفي تفضيل اللفظ على المعنى ، وفي أمثال هذا الهراء ، فمعذورون إذا توانوا عن الاطلاع على الأدبيات العالمية فلم ينصفوا مجهود مواطنيهم ، وهم على أيّ حال من رفقة الكسل الجميل والأحكام الطائشة . ولعلّ روح حافظ تغتبط في عليائها بهذا التسامي الذي يتدرَّج اليه الشعر العربي تَدَرُّجاً حثيثاً فتتقبل من محبّيها هذا الحنانَ والولاءَ والاجلالَ الذي تنبضُ به الصفحاتُ التالية من أقلام الشعراء والنقاد .



حافظ ابراهيم

﴿ فى الميزان ﴾

الصلة بين الفن والنفس

من القسوة الأدبية البالغة ، ومن الخطأ الفاضح فى معرض التحليل والنقـد ، أن نقصر عملنا على الأثر الفنىّ للأديب أو الشاعر ، وأن نقطع أو نحاول قطع الصلة القائمة بين هذا الأثر وصاحبه ، ونحن نشعر فى نفوسنا بقوّة هذه الصلة ، ونعرف مالها من نفوذ وسيطرة فى حياتنا الادبية التى نقول غير ملومين إنها واقعة باسرها تحت هذه السيطرة وذلك النفوذ .

نحن نقول إن الشعر فيض النفس ، ووحى الوجدان ، فعلينا اذاً أن نضم الى أدب الشاعر نفسه ووجدانه حين نريد أن نتعرف منزلته من الناحية الفنية ، وأن نضع له صورة صحيحة ، ومثالاً صادقاً .

للشاعر كـكلّ فرد من الناس نفسه ووجدانه ، ومن الظـلم أن ترى العاصفة تُلقى الحجارة على الينبوع المتدفق ثم تتهمه بالجمود إذا احتبس ماؤه ، أو ترميه بالحمق والسفاهة إذا تدافعت قواه فـكان منتهى ما يستطيعه أن يقذف ببعض هذا الماء من خـلال الحجارة فيتطاير رشاشاً أهوجَ لا يأخذ نظاماً ، ولا يستقيم فى مَسيل .

ذلك مَـثَـلُ الشاعر المقتـدر تـكتنف نفسَه أنواعُ الهموم وضروبُ الآلام فتعطل قواها المعنويَّة ، أو تُـلقى الحجب والاسـتار على أشعَّتها فامّـا أن تحتبس هذه الاشعّـة احتباساً تامّـاً فيكون السكوت ، وإمّـا أن يندفع منها قَـبَس ضعيف يترقرق كالدمعة الحائرة فى منافذ ملتوية ، ويذهب أعمى يتعسّـف ، فلا هو على هُدًى فى ذاته ، ولا الناس يهتدون به .

وإنك لتتجنَّى وتذهب شططاً . حـين تنـكر على المصباح أنه مختنق النور أو ضئيله ، وتأبى الا أن يكون كما تريد وتقترح إشراقاً وبهجة ، وأنت ترى زجاجته قائمة فى غشاء من سواد .

حافظ فی نفسه وفنه

حافظ ابراهيم شاعر كامل العدّة ، تامّ الاداة ، أخـذ نفسه بأدب الفحول من مبرّزى الشعراء ، وراضها عليـه ، فلحق بديوانهـم ، وأخذ مكانه بين أعيانهـم ، انه لـكما أصفه لك ، ولـكن لا تطمع أن يطربك وهو محزون ، ولا أن يرضيك وهو ساخط ، كلا — لا تطمع أن تتلقّى من فم حافظ تلك النغمات الشهية ، والتغاريد العذبه ، الا حين تصفو نفسه ، وينعم باله وخاطره ، هو شاعر كبير النفس ، طامح الهمّة ، يرى من حقـه أن يتخطى النـاس والمراتب ، ويمشى على مناكب الايام وأعناق الحوادث ، إلى أن يقع فى منزلته ، ويخلص الى مكانه .

تعبَ حافظٌ فى هذا السبيل ، وتعبت معه أطماعه الثائرة ، فهو قد ظنّ أن له مكاناً فى ظلال العرش المصرى الذى اتجهت اليه آماله ، فهو يتحفز للوثوب ، فأخذ يضرب على قيثارته عسى أن يسمع صاحب العرش فيصغى اليه ، ويحب أن يراه ويصطنعه ، ولـكنّ قيثارةً أخرى يحملها شاعر القصر كانت تشغل سمع الامير وقلبـه ، فلم يجـد حافظ منفذاً لنفسه ، وعَـلِمَ أن لا مكان له ولا لغيره فى تلك الظلال ، واليـك بعض ما توسـل به الى هـذا المطلب ، وأراقه من عصارة ذهنه فى ذلك السبيل .

قال حافظ ابراهيم من قصيدة فى عيد جلوس العباس عام ١٩٠١ :

ماذا ادّخرتَ لهذا العيد من أدبٍ ؟ — فقد عهدتك ربَّ السَّبقِ والغلبِ

هـذا هو العيد قـد لاحت مطالعه — وكلنا بـين مشتاقٍ ومرتقبِ

يا مَنْ تَـنافَسُ فى أوصافه كلِمى — تَنافُـسَ العرب الامجاد فى النسبِ

لم يُـبْقِ (أحمدُ) من قولٍ أحاولهُ — فى مدح ذاتك ، فاعذرنى ولا تعبِ

مَشيئةُ الله فى العباس قـد سَبقتْ — الى الجدود ، ومن يأتى على العَـقِبِ

يا مَنْ تَوَهَّمَ أنَّ الشِّعر أعذبُهُ — فى الدَّوْقِ أكذبُهُ ، أزريتَ بالادبِ

عَذْبُ القريض قريضٌ بات يعصمه — ذكر (ابن توفيق) وعن لغوٍ عن كذبِ

ليس لنا أن نقول إن حافظاً أراد أن يخدع شوقى بتقريظه فى هذه القطعة لينتفع به أو ليأمن كيده وهو يريد أن يخترق الطريق الى العرش ، فهو إنما جرى على طريقة ذوى النبل

والشرف من جمهرة الشعراء والأدباء فى التنويه بفضل الاكفاء والمتقدمين من أعلام الفنّ ، وجهابذة الصناعة ، وتلك سجية أعرفها فى حافظ ، وأذكرها له من فضائله المأثورة ، ولك فيما يلى دليل واضح يرشدك إلى الحق ، ويدلك على الصواب .

قال من قصيدة أخرى فى عيد الجلوس :

يا ليلةَ الهمتنى ما أتيه به على حُماة القوافى ، أينما تاهوا
انى أرى عجباً يدعو إلى عجبٍ الدهرُ أضمره ، والعيدُ أفشاه
هل ذاك ما وعد الرحمنُ صفوتَهُ روضٌ ، وحورٌ ، وولدانٌ ، وأمواه ؟
أم الحديقة ذاتُ الوشىِ قد جُلِيَتْ فى مَنظرٍ يستعيد الطرفَ مَرآه
أرى المصابيحَ فيها وهى مشرقةٌ كأنها النَّوْرُ والوسمىُّ حيّاهُ
أو إنما هى ألفاظٌ مدبّجة وكُلُّ لفظٍ تَجلّى فيه معناهُ
أرى عليها قلوبَ القومِ حائمةً كالطير لاح له وِرْدٌ فوافاهُ
أرى أريكةَ عبّاسٍ تحفُّ بها وقايةُ اللهِ ، والاقبالُ ، والجاهُ
قل للأُلى جعلوا للشعر جائزةً فيم الخلافُ ؟ ألم يرشدكم اللهُ ؟
إنى فتحتُ لها صدراً تليق به إن لم تُحَلُّوهُ ، فالرحمن حَلاّهُ
لم أخش من أحدٍ فى الشعر يغلبنى إلاّ فتىً ما له فى السَّبقِ إلاّهُ
ذاك الذى حكمتْ فينا يراعتُه وأكرم الله والعباسُ مَثواهُ

الدليل على سماحة النفس وكرم السجيّة أكثر وضوحاً فى هذه القطعة منه فى القطعة الأُولى ، فحافظ يحكم لشوقى على نفسه ، وهو مجال المباراة ، ومعرض المسابقة ، وليس هذا مما يسهل على كل نفس ، وله من قصيدة أخرى فى عيد الفطر :

مطالع سعدٍ ، أم مطالع أقمار تجلّت بهذا العيد ، أم تلك أشعارى ؟
إلى سُدّةِ العبّاسِ وجّهتُ مدحتى بتهنئةٍ شوقيةِ النسج معطار

لك أن تقول بعد هذا ، إن حافظاً أحسّ أمراً غيّر رأيه فى شاعر القصر ، وجعله يتحلل مما تقيّد به ، ولك فوق هذا أن تضيف إلى همومه الكثيرة هماً جديداً ، أو أكثر من هم ، عداوة شاعر القصر ، ووعورةُ الطريق إلى العرش ،

وتضاؤلُ رجائه الذى كان يدفع به فى هذا السبيل ، وكلّ هذا مما تستفيده من قوله فى قصيدة أخرى :

طُفْ بالاريكة ذات العزّ والشانِ ... واقضِ المناسكَ عن قاصٍ وعن دانِ
يا عيدُ ليتَ الذى أولاكَ نعمته ... بقرب (صاحب مصرٍ) كان أولانى
صُغتُ القريضَ ، فما غادرت لؤلؤة ... فى تاج كسرى ، ولا فى عقدِ بُوران
شكا عُمانُ ، وضجّ الغائصون به ... على اللآلى ، وضجّ الحاسدُ الشانى
كم رام شأوى ، فلم يدرك سوى صَدَفٍ ... ساحتُ فيه لنظّامٍ ووزّان
عابوا سكوتى ، ولولاه لما نطقوا ... ولا جرت خيلهم شوطاً بميدان
اليوم أنشدهم شعراً يعيد لهم ... عهدَ النواسىّ أو أيامَ حسّان
أزفّ فيه إلى العباس غانيةً ... عفيفة الخدر ، من آيات عدنان
من الأوانس ، جلاّها يراعُ فتىً ... صافى القريحة ، صاحٍ غيرُ نشوان
ما ضاق أصغره عن مدح سيّده ... ولا استعان بمدح الراح والبان
ولا استهلّ بذكر الغيد مدحته ... فى موطن بجلال الملك ريان

حملة شديدة ، وغارة شعواء على شاعر القصر ، ما كان لحافظ بعدها أن يطمع فى الاتصال بصاحب العرش ، وما له ولصاحب العرش ، وقد قذف بآماله من حالق ، وردّ عليه كلّ عروس من شعره فى زىّ طالق ، بعد أن زفّها اليه تحمل كل ما جمع تاج كسرى وعقد بوران من لآلىء غالية ، وبعد ان شكاه بحر عمان وغوّاصه لطولما ارتكض فى نواحيه ، وتقلّب فى جوانبه ، يتصيد الدرر يهديها الى العباس فى شعره ويرصع بها تاجه ، فيزيد فى جلاله ويضاعف سنا ملكه ، واشراق عصره ؟

إنها لصدمة عنيفة لنفس حافظ ، ولأدبه وفنّه ، ولكن لا بد للنفس الكبيرة من أن تطلب حقها ، وتلتمس مكانها ، ولابدّ للادب وفنّ الادب من نهضة بعد نهضة ، وانبعاثة بعد أخرى .

فوق عرش الامارة بمصر ، عرش الخلافة العظمى فى فروق ، ووراء هذا المجال الضيق الذى عثرت فيه آمال حافظ وهوت صريعة ، مجال أوسع يجدر به ان يتخذه لأدبه وفنّه . ولنفسه ومطامعه . وهكذا انصرف حافظ الى هذا المجال ، وأقبل على

أمير المؤمنين ، السلطان عبد الحميد ، يتغنّى بمدحه ، ويذكر له وللخلفاء من آل عثمان فضلهم العظيم فى اقامة ذلك البناء الاسلامى الضخم الذى رفعوه على شفار سيوفهم ، وتعهدوه بدماء أبطالهم ورجال دولتهم .

قال شاعرنا الكبير من قصيدة فى عيد تأسيس الدولة العليـة :

لقد مكّن الرحمن فى الارض دولةً لعثمان ، لا تعفو ولا تتشعّبُ
بناها ، فظنّتها الدرارى منازلاً لبدر الدجى تُبنى ، وللسّعد تُنصبُ
وقام رجالٌ بالامامة بعده فزادوا على ذاك البناء وطنّبوا
وردّوا على الاسلام عهد شبابه ومدّوا له جاهاً يُهاب ويُرهبُ
أسودٌ على البسفور تحمى عرينها وترعى نيامَ الشّرق، والغربُ يرقبُ

وقال من قصيدة أخرى فى عيد الجلوس السلطانى :

لحت جلال العيد والقومُ هُيَّبُ فعلّمنى آى العلى كيف تُكتبُ
تجلّى على عرش الجلال ، وتاجُهُ يَهَشُّ ، وأعوادُ السّرير ترحّبُ
وكم حاولوا فى الارض إطفاء نوره واطفاء نور الشّمس من ذاك أقربُ

ومنها فى وصف الجيش العثمانى :

يدانى شُخوصَ الموت حتى كأنما له بين أظفار المنية مطلبُ
اذا ثار فى يوم الوغى ، مال منكبٌ من الارض والاطواد ، وانهال منكبُ
له من رءوس الشّمّ فى البرّ مركبٌ ومن ثائر الامواج فى البحر مركبُ

لم ينل حافظ منالاً من جانب الخلافة ، فضاع شعره فيها كما ضاع من قبل فى الامارة ، وقيل فى بعض الانباء إن اليد التى أبعدته عن هذه لم تدعه ينعم بامله الجديد ، فسدّت عليه السبيل بعد ان عمل بعض الاصدقاء والانصار لتمهيده ، وبعد أن أوشك الشاعر العاثر الجدّ أن يظفر بحاجته ، ويقع على أمنيّة .

اشتدت الحركة الوطنية فى مصر على يد الزعيم الوطنى الاول (مصطفى كامل) أوصار الشعر من عناصرها ، فغامر حافظ فيها يتودد الى الشعب ويناصر زعماءه ، وفى روعه انه مفض من هذا الطريق الى ما يبتغيه من نباهة ذكر وسعة حال ، فنظم القصائد الحماسية الملتهبة ، وجال فى ميدان الجهاد الوطنى جولات واسعة

النطاق مترامية المدى ، وقد نجح من الناحية الادبية نجاحاً كبيراً فى هـذا المسلك الذى لم يكن من المستطاع لشاعر القصر أن يزاحمه فيه ، أو يصرفه عنه ، ولم يقصر حافظ شعره فى هذا الدور على السياسة وحدها ، ولكنه تبسّط فى أدبه فتناول الاخلاق والعادات ، وشؤون الحياة العامة وأحداثها فى الامة ، فلقّبوه بشاعر النيل وبالشاعر « الاجتماعى » .

وهذه أمثلة مما نظمه فى هذه الوجوه والمناحى تحدّثك أنّه لم يُعَدّ لصغائر الامور ، وأنّه مسوق بفطرته وشعوره الى مواطن الجدّ فى القول ، ومنازل العز والشرق فى الادب ، فهو بهذا الوصف شاعر الامّة والبلاد ، وشاعر الزمن والخلود .

لستُ فى هذا بمتّهم ، وما أدّعى انه استطاع أن يعصم نفسه وأدبه عمّا لا ينبغى لمثله من زلة الرأى ، وتهافت المنطق ، فانّ له لقصيدتين من الشعر الشارد ، احداهما فى رثاء الملكة فيكتوريا ، والثانية فى تتويج ادوارد السابع وقد احترز فى الاولى ولم يتحفظ فى الثانية ، فقال :

لا تعجبنّ لملكٍ عزّ جانبه ... لولا التعاونُ لم تنظر له أثرا
ما ثلّ ربُّكَ عرشاً بات يحرسه ... عدلٌ ، ولا مدّ فى سلطان مَنْ غدرا
(ادوار) دمتَ ، ودام الملك فى رغدٍ ... ودَامَ جُنْدُكَ فى الآفاقِ منتصرا
هم يذكرونكَ إنْ عدّوا عُدولَهُمُ ... ونحن نذكر إنْ عدُّوا لنا (عُمَرا)
كأنّما أنتَ تجرى فى طريقتهِ ... عدلاً ، وحلماً ، وإيقاعاً بمن أشِرا

وان له لقصيدتين أخريين فى وداع (كرومر) أخطأ فيهما القصد ، والتوى به السبيل فى أولاهما التواءً يسوء كل محبّ له ، ومطلع هذه القصيدة :

فتى الشعر، هذا موطنُ الصدق والهدى ... فلا تكذبِ التاريخ ، إن كنت منشد

ومنها :

سنطرى أياديكَ التى قد أفضتها ... علينا ، فلسنا أمةً تجحد اليدا
أمنّا : فلم يسلك بنا الخوفُ مسلكاً ... ونمنا ، فلم يطرق لنا الذُعرُ مرقدا
وكنتَ رحيمَ القلبِ ، تحمى ضعيفنا ... وتدفع عنا حادثَ الدهرِ إنْ عدا

قال شاعرنا الكريم بعد هـذا :

ولولا أسىً فى دنشواىَ ، ولوعةٌ وفاجعةٌ أدمتْ قلوباً واكبدا
وَرَمْيُكَ شعباً بالتعصب غافلاً وتصويرُكَ الشرقىَّ غِرًّا مُجرَّدا
لَذُبْنا أسىً يومَ الوداع لِأننا نرى فيكَ ذاكَ المصلحَ المتودّدا

اللهمّ فاغفر لحافظ ،انها ليست من رأيه ، ولا من عقيدته .

أمثلة من شعره فى السياسة وشؤون الحياة

قال من قصيدته (ماذا أصبت من الاسفار والنصب) :

متى أرى النيلَ لا تحلو مواردُه لغير مُرتهبٍ لله ، مُرتقبِ ؟
فقد غدت مصرُ فى حالٍ اذا ذكرت جادت جفونى لها باللؤلؤ الرطبِ
كأننى عند ذكرى ما ألمَّ بها قِرْمٌ تردّدَ بين الموت والهربِ
اذا نطقتُ فقاعُ السِّجنِ مُتَّكئى وان سكتُّ ، فانَّ النفسَ لم تطبِ
أيشتكى الفقرَ غادينا ورائحنا ونحن نمشى على أرضٍ من الذهبِ ؟
والقومُ فى مصر كالإسفنج ،قد ظفرت بالماء ، لم يتركوا ضرعاً لمحتلبِ
يا آل عثمانَ ، ما هـذا الجفاء لنا ونحن فى الله اخوانٌ وفى الكتبِ ؟
تركتمونا لأقوامٍ تُخالفنا فى الدين والفضل والاخلاق والادبِ

آية بارعة من إنجيـل الشعر السيامى أرسلها الشاعر الكبير تحت سماء مصر ، باسم مصر ، وفى سبيل مصر ، يشكو فيها تألب الحوادث عليها ، وتشاغل الاعوان والانصار عنها ، وهو حين يذكر السجن ويتخوّف أن يُقذف به الى قاعه إن هو كشف عن ذات نفسه كلّ الكشف ، وقال كل ما يريد أن يقول ، انما يصف لك خطبَ الحرية ومُصابها ، وشقاءَ النفس الشاعرة وعذابها ، وهذه صورة أخرى من صُور الحياة السياسية التى تصدّى لوصفها ، وعمد الى تصويرها . ومن شعره فى هذا الباب قوله من قصيدة :

سَعيتُ الى أن كدتُ أنتعلُ الدَّما وَعُدْتُ وماأعقبْتُ الاَّ التَّندُّما
لحَا اللهُ عَهدَ القاسطين الذى به تهدَّمَ من بنياننا مَا تهدَّما
إذا شئتَ أن تلقى السَّعادة بينهم فلا تكُ مصرياً ، ولا تكُ مُسلما

وقوله فى حادثة دنشواى من قصيدة طويلة :

أيها القائمون بالامر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟
انما نحن والحمامُ سواءٌ لم تغادر أطواقنا الاجيادا
أحسنوا القتلَ إن ضننتم بعفوٍ أنفوساً أصبتمُ ، أم جمادا ؟
ليت شعرى أتلك محكمةُ التفتيش عادت أم عهد نيرون عادا ؟!

وقوله من قصيدة أخرى فى هذه الحادثة وجّه الخطاب فيها الى ممثل الدولة الانكليزية فى مصر لدى عودته إليها :

ماذا أقول ، وأنتَ أصدقُ ناقلٍ عنّا ، ولكنّ السّياسة تكذبُ ؟
إن ضاق صدرُ النّيل عما هالهُ يَوْمَ الحمامِ ، فانّ صدركَ أرحبُ
رفقاً (عميدَ الدولتين) بأمةٍ ضاق الرجاءُ بها ، وضاق المذهبُ
إن أرهقوا صيّادكم ، فلعلهم لِلْقُوتِ ، لا المسلمين ، تعصّبوا
ولربما ضنّ الفقيرُ بقوتهِ وسخا بمهجتهِ على من يغضبُ
فى (دنشواى) وانت عنّا غائبٌ لعب (القضاة) بنا ، وعزّ المهربُ
نُكبوا ، وأقفرت المنازلُ بعدهم لو كُنْتَ حاضرَ أمرهم ، لم يُنكبوا

لا تظنن حافظاً يرسل هذا البيت وهو غافل عما ترى أنت فيه معنى التنزيه للممثل الانكليزى ، والارتفاع به عن مواطن الظلم ، ومواضع الجور والعسف ، إنه ليعلم أن كلّ ما حدث فى دنشواى من كبار الحوادث وعظائم الامور ، إنما كان بمشيئة الممثل ورأيه ، وانما هو يغالط ويتهكم ، ونحن بسبيل الشعر السياسى ، وقد مضى حكم شاعرنا الكبير على السياسة فى قوله (ولكنّ السياسة تكذب . .) . قال بعد هذا :

جُلدوا ، ولو منّيتهم لتعلقوا بحبال من شُنِقوا ، ولم يتهيّبوا
شُنقوا ، ولو مُنحوا الخيارَ لأهّلوا بلَظَى سياطِ الجالدينَ ، ورحّبوا
فاجعلْ شعاركَ رحمةً ومودةً انّ القلوب مع المودّه تُكسَبُ

أنظر إلى هذا البيت ، ألا ترى فيه مصداق ما قلته لك عن غرض الشاعر ووجهته

إذ يقول (لو كنت حاضر أمرهم لم ينكبوا) ؟ إنّه ينصح للممثّل الانكليزى أن يكون رحيماً ، ويوصيه أن يتودد الى هذه الأمة بكفّ الاذى ، وأخذها بسياسة أخرى غير سياسة العصا ، قال الشاعر يخاطبه :

وإذا سُئلتَ عن الكنانة ، قل لهم   هيَ أمّةٌ تلهو ، وشعبٌ يلعبُ

وله من قصيدة يخاطب (روزفلت) حين قدم إلى مصر وألقى فيها خطبته السياسيّة المأثورة :

يا خطيبَ (الدنيا الجديدة) شنّفْ   سمعَ مصر بقولك المأثور
واخبر النّاسَ كيف سُدْتم علىَ النّا   سِ وجئتم بمعجزات الدهور
وملكتم أعنةَ الريح والما   ءِ ودستم على رقاب العصور
قفْ وعدّدْ مآثر العلم ، واذكر   نعمَ الله ذكر عبدٍ شكور
وإذا ما ذكرتَ أنعمه الكُبْ   رَى فلا تنسَ نعمة الدستور
يا نصيرَ الضعيفِ ما لك تُطرى   خُطّةَ القوم بعد ذاك النكير ؟
لم تُطيقوا جوارهم ، بل أقمتم   فى حما كم من دونهم ألفَ سُور
ليت شعرى أكنت تدعو اليهم   يوم كانوا على تخوم الثُّغور ؟
يوم كانوا قذًى بعين (نُيُويُورْ . . . كَ) وداءً مُستحكماً فى الصُّدور
يوم نادى (واشنجتون) فلبّا   هُ من الغيل كلُّ ليثٍ هصور
ووثبتم إلى الحياةِ وُثوباً   ونفضتم عنكم تراب القبور
يا نصير الضّعيف حَبّبْ اليهم   هجرَ مصرٍ تفُزْ بأجرٍ كبير

لانريد ان نستأثر بشعر حافظ فيما نكتب عنه ، فانّ لاصدقائه الكرام ومحابته الموفين من كتاب هذا العدد المخصص له حقّاً كبيراً فيه وفى شعره ، وحسبنا من شعره السياسىّ ما أثبتناه له ، فهو يُمثّله لك شاعراً محباً لبلاده ، حفيّاً بأمّته ، يشكو ، فلا ترتاب فى انّ مصر هى الشاكية ، ويرجو فلا تأخذك شبهة فى موضع هذا الرجاء من نفسها ، ومحلّه من فؤادها . ان فى كلّ بيت من هذا المثال المقتضب لجُرْحاً دامياً من جراح مصر السياسيّة ، وصرخةً عاليةً من صرخاتها العنيفة المتوالية ، وانك لترى بين هذين شيئاً آخر يندفع فى روعة شديدة ، ويثور فى

حرارة بالغة ، ذلك هو الأمل ، أمل مصر المعذبة ، أملهـا الحائر المضطرب تارة ، والحزين تارة أخرى . ومن شعر حافظ فى شؤون الحياة المصرية قوله من قصيدة يدعم بها رأى (قاسم أمين) فى الحجاب :

رجائىَ فى قومى ضعيفٌ كأنّه جَنانُ وزيرٍ ، سوّدته متاعبُه
أقاسمُ إنّ القوم ماتت قلوبُهم ولم يفهموا فى السِّفرِ ما أنتَ كاتبُه

وقوله من قصيدة فى حريق ميت غمر :

أيها الرافلون فى حُلل الوشى يجرون للذيول افتخارا
إنّ فوق العراء قوماً جياعاً يتوارَوْنَ ذلّةً وانكسارا
قد شهدنا بالامس فى مصر عُرساً ملأ العين والفؤادَ انبهارا
سال فيه النّضارُ حتى حسبنا أنّ ذاكَ الفناء يجرى نُضارا
بات فيه المنعّمونَ بليلٍ أخجلَ الصُّبحَ حُسْنُهُ فتوارى
يكتسون السّرورَ طوراً ، وطوراً فى يد الكأس يخلعون الوقارا
وسمعنا فى (ميت غمرٍ) صياحاً ملأ البرَّ ضجةً والبحارا
جلَّ من قسّمَ الحظوظ فهذا يتغنّى ، وذاكَ يبكى الديارا !

فى القصيدة التى نجتزىء عنها بهذه القطعة البليغة وصف مؤلم للمنكوبين يبعث الرحمة فى أشد القلوب قسوة ، ويُغرى بالاحسان والبرّ أكثر النفوس تمرُّداً على فضيلة المعروف وشريعة الخير ، ولم يكن حافظ فى هذا كلّه وصّافاً أو مصوّراً فحسب ، كلا ، فانّا نرى نفسه الكريمة وروحه البارة ، ممثلين فى هذه القصيدة المؤثّرة تمثيلاً ناطقاً ، ولقد عرفته رحمه الله ليّنَ القلب ، قوىَّ العاطفة يقف على السائل بين يديه ، فيقع عطاؤه فى كفّه قبل أن تقع كلمته من بين شفتيه . ثم لا يقنع بهذا ، ولكنه يبقى واجماً محزوناً من أجله فلا يكاد يعود الى الحديث الا إذا حمل عليه . وهذه قطعة من قصيدة له ألقاها فى مدرسة البنات فى بور سعيد :

كم ذا يكابد عاشقٌ ويلاقى فى حُبِّ مصرَ كثيرةِ العشاقِ !
لهفى عليكِ متى أراكِ طليقةً يحمى كريمَ حماكِ شعبٌ راقِ ؟

فاذا رُزقتَ خليقةً محمودةً فقد اصطفاكَ مُقسّمُ الارزاقِ
والعلمُ إن لم تكتنفه شمائلٌ تُعليه كان مطيّةَ الاخفاقِ
كم عالم قدٌ العلومَ حبائلاً لوقيعةٍ وقطيعةٍ وفراقِ

يذكر فقيه السوء بعد هذا البيت ثم يقول فيه :

يمشي وقد نُصبَتْ عليه عمامةٌ كالبرج لكن فوْقَ تلِّ نفاقِ

ثم يستطرد فيقول :

وطبيب قومٍ قد أحلَّ لطبّه ما لا تُحِلُّ شريعةُ الخلاّقِ

وهو اذا وفّى هذا الطبيب حقّه من الوصف كرَّ على (مهندس النيل)فأغرقه ذمّاً وتقريعاً ، ثمّ انقضّ على الاديب ــ أديب السوق ــ فأهانه وداس أدبه وبيانه وهذا بعض ما قال فيه :

فى كَفّهِ قَلَمٌ يَمُجُّ لُعَابُهُ سُمّاً وينفثه على الاوراقِ
يَرِدُ الحقائقَ وهيَ بِيضٌ نُصَّعٌ قُدْسِيَّةٌ ، عُلْوِيَّةُ الاشراقِ
فَيَرُدُّهَا سُوداً ، عَلى جَنَبَاتِهَا من ظُلمةِ التمويهِ ، ألفُ نطاقِ
عَرِيَتْ عن الخُلُقِ المطهّرِ نَفسُهُ فيحاتُهُ ثِقلٌ على الأعناقِ

يلتفت الشاعر بعد هذا كله الى جهل الامّهات فى مصر ، وسائر بلاد الشرق العربى ، والى ما له من الآثار الذميمة فى حياة الأمم الشرقيـة فيقول :

مَنْ لى بتربية النساء ، فانّها فى الشرق علةُ ذلك الاخفاقِ
الأمُّ مدرسةٌ ، إذا أعددتَها أعْدَدْتَ شعباً طيّبَ الاعراقِ

سار هذا البيت مسيرَ المثل ، وهو من الحكم العمرانية الجليلة ، وقد ذهب الشاعرُ فى هذه القصيدة مذهب المتحفظ بين أنصار الحجاب ، ودعاة السّفور ، فقال :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً بين الرجال ، يَجُلْنَ فى الاسواقِ
يَدْرُجْنَ حيثُ أرَدْنَ ، لا مِنْ وازعٍ يَحْذَرْنَ رِقْبَتَهُ ولا مِن واقِ
كلا ، ولا أدعوكمو أن تُسرفوا فى الحَجْبِ ، والتضييقِ ، والارهاقِ

فتوسّطوا في الحالتين ، وأنصفوا ··· فالشرّ في التقييدِ والاطلاقِ
ربّوا البنات على الفضيلة ، إنّها ··· في الموقفين لهنّ خيرُ وثاقِ

بهذه الابيات الحكيمة ، فصل الشاعرُ العظيمُ حافظ ابراهيم في مشكلة (الحجاب والسفور) على السَّنن الأوضح ، والطريقة المثلى . فمن حقّ هذا الحكم أن يكون دستوراً لجيلنا الحاضر وللأجيال المقبلة معاً في هذه القضية التي تشغل الشعوبَ الشرقية اليوم .

قال شاعرنا العظيم من قصيدة في (رعاية الاطفال) :

لو وفى بالزكاةِ مَنْ جمّعَ الـ . . . ··· دُّنيا وأهوى على اقتناء الحطامِ
ما شكا الجوعَ مُعدمٌ ، أو تصدّى ··· لركوبِ الشرورِ والآثامِ
راكباً رأسه طريداً شريداً ··· لا يبالي بشرعةٍ أو ذمامِ
سائلاً عن وصيةِ اللهِ فيه ··· آخذاً قوتَهُ بحدّ الحسامِ

أنظر اليه كيف تناول الحياة العامّة من أساسها ، وكيف برز في هذه القطعة من شعره زعيماً اشتراكياً كبيراً ، يجمع الفقراء حول لوائه ، ويزحف بهم في شجاعة وجرأة على قصور الأغنياء ، يدعوهم إلى كتاب الله ويحاول أن يقتحم الاسوار إلى خزائنهم يستنقذ منها تلك الحقوق الصارخة المحبوسة عن ذويها وأوليائها .

أنظر اليه إماماً صالحاً ومعلماً حكيماً يصف لك ما ينشأ عن تعطيل حكم الزكاة من سخط الفقراء على الاغنياء ونشوب العداوة بين الفريقين ، وأن ذلك ممّا يثير الشرور ويدفع الى اقتراف الجرائم .

قال شاعرنا من قصيدة رنّانة ألقاها في احتفال الجامعة مطلعها (حيّاكمُ الله أحيوا العلم والأدبا) :

هذا هو الأثرُ الباقي فلا تقفوا ··· عند الكلام اذا حاولتموا أدبا
ودونكم مثلاً أو شكتُ أضربُهُ ··· فيكم وفي مصر إن صدقاً وإن كذبا
سمعتُ أن امرأً قد كان يألفُهُ ··· كلبٌ فعاشا على الاصلاح واصطحبا
فمرّ يوماً به والجوعُ ينهبُهُ ··· نهباً فلم يبق إلا الجلد والعصبا

يبكى عليه وفى يمناه أرغفة ... لو شامها جائع من فرسخ وثبا

فقال قوم وقد رقّوا لذى ألم ... يبكى وذى ألم يستقبل العطبا :

ماخطب ذا الكلب؟ قال: الجوع يخطفه ... منى وينشب فيه الناب مغتصبا

قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية : ... هذا الدواء فهل عالجته فأبى ؟!

أجابهم ، ودواعى الشح قد ضربت ... بين الصديقين من فرط القلى حجبا :

لذلك الحد لم تبلغ مودتنا ... أما كفى أن يرانى اليوم منتحبا ؟!

هذى دموعى على الخدين جارية ... حزناً ، وهذا فؤادى يرتمى لهبا

يسوق حافظ الى قومه هذه القصة اللذيذة التى تصف الحنان الكاذب ، وتمثل الحب الغادر ، ليأخذ السبيل على الذين يدعون حب مصر من أبنائها ، ويكثرون من ترديد الاقاويل الزائفة فى هذا المعنى ، حتى اذا حانت ساعة العمل تركوا البلاد فى غمرتها ، ووقفوا يتباكون خلف أنصارها ، أراد شاعرنا الموقر أن يأخذ السبيل على هؤلاء ليساهموا بأموالهم فى اقامة أكبر دار للعلم والثقافة العصرية فى مصر ، وانظر ماذا يقول بعد اداء قصته .

أقسمت بالله إن كانت مودتنا ... كصاحب الكلب ، ساء الامر منقلبا

أعيذكم أن تكونوا مثله ، فنرى ... منكم بكاء ، ولا نلفى لكم دأبا

إن تقرضوا الله فى أوطانكم ، فلكم ... أجر المجاهد ، طوبى للذى اكتتبا

فى هذه الطائفة من منظومات حافظ فى هذا الباب ما يغنى عن الاسترسال ، ويفى بالمطلب المبتغى ، وقد ترامت بشاعرنا الكبير همته الادبية ، فتباعد مداه ، وتقاذفت غايته ، ومن الاغراض التى تناولها ونظم فيها ، وهو يسير ممعناً ، ويذهب متدفقاً فى تلك المطارح البعيدة والمنازع القصية : الشمس — غادة اليابان — حرب اليابان — المارتينك — فيكتور هوجو — زلزال ايطاليا — أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — تولستوى — وقد أجاد حافظ فى كل هذه الابواب اجادة كبيرة ، تدل على عبقريته وعلو منزلته . فمن قوله فى مناجاة تولستوى بعد موته :

حياة الورى حرب وأنت تريدها ... سلاماً ، وأسباب الكفاح كثير

أبت سنة العمران الا تناحراً ... وكدحاً ولو ان البقاء يسير

تحاولُ دَفْعَ الشرِّ والشرُّ واقعٌ وتطلبُ محضَ الخيرِ وهو عسيرُ
ولولا امتزاجُ الشرِّ بالخير لم يقم دليلٌ على أن الالـهَ قديرُ
ولم يبعث اللهُ النبيين للهدى ولم يَتطلَّع للسَّرير أميرُ
ولم يعشقِ العلياءَ حُرٌّ ، ولم يَسُدْ كريمٌ ، ولم يَرْجُ الثراءَ فقيرُ
فكم فى طريق الشَّرِّ خيرٌ ونعمةٌ وكم فى طريقِ الطيِّباتِ شُرورُ

موقف تأمل

هذا هو حافظ ابراهيم ، فهل ترى وراء كل هذا مزيداً لشاعر مصرى يعيش فى مصر ؟ إن فى مصر لحياةً زاهرة ولكن لغير الاديب المهذب ، ودنيا ناضرة ولكن ليست للشاعر الحرّ ، وهل تظن أن حافظاً يهزل حيث يقول :

فما أنت يامصرُ دارَ الأديبِ ولا أنتِ بالبلدِ الطيِّبِ

أتراه متجنياً عليها أو ظالماً لها أو عدوّاً يضمر لها البغض ويريد بها السُّوء ، وهو الذى أذاب نفسه الكريمة شعراً فى سبيل حُبها ومن أجل حياتها ؟ أليس هو الذى يقول :

لهفى عليكِ متى أراكِ طليقةً يَحمى كريمَ حِماكِ شعبٌ راقِ ؟

أريد ان تعرف لِمَ يقول حافظ بعد هذا وغير هذا (فما أنت يامصر دارَ الأديبِ...) ؟ هو وحده يحدثك ، وهذا جوابه :

عقنى الدهرُ ولولا أننى أُوثِرُ الحسنى عققتُ الادبا
أنا لولا أنَّ لى من أُمَّتى خاذلاً ، ما بتُّ أَشكو النُّوَبا

ما أراك بحاجةٍ إلى المزيد بعد هذا ، ولكنِّى أزودك قبل الفراغ من هذا الموقف لتظلّ ذاكراً . قال حافظ من قصيدة :

سلامٌ على الدنيا سَلامَ مُوَدِّعٍ رأى فى ظلام القبر أُنساً ومغنما
فما عصمتنى من زمانى فضائلى ولكن رأيتُ الموتَ للحرِّ أعصما

أخذ حافظ بنصيب من رتب الدولة ، وأقيمت له حفلة تكريم كبرى ، ثمَّ

استُعْمِلَ فى دار الكتب وكلّ هذا عطاءٌ نَزْرٌ ونائلٌ مُصَرَّدٌ ، وليس من هذا شىء يُرضى النفس المجيدة والعقل الكبير ، فرحمة الله عليك أيها الصديق .

نظرة فى شعره

أسلفنا لك أن حافظاً شاعرٌ فحلٌ متمكن الشاعرية قليل الأنداد، وقصصنا عليك من أمره ما فيه عظة لك بالغة ، فكن معنا فى انصافه والتماس المعذرة له اذا رأيته يهفو تارة أو يتبرم بالشعر فيتعسف فيه تارة أخرى. وانك لتراه على هذه الحال فى القصيدة الواحدة من شعره : تراه الشاعر العبقرى المنيع فى موضع منها والشاعر المتهاون المستهدف للنقد فى موضع آخر . أنظر الى قوله :

ما ذا ادَّخرتَ لهذا العيدِ من أدبِ ؟ فقد عهدتكَ ربَّ السَّبقِ والغلبِ

البيت بارع يجرى على نسق جميل تلمس فيه قوّة الدافع الوجدانى وتسمع له جرساً بعيد الاثر طويل الرنين . وانك لتراه مصقولا ناعماً كثير الايماض مُستطير البريق . ولكن أترى لو أنّ حافظاً أمعن النظر فى هذا البيت أ كان يغفل عما فيه من التخاذل ؟ انه ليعلم أنّ قوله (ادّخرت) يفسد عليه غرضه وينأى به عن المنزلة التى أرادها لنفسه ، وهل يفتقر الشاعر الفيّاض الى الادخار وهو الذى يسبق الاقران ويغلبهم ؟

أعجب من هذا البيت قوله فى البيت الثانى من القصيدة :

تشدو وترهفُ بالاشعار مُرْتجلاً وتُبرزُ القولَ بين السِّحرِ والعجبِ !

فهو فى البيت الاول شاعر مدّخر لا يأخذ موقفه الا اذا استعدّ ، وهو فى البيت الثانى حاضر البديهة متدفّق الطبع ، يقول الشعر ارتجالا ويا بعد ما بين الصورتين . أما قوله (ترهف بالاشعار) فخطأ لغوىّ ، يقال أرهف الرجلُ السيفَ ورهفه اذا شحذه ورقّق حدّه ، ومراد الشاعر أن يقول إنه يشدو بالاشعار ويرقّق صوته فى انشادها فالخطأ ظاهر ، وقال :

وتَصقلُ اللّفظَ فى عينى ، فأحسبنى أرى فِرِنْدَ سُيُوفِ الهندِ فى الكتبِ

أنت ترى البيت من الشعر الرنّان وإنك لمأخوذ بجمال هذا التشبيه الذى يُريك رونقَ السيف وشَاعَةُ فى المَشْوفِ المُعْلَمِ من الكلام ، ولكنك فى غير

حاجة الى الاذن إذا قلت إن جملة (تصقل اللفظ فى عينى) ظاهرة الخلل والفساد لأن مرجع الصُّوَر اللفظية الى الذهن — أو هو الذوق الفنى — لا الى العين . فما كان لها من مختلف الآثار فثمَّ الموضع وهنالك الحكم ، شأنها فى ذلك شأن الصور المعنوية ولا خلاف ، والعين والكتب فى البيت — أو فى هذا الباب كله — يستويان حُكماً لأن رونق الكلام واشراقه لا يكونان فى الورق ، وأولى بهذا الوصف أن يكون فى حسن الخط وجمال الرسم لا يعدوهما ، ومن عبث المتنبى فى هذا الباب قوله :

وَمَا قُلتُ من شعرٍ تكادُ بُيُوتُهُ ... إذا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ من نورها الحِبرُ

وأشدُّ من هذا فى معرض العبث أن يقول :

وما أناوَحْدِى قُلْتُ ذاالشعرَ كُلَّهُ ... ولكنْ لشعرى فيكَ من نفسهِ شعرُ

قال شاعرٌ قديمٌ فى حسن الخط :

يا مَنْ اذا خَطَّ الكتابَ بِمِينِهُ ... أهدى الينا الوشىَ من صنعاء

والشطر الثانى لابى تمام وأصله (أهدى اليها) . وقال التنوخى فى هذا الباب :

وَكَأنَّهُ لَيْلٌ يَمُوجُ خِلالَهُ صُبْحٌ مُنيرْ
وبدائعٌ تدع القلوبَ تكاد من طربٍ تطيرْ

ومنه قول كشاجم :

وكأنَّ البياضَ والنُّقطَ السُّودَ عبيرٌ رَشَشْتَهُ فى مُلاءِ
وكأنَّ السُّطُورَ وَالذَّهَبَ السَّاطِعَ فيها كواكبٌ فى سماء

وأين شاعرنا من المعانى يصفها ويقول لنا ما هى ؟ أتراه اكتفى من وصفها بقوله فى البيت السابق « وتُبرزُ القولَ بين السِّحر والعجب » ؟ كلاَّ ! فما هذا من الوصف الفنّى فى شىء ، وإليك بعض ماقيل فى وصف الكلام . قال أبو تمام فى الحسن بن وهب :

تنشَقَّ فى ظلم المعانى إن دجتْ ... منهُ تباشيرُ الكلامِ المشرقِ

وقال البحترى :

وبديعٌ كأنَّهُ الزَّهرُ الضـَّا ـحكُ فى رونقِ الربيعِ الجديدِ
مُشرق فى جوانبِ السَّمعِ ما يُخْـ ـلِقُهُ عَوْدُهُ على المسْتَعيدِ

أمَّا المتنبي فيقول :

اذا ما صافحَ الاسماعَ يوماً تبسّمت الضمائرُ والقلوبُ

لا أزيدك على هذا فحسبك أن تعرف المذهب وترى تصرّف القوم فيه وأحسب لو أن البحترى قال « مشرق فى جوانب النفس » لكان أجود وأنّ البَوْنَ لكبيرٌ بين « سمع البحترى » و « عين حافظ » .

قال حافظ فى هذه القصيدة :

انى دعوت القوافى حين أشرقَ لى عيدُ الأميرِ فلبَّتْ غُرَّةَ الطَّلبِ

غُرّة كلّ شيء أوّله ، يريد أن القوافى لبّته مُسرعة وهو مأخوذ من قول ابن الرومى :

يا مَنْ تَنَافَسُ فى أوصافه كلمى تَنَافُسَ العربِ الامجادِ فى النَّسبِ

وهو مأخوذ من قول أبى تمام :

تغايرَ الشعرُ فيه إذْ سهرتُ له حتى ظننتُ قوافيهِ ستقتتل

وفى بيت أبى تمام من التهويل الشعرى ما ترى . وقال فى قصيدته (ياليلةَ ألهمتنى ما أتيهُ به) :

انى أرى عجباً يدعو الى عجبِ الدهرُ أضمرَهُ والعيدُ أفشاهُ

يقول هذا البيت فى وصف المشاهد التى رآها ليلة المهرجان فانظر كم بينه وبينُ قول ابن الرومى فى تهنئة بعيد النيروز :

لم يَبْقَ للارض من سرٍّ تكاتمهُ الا وقد أظهرته بعد إخفاء ؟

قال حافظ يصف حديقة الازبكية فى قصيدته هذه :

أم الحديقةُ ذاتُ الوشىِ قد جُلِيَتْ فى مَنْظَرٍ يستعيدُ الطَّرْفَ مَرآهُ ؟

المنظر والمرأى واحد ، وقد أراد شاعرنا أن يقول ان الحديقة برزت فى منظر أنيق يُغرى العين بادمان النظر فوضع (مرآه) موضع (رؤيته) فاخطأ وقال :

أرى المصابيحَ فيها وهى مُشرقةٌ كأنها النَّوْرُ والوسمىُّ حَيَّاهُ

تشبيه معكوس لأن المصابيح أشد إشراقاً من الزهر ، ولعلّ الصورة التشبيهية هنا قائمة فى اختلاف ألوان المصابيح ومحاكاتها لالوان الازهار ، وهو ما لا يستفاد من هذا البيت أو سواه من أبيات القصيدة ، واليك ما يقوله أبو الحسن التهامى لتعرف مأخذ التشبيه :

وإذا تأملت الكواكب خِلْتها زهراً تَفَتَّحَ ، أو عُيُوناً حُوّلا

وانظر ما يقول ابن النبيه :

والليلُ تجرى الدرارى فى مَجَرَّتِهِ كالروض تطفو على نهر (أزاهرُه)

وأزاهرهُ فى البيت خطأ ، فالصواب ، زهر وأزهار وأزاهير — قال حافظ بعد البيت المتقدم فى صفة المصابيح :

أو إنما هى ألفاظٌ مُدَبَّجةٌ وكلُّ لفظٍ تجلَّى فيهِ مَعْناهُ

شبّه شاعرنا المصابيحَ فى البيت السابق بالازهار ، ثم عاد فشبهها فى هذا البيت بالالفاظ المدبجة ومعانيها فلم يتجاوز ما قدمناه لك من بيان وايضاح ، فانت ترى الانتحال ظاهراً فى البيتين بل نحن نزيدك فنذكر لك قول المتنبي :

كأن المعانى فى فصاحة لفظها نجومُ الثريّا أو خلائقكَ الزُّهْرُ

قال حافظ :

أرى (سُمُوَّ خديوينا) وقد بُسِطَتْ بالعدلِ والبذلِ يُمناه ويسراهُ

رحم الله شاعرنا الفحل انى لأظنه تردد كثيراً فى (سمو خديوينا) هذه فلما أبت أن تفارقه وطّنَ لها نفسه وأدخلها بيته كارهاً ثم ذهب يردد قول جرير :

انّ البغيض له منازل عندنا ليست كمنزلة المُحَبِّ المُكْرَمُ

وبعد ، فبيت حافظ صورة من قول البحترى :

ولِيَ البلادَ فكان عدلاً شائعاً ينفى الظلامَ ونائلاً موهوبا

وللقوم مذهب معروف فى هذا الباب يقع فيه قول الحطيئة :

يداك خليج البحر ، احداها دمٌ يَفيضُ ، وفى الأخرى عطاءٌ ونائلُ

وقول مسلم بن الوليد :

وما مرّ يومٌ قطّ الا جرتْ به ... على الناس من كفّيك بُؤسى وَأنعُمُ

وقوله :

غاد على كسب المحامد رائحٌ ... فى راحتيه منيّةٌ ونُشُورُ

وقول ابن هانىء الاندلسى :

وللدهر سِجْلٌ من حياةٍ ومن رَدًى ... ولكنّه من بين كفّيكَ ينهمى

قال حافظ :

أرى أريكةَ عبّاسٍ تَحُفّ بها ... وقايةُ اللهِ والاقبال والجاه

يقال حَفّهُ وحَفّ حَوْلَهُ وحَفّهُ بالشّىء فقوله (تحفّ بها) خطأ لا يسوغ. وفى القرآن الكريم (حافّين من حول العرش وحففناهما بنخل) وقال البحترى :

يَحُفُّونَ مَرْجُوّاً كَأنّ شُيُوبَهُ ... سُيُوحُ الْعِرَاقِ غُزْرُهاوُفُورها

ويقول جرير .ــ

وَبَنُو الوليدِ من الوليدِ بمنزل ... كالبدرِ حُفّ بواضحاتِ الأنجمِ

ومن قول الاخطل فى الخمر :

لها رِداآنِ ، نَسْجُ العنكبوتِ وقد ... حُفّتْ بآخرَ من طينٍ ومن قارِ

وقد وقع ابن هانىء الاندلسى فيما وقع فيه حافظ من الخطأ . فقال فى القائد جوهر :

يَحُفّ بهِ القُوّادُ والأمرُ أمرُهُ ... وَيَقْدُمُهُ رَأْيَ الخلافةِ أجمع

ومما نُسب الى عنترة وهو بعيد :

حَفّتْ بهِنّ مَنَاصِلٌ وَذَوَابِلٌ ... وَمَشَتْ بِهِنّ زَوَامِلٌ ونوَاجِ

ولعلّ هذا وأمثاله منشأ الخطأ فى قول حافظ ـ قال فى (جائزة الشعر) :

إنّى فتحتُ لها صدراً تَليقُ بهِ ... إن لم تُحَلُّوهُ فالرحمنُ حَلاّهُ

كانت الجائزة الاولى فى هذه المسابقة نوطاً ذهبيّاً وهى التى عناها حافظ وقد حُكم بها لقصيدته هذه . يقول إنه فتح لها صدره وفتح الصدر هنا لامعنى له فهى لاتوضع داخل الصدر ولا تُعلّق على ظاهره فيحلّ الشاعر مايليه من الازرار

ويميط ماعليه من الثياب ، وهو لوفعل ذلك لبقى صدره مُـقفلاً فالتعبير اذاً عامّى محض مانشكُ في أن شاعرنا الـكبير تـَرَخّصَ فيه لِيُـدَاعِبَ المحكّمين ويشغلهم بقصيدته .

قال فى عيد تأسيس الدولة العلية يذكر خلفاء آل عثمان :

وقام رجالٌ بالامامة بعده فزادوا على ذاك البناء وطنَّبُوا

وقال جرير :

ان الوليدَ خليفةٌ لخليفةٍ رَفَعَ البناءَ على البناءِ الاعظمِ

قال شاعرنا من قصيدة أخرى يصف شجاعة الجيش العثمانى وشدة مخاطرته :

يُدانى شُخُوصَ الموتِ حتىّ كأنما له بين أظفارِ المنيّةِ مَطلبُ

الوصف فى المنزلة العليا من البراعة ، ولكنه ليس بالجديد ، فهو قـد تقلب فى صُوَرٍ شتىّ من الشعر القديم ، وما نريدُ لك إلا أن تتفقهَ فى الأدب ، فاليك طائفةً من هذه الصُّوَر ، قال أبو تمام :

مُسْتَرْسلينَ إلى الحتوفِ ، كأنما بين الحتوفِ وبينهـم أرحامُ

وقال المتنبي :

وَقَـفْتَ ومافى الموتِ شَكٌّ لواقفٍ كأنك فى جفنِ الردى ، وهو نائمُ

وقال ابن هانىء :

ولقد تـكون لكَ الأسنَّةُ مَضجعاً حتّى كأنَّكَ عن حِمامكِ غافلُ

وهذا ابن معتوق يقول :

وَخُضْتُ إليها الحتفَ حتّى كأنّنى أُفَـتِّشُ أحْشَاءَ المنيَّةِ عن سِرِّ

قال حافظ :

مَـلَكتَ عليهم كُـلَّ فَجٍّ وَلُجـةٍ فليس لهم فى الـبرّ والبحر مهربُ

ويقول ابن هانىء :

أين المفرّ ولاَ مَـفرٌ لهاربٍ ولَكَ البَسيطانِ : الـثرى والماءُ

قال حافظ :

تَقاذفَهُمْ أيدى اللّيالى كأنّهم بها مَثَلٌ للنّاس فى القولِ يُضربُ

وقال أبو تمام :

أبقى عَلَى جَوْلةِ الأيّامِ من كَنَفَى رِضْوى وأسيرُ فى الآفاقِ من مَثَلِ

وقد أبرز المتنبيّ هذا المعنى فى صورة أخرى فقال :

يُخَيَّلُ لى أنّ البلادَ مَسامِعٌ وأنّىَ فيها ماتقول العواذلُ

ومن قول أبى تمام فى موضع آخر :

كأنّ لهُ دَيْناً على كلّ مَشْرِقٍ من الارض أو ثاراً لدى كل مَغربِ

قال حافظ من قصيدته (ماذا أصبت من الأسفار والتعب ؟) :

انّى احتسبتُ شباباً بِتّ أُنْفقهُ وَعزمةً شابت الدنيا ولم تَشِبِ

ويقول البحترى :

صَحِبُوا الزمانَ الفَرْطَ إلاّ انّهُ هرِمَ الزّمَانُ وَعِزُّهُمْ لم يَهرمَ

ويقول ابو تمام (شابت نواصى اللّيالى وهى لم تَشِبِ) . وقال حافظ من هذه القصيدة :

مَتىَ أرى النّيلَ لاتحلو مَوارِدُهَ لغيرِ مُرتهبٍ للهِ مُرتقبِ ؟

ويقول أبو تمام فى المعتصم .

تدبيرُ مُعتصمٍ بالله مُنتقمٍ للهِ مُرتقبٍ فى اللهِ مُرتهبِ

قال حافظ :

وكم لبستُ الدّجى والتربُ ناعِسةٌ واللّيلُ أهدأُ من جاشى لدى النُّوَب

التُّرْبُ اسمٌ من التراب زعم حافظ أنّه جَمْعٌ فأنّه خطأ ولُبْسُ الدّجى أو اللّيل ممّا كثر تداوله على ألسنة الشعراء . قال حاتم الطائى :

وَليلٍ بَهيمٍ قد تسربلتُ هَوْلَهُ إذااللّيلُ بالنّكْسِ الضّعيف تجَهّما

وقال العتّابى :

سَحبتُ له ذيل السُّرَى وهو لابسٌ دُجى اللّيل حتى مجّ ضوءالكواكبِ

اذا ادّرَعَ اللّيلَ الجلى وكأنّه بَقيّةُ هندىّ حُسَامِ المضاربِ

ويقول ابن الرومى :

لَبستْ دُجاهُ الجُونَ ثمّ هتكتُها ... بِيوَجْناءَ ينميها غَريرٌ وشَدْقَمُ

ومن شعر البديع الهمذانى (عَلَيَّ أن ألبسَ الظّلماءَ والبَيْلَبا) و يقول غيره (ويلبسُ من ظلمائها ثوبَ ثاكل) فامّا قول شاعرنا (والليل اهدأ من جاشى لدى النوب) فمأخوذ من قول ابى طالب الرقى :

ولقد ذكرتك والظلامُ كأنه ... يومُ النّوى وفؤادُ من لم يَعشقِ

قال حافظ من قصيدته (طُفْ بالاريكة) :

شكا عُمان وضجّ الغائصون بهِ ... على اللآلى وضجّ الحاسدُ الشّانى
كم رام شأوي فلم يدرك سوى صدفٍ ... سَاءمتُ فيه لنظّام وَوَزّانِ

و مُحصّل البيتين فى قول السرىّ الموصلى :

والشّعرُ بحرٌ حُزتُ أنفسَ دُرِّهِ ... وتنافسَ الشُعراءُ فى حَصْبائه

وقال من قصيدته فى تتويج الملك ادوارد :

يُصَرِّفُ الأمرَ من مصر إلى عَدَنٍ ... فالهند فالكابِ حتى يَعْبُرَ الجُزُرَا

ويقول المتنبي فى كافور :

يُدَبِّرُ الملكَ من مصرٍ إلى عَدَنٍ ... إلى العراقِ فأرضِ الرّومِ فالنُّوبِ

وقال :

سَعيتُ الى أن كدتُ انتعلُ الدّما ... وَعُدْتُ وما أعقبتُ الاّ التّندّما

وقال ازهر بن هلال التميمى يصف جواده :

أعاتك ما ولّيتُ حتى تبددت ... رجالى وحتى لم أجد مُتقدّما
وحتى رأيت الوَرْد يدمى لَبانَهُ ... وقد هاجَهُ الابطالُ (فانتعل الدما)

وقال ابن هانىء فى خيل المعزّ :

له المقرباتُ الجُرْدُ (يُنعلها دماً) ... إذا قَرعتْ هامَ الكُماةِ السنابكُ

ومعنى البيت كله مأخوذ من قول الشاعر :

وما زلتُ أقطعُ عرض البلاد من المشرقين إلى المغربينْ
وأذّرعُ الخوف تحت الدّجى وأستصحبُ النّسرَ والفرقدينْ
وأطوى وأنشرُ ثوبَ الهمُوم إلى أن رجعتُ بخُفّيْ حُنينْ

وقال :

نُكبوا وأقفرت المنازلُ بعدهم لو كُنت حاضر أمرهم لم يُنكبوا

وهو من قول المهلهل فى كليب :

وتكلموا فى شأن كلِّ عظيمة لو كنتَ شاهد أمرهم لم ينبسوا

قال فى قصيدة (روزفلت) :

واخبر الناسَ كيف سُدتم على النا س وجئتم بمعجزاتِ الدهورِ

اخبرَ من الافعال الرباعية وحكمه حين يكون فعل امر ثبات حركة الهمز فى اوله فيقال (اخْبِرْ) ، وعندنا ألاّ رُخصة فى قواعد اللغة فلا يشفع فى مثل هذا الخطأ البيّن ان يكون البيت مُستقيم الوزن . قال حافظ بعد هذا البيت :

وملكتم أعنّة الريحِ وَالما ء وَدُسْتُمْ على رقابِ العصورِ

يقال داسَ الرجلَ والشىءَ لا دَاسَ عليه فالفعل مُتعدٍّ بنفسهِ والخطأ فى البيت واضح ، وقوله (الدهور) فى البيت الاول و (العصور) فى الذى يليه من أشنع عيوب القافية . ومن قوله فى هذه القصيدة :

قف وعدّد مآثر العلمِ واذكر نِعمَ اللهِ ذكر عبدٍ شكور

فى مادّة عدّدَ شبهات لغويّة لم تفصل المعاجم فى امرها وقد اختُلف فى تفسير قوله تعالى (الَّذِى جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ) فقالوا جعله عُدّةً للدّهر وقالوا غير ذلك واليك طائفة من اقوالهم .

قال الخازن : وَعَدَّدَهُ أى أحصاه من العَدد ، وقيل هو من العُدّة ، استعدّه وجعله ذخيرةً وغنىً له .

وقال البيضاوى : جعله عُدة للنوازل ، أو عَدَّهُ مرةً بعد أخرى ، ويؤيده أنّه قُرِىءَ وَعَدَدَهُ على فك الادغام .

وقال الألوسى : عَدَّهُ مَرةً بعد أخرى حُبّاً له ، وشغفاً به وقيل جعله

أصنافاً وأنواعاً ، وقال غير واحد ، أى جعله عُدّة ومُدّخراً لنوائب الدهر ومصائبه ، وَقُرِىءَ وعَدَدَه أى قومه الذين ينصرونه .

وقال الطبرى : عَدَّدَهُ أحصى عَدَّهُ .

وقال الفخر الرازى : فيه وجوه ، أحدها أنه مأخوذ من العُدَّة ، وهى الذخيرة ، وثانيها عَدَّدَهُ أى أحصاه ، وجاء التشديد لكثرة المعدود كما يقال (فلان يُعَدِّدُ فضائل فلان) وثالثها عَدَّدَهُ أى كثرهُ ، وقرأ بعضهم وَعَدَدَهُ بالتخفيف .

أمّا الزمخشرى شيخ اللغويين فيقول : عَدَّدَهُ جعله عُدَّةً لحوادث الدهر ، وَقُرِىءَ وَعَدَدَهُ بالتخفيف من قولك له عُدَدٌ وَعَدَدٌ ، وقيل وَعَدَدَهُ بمعنى وعدَّهُ على فك الادغام ، نحو ضنِنُوا .

هذه أقوال المفسرين ، أمّا معاجم اللغة فتقول : عَدَّدَ المال تعديداً جعله عُدَّة للدهر ، قال الاخفش : ومنه قوله تعالى (جمعَ مالاً وَعَدَّدَهُ) ويقال جعله ذا عَدد ، وَعَدَّدَ الميّتَ عدَّ مَناقبه .

يعوزنا بعد كل هذا أن نستشهد بالشعر من أقوال الثقات ، ولا يحضرنا الآن من الشواهد سوى قول أبى تمام :

وقائع أصلُ النَّصرِ فيها وَفرْعُهُ إذا عُدِّدَ الاحْسانُ أو لم يُعَدَّدِ

وقول الشريف الرضى فى تهنئة أخيه الشريف المرتضى بمولودة .

لله شمسُ عُلاً جاءت بجوهرةٍ غرّاءَ من قمرٍ بالمجدِ مَسعودِ
ما عَدَّدَتْ منك إلا نطفةً سلكتْ إلى الأماني طريقَ الماء فى العُودِ

يدل سياق الكلام فى بيت أبى تمام على أنه يريد الاحصاء ، أمّا الشريف الرضى فيذهب الى معنى آخر ، والمعوّل فى كل هذا على العرب ، فالشبهة ما تزال قائمة ونحن نتجاوز بيت حافظ الى قوله :

ليت شعرى أكنتَ تدعو اليهم يومَ كانوا على تَخُوم الثغور ؟

اختلف علماء اللُّغة فى كلمة (تَخُوم) فقال بن السّكّيت إنه سمع أبا عمرو يقول المفرد تَخُوم بالفتح ا والجمع تُخُم كصَبُورٍ وصُبُرٍ .

وقال الفرّاء ، انما هى تُخُوم ، وَاحِدُها تَخْمٌ وتُخْمٌ ، وقد أخذ حافظ بهذا

القول كما أخذ به أبو تمام من قبل فقال :

أحَلّهُمُ النّدى سِطَةَ المعالى إذا نزلَ البخيلُ على التُّخُومِ

قال حافظ من قصيدته فى كتاب قاسم أمين :

رجائىَ فى قومى ضعيفٌ كأنه جَنانُ وزيرٍ سَوَّدَتْهُ مناصِبُهْ

يجرى الشاعر فى هذا البيت على نسق الظاهر الحرمى إذ يقول :

وليلٍ كوجه البرقعيدىّ ظُلمةً وَبَرْد أغانيهِ ، وَطُولِ قرونهِ

قطعتُ دياجيهِ بنومٍ مُشرَّدٍ كعقل سُليمانَ بن فِهدٍ ودِينهِ

بذى أوْلَقٍ فيه التفاتٌ كأنّهُ أبو جابرٍ فى خَبطهِ وَجُنونهِ

الى أن بدا وجهُ الصباحِ كأنّهُ سَنا وَجهِ قرواشٍ وضوءِ جَبينهِ

وقال فى حريق ميت غمر :

جلّ من قَسّمَ الحظوظَ فهذا يَتغنَّى ، وذاكَ يَبكى الديارا

وهو ينظر إلى قول الشاعر :

سبحانَ من قَسَمَ الحظو ظَ فلا عتابَ ، ولا مَلامَهْ

قال حافظ من قصيدة أنفذها من السودان إلى الاستاذ الشيخ محمد عبده :

فناديتُ باسم الشّيخِ والقيظُ جمرُهُ يُذيبُ دماغَ الضّبّ والعقلُ ذاهلُ

فصرتُ كأنى بين روضٍ ومَنهلٍ تدبّ الصَّبا فيه وتشدو البلابلُ

وهو صُورة محرّفة من قول الشاعر :

وليلٍ وصلنا بين قُطريهِ بالسُّرَى وقد جَدَّ شوقٌ مُطمِعٌ فى وصالكِ

أربّت علينا من من دجاهُ حنادسٌ أعدنَ الطريقَ النَّهجَ وعرَ المسالكِ

فناديتُ يا أسماءُ باسمكِ فانجلتْ وأسفرَ منها كلُّ أسودَ حالكِ

وفى هذه القصيدة يقول شاعرنا :

فقلتُ إذا شاءَ الامامُ فأوبتى قريبٌ ، وربعى بالسّعادة آهلُ

وإلاّ فانى قافلُ رؤيةَ لم أزل بقيدِ النّوى حتى تغولَ الغوائلُ

البيت الأول من قول الشاعر :

عليكِ سلامٌ لا زيادةَ بيننا ولا وَصلَ الاّ أن يشاءَ ابنُ مَعمر

والثانى من قول المعرى :

ما لى غدوتُ كقافِ رؤبةَ قُيِّدَتْ فى الدهرِ لم يُقدرْ له إجراؤها؟

وقد نبّه شارحُ الجزء الاول من ديوانه على المأخذ الثانى ولكن هذا التنبيه لا يشفع له ، ورؤبة هذا هو رؤبة بن العجاج التّميمى من أكبر الرجّازين وأقدرهم ، وقافه قاف أرجوزته التى يقول فى مطلعها :

وقاتمِ الاعماقِ خاوى المخترَقْ مُشتبهِ الاعلام لمّاعِ الخفقْ

وقال من قصيدة أخرى يمدح بها الاستاذ :

طلعتَ لها باليُمنِ من خير مطلعٍ فكُنتَ لها فى الفوز قِدحَ بنِ مُقبلَ

الضمير فى (لها) عائد على الأمّة ، وكان الوجه أن يقول (طلعت عليها) ومن الشواهد على ذلك قولهم (طلع البدر علينا) و (طلعتُ عليها بالردى أنا والفجرُ)

طلعوا على مروانَ يومَ لقائهِ من كلِّ أروَعَ بالقَنا دعّاس

وفى قدح بن مقبل يقول الصفىّ الحلىّ :

وما زلتُ فيهم مثلَ قِدْحِ بن مُقبلٍ بِسَبْعِينَ أمسى فائزاً غيرَ خائبِ

وقال حافظ :

رأيتكَ والأبصارُ حولكَ خُشَّعٌ فقلتُ أبو حَفص بِبُردَيكَ أم على؟

وقال البحترى :

بأروَعَ مِنْ طَيٍّ كأنَّ قَميصَهُ يُزَرُّ عَلى الشّيخين زَيْدٍ وحاتمِ

وقال غيره :

وَقد يَتَغَابى المرءُ عن عُظمِ شأنهِ ومِن تحتِ بُرْدَيْهِ المغيرةُ أو عمرو

وقال فيه من قصيدة أخرى :

كأنَّ فؤادى إبرةٌ قد تمَغْطَسَتْ بحبكَ ، أنّى حُوِّلتْ عنكَ تعطفُ

نتخطى قوله (تمغطست) إذ لا رأىَ لنا فيها بعد أن تواضع كُتّابُنا على هذا النحو من الرطانة ، وحسبنا أن نذكر لك شيأً مما قيل فى هذا المعنى . قال الصفىّ الحلّى :

انّما هذه القلوبُ حديدٌ ولذيذُ الالفاظِ مَغْنَاطِيسُ

وقال آخر :

وَقَفَ الهوى بى حَيثُ أنت فليس لى مُتَأَخَّرٌ عنهُ وَلا مُتَقَدَّمُ

وقال حافظ :

له كُلَّ يوم فى رضَى اللهِ مَوقِفٌ وفى سَاحَةِ الاحسانِ والبرّ مَوقفُ

وفى الموقف الاول ما يغنى عن هذه الزيادة ، وقال :

كَأنَّ يراعى فى مديحكَ ساجدٌ مَدامِعُهُ من خَشيةِ اللهِ تذرفُ

وقال بعض المتقدمين فى القلم :

وذى خُضُوعٍ راكعٍ ساجدٍ وَدَمْعُهُ من جَفنهِ جَارِ
مُوَاظبِ الخَمْسِ لأوقاتها مُنْقَطِعٍ فى خدمةِ البارى

وقريبٌ من هذا قول ابن المعتز :

خاشِعٌ فى يَدَيْهِ يَلْثِمُ قِرْطا سًا ، كما قَبَّلَ البِسَاطَ شَكُورُ

وقول محمود بن احمد الاصبهانى :

أخْرسٌ يُنْبيكَ إطْرَاقُهُ عن كلِّ ما شِئْتَ من الامرِ
يَذْرِى عَلَى قِرْطاسهِ دمعةً يُبْدِى بها السِّرَّ ، وما يدرى
كعاشقٍ أخفى هواه ، وقد نَمَّتْ عليهِ عَبْرَةٌ تجرى

وقال حافظ فى الاستاذ من قصيدة أخرى :

قالوا صدقتَ ، فكان الصدقَ ما قالوا ما كلُّ مُنتسبٍ للقولِ قَوَّالُ

وقال صفى الدين :

وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الحسامَ بضاربٍ ولا كلُّ مَنْ أجرى اليراعَ بكاتبِ

وقال فيه :

لى كلَّ حولٍ لبيتِ الجاهِ مُنْتَجَعٌ كما تُشَدُّ لبيتِ اللهِ أرحالُ

المنتجَع المكان يُقصد ، والشّىءُ يُطلب ، وبيتُ الجاه فى قول حافظ هو المكان ، فالخلل فى البيت ملموس ، وجمعُ رحلٍ على أرحال خطأ ، والصواب رِحَال وأَرْحُل.

قال يصف مِدْحَته :

تَفتَّحَ الحمدُ عنها ، حين أسمعها منك القبولُ ، وفيها نَوَّرَ القالُ

وقال المتنبيّ :

قطَفَ الرجالُ القولَ وَقْتَ نَبَاتِهِ وقطفتَ أنتَ القولَ لمَّا نوَّرَا

قال حافظ فى الشيخ من قصيدة أخرى :

ما أجزل اللهُ ذُخرى قبل رُؤيتهِ ولا انتفعتُ بإيمانٍ وتوحيدِ

وقال ابن هانى فى المعزّ :

لولاكَ لم يكنِ التفكُّرُ واعظاً والعقلُ رُشداً ، والقياسُ دليلا

لو لم تكن سَبَبَ النَّجاةِ لأهلها لم يُغنِ إيمانُ العبادِ فتيلا

قال شاعرنا فى رثاء الشيخ :

لقد كُنْتُ أخشى عادىَ الموتِ قبلهُ فأصبحتُ أخشى أن تطولَ حياتى

وقال النابغة الذبيانى :

فانْ تحيَ لا أمْلل حَياتى وإنْ تَمُتْ فمَا فى حَياتى بعد موتكَ طائلُ

وقال البحترى فى غلامه نسيم :

أعْظَمُ الرُّزْءِ أنْ تُقَدَّمَ قَبْلِى وَمِنَ الغَبْنِ أنْ تُؤَخَّرَ بعدى

ولصفى الدين الحلى فى المعنى :

ما بقائى مِن بعدِ فقدِكَ الاّ كبقاءِ الرياضِ بعد السَّحابِ

قال حافظ يتغزل من قصيدة فى الشاعر العظيم محمود سامى البارودى :

تَيَمَّمْتُهَا والليلُ فى غير زيّه وحاسدها فى الأفق يُغرى بىَ العِدَى

لا نريد الاستقصاء فى النقد وسرد المآخذ ، ولسنا بمتجاوزين قول المتنبي :

أزورهم ، وَسوادُ الليل يَشفع لى وأنثنى ، وَبَياضُ الصُّبح يُغرِى بى

قال :

وقال كبيرُ القوم قد ساء فألُنا فانا نرى حتفاً بحتفٍ تَقَلَّدَا

فليس لنا الا اتقاء سبيله وإلا أعَلَّ السَّيفَ مِنَّا وَأَوْرَدَا

يقال تَقَلَّد السَّيْفَ لا تَقلد به ، والمعنى أنه كان متقلداً سيفاً وانه كان كالسَّيف فى مضائه وحدَّته ، وهو مأخوذ من قول الشاعر :

مَتى تَهْزُزْ بَنى قَطَن تجِدْهُمْ سُيُوفاً ، فى عَوَاتِقِهِمْ سُيُوفُ

وقوله أعَلَّ وأورد فى البيت الثانى متنافر ، والسَّبيل أن يقال أعلّ وأنهل . قال الشاعر :

تَحُومُ وتغشاها العِصِىُّ ، وحولها أقاطيعُ أنعامٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ

وقال البحترى :

يا دَارُ لا زَالَتْ رُبَاكِ مَجُودَةً مِنْ كُلِّ غادِيَةٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ

قال ، يعنى (فتاة الخدر) :

وترجو رجاءَ اللصّ ، لو أسْبلَ الدُّجى على البدر ستراً حالكَ اللَّون أسودَا

ولو أنَّهم قَدُّوا غدائر شَعْرِهَا لحاكُوا لهُ منها نقاباً إذا بدَا

قوله (وترجو رجاء اللص) من التعابير النابية فى مثل هذا المقام ، وقوله (غدائر شعرها) من التراكيب الفاسدة ، وهل كانت الغدائر شيئاً آخر غير الشعر ؟ والمعنى فى البيتين مطروق . ومنه قول ابن هانى فى البيت الثانى :

يَعِزُّ على الحسناء أن أطأ القَنَا وأعْثُرَ فى ذيلِ الخميس العرمرمِ

تَوَدُّ لو انَّ اللَّيلَ لُفَّ بشعرها لِيَسْتُرَ أوضاحَ الجوادِ المسوَّمِ

قال :

اذا ذَكروا منه النَّسيبَ رأيتنا ودَاعِى الهوى منَّا أقامَ وأقعدَا

وإن ذَكروا منه الحماسَ حَسِبْتَنَا نَرى الصَّارمَ المخضوبَ خَدّاً مُورَّدَا

يصف حافظ شعر البارودى فى هذين البيتين ، وفى البيت الاول من سوء التركيب ما لا يخفى على الناقد البصير ، فأنت ترى إن كلمة (منَّا) وما وراءها صُورة ناطقة من صور العجز عن أداء المعنى واصابة الغرض على وجه مقبول ، ونسق سائغ ، وقوله (أقام وأقعد) من الكلمات التى أفرط الشعراء فى استعمالها وتجافوا بها عن مواطن الرفق ، ومواضع الاناة ، وانى لمقتصد لك فى ايراد الشواهد . قال بعضهم :

(وأقام قلبي في الغرام وأقعدا) .

وقال الشريف الرضي في البرق :

كلما أنجد علوي السنا قام بالقلب اشتياق وقعد

وقال :

وان قوام الدين قد عب بحره وعيداً أقام الخالعين ، وأقعدا

وقال المتنبي :

أبدى العداة بك السرور كأنهم فرحوا ، وعندهم المقيم المقعد

أما قوله (الحماس) في البيت الثاني فخطأ لغوي ، والصواب الحماسة ، ومعنى البيتين يتمثل في قول السري الموصلي :

جدٌّ يطير شراره وفكاهة تستعطف الأحباب للأحباب

وفي عجز البيت معنى مقتبس من قول عنترة :

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

يقول حافظ إن الحماسة في شعر البارودي تدفع بالمرء إلى غمرات القتال فاذا به من شدة الشوق اليها ، وفرط الشغف بها ، يرى السيف المخضب بالدم في صورة الخد المورد اشراقاً وحسناً — يقول حافظ هـذا ؛ فما ذا ترى أنت ؟ ألا ترى الرجل مقبلاً على السيف يقبله ؟ هذا ما أراده الشاعر ، وهو معنى قول عنترة :

كم وقفة لك ، والأبطال طائرة والحرب تضرب صنديداً بصنديد

تقول للنفس ، إن جاشت اليك بها : هذا مجالك سودي فيه أو بيدي !

في البيت الاول صورة من قول مسلم بن الوليد :

يلقى المنية في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلموداً بجلمود

أما البيت الثاني فيقع فيه كثير من الصور ، وإنا لذا كرون لك شيئاً منها . قال الشاعر يعني نفسه :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

وقال غيره : (لنا الصدر دون العالمين أو القبر)

وقال المتنبّى :

عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنت كريمٌ بين طعـــن القنا وَخفْق البنُود

وقال ابن هانىء : (فامّا حياةٌ أو حِمامٌ مواشكُ)

وقال أبو تمام :

فأثبتَ فى مُستنقعِ الموتِ رجله وقال : لها من تحت أخمُصك الحشرُ !

قال حافظ فى رثاء عثمان بك السيد أباظه :

يا ساقِيَىّ أرانى قد سَكنتُ إلى ماءِ المدامعِ عن ماءِ العناقيدِ

وقال مسلم بن الوليد :

لا أجمعُ الحلمَ والصَّهباءَ قد سَكنتْ نفسى إلى الماء عن ماء العناقيدِ

وقد ختم شاعرنا الكبير قصيدته بقوله :

وعظَّم اللهُ فى عثمان أجرَكمو فى رحمة اللهِ أمسى خيرَ مغمودِ

وهو ظاهر العيوب ، فلا طائل فى نقده ، وما أشبه الشطر الثانى من البيت بهذيان المؤرخين من اخواننا الشعراء .

وقال فى وصف السفينة التى رجع عليها الاستاذ الشيخ محمد عبده من الجزائر إلى مصر :

فَهْىَ تسْري كأنّها دعوةُ المُضْـ طَرّ فى مَسْبَحِ الدُّعاءِ المُجابِ

وقال شاعر قديم فى لحية كثيفة :

لو أنّها دُونَ السّماءِ غمــامةٌ ضاقتْ مَسالكُ دَعوةِ المظلومِ

وقال من خمرياته :

خمرةٌ قيل إنّهم عصروها مِن خُدودِ الملاحِ فى يوم عُرْسِ

ويقول أبو تمام :

ورْدِيّة يجْتنّها شادِنٌ كأنّها من خدّه تُعْصَرُ

وقال ديك الجن :

معتّقةٌ من كفّ ظبىٍ كأنّما تناولها من خدّه فأدارَها

ومما قيل فى المعنى لشاعر قديم :

أقول له ، وقد حيَّا بكأس … لها من مسك ريقته ختامُ
أمِنْ خدَّيكَ تُعْصَرُ ؟ قال : كلاَّ … متى عُصِرَتْ مِنَ الوردِ المدامُ ؟

قال من قصيدته (غادة اليابان) :

هكذا الميكادُ قد علَّمَنا … أن نرى الاوطانَ أمّاً وأبا
مَلِكٌ يَكفيكَ منه أنَّهُ … أنْهَضَ الشَّرْقَ ، فَهَزَّ المغربا

وقال ابن هانىء فى المعتمد على الله :

مَلِكٌ يكفيكَ منه أنّه … وجدَ الدُّنيا ، فأعطى ما وَجدْ

كلمة الختام

للنقد الفنى الصحيح سُنَنٌ صمّاء ، وأحكام مُستبدَّة ، أوَّلُ واقعٍ تحت سلطانها القاهر شخصُ الناقد وأدبُه ، وفكرُه وارادتُه ، فهو أسير هذا السلطان الذى يتحكّم بكلّ قوّته فى كلّ نفس قويّة الشعور بواجب الامانة ، شديدة الايمان بحق النقد النزيه ، وقداسة العدل الادبى ، وليس لك فى هذه القضية من مرشد أمين كنفسك ، فانت حين تقرأ لاحد النُّقّاد شيئاً لا تملك الاّ ان تضع الناقد منذ الكلمة الاولى فى المحلّ الاول من مكان النظر ، وموضع التأمل ، فهو يتلقى الحكم فى مَساقط النّظرات ، ومواقع الفكر والخواطر التى تستولى من جهتك على ما أثبت فى كتابه من وُجوه النقد وأساليبه ، وصوره وأوضاعه ، وليس للمنقود من هذا الحكم الاّ أثرُهُ يخلصُ اليه من وراء الناقد كما يخلص اثر الكتابة من الصحيفة العليا إلى التى تحتها بفعل (الورقة السارقة) . ومُجمل القول فى النقد انّه مُدْيَةٌ من العلم والذوق ، فى نِصابٍ من العدل والامانة .

أعلمُ هذا حقّ العلم ، وأُحِبُّ أن يكون غيرى من أدبائنا وكتّابنا على علمٍ صادق به ، وما أريد أن أعيب أحداً ، ولكنىّ أوثِرُ أن يكون لنا نقاد مُدرَّبون أصحّاء العقول والاقلام ، وأُهِيبُ بالذين لايملكون هذه الأداة أن يراعوا حرمة الأدب ، وأن يكون لهم من نفوسهم زاجرٌ عن الاغارة على حرمه المقدس عابثين مُعربدين ، ولقد جهدتُ طولَ حياتى ألاّ أجعل لهذه المُدية الجارحة سبيلا إلى

يدى ، فلعلّى لا أراها وقد وُضِعتْ فيها مرة أخرى ،وعسى ألاّ أكون قد جرحت نفسى بما كتبته عن الصديق حافظ ، وما أدّعى أنى وفّيتُ النقد حقّه، فقد تجاوزت عن كثير ممّا يقع فى هذا الباب ويدخل تحت حكمه .

وبعد ، فليس بمنصف من يظن ان هذه الأخطاء وما اليها فى شعر حافظ مما يجرح أدبه ، ويضع من مقامه وقدره ، فقد وقع لكثيرين من فحول الشعراء ، ومنهم : أبو تمام ، والبحترى ، ومسلم بن الوليد ، والمتنبى ، وابن هانى ، وابن الرومى ، مثل ما وقع له من هذه الهنات ، فما غضّ من أقدارهم ، ولا زحزحهم عن مراتبهم .

والشاعر اذا كثرت محفوظاته ، ازدحمت الصوّر اللّفظية والمعنوية فى ذهنه فاختلط بعضها ببعض اختلاطاً يجعل الاحتراس من أشقّ الامور وأصعبها ، فقد يقع المعنى ، أو الشطر من البيت ، او البيت كلّه ، من هذه المحفوظات فى شعره ، وهو يظنّه من وحى شاعريته ، وفيض قريحته ، وقد يتبيّن ذلك ويعرفه بعد حين ، وهذا ما نقوله عن ذلك القسم فى شعر حافظ ، فأما الاخطاء اللغوية فمنشأ الكثير منها شيوع هذا النوع من الخطأ فى الصحف والمجلات ، وفى الكتب التى لاسلطان لأدب اللغة عليها .

وقد كان من شاعرنا الكبير أن نظم قصيدة رنانة فى (ذكرى شكسبير) قال فى مطلعها :

يُحَيّيك منْ أرض الكنانة شاعرٌ شَغُوفٌ بذكرى العبقريّين مُغْرَمُ

وحدث أن لقيته بعد نشرها فقال لى : أقرأت قصيدتى فى شكسبير ؟ قلت : نعم ، وابتسمت . فضحك رحمه الله وقال : وماذا نصنع يا أخى وقد ابتلانا الله بلغة الصحف ؟ لقد أُغرم كتّابها بكلمة (شغوف) فهى لاتفارق أقلامهم ، ولا تنجلى عن شفاهنا ، والصواب (مشغوف) كما تعلم ، لقد جعلت مكانها كلمة (ولوع) وانتهى الامر .

رحمك الله ياحافظ وأحسن اليك ؟

احمد محرم

مرثية مطران لحافظ

عظَّمَ اللهُ فيك أَجْرَ الضادِ ... وبنيها من حاضرٍ أو بادِ
راعَ آفاقَها نَعيُّكَ حتى ... لَكأنَّ النَّعِيَّ بُوقُ التَّنادى
كلُّ قطرٍ فيه فتىً عربيٌّ ... فيهِ عينٌ شكرَى وقلبٌ صادِ
حَدَثٌ ألْهَبَ الصدورَ التياعاً ... حيث دوَّى وفتَّ فى الاعضادِ
من سماءِ الاهرامِ جَللَ فيْسُو ... نَ وألْقَى السَّوادَ فوق السَّوادِ
وعلى بهجةِ المرابعِ فى لُبنا ... نَ أرسَى سحابةً مِنْ حِدَادِ
ليس بدْعاً أن يُمْسِيَ الشامُ والاحز ... انُ فيهِ تقضُّ كلَّ وسادِ
ما تراهُ يقضى الصديق الذى ... باداً بالفضل من حقوق الودادِ

* * *

كيف حالُ الاخوانِ فى مصر ياحا ... فظُ مِن وحشةٍ لهذا البِعادِ ؟
أين زَينُ النَّدِيِّ منهم — وهم فى الظرْفِ ما هم — وأين أنْسُ النادى ؟
كلُّ حَفْلٍ شهدتهُ كنتَ فيه ... قِبْلةَ السامعين والأشهادِ
يأخذون الحديثَ عنك كما يَشتفُّ مَنْ يرتوى مِن الوُرَّادِ
فإذا ما تنادروا وتنادر ... تَ فأعجِبْ بورْىِ تلك الزِّنادِ
فطِنٌ تشرح الصدورَ وما تؤ ... ذى دُعاباتُها سوى الانكادِ
ربما كانت العظاتُ الغوالى ... فى شظايا ابتسامها الوقّادِ

* * *

كيف حالى وأنت ادرى بما خلَّفتَ لى من فجيعةٍ وسهادِ ؟
أسعدى ياهواتفَ الايكِ نوحى ... أنا فى حاجةٍ الى الإسعادِ
أبتغى البثَّ والشجا غصَّ مِن صو ... تى وحَرُّ الأسى أجفَّ مِدادى

* * *

ويحَ أُمِّ اللغات ممَّا دهاها ... فى طريفِ الفخار بعد التِّلادِ
ذاقت الثُّكْلَ فى بنوّتها الامجا ... دِ بعد الأبوّةِ الامجادِ

في رفاقٍ ردّوا على كلّ أصلٍ من عُلاها نضارةَ الاعوادِ
نَضَّرَ الله عهدَهم وسقاهم ما سقى الاولين صوبُ العِهادِ

* * *

نخبةٌ قلّما أُتيحَ لعصرٍ مثلُ مجموعِهم من الافرادِ
أيقظوها من الرقاد وقد جا ز مَداهُ أقصى مدًى للرقادِ
وأعادوا جمالَها في زُهاه يتراءى قديمُهُ في المعادِ
أين سامٍ وأين صبري وحفني ورفاقٌ جاروهمُ في الهوادي ؟
لحقَ اليومَ حافظ بالمجلين وما كان آخراً في الطرادِ
شاعرٌ لم يُبَارِه أحدٌ في الأ خذِ بالمستحبّ والمستجادِ
يُحْكِمُ الصَّوْغَ في القِلادِ فما يأ نى صَناعٌ بمثلها في القلاد
ناثرٌ تنفث اليراعةُ منهُ نَشْوَة الخمر في مجاجِ شِهادِ
لم يَكَدْ في مصايد اللؤلؤ الفا خرِ يُبقي فريدةً لاصطيادِ
في تراكيبه وفي مفردات اللفـ ظِ حارت نقاصةُ الحُسّادِ
كان في سَمْعِهِ رقيبٌ عليه يَقِظٌ من جَهابذِ النُقّادِ
يقع الزَّيْنُ منه في موقع الزَّيـ نِ ويَنبو بالشَّين نَبوَ سَدادِ
فالمعاني تتيهُ بين المعاني بسنيِّ الحُليِّ والأبرادِ
والمباني تعزُّ بين المباني بمتين الاسبابِ والاوتادِ

* * *

عدِّ عن وصفك الأديبَ وقلْ ما شئتَ في الفاضل الوفيِّ الجوادِ
مَنْ يعزّي عنه المروءةَ أمستْ وبنوها الابرارُ غيرَ عدادِ ؟
شيمةٌ لا يطيق كلفتها غيـ ـرُ أولي العزمِ والحماةِ الجعاد
مَنْ يعزّي عنهُ الوفاء وقد كا ن يرى نقضَهُ من الإلحادِ ؟
خُلُقٌ ليس في الضعافِ وما يحـ ـملُ أعباءَهُ سوى الأجلادِ

لم يساوِمْ بهِ فينعمَ بالأ لا، ولم يَرْعَ فيهِ جانبَ آدِ
مَنْ يعزّى عنهُ الصراحةَ ؟ كا ن الغُرْمُ فيها والغُنْمُ فى الاهماد
لم يَسَعْهُ وفى الضمير خلافٌ أن يرى الاعتدالَ فى المنآدِ
ما فتوحُ الآراء والجبن يطويـ ـها كطَىِّ النصالِ فى الأغمادِ
من يعزّى القصّادَ علماً توخوا أو نوالاً عن مُسعف القُصّادِ
ذي الايادى من كل لونٍ، واغلا هن فى المأثرات بيضُ الايادي ؟

* * *

مَنْ يعزّى كنانةَ اللهِ عن را مى عِداها بسهمهِ المصرادِ ؟
عن فتاها الشاكى السلاحين والماضيهما فى شواكلِ الاضدادِ ؟

* * *

انما حافظٌ فتاها ومنها وبها فخرهُ على الأندادِ
نشّأتْهُ وأيّدَتْهُ بروحٍ عبقريٍّ من رُوحها مستفادِ
بعد أن كان حاكياً وهو يشدو جملَتَهُ المحْكِيَّ بين الشوادى

* * *

نظمَ الشعرَ فى الصّبى نظْمَ واعٍ لقِنٍ ناشىءٍ على استعدادِ
بادىء صوغه وفيه فنونٌ بارعاتٌ لا يتَّسِقْنَ لبادى
ما تعاصَى عليهِ عن عفوِ طبعٍ ردَّ طوعاً لهُ بفضل اجتهادِ

* * *

غير أن القريضَ لم يكُ فى مضطربِ العيشِ مغْنياً من زادِ
أوجب الرزقُ فانتأى حافظٌ يكْدَحُ فى بيئةٍ من الأجنادِ
موحشا فى مجاهل النّوبِ والسودانِ بين الأغوارِ والأنجادِ
تنقضى أيامُهُ فى ارتياضٍ وعلى أهبةٍ لغيرِ جلادِ
ولياليهِ فى الخيامِ ليالى وَسِنٍ رازحٍ من الإجهادِ

في الصميم الصميم من نفسه الحرّ ةِ همٌّ مُراوِحٌ ومُغادِي
أيّ جيشٍ يدرّبون لمصرٍ وولاةُ التدريب فيه الأعادِي ؟!
ولِمَنْ تملأُ الفضاءَ وعيداً عُدَدٌ من حديدِهِ الرعّادِ ؟!
ذاك ما ظلّ فيهِ حيناً وحَسْبُ النفس شغلاً بهِ عن الإغرادِ
غيرَ بَثٍّ يبثُّهُ إنْ أتاهُ طائفٌ من خيالهِ المعتادِ

* * *

للمقادير في شئون الجماعات تصاريفُ رائحاتٌ غوادِ
فُتِنَ الجيشُ والبواسلُ كُثْرٌ فتنةً لم تكن بذاتِ امتدادِ
فاستطار الشَّوّاس واضطربتْ أحـلامُ زُرْقِ العيون في القوّادِ
رابهم حافظٌ فعُوقِبَ في جلسةِ مَنْ عاقبوه بالإبعادِ
أخذوهُ بالظنِّ من غير تحقيقٍ وما آخذوا على افنادِ
فتولّى ، وما لمؤتنفِ العيش بعينيه من ضياءٍ هادِي
والجديدان يضربان عليهِ كلَّ رَحْبٍ في مصر بالأسدادِ
موغَرا صدرُهُ لِما سِيمَ في غيرِ جُناحٍ من جَفْوَةٍ واضطهادِ
عاطل الثوب من كواكبه الزُّهْرِ ومن سيفهِ الطويلِ النجادِ
فهو في مصر والنجادُ من الرقّة في الحال غير ذاك النجادِ
لَقِيَ البؤسَ ، والأديبُ من البؤس قديماً فيها على ميعادِ
حائراً في مذاهب الكَسْب لا يفرقُ بين الإصدار والإيرادِ
عائفاً خطةَ الجُداة وفيه طَبْعُ حُرٍّ يجود لا طَبْعُ جادِي
ولقد زادهُ شَجى أنّ سُوقَ العلم كانت في مصر سوقَ كسادِ
وسجايا الرجال رانت عليها لوثةٌ من قديم الاستعبادِ
فهمُ وادعون لاهُونَ بالزينات والتُّرّهاتِ والأعيادِ
عِبَرٌ مرّ في جوانحه ما لاحَ منها مرّ النِّصال الحِدادِ

* * *

فتغنى — أستغفر الله — بل ناحَ نواحاً يذيب قلبَ الجمادِ
باكياً شجوَه ترنُّ قوافيه رنينَ النبالِ فى الاكبادِ
ذاك والقولُ ليس يعدو شكاةً لو جرَتْ أدمعاً جرت بجسادِ
وعتاباً لولا البراءةُ منهُ عاجلاً كان سُبَّةَ الآبادِ

* * *

برئتْ مصرُ منه بالحقِّ لمَّا نشطت من جمودها المتمادى
طرأتْ حالةٌ تيقَّظَ فيها لدُعاةِ الهُدَى ضميرُ السَّوادِ
فاذا حافظٌ وقد بشَّ ما فى نفسه من جَهامةٍ وارْبدادِ
وبدا للمنى الجلائل فيها أُفُقٌ واسعُ المدَى لارتيادِ
ما تجلَّى نبوغُهُ كتجلِّيه وقد هبَّ (مصطفى) للجهادِ
يوم نادى الفتى العظيمُ فلبىَّ من نبا قبله بصوت المنادى
ووَرى ذلك الشعورُ الذى كا ن كميناً كالنارِ تحت الرمادِ
فتأتَّى بعدَ القنوط الدجوجيّ رجاءٌ للشاعر المجْوَادِ
مَسَّ منه السوادَ فانبجست نارٌ ونورٌ من طيِّ ذاك السوادِ

* * *

أكبرَ الدهرُ وثبةً وثَبَتْها مصرُ مُنفَتِكَةً من الاصفادِ
وثُغاء غدا هزيماً فألقىَ رُعبَهُ فى مرابضِ الآسادِ
ما الذى أخرج الشجاعةَ من حيث طوَتْها قرونُ الاستبدادِ
وجلا غُرَّةَ الصلاحِ فلاحت تزدهى من غياهب الافسادِ
فاذا أمةٌ أبيّةُ ضَيْمٍ ما لها غير حقها من عتادِ
نهضتْ فجأةً تُنافِحُ فى آ نِ عَدُوَّيْن أسرفا فى اللَّدادِ
أجنبيّاً ألقى المراسىَ حتى تقلع الراسيات فى الاطوادِ
وهواناً كأنما طبّعَ الشعبَ عليه تقادمُ الاخلادِ
حَلْبَةٌ يُعْذَرُ المقصّرُ فيها والخواتيمُ رهن تلك المبادى
ليس تغييرُ ما بقومٍ يسيراً كيف ما عوّدوهُ من امادِ؟

غير ان الإيمان كان حليفاً لقلوب الطليعة الانجادِ
فاستعانوا بهِ على ما ابتغوهُ ، غير باغين ، من بعيد المرادِ

* * *

لم يطُل عهدُ مصر بالوثبةِ الأولى ودون الوصول خَرْطُ القتادِ
فتراخى فيها وثيقُ الأواخى ووَهى الجَزْلُ من عُرى الاتحادِ
آيةٌ أخفقت فقيَّضَ أُخرى أثرٌ من عناية اللهِ بادِ

* * *

فزعت دنشوايُ تحمى حماماً من مُلِمّين كالذئاب الاوادى
فتصدّى للذَّوْد عنهُ جفاةٌ من شيوخٍ بها ومن أولادِ
حادثٌ روَّعَ العميدَ — أيخشاهُ وسلطانُهُ وطيدُ العمادِ ؟
لا ، ولكنَّ عزَّةً أخذتْهُ عن غرورٍ ببأسه واعتدادِ
سَفَهٌ جرَّأ العبيدَ المناكيدَ على معتقيهم الاجوادِ
فخليقٌ بهم أشدُّ قصاصٍ حلَّ بالآبقين والمرّادِ
ساقها مُثلةً توهّمها خيراً وكانت عليه شرَّ نآدِ
ذاع فى الشعبِ وصفُها ففشتْ آلامها فى القلوبِ والاجسادِ
وكأن السياطَ يحززْن فى أجلادهِ والحبالَ فى الاجيادِ

* * *

أى عالى الجبين فى الرَّوع قاضى ظالميهم بجأرهِ الهدّادِ
كان ترجيعُ حافظٍ نوْحَ موتورٍ فدوَّى كالليث بالايعادِ
فى قوافٍ بهنَّ تنطقُ لو أوتيتْ النطقَ ألسُنُ الاحقادِ
علَّمتْ خافضى الجناح لباغٍ كيف شأن الحمامِ والصيَّادِ

* * *

وعد الصابرون بالفوز وعداً حقَّقَتْهُ أنباؤهم باطّرادِ

انما الصبر فى النفوس جنينٌ يرهقُ الحاملاتِ قبل الولادِ
كيف يأتى به ارتجالٌ ولم يأ تِ ارتجالٌ يوماً بقول مُجادِ
خُلُقٌ عزّ فى الجماعات مِنْ فَرْ طِ تكاليفهِ وفى الآحادِ
طالما خان فى النضال الجماهـ ـيرَ فألقتْ لغاصبٍ بالقيادِ

* * *

بعد وثبٍ فى إثر وثبٍ عنيفٍ وارتدادٍ فى الشوط غبّ ارتدادِ
ساورَ الأمةَ الترددُ والتا ثَ عليها فى السير وجهُ الرشادِ
وتبدّى الاحجامُ فى صورة زلا ءِ جرّت إقدامَ أهلِ الفسادِ
بالدعايات والسعايات حاموا حولها للسّوّام أو للرّوادِ
لا تسل يومذاك عن جَلَدِ القا دةِ فى مُلتقى الخطوبِ الشدادِ
كلما ازدادت الصعابُ أبوْا إلا كفاحاً وعزمُهم فى ازديادِ
يبذلون القُوَى وفوقَ القوى غير مبالين انها لنفادِ
والزعيمُ الأبرُّ أطيبهم نفساً عن النفس فى صراع العوادى
يئسَ الشعبُ هل ينجّيه إلاّ حَدَثٌ من خوارق المعتادِ
مصطفى مصطفى بحسْبك إنْ يُذْ كَرْ فداءٌ أن كنت أوّلَ فادِ
مصطفى مصطفى ليهنئك أن أحييت قوماً بذاك الاستشهادِ
دبّ فيهم رُوحٌ جديدٌ له ما بعده فى القلوبِ والاخلادِ
تنقضى الحادثاتُ بعدكَ والرُّ وحُ مقيمٌ فيهم على الآبادِ
كاد يومٌ شُيّعتَ فيه يريهم لمحةً من جلال يومِ المعادِ
صدروا عنه بالتعارف فيما بينهم وهو قوّة الاعدادِ
واستشفّوا لبأسهم فيه مرّاً كم تحامَى أن يدركوهُ العادِى

* * *

هذه مصرُ الفتيّةُ هبّت فى صفوفٍ فتيّةٍ للذيادِ
رجلٌ مات مخلفاً منهُ جيلاً رابطَ الجأش غير سهل المقادِ

إن دعاةُ الحفاظ أقبل غلما نٌ سراعٌ من القرى والبوادى
أحدثوا فى البلاد عهدَ لجاجٍ فى تقاضى حقوقها وعنادِ

* * *

عهدُ بَثٍّ من أنفسٍ تلتظّى بعدَ طول الخمودِ والاخمادِ
تخذتْ عبقريةُ الشعرُ فيهِ سُلَّماً للعروج والإصعادِ
أبلغت حافظاً من الحظِّ أوجاً رَاد منه العلياء كل مرادِ
مَن رأى الشاعرَ المفوّهَ يوماً وحواليْهِ أُمة فى احتشادِ
موفياً من منصّةِ القولِ يرنو باتّئادٍ ولحظهُ فى اتّقادِ
واسع المنكبين منفرج الحلـ ـقِ وين يخطو خطاهُ كالمتهادى
باسماً أو مقطّباً عن محيّاً بارز العارضين فوق الهادى
عزّ منه العذار إلا تفاريقَ خفافاً فى الوجنتين بدادِ
ينشد الحفلَ فاتناً كلَّ لُبٍّ ببديع الالقاء والانشادِ
وبشعرٍ لا يطرف الجفنُ فيهِ صادرٍ عن حَمِيَّةٍ واعتقادِ
من رأى حافظا نذيراً بشيراً جائلاً صائلاً بغير اتّئادِ
غَرِداً كالهزارِ آناً وآناً حَرِداً كالخِضَمِّ ذى الازبادِ
ينبر النبرةَ العزوفَ فما تسـ ـمع إلاّ أصداؤها فى الوادى
وكأنَّ الاثيرَ يحمل منها كهرباءً تهزُّ كلَّ فؤادِ
فهى عزٌّ للأَرْيَحِىّ المفادى وهى ذلٌّ للخانس المتفادى
وهى خفقُ اللواءِ يحدوه من إيقـــاع أبطاله إلى المجدِ حادِ
ذاك أن الرُّوحَ المرَدَّدَ فيها روحُ شعبٍ والصوتَ صوتُ بلادِ

* * *

أيها الراحلُ الذى ملأ العصـ ـرَ بآثارهِ الرِّغابِ الجيادِ
أعجزَتْنى قبل التمام القوافى والقوافى تضنُّ بالإمدادِ

قَدْكَ منها بيان مفخرةٍ واء   ذر قصوراً بها عن التعدادِ
بتْ قريرا فإن ذكراك فينا   أجْدرُ الذكرياتِ بالاخلادِ

خليل مطران

❋❋❋

حافـــــــــــــظ

فى رأي مطران

— ١ —

بين الشعراء والنقاد اليوم معركة حادة عنيفة غير حازمة ، تجاوزت الانصاف والفن وعدت على الخلق ، وخرجت من هذه الدائرة السامية دائرة التهذيب والابتكار إلى نوع من المهاترة يضر الشعر والفن ويفسد الصلة بين الادباء جميعاً : فكل فريق سيء الظن بصاحبه يتهمه بالعجز والقصور ، هؤلاء النقاد لا يكادون يعرفون للشعراء كفاية أو جهدا ، ويقولون ليس عندنا شعراء يستطيعون الاضطلاع بما تستلزمه النهضة الادبية المعاصرة ويسدون فراغ هؤلاء الذين أدركهم الموت وكانوا أبراراً سابقين .

وأمّا الشعراء فلا يبالون بهذا كله ، فهؤلاء النقاد جاحدون وهم أعجز عن تقدير الشعر ، وتذوّق جماله ، واستبطان دخائله وأسراره ، وقد خرجوا من ذلك بقاعدة عدّوها أو حسبوها جديدة: هى ألا ينقد الشاعر إلا شاعر .

على أنك إذا نظرت إلى رأي الشعراء بعضهم فى بعض رأيت شراً مستطيراً ، واختلافاً كبيراً ، وسوء ظن يربى على مابين الشعراء والنقاد . فالمسألة فى الحقيقة ليست مسألة شعراء ونقاد وانما هى مسألة طبيعية ، ونتيجة لازمة لاختلاف الأذواق والشخصيات ، ولاختلاف طرائق النظر والتفكير ، ثم هى بعد ذلك مسألة هذه الصلات الاجتماعية والخاصة التى تصل بين الناس جميعاً ، وتعرض روابطهم الى الاستقامة أو الاضطراب . فاذا نحن حمدنا هذه الشخصيات ونزعتها الى الاستقلال فقد يكون حمدنا أكثر إذا وُجِّه هذا الخلاف إلى الشعر وخدمته دون هذا التنابذ والمهاترة .

وأما نقد الشاعر صاحبه وعرفانه ذلك فهي مسألة قديمة عرفها السابقون وحاولوا صرف النحاة واللغويين والعلماء الخلص عن نقد الشعر ، وقالوا لا يعرف الشعر الا من دفع به الى مضايقه ، فالناقد فى الأصل نصف شاعر بل ويجب أن يكون نصفه شاعراً ونصفه الآخر عالماً ، فالشاعر وحده يحتكم إلى ذوقه ومذهبه الفنى وفى هذا جور واعتساف . والعالم وحده يحتكم إلى الافكار والمذاهب العلمية فيفسد الفن وجماله. ولكن الناقد يجمع بين الذوق الفنى الجميل والمقياس العلمى السديد ، ويلائم بين هذين العنصرين ويكوّن منهما أحكامه التفسيرية او الابتكارية الخالقة .

وكل ما يعنينى اليوم من هذا الصراع أنه دليل الحياة والشعور بالحاجة الى نهضة إن لم تصل بالشعر الى أسمى درجاته فهى محاولة تضع الاسس وترسم السبيل الى مستقبل وطيد زاهر .

— ٢ —

ومع ذلك فأحبّ أن أقرب من جماعة الشعراء ، ولكنه قرب لا يفيدهم شيئاً ، أحب أن أعرض عليهم صورة من نقد شاعر لشاعر ؛ بل من نقد شاعر زعيم ، نقد مطران لحافظ ، ولا يظن هؤلاء الشعراء أن هذا فناء فى مذهبهم واعتراف بتفاصيله. كلا ، فليس مطران عندى شاعراً من هذا النوع الذى يشيع بين شعراء العربية قديماً وحديثاً ، وإنما هو طراز جديد فى الشعر العربى ، هو شاعر العقل والشعور جميعاً ، وقلما تجد هذا النوع بين السابقين وإن حاول بعض المعاصرين أن يكونه . مطران فيما أرى عالم وأديب معاً ، وهو إذن ناقد ، وإذا كان لا بد من الافصاح فيجب أن نلاحظ أن هذا الثالوث المقدس — الذى جمع بين حافظ وشوقى ومطران على زعامة الشعر الحديث — ليس متحدّ المزاج والطبيعة وإن تجانس فى الدرجة والتسامى ، فهم شعراء كبار يتفقون فى ذلك ولكنهم يتمايزون بعد ذلك فى كل شىء أو فى أغلب الأشياء ، فاذا كان لحافظ سرعة البديهة ، وحلاوة النفس ، وصفاء العبارة وترديد آمال مصر وآلامها ، فان لشوقى براعة الغناء ، وقوة الاسلوب ، وحسن التصوير ، وإن لمطران صحة الفكرة . ووحدة القصيدة ، وصدق النظرة ، والثقافة الشاملة وسماحة الطبع وسمو الأخلاق ، ومعنى هذا للمرة الثانية أن مطران ليس شاعراً فقط أو هو شاعر من هذا الطراز المثقف ، هو عالم وأديب : صياغة بديعة ، وشعور صادق ، وخيال ، خيال عام ، وأفكار سديدة . فاذا التمست عند حافظ وشوقى الجمال الفنى فالتمسه عند مطران والتمس معه اللذة

العقلية ، وغذاء الفكر والعاطفة أو غذاء النفس جمعاء . مطران هو الخطوة الموفقة السابقة أمام شكرى وأبى شادي والعقاد والمازنى وأضرابهم من شعراء الثقافة الحديثة .

أليس مطران شاعرا فذاً فى بابه ؟ ألست أنا محقا فى اعتبار مرثيته دراسة نقدية لزميله فوق أنها قطعة شعرية باكية ؟

الحق ان هذه المرثية مظهر صادق لرأى مطران فى حافظ فهى تاريخه أو ترجمته ، ومظهر صادق لشعور مطران نحو حافظ فهى تمثل عاطفة الشاعر نحو الشاعر ، وهى عاطفة مزدوجة فيها حزن الصداقة الشخصية ، وحزن الرابطة الأدبية ، . . فكيف أرّخ مطران زميله ؟

— ٣ —

لدارسى الشعر مذاهب ثلاثة مشهورة . ومن العجيب أن مطران يلمّ بها جميعاً فى قصيدته ويوفق فى ذلك توفيقاً بارعاً ، نعم هو توفيق بارع يجمع بين هذا التقرير العلمى الصحيح ، وهذا التصوير الفنى المؤثر الجميل .

فهذا المذهب التاريخى الذى يعدّ الشعر مرآة الحياة الاجتماعية ، ولابد لفهم الشعر من فهم هذه الحياة ، ومذهب السير ذلك الذى يعد الشعر مرآة لحياة الشاعر ، ولابد إذاً من درس سيرة الشاعر حتى يفهم شعره فهماً صحيحاً ، ثم هذا المذهب الفنى الخالص الذى يقف عند النصوص الشعرية ويتبين خواصها الفنية شارحاً معللا. ولكل مذهب أنصاره ومحاسنه ، وهى كلها فى رأى مطران — وأنا أوافقه على ذلك — لازمة لفهم الشعر ونقده نقداً منصفاً سديداً ، وقد فعل . نعم فعل وزاد — كما قلت لك — حرارة العاطفة وبراعة التصوير .

ولست الآن أدرس مطران حتى أقف عند فنه وشخصيته، ولكنى أدرس حافظاً فى رأى مطران ، فلأسرْ فى طريقى وليعذرنى القراء إذا عرضت لمطران فيما مضى أو فيما يلى فذلك لانى أحببت أن أشركه مع النقاد أو أضمه حيث يجب أن يوضع فى إستواء تفكيره واكتمال نواحيه ، وذلك لأنى قد اتفق معه فى الآراء عن حافظ وقد أخالفه . فهو إذاً مميرى وزميلى فى هذه الدراسة ، بل هو أساسها كما علمت . وقد عرض لى أن أذهب هذا المذهب المدرسى فأرتب القصيدة ترتيباً علميا ، أبدأ بهذه القطع التى تدرس العصر ، وأثنى بسيرة الشاعر ، ثم بفنه ...

ولكنني اعتبرت ذلك عدواناً على أسلوب مطران فاحتفظت به ووقفت عند استعراض أبواب المرثية وتسجيل ما يعنّ من الملاحظات .

أمّا مطلع القصيدة فعاطفة عامة تنتظم حزن الشرق العربي لوفاة حافظ وتمثل الرابطة اللغوية ؛ وهو مطلع لا يوازيه فى صدق العاطفه إلا مطلع رثاء مطران لشوقى على فرق بين عاطفة الأخوة هناك وعمومها هنا ، فتلك عاطفة حادة باكية ، وهذه عاطفة جليلة حزينة ، لحافظ له هذه المنزلة الأدبية فى بلاد الشرق العربي التى فقدته مأتمها جميعاً . ثم نرى شخصية حافظ الفكهة المحبوبة تأتلف حولها القلوب وترى فى أفاكيه حافظ مسرة النفس . ومرارة النقد ، وخالص الموعظة ، ولكن مطران أشد الناس حزناً لفقد صديقه . واللغة ذهبت بموته بعد أصحابه السابقين الذين يمتاز منهم بحسن اختيار الألفاظ وضوع العبارات وحسن التأليف ومراعاة مقتضى الحال .

حافظ وفيّ كريم ذو مروءة وصراحة ، مخلص لأمته :

بعد أن كان حاكياً وهو يشدو جعلته المحكيّ بين الشوادى

نشأ حافظ يمرن على قرض الشعر معتمداً على الطبع والمرانة جميعاً ، يوفّق أحياناً ويخفق حيناً ، ولكن الدهر لايقوت صاحبه فاذا بحافظ بين الجنود فى السودان يضيق بقيود العسكرية الصورية التى يدرب مصر فيها أعاديها ، وينفس عن نفسه بالقريض ، ولكن فتنة تثور فى الجيش ويبعد حافظ على أثرها من السودان . وتضيق به سبل العيش ويشمله البؤس ويحترق بين فقر مدقع وعزة نفس عزيزة فيبكى ويكون شعره باكياً حزيناً يصور نفسه المتألمة :

باكياً شجوه ترنّ قوافيه رنين النبال فى الأكباد

ثم تكون الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل . وإذا بنهضة تكافح عدوين : أجنبيّ محتلّ ، وداخليّ هو ذلك الهوان الذى طال مداه على البلاد فصار كالطبع الذى يصعب انتزاعه ، والذي يستلزم من الزعماء صبراً ودهاءً وبراعةً وإيماناً وطيداً . وكانت حوادث دنشواى وعسف الانجليز وازدراؤهم بالمصريين ، فكان حافظ لسان مصر الغاضبة الحانقة ، وحافظ موتور لنفسه ولمصر معه .

وكثرت فى تلك الايام السعايات وكثر المارقون ، ولكن الخلصاء بزعامة مصطفى

صبروا وصابروا وبثوا فى الامة روح التآلف والتعارف ، وامتدت آثاره إلى اليوم، فكان حافظ شاعر مصر الناهضة .

— ٤ —

أرأيت أن مطران استطاع أن يؤرخ عصر حافظ وأن يلم بسيرة حافظ ، وأن يدرس فنّ حافظ فيجمع بذلك بين هذه المذاهب الدراسية الثلاث ؟

نعم استطاع أن يبين أهم الحوادث السياسية والاجتماعية الاولى التى أثرت فى شعر حافظ وانشأته ولا سيما شعره فى الشباب والرجولة ، ثم صور لنا حياة حافظ وبؤسه ، ومزاجه وخلقه وطريقة تكوينه الشعرى . ثم هذه الاطوار الشعرية التى امتاز بها شاعر مصر الكبير ناشئاً ، وشاكياً ، ومترجماً روح مصر ونهضتها الاولى ، وأخيراً هذا الرثاء الحار الجميل .

وأنا لا أحب أن أزيد على ذلك شيئاً ، إلا أن هناك أموراً ثلاثة يجب الوقوف عندها :

فأولها أن مطران لم يتناول جميع الحوادث التى تتصل بشعر حافظ ، ولم يذكر كلّ الرجال الذين اتصلوا به وبشعره كالشيخ محمدعبده والشيخ أبى خطوة وغيرهما . ولا بأس فى ذلك فما كان الشعر مجال الاستقصاء الشديد وإلا فسد وذهب جماله ، وحسب الشاعر الإلمام والايماء وكفى .

وثانيها أن مطران لم يستكمل حياة صاحبه واعتذر بالقافية ، وفى رأيى أن ليس هذا عذراً كافياً ولا سيما لدى مطران فيستطيع تغيير القافية ويستطيع تكرار القافية . . ويستطيع غير هذا . . ولكن هل أستطيع أن أرد ذلك إلى أسباب أخرى سوى ما ذكر ؟ أيكون السبب أن مطران لم يشأ التورط فى هذه الفترة الأخيرة التى تضطرب حولها السياسة الحاضرة والتى قد يكون أكثرها سراً مكتوماً ؟ مهما يكن من الأمر فعذر مطران هنا ضعيف .

وثالثها أمر يتعلق بفن مطران نفسه ، والحق أنه فنّ عجيب : فيه كما قلت لك شخصية علمية أدبية مزدوجة لم تتوافر لغير مطران بهذه السعة والقوة والجمال ، وأرجو أن أفرغ لدرس مطران نفسه فى فرصة أخرى .

رحم اللهُ حافظاً ومدّ فى عمر مطران !

أحمد الشايب

حافظ ابراهيم

ناحية من أثره فى الأدب

حقاً لقد جلّت مصيبة مصر فى حافظ أديباً وكاتباً وشاعراً ، ومحاضراً ومفاكهاً ومنادراً . وحافظ فى هـذا كله حقيق من مؤرخى الأدب العربى بأن يعقـدوا له الأبواب ، ويسبغوا الفصول . ولست أسوق هذه الكلمة القصيرة لأدلّ على موضعه فى الأدب العربى ، وأثره بمنظومه ومنثوره فيـه . فذلك شىء قد فرغ منـه ، أو هو شى لمّا يئن بعد الحديث فيه ، على ما يظهر . أما أنه قد فرغ منـه فذلك بأن أديباً أو متأدباً فى العالم العربى لا يجهل حظ حافظ من هذا أو يقدره حق قدره . وأما أنه لم يئن بعد ، فلقد تظاهر صدر من صفوة العلماء والشعراء والكتاب على أن يدونوا فى حافظ ضخام الكتب يحصون فيها شعره ، ويستقرؤن نثره ، ويطلبون المأثور من كلمه ، وكل طريف من بدائهه فى مناقلاته ومنادراته ، وكلها حلو طريف ، وبعد أن شمر القوم فى هذا واجتمعوا له وجعل يستحث بعضهم بعضاً فيـه ، طاف بهم أوبنا على الصحيح (فما أبرئ نفسى) طائف من السكون والفتور ، والجمود والركود، فما عدتَ تسمع من أحدٍ فيه حسّاً .

وأكبر الظن أن السبب فى هذا يرجع الى السياسة ، فاخواننا من السياسـة فى شغل لقد صرفهم عن كثير ؛ حتى عن الوفاء بما اجتمعوا له واستحمسوا من خدمة الادب العربى فى ذكر حافظ ابراهيم !

وبعد ، فانما أسوق هذه الكلمة القصيرة لأدلّ على ناحية واحدة ممـا أجدى به على الأدب العربى هذا الشاعر العظيم :

رُزق حافظ ، رحمه الله ، الى الطبع وإدراك الملكة ، خـلالاً ثلاثاً لا تستوى لكثير: سلامة الذوق ورهافة الحسّ . والثانية قوة الحافظة . والثالثة نطاقة اللسان .

وكان حافظ رجلا يبهره حسن الصياغة ، ويأخذ فيه جمال التعبير ، فما يسقط فى قراءته فى فنون الشعر والنثر ، على لفظ شريف أوصيغة ناصحة مشرقة ، كمل بهاؤها وترقرق ماؤها ، الا تهافتت نفسه عليها وراح يلتهمها التهاماً ، وهى آخذة منه مأخذ أحلى الأصوات فى أدقّ الآذان .

ولقد قلت لك إن حافظاً كان قوى الحافظة ، ولقد بلغ من هذا موضعاً عجباً .

ولو قد كان حافظ فيمن لم ندرك أيامهم ، فلم نشهدهم ونلابسهم لأحلنا ما يروى عنه فى هذا على ما يتزيّد به القصاص ،ويسرفون فى المبالغة فيه طلباً للافلاق والاغراب.

ولقد كان ، رحمه الله ، يتناول الصحيفة فيها القصيدة لشاعر كبير ، أو المقالة لكاتب مبرّز، فاذا عيناه تجمزان فيها جمزا حتى يأتى على غايتها. ثم يطرح الصحيفة ، حتى ما تشك فى أنه إنما كان يطلب نماذج من بعض أقطارها ليعجل عليها الحكم السريع النظر ، فما يروعك بعد أيام ، بل بعد شهور ، بل بعد سنين طوال ، إلا أن تبعث المناسبات ذكر هذه القصيدة أو هذا المقال ، فاذا حافظ يروى ، بظهر الغيب، أنخر ما فيه أو أحقه بالزراية لبلوغه الغاية من الفسولة والاسفاف !

على أننى شهدت أن حافظاً لم يكن يعلق بحافظته مما يقرأ إلاما يستجيد ويستملح، وأحياناً ما يستسخف ويستقبح إذا كان لبعض من يكرههم ويترصّد لتشهيرهم والزراية عليهم .

والعجب أن الشائع فى الاعتقاد أن من كان سريع الحفظ كان سريع النسيان فاذا صحت هذه القضية فقد حقّ أن يستثنى عليها هذا حافظ ابراهيم !

وقبل أن أتحول عن هذا الموضع من الحديث أقول إن حافظاً قبض إلى رحمة ربه وليس فى داره من الكتب إلا ثلاثة أجزاء أو أربعة من الأغانى (طبعة بولاق القديمة) وكتاباً أو اثنين فى الفرنسية ، وأثارة من الأقاصيص (الروايات) العصرية المترجمة إلىالعربية فىلهجة أدنى إلى العامية ، فلقدكلفدهراً بقراءة هذه الأقاصيص حتى إذا غادر داره دسّها فى (جيبه) ليقرأها كلما تهيأ له ذلك .

وتسألنى : كيف أنه على كثرة محصوله ووفرة محفوظه من بارع الشعر ورائع النثر لا يجمع من الكتب إلا ما أحصيتُ ؟ فأجيبك بأنه لم يدع ديواناً لشاعر متقدم إلا قرأه ، وكذلك قرأ كثيراً من كتب أعلام البيان ؛ على أنه ما فرغ من قراءة ديوان شعر أو كتاب تجول فيه ألوان البلاغات إلا خلاّه ودفعه عنه باهداء أو طرحه مطرحه حيث كان تغنياً بما أصاب منه وشكته حافظته العاتية . ولقد أذكر أنه من نحو اثنتى عشرة سنة دفع إلىّ كتاب (المكافأة) لأحمد بن يوسف الكاتب المصرى ، واستحثنى على قراءته وتقليب الذهن فيه تروّياً من ناصع بلاغته، فقرأتُهُ الكتاب مرة بعد مرة ، وتعلقتْ بحافظتى منه كلمات وصيغ سرعان ما تخاذل أكثرها وتساقط عنها مسقط البقلة الذابلة . ثم إذا صاحبنا بعد السنين التوالى ينتظمه المجلس،

فيروى القصة من الكتاب برمتها كما جرى بها قلم الكاتب ما تكاد تفشز عليه منها كلمة ، وخاصة ما أشرق لفظه ، وتبهجت ديباجته . وما شاء الله كان !

ولقد زعمتُ لك أن حافظاً كان نطقاً ذرب اللسان ، وكان الى هذا رجلا يألف ويؤلف فكان يطاب مجلسه المتأدبون ؛ وكان هو عظيم التفقد لمجالس الاسمار كثيرَ الاطلاع عليها فلا تراه قط الاجياشاً بلسانه فى المجلس ؛ يتنقل فى خفة وظرف ، بين جد القول وهزله . وهو أثناء هذا وهذا ينبوع يفيض بالأدب فيضاً ، ويأبى إلا أن يدفع فى حديثه بأحلى ما وقع له من رائع الصيغ .

دعك مما أفاد حافظ نفسه فى هذا الباب ، فى شعره ونثره جميعاً ، وما أجدى به على من قرؤوه شاعراً ومن قرؤوه كاتباً ، فذلك مما يخرج عن حدود هذا الحديث . وإنما الذى اريد أن اقوله إن حافظاً ، رحمه الله ، كان مجلة ادبية حية متحركة يُفشى فصيح العربية حيث كان ، ويصلح للمتأدبين أخطاءهم البيانية ما وقعت له . وكثير من الشعراء لقد كانوا يعرضون عليه قصائدهم قبل ان يطلعوا بها على الناس فيثبت لهم المتجلجل ، ويقوى المتخذل ، ويرفع المسفّ ، ويذكى الخابى . فحافظ من هذه الناحية كان قوة قوية فى إشاعة فصيح العربية وإظهار المتأدبين على كرائم المحفوّات من ألوان بلاغاتها . فكان أثره واضحاً فيما نشهد اليوم من إشراق الديباجة ، وتلاحم النسج ، وفحولة الكلام . ولا يذهب عنك بعد هذا ان حافظاً قد استظهر صدراً صالحاً من الصيغ والتعبيرات الجميلة أدت فى صفاء وسلامة كثيراً من متخير المعانى التى جاءت بها الحضارة الحديثة .

وقبل ان أختم هـذا الحديث اذكر عن حافظ خلة من خلاله إنصافاً للحق واثباتاً لصحيح التاريخ : ذلك بأنه مما انعم الله به عليه انه كان قليل الصبر على النظر فى كتب العلم والاجتماع فى حفظ قواعده والمطاولة فى تفهم قضاياه واستخراج مسائله . علوم اللغة وغيرها عنده فى هذا بمنزلة سواء ، بل لم يكن له صبر على مراجعة معاجم اللغة فيما يغم عليه من مفرداتها ، ولعل الامر إذا كرثه فى بعض هـذا تقدم الى غيره به فرجع اليه بما اصاب . اؤكد ان حافظاً قد ثوى وليس فى داره معجم واحد من معاجم اللغة . ولكن لقد تهيأت للرجل فرصة لم تتهيأ لكثير ، فقد عاشر من اول شباب السن الى غاية العمر اعلام العلم واللغة والادب فى عصره ، وداخلهم ولابسهم وحضر مجالسهم وحاضرهم ونادرهم ، وأخذ عنهم . فاتسقت له بهذا مجموعة .

قيمة من علوم اللسان وسواها من قضايا الدين وعلوم الحياة. وناهيك بمن طوى العمر كله فى مصاحبة الشيخ محمد عبده والأشياخ حمزة فتح الله، وابراهيم اليازجى، ومحمد المهدى، وحفنى بك ناصف، وسامى باشا البارودى، واسماعيل باشا صبرى، وسعد باشا زغلول، وأخيه فتحى باشا، وأحمد حشمت باشا، وابراهيم بك المويلحى، وولده محمد بك، وعمه عبد السلام باشا، وابراهيم بك اللقانى، والشيخ على يوسف، وأستاذنا احمد لطفى السيد بك، وعبد الحميد بدوى باشا، واحمد بك أمين، والمرحوم عبد الحميد باشا مصطفى، وأستاذنا العظيم الشيخ احمد بك ابراهيم، وأصدقائنا الدكتورين هيكل وطه حسين والاستاذ الجليل خليل مطران وغيرهم، وسواهم من كل مَن يجرى فى أبواب العلم والأدب على عرق كريم، حتى وهو ضابط فى السودان، لقد لازم استاذنا العلامة المرحوم الشيخ الخضرى بك، وراجعه كثيراً، وتروّى عنه فى قوانين اللغة كثيراً، ولعله كذلك قد اتصل هناك بأستاذنا العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار وأخذ عنه وذلك مما لا أتبينه إلى الآن.

ولعله قد تعاظمك بادىء الرأى ما زعمت فى بعض هذ الكلام من أن مما انعم الله به على حافظ رقة الصبر على الاكباب على كتب العلم، وفيها علوم اللسان ولعله لو قد فعل لما كان منه كل حافظ إبراهيم!

حافظ إنما طلب العلم فى أصفى موارده، وحصله من أكرم مناجه. وانت خبير بأن العلماء إذا أقبلوا فى اسمارهم على مذاكرة العلم، تخيروا اللب والمصاص، واصطفوا من مسائله ما جلّ معناه وقويت اسبابه، وخاصة ما اتصل منها بوسائل الحياة، واطّرحوا ما لا غناء فيه مما يكظ الذهن ولا يكاد يجدى فى تطبيق قضاياه الكثيرة، وقواعده الوفيرة فى دنيا ولا فى دين. وحافظ كان رجلاً متسعّر الذكاء، صافى الذهن، جوهريّ الطبع، قوى الحافظة، كما أسلفت عليك، فأصاب مع هذا من صحبة من ذكرت من اولئك العلماء، وطول مذاكرتهم ومراجعتهم من الفوائد العلمية فى شتى العلوم ما لا يكاد يدركه الحساب.

وإن تعجب فعجب انني ارى ان عدم إكباب حافظ على مراجعة معاجم اللغة قد أجدى عليه فى صنعته كثيراً! ذلك بأنه — وأرجو ان يعى هذا الناشئون فى الادب بوجه خاص — ذلك بأنه ليس كل كلمة فى المعجم تصلح للاستعمال دائماً فى المعنى الذى وجهها عليه، فان الكلمة قد تصلح فى هذا المقام ولا تصلح لذاك،

وقد تتسق لهذه الصيغــة وتحلو وترقّ ، إذ هي تنشز على تلك وتَستصعب .

لهذا آثر حافظ أوشاءله القدر ألا يأخذ مفردات اللغة الا من اكرم مناجمها ، وألاّ يطالعها إلا وهي في عقود نظامها ، فيما حصل من رائع الشعر ، وما استظهر من فاتن النثر ، فعرف في شعره ونثره كليهما ، كيف يضع كل كلمة في موضعها ، وكيف يضم الجنس الى جنسه ، ويضيف الشكل الى شكله. ومهما اختلف النقدة في شعر حافظ وفي شاعريته فانهم لم يفترقوا قط في أنه كان أمهر الصاغة في هذا الزمان .

وخلة أخرى تتصل بهذا المعنى ، وهي أن بعض الشعراء إذا أعوزتهم القافية فزعوا الى المعـاجم حتى إذا سقطوا عليهـا استكرهوها على النظم فخرجت ، في الغالب، غريبة شامسة ، أو قلقة نابية . أما حافظ فقد سلم من هذا ، وإنك ما تـكاد تطالع صدر بيته حتى تراك قد أطللتَ من نفسك على القافية .

* * *

هذه ناحية من جدوى حافظ إبراهيم على اللغة والأدب . أسأل الله تعالى أن يرحمه الرحمة الواسعة ، وان يعوض الأدب العربي عنه خير العوض ؟

عبد العزيز البشري

حافظ ابراهيم

بين ظرفه ومجونه

وماذا أقول عن حافظ ابراهيم ، وأي جانب من جوانبه أتناول بالنقـد والبحث والتمحيص ؟

إنما أود أن أمرّ في هذه العجالة على ناحية مع نواحيه البارزة الممتازة التي اتيح لي أثنـاء اتصالي به ردحاً من الزمن أن أتبينها وأعجب بها : تلك هي روحه الفـكهة الطروبة ، بل نفسه المَـرِحة الضاحكة ، بل قلبه العامر بالظرف والايمان مما كان يبدو في نظر بعض الناس استهتاراً وقلة اكتراث .

أتحدث في هذه الـكلمة القصيرة عن ظرف حافظ ، ومجون حافظ ، وخفة حافظ ، وكرم أخلاق حافظ ، بل سعة نفسه إلى أبعد مدى وأقصى حدّ .

كان حافظ فى أخلاقه ومزاجه وروحه ونفسه وسخائه وشجاعته ومنطقه وحديثه بل فى كل حركاته وسكناته وسائر مزاياه أديباً كل الأديب .

وإنى لأذكره فى جلسته فى « بار اللواء » وقد التفّ من حوله الصحفيون والأدباء والمتأدبون وداروا حوله فى شبه حلقة وحافظ لا ينقطع « الجرسون » عن التردد على مجلسه ذهاباً وجيئة فاذا ما انتهى مجلسه كان حسابه غير يسير .

وإنى لأذكر صحفياً يُعتبر الآن من ذوى اليسار راهن حافظاً على أمر من الأمور فلما خسر حافظ الرهان أخرج من جيبه فدية رهانه ورقة مالية من فئة الخمسين جنيهاً ، وكان موقفاً عجباً كاد يُخيَّل إلىّ بعده أنى لا أعيش فى هذا العالم المادى العنيف !

وأذكر أنى دعوتُ حافظاً إلى القناطر الخيرية حيث كنت أسكنها عام ١٩٢٣ إلى غذاء متواضع وقد جاء اليها فى بعض أصدقائه كلهم أيسر منه حالاً وأوفر مالاً ، وكانوا يركبون فى ذهابهم وعودتهم سيارة « تاكس » وقد دفع لسائقها مائة وخمسين قرشاً وهى تربو على تكاليف غذائى . فلما اظهرت له دهشتى أظهر لى دهشة أشدّ منها وعجب كيف أنى أود ان اعامله الاقتصاد فى آخر الزمن !

وإنى لأعلم انه جنى من آخر طبعة لكتابه « البؤساء » حوالى ألفى جنيه أنفقها جميعها فى نفس الشهر الذى استولى عليها فيه !

أليس عجيباً أن تتاح لحافظ فرص عدة للثراء ثم يموت دون أن يقتنى منزلاً يسكنه فى حياته أو كفافاً من المال ينفع مَن بعده مِن ذوى قرابته ؟

وشهدت حافظاً فى داره بحلوان فى رمضان وقد استوى للافطار على مائدته جمعٌ من أصدقائه وألوان الطعام تغدو وتروح من كل شهى الطعم جيد الصنع ولكن فى أطباق من الصاج ، والتمر الهندى يقدم فى بوادق من الصاج أيضاً .

وإنى لأذكر فى تلك الجلسة أديباً كبيراً وقد قال : « لا ينقص هذه الأكلة الشهية إلا الثلج وهو لا يتكلف ملاليم » فبادره حافظ : « فلتفرض أنك فى بيتك ! »

وأذكر أنه سُئل عن صديق من أصدقائه الأفذاذ وكيف أن صديقه هذا يفضل الولائم والتردد على الموائد وهو ولله الحمد فى عيشة وارفة راضية بل كيف أن صديقه على ضعف صحته شديد النهم فقال : « إنه قضى أربع عشرة سنة يأكل (اردفر) فى الازهر ! »

وأذكر ان اصدقاءه أرادوا ان يعبثوا معه ويعاجنوه فى ليـلة من ليالى رمضان ويختبروا مائدته وكانت مضرب المثل ومهبط الأدباء والعظماء فانقسموا فريقين وقد دخل فريق منهم فى ساعة الغروب فلم يكادوا ينتهون من إفطارهم حتى هاجمه الباقون، ومع ذلك فقد استطاع حافظ ان يستر موقفه وان يرد كيدهم ويدحض غلة من مجونهم وان يقدم لهم الوفير من الطعام فى أصنافه التى كان يولع بها وتجيدها طاهيته الماهرة .

وخرج حافظ الى مقهى الجندى فى الاوبرا — وكـان يتردد عليه أخيراً من داره بالجيزة عصر كل يوم ، يدفع أجرة للعربة أكثر من ثلاثين قرشاً ذهاباً وجيئة ليـدخن نرجيلته هناك فى حوالى خمس دقائق ، ثم يدفع ثمنها لخادم القهوة وينقده أكثر من ثمنها نظير خدمته وينصرف — والتقى به إذ جلس فى ذلك المقهى أحد أصحاب الصحف الاسبوعية وقال له : « إنما كنت أتفقـدك لاقترض منك جنيهاً أنا فى أشد الحاجة اليه » فضحك حافظ وقال له : « عمرك اطول من عمرى ! »

إنى لن أنسى له رحمه الله جلسات رائعـة فى دار المغفور له محمد عثمان اباظه باشا بربعاية من اعمال مركز منيا القمح ، فقد كان مجلسه فيه ندوة أدبية معدومة النظير أذكره وقد رأى شابين أحدهما وسيم الطلعة والآخر دميمها فقال من فوره للدميم مشيراً لصاحبه الوسيم: « هكذا أبناء الامهات الذين تدفع المهور الغالية لأمهاتهم ! »

كما لن أنسى طرفة لأحد أدبائنا الافذاذ إذ بادره بقوله : « وعلى هذا القياس تـكون المرحومة والدتك قد دفعت (دوتا) للمرحوم والدك ! »

ودعاه صديق له ليطلعه على مقبرة بناها لوالده فقال له حافظ : وكم كلفتها ؟ فقال الصديق : « مائة جنيه بالميت ! » فقال حافظ : « دى رخره تربة تردّ الروح ! »

وسمع حافظ أن امام العبـد لايفتأ يذكر أنه هو الذى خلق حافظاً فلما التقى امام بحافظ دلف اليه فى شأن مادى فقال حافظ : « والله يامولاى كما خلقتنى ! »

ورأى حافظ اماماً يكتب والقلم يتساقط منه المداد فقال « جفف عرقك يا امام! » ورأى إماماً فى بذلة بيضـاء وقميص أبيض وربطة عنق سـوداء فقال له : « زرّر قميصك الافرنجى ! »

وكان حافظ رحمه الله كثير التشكك فى صحته مشغولاً بها، يتوهم فى نفسه الأمراض

كلها ،لا يسأل عن علة إلا سأل عن عوارضها ليرى أهي منطبقة عليه أم بعيدة عنه، ثم يميل في النهاية إلى الأخذ بأنه مريض لمجرد تشككه في شعوره بعارض من عوارضها . وقد ينتهي بالاحساس بها فيتداوى منها ويتحدث طول وقته عنها . التقى بطبيب من أصدقائه فبادره بشكواه من الأعور وأشار إلى أعلى فخذه الأيمن فرده صديقه الطبيب بأن وهمه بعيد عن الواقع الذى يعترف به الطب لأن الأعور يكون فى الجهة اليسرى فعارضه : « وانت مالك يا أخى يمكن يكون أعور يمين ! »

ولو حاولت أن أسرد كل نوادر حافظ لامتد بى الوقت فلأترك المقام لغيرى يتناول بقية جوانبه الممتازة وكلها بارزة ، فقد كان حافظ رحمه الله رجلاً بكل معانى الرجولة ، أديباً بكل معانى الأديب ، وكان طيب القلب عامر النفس صافى الروح لا يحمل لأحد حقداً ولا يحاول الكيد لاحد .

وكان حافظ ينعى على أهل هذا الزمن وهذا البلد بوجه خاص ذلك القتال المنيف من أجل تلك الحياة القصيرة الزائلة ؛ بل ذلك النضال القوى من أجل ذلك العيش التافه المحدود ، وكان لا يرى المال إلا وسيلة من وسائل العيش لا غاية من غايات الحياة .

وكان رحمه الله يعرف الشيء الكثير عن رجالات هذا البلد ماضيهم وحاضرهم فقد أدرك أكثرهم فى صدر شبابه وبدء صباه ، وكانت صلته بالمرحوم الشيخ محمد عبده تمكنه من الاشراف من كثب على تصرفات كثير من الناس وحركاتهم وسكناتهم ومحاولاتهم ، لهذا لم يكن يرى واحداً منهم بالعين الأخيرة الكبيرة بل كان ينظر لهم دائماً بالعين القديمة الصغيرة ، يذكر عن كل واحد من البارزين حادثة أو موقفاً أو مناسبة ثم يعلق عليها بطرفة من طرفه او فكاهة من فكاهاته ويتندر بذلك فكان حديثه لا يمل وكلامه لا يرغب عنه .

وكان حافظ يتبرم بميل طائفة كبيرة من جمهرة الناس هنا إلى المبالغة : فالعرب كل واحد منهم « شيخ عرب » ! وأين العرب أنفسهم ؟ علم ذلك عند الله ! والنبوغ لا يتسع إلا لواحد : فالدكتور على باشا ابراهيم جراح وكل من عداه « حمار » وسامى الشوا موسيقار وكل من عداه « حمار » ، ومحمد عبد الوهاب « المطرب الوحيد » وإذن فليس مطرب سواه ، وهذا المهندس ليس فى مصر غيره ، وذلك

الكاتب أكتب الكتاب، إلى غير ذلك من المبالغات التى تواضع الناس على أنها الاصل المقبول والواقع المعقول !

وكان حافظ يشكو من تدخل بعض المصريين فيما لا يعنيهم وانصرافهم عن شئونهم للاعتكاف على شئون غيرهم . وينعى على مصر اشتغالها كلها بالسياسة سواء فى ذلك صغيرها وكبيرها ، عالمها وجاهلها ، ذكيها وأبلهها ! وقد سمعته يقول إن انجلترا وهى سيدة الممالك تترك لعشرات من رجالها الاشتغال بادارة دفة سياستها ، أما مصر فان بها أربعة عشر مليون سياسى ! وكانت له رحمه الله نظرات ثاقبة فى المواقف السياسية وفى المشتغلين بها ونبوءات تحقق منها الشيء الكثير.

وبالرغم من أن حافظاً قد تعرض لكثير من سخط الدهر وقسوة الزمن وشظف العيش وخشونته إلا أن شيئاً من ذلك لم يؤثر فى خلقه ولا فى رأيه فى غيره من الخلق بل ولا فى الزمن والعيش والحياة .

رحم الله حافظاً وعزّى عنه أسرة الأدب وألهمهم السداد والتوفيق فى القيام ببعض ما لهذا الأديب الفذ عليهم وعلى البلاد من حق ، وكفاء ما كان له فى الأدب المصرى الوطنى من أثر ؟

حسن الحكيم

حافظ واللغة الفصيحة

كنتُ وعدت الصديق العزيز محرر (أبولو) أن أكتب كلمة للعدد الخاص بذكرى حافظ ، وأخذت أسوّف ، ولى أعذار فى التسويف حتى كاد يونية ينصرم ، وعدت أفكر فى التحلل من ذلك الوعد ، فانى على سفر ، وفوق كاهلى واجبات لا بدّ من انجازها .

ولكن ذكرى حافظ كانت تهيجنى فى كل لحظة ممثّلة فى بيته الحزين :

مرضنا فما عادنا عائدٌ ولا قيل أينَ الفتى الألمعى

ومرّ بالبال أنى شُغلت عن شهود جنازته ، فمن المروءة ان لا أُشغل عن شهود ذكراه .

وأنا أقف فى موكب هذه الذكرى عندنقطة صغيرة : هى عمل حافظ فى انهاض اللغة الفصيحة .

١ — كان حافظ من المفتونين بأدب اللغة العامية وكان يحفظ كثيراً من المواويل والازجال ؛ وكان ينشد محفوظاته تلك فى حماسة وإعجاب ، ولكن اتصاله بالاستاذ الامام محمد عبده حوّله الى قوة طاغية فى مناصرة اللغة الفصيحة ،وصداقته للوزير المصلح احمدحشمت باشا دفعته الى التفكير فى رياضة تلامذة المدارس على فهم لغة القرآن ؛ فأنشأ قصيدته المشهورة على لسان اللغة العربية :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامنٌ فهل ساءلوا الغوّاصَ عن صدفاتى

وأخذ يخلق المناسبات للسخرية من أقطاب الأدب الحديث الذين عجزوا عن وصف ما جدّ من المخترعات على حين استطاع البدوى ان يسبغ على ناقته ابلغ الصفات واشرف النعوت ، واليك قوله فى مقدمة ترجمة البؤساء :

« تباركت اسماؤك اللهمّ ! أبدعى البعير ، وهو ذلك المركب الخشن بهذه الاسماء التى تضيق عنها بطون الكتب وهذه مراكب البخار والكهرباء لانكاد نجد لأسمائها مرادفاً فى هذه اللغة ؟ فما عسى ان تكون حالنا بجانب ذلك العربى الذى يقول فى وصف عيشه :

الابيضان أبردا عظامى الماء والفتُّ بلا إدام

وهو فوق راحلته ظالع على قتب يكاد يدمى عجانه تحت شمس تكاد تأكل ظلها فى مفازة .

تمشى الرياحُ بها حيرى مولهةً حسرى تلوذ بأكناف الجلاميدِ

اذا أردته على ان يصف تلك الراحلة العجفاء ، وأردتنا على ان نصف ونحن نستطيب من صنوف الطعام ما يضيق بهصدر الخوان ، ونتبوأ أريكة « الاوتمبيل » تحت ذلك الظل الظليل ؛ فى مخارف ضفاف النيل ، على فراش وثير ، ومتكأ من حرير ، بين نسيم عليل ، وماء سلسبيل ، ذلك المركب الذلول الذى لا تلحق به صافنات الخيول ، فوقفنا أمامك موقف الحائر ، لا نعرف له اسماً يدل على مسماه ، ولا مرادفاً فى اللغة يؤدى معناه ! فخذوا ايها القادرون على الاصلاح بيد اللغة ، وانظروا كم ادخل فيها آباؤكم من كلمة فارسية . وهذا كتاب الله بين ايديكم يأذن لكم بما ندعوكم اليه ، وهذا باب الاشتقاق وباب النحت لا يزالان بحمد لله مفتوحين لم

يصبهما ما أصاب باب الاجتهاد فادخلوا منهما آمنين » .

وخلاصة هذه الكلمة أن تخلف اللغة عن وصف المخترعات الحديثه ليس من عيوبها ، وانما العيب عيب الكسالى العاجزين الذين لم يخلقوا من الألفاظ والتعابير ما خلق البدوى الضالّ فى الصحراء . وسخرية حافظ التى قذف بها الأدباء منذ عشرين عاماً لا يزال لها مكان : فعندنا بحمد الله مئات من الأشباح الجميلة ترمى اللغة بالضعف والتخلف ، كأن اللغة تخلق نفسها خلقاً ثم تتقدم طائعة خاشعة لخدمة الأدباء سكان القهوات !

٢ — ومن اجمل ما قرأت لحافظ رأيه فى قوة الاصطلاح ، وهو رأى نشره فى مقدمة كتاب الاقتصاد الذى اشترك فى ترجمته مع الأستاذ الجليل خليل بك مطران . وهو يرى أن الاصطلاح ليس بأوهى قوة من النقل ولا هو بدونه فى مراتب الهيمنة على اللغات « فما من كلمة تنبت ولا من لفظة تذوى الا وللاصطلاح يد فى حظها من الموت أو الحياة » .

وكانت حياة حافظ نفسها دعاية لقوة الاصلاح ، وان كنا لاحظنا أنه كان يخالف بين قوله وفعله ، فكان فى مجالسه من أوسع الناس صدراً ، وأعرفهم بحرية الرأى ، فاذا نظم قصيدة أو انشأ رسالة تكلف وتحذلق واستوحى المعاجم واغلق الباب فى وجه الاصطلاح !

٣ — واهم خدمة قدمها حافظ فى حياته الى اللغة الفصيحة هو تمكنه من الأدب القديم ، فقد كان يشعرك بجودة محفوظه وتنوّعه ان العرب أفصح الناس وابلغ الناس ، وكان يتدفع فى انشاد الشعر القديم تدفع السيل ، ثم يطوف بحدائق الملح والفكاهات البدوية والحضرية ، فلا تنصرف الا وانت أشوق الى دراسة الأدب الفصيح الذى يمكّن مثل هذا المحدّث من ناصية اللباقة والظَّرف وحلاوة الحديث .

وبعد ، فهذا ما سمح به الخاطر المكدود ، ولنا عودة فى الذكريات المقبلة ، فلن يكون هذا آخر العهد بشاعر مصر والنيل

زكى مبارك

صفحة مجهولة

من حياة حافظ

من أوليائه

فى صيف سنة ١٣٠٥ هجرية كنت طالباً فى الجامع الأحمدى بطنطا وقد سافرت فى ايام العطلة الى بلدنا القرشية : ثم عدت فى أواخر شعبان من تلك السنة الى طنطا ، فاذا باخوانى واصدقائى يلوذون بفتى غض الاهاب جديد الشباب وقد أسرعوا بتقديمى اليه وتقديمه الىّ باسم الأديب الشاعر « محمد حافظ ابراهيم » ولم تمر الا عشية أو ضحاها حتى أحسست من نفسى ميلا اليه بجاذب من الأدب الذى كان نهمة نفسى حتى آل ذلك الى غرام بأدبه وما يشتمل عليه من ظرف ولطف محاضرة وبديهة مطاوعة وسرعة خاطر وحضور نادرة .

وكان دأبنا فى رمضان تلك السنة أن نصلى المغرب والعشاء والتراويح معاً ثم نلبث فى سمر ممتع ومطارحة للشعر ومذاكرة فى نوادر الأدب وما كان يطرف الحضور به مما يقف عليه من جيد القريض الى أن يأتى وقت السحور . ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه الى انبثاق الفجر فنؤديه ثم نخرج بغلس الى خارج المدينة حتى نصل الى قرب بلدة قحافة ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع فيذهب كل واحد منا الى بيته ثم نعود الى مثل ذلك إذا جنّ الّليل .

وكان الذين اعتادوا الخروج معنا الى ما نخرج اليه هم :

(١) محمد حافظ ابراهيم (٢) محمد حلمى الجيزى أفندى عمدة الجيزة سابقاً (٣) السيد محمد ابراهيم صلاح التاجر بطنطا الآن (٤) الشيخ محمد ابراهيم البيومى من مدرسى الازهر الآن (٥) كاتب هذه السطور عبد الوهاب النجار .

ظل هذا دأبنا مدة شهر رمضان وفى أواخره بصرنا بشروش جميل الصورة فى حديقة مدرسة الفرير ، فتقدم واحد منا وطرق بحلقة الباب ليفزعه فكان المنظر جميلا . فعاودنا ذلك العمل ثلاث ليال . ولكن جماعة الفرير ظنوا تعمدذلك لاقلاق راحتهم ، فلما كانت صبيحة آخر يوم من رمضان خرجنا من المسجد بغلس وأسرعنا الخطا حتى أتينا إلى مدرسة الفرير والظلام لم يقوض خيامه ، وما أن تقدم واحدٌ منا لتحريك حلقة الباب حتى هبّ جماعة من الفلاحين قد أكمنهم جماعة الفرير للقبض

علينا فعلقت حبائلهم بمحمد حافظ ابراهيم شاعر النيل ومحمد حلمى الجيزى أفندى. أما أنا والشيخ محمد ابراهيم البيومى فاسلمنا أرجلنـا للريح وطرنا مع البـازى عليه سواد ولما أمنّا الطلب وقفنا ننتظر اخوينا الى ان فضحنا النهار ولم يبق للانتظار فائدة فذهبنا بحسرة ما بعدها حسرة — وكان السيد محمد ابراهيم صلاح قد تخلّف عن الذهاب معنا فى هذه المرة .

ولما كان هذا اليوم آخر أيام رمضان ذهبت إلى بلدنا لقضاء العيد هناك وقد اتفقت مع السيد محمد ابراهيم صلاح والشيخ محمد ابراهيم البيومى على أن يكتبا إلىّ بما يتم من أمر حافظ ومحمد افندى حلمى وأن يلحنا لى لحناً أعرفه، وذهبت وأنا على أحرّ من الجمر — وفى اليوم الثانى من أيام العيد وافتنى تذكرة بوستة من المرحوم حافظ بك بما تمّ :

وذلك انه لم يرتفع النهار حتى ذاع الخبر وأرسلت التلغرافات لقنصلية فرنسا . وعلم كل من المرحومين نيازى افندى مهندس تنظيم طنطا وهو خال حافظ والشيخ محمود الجيزى شقيق حلمى افندى ، فذهبا إلى جماعة الفرير وكلماهم فى هذا الشأن فرضوا باطلاقهما (وكانوا قد سلموهما إلى الضبطية) بشرط أن يعودا إلى المدرسة ويستسمحاهم ، ففعلا وانتهى الأمر باطلاقهما .

ومما حصل لحافظ فى ذلك العهد أن خاله أغلظ له القول مرة فى شأن من الشؤون وزجره ، فكتب إلى خاله :

ثقلتْ عليك مؤونتى إنى أراها واهيهْ
فافرحْ فانى ذاهبٌ متوجّهٌ فى داهيهْ !

وكان كثيراً ما يشكو الدهرَ ويندب سوءَ حظه ويتبرم بأحداث الزمن ويتمنى لو يوافيه حمامه — فمن ذلك قوله :

عجبتُ لعُمرى كيف ُمدَّ فطالا وما أثّرتْ فيه الهمومُ فزالا
وللموتِ ما لى قد أراه مباعداً وجُلُّ مرادى ان أوسّد حالا
فللموتُ خيرٌ من حياةٍ أُرَى بها ذليلاً ، وكنتُ السيد المفضالا

ولقد أوردت عليه هذه الأبيات قبيل وفاته فتعجب أن يكون هذا الشعر صادراً منه .

ومن آيات ذكائه أنه كان يسمع الفقيه في بيت خاله يقرأ سورة الكهف أو سورة مريم أو سورة طه فيحفظ ما يقول ويؤديه كما سمعه بالرواية التي قرأ بها الفقيه!

وكان إذا وقف على بيت نادر أو شعر بارع يبادر الىّ قبل أن يُسمعه انساناً آخر ويسمعني ما أعجبه، وكان لا يُعجبه الا كل مرقص مطرب.

حافظ المحامي

كانت المحاكم الأهلية حديثة الوجود، وليس للمحاماة قانون مسنون، ولا توجد شهادات حقوقية في طائفة المحامين، ولم يكن نظام الامتحان قد استحدث، فكل ذي قضية جاء بشخص وقال إني وكلته ُقبل منه.

وقد ضجر حافظ من فراغه، فذهب الى المرحوم الشيخ محمد الشيمي المحامي بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده في مكتبه، وكان يسافر الى المحاكم الجزئية القريبة من طنطا ويترافع في القضايا ويكسبها.

ولخلاف حصل بينه وبين محمد الشيمي بك ترك كتبه وترك له هذين البيتين:

جرابُ حظيَّ قد أفرغتُه طمعاً ... بباب أستاذنا الشيمي ولا عجبا

فعاد لي وهو مملوءٌ فقلت له: ... ممَّا؟ فقال: من الحشراتِ واحربا!

فأسف المرحوم الشيمي بك لخروجه وحاول استرضاءه وعودته إلى العمل معه في مكتبه فلم يقبل.

انتقل بعد ذلك حافظ ابراهيم ليشتغل في مكتب محمد أبي شادي بك بطنطا فمكث معه مدة كان فيها مغتبطاً كل الاغتباط، وكان أبو شادي بك يرى نفسه قد عثر على كنز ثمين فكانا يتنادران بالأدب ويتطارحان الأشعار الى أن خرج حافظ من مكتبه الى مكتب عبد الكريم فهيم افندي المحامي فمكث فيه مدة من الزمن يشتغل عنده. وكان مكتب عبد الكريم فهيم افندي ومكتب ابراهيم الهلباوي بك متجاورين ومحلهما كان بالوكالة التي جُعلت فيما بعد المعهد الاحمدي، وكان كثيراً ما ينتقل الى مكتب ابراهيم الهلباوي بك الذي يسرّ بحديثه وأدبه.

❁ مرثية حافظ ❁

لاستاذه وصديقه القديم محمد ابى شادى بك

كان المرحوم حافظ ملولاً فكان قليل الكتابة بل نادرها ، وكان لا يأنس إلى تدوين شعره مكتفيا بإملائه عن ذاكرته القوية ، ولذلك نجد نماذجَ خطه نادرةً وخاصة شعره . بيد أننا نجد حافظاً يشذّ عن هذه القاعدة فى مرثيته البليغة المؤثرة لأستاذه فى المحاماة وصديقه وزميله فى الأدب المرحوم محمد ابى شادى بك . وإليك نصّها الكامل كما كتبها ، وهى مثال من وفائه الرائع :

عجبتُ أن جعلوا يوما لذكراكا
كأننا قد نسينا يوم منعاكا

اذا سلت يا ابا شادى مطوقةٌ
ذكرَ الهديل تشوقاً أنّا سلوناكا

فى ساحة النيل والوادى وساكنه
ترجّعٌ لصوتك موصول بذكراكا

قد عشتَ فينا نميرا طاب مورده
أسمى سجايا الفتى أدنى سجاياكا

فما كأُولاك فى بِرٍّ وفى كرمٍ
أُولى كريم ولا عقبى كعقباكا

قضيتُ الوقتَ المغبونَ قد ملأتْ
أنحاءَ نفسِكَ شغلاً عنه قضاياكا

أبليتَ بِلى تلاوةَ المخلصين لكم
وكان سهمُك أنّى شئتَ فتّاكا

أجملتُ ما فصّلوه في قصائدهم
منّي لقد نضّروا بالحمد مثواكا

لم يُبقِ لي قيدَ شبرٍ ما حيايَ ولم
يُتِحْ لي القولَ لا هذا ولا ذاكا

يا نديمي الذكرُ والتسبيحُ كنتما
ها أنت في الخلد قد جاورتَ مولاكا

لو لم يكن لك في دنياك من سَحَرٍ
سوى زكيٍّ لقد جمّلتَ دنياكا

يوسف ابطح

* * *

رحل بعد ذلك حافظ ابراهيم الى مصر ودخل المدرسة الحربية وكان دخولها منتهى ما يتمناه . وعقب ذلك رفعت دعوى على خاله محمد نيازى افندي بمحكمة طنطا الاهلية وحُكم عليه بسنتين . فنظم حافظ قصيدة للخديوى المرحوم محمد توفيق باشا يستعطفه بها على خاله ، فوقعت قصيدته من نفس الخديوي موقعاً حسناً فأصدر عفوه عن خاله وعينه مدرساً للامراء أحمد سيف الدين ومحمد ابراهيم وشويكار هانم ، وبقى بعد مفارقتهما عهد الدراسة يستولى على مرتبه الى وفاته .

وأما حافظ فقد تخرج من المدرسة الحربية سنة ١٣٠٩هـ. وتقلبت به الاحوال الى أن صار شاعر النيل غير مدافَع . فرحمه الله رحمة واسعة وعوض مصر والعربية فيه خيراً ؟

عبد الوهاب النجار

حافظ لسان عصره

أصبحتُ أجفل من الشعر وأفرق من الكلام فيه وأستجير منه بالحذر ، وأحسب ذلك لأنى عانيتُ أزم التعبير به زمناً فأخفقتُ ، وعدت أندم على ما أضعت فيه من جهد وعمر ، وأعجب للغرور الذى كان يزين لى الزهو به . ولست أتكلف التواضع ، فان هذا ما أنطوى عليه الآن من احساس ورأى ، وقد يتفق لى أحياناً أن تقع عينى على جزء من ديوانى فأفتحه وأقلب صفحاته واقرأ ابياتاً هنا وأخرى هناك ثم أطوى الكتاب وأرده الى حيث كان مدفوناً وليس بى الا الدهشة من أنى كنت أعدّ هذا كلاماً يستحق النشر والاذاعة . وكنت قديماً أتطاول على الشعراء وأتناول بالنقد واقسو فى ذلك عليهم واعنف ، بل لقد افتتحت — اوعلى الأصح كان مما افتتحت به — سيرتى فى الكتابة بأن نقدت حافظاً رحمه الله فى سلسلة مقالات كنت أعتز بها وأعتدها شيئاً ثميناً لجمعتها ونشرتها فى كتاب بيع من نسخه القليل وتكدس اكثرها عندى فبعته لبقال رومى — لعله أمّى أيضاً — ليلف فى ورقاته ما شاء من جبن وزيتون أو يفعل بها ما هو شر من ذلك . وقلت

وقد خلصت أنفاسى واستراح قلبي : هذا خير ، فما يستحق مثل هذا النقـد الا هذا المصير .

ولم يتغير رأيي فى الشعر ولـكنى صححت موقفى من حافظ ، فهو عندى لسان العصر الذى عاش فيه ، وصوت الشعب الذى انجبه . ولم يكن العصر يحتاج الى ارفع من هذه الطبقة ، ولا كان الشعب يقدر ان يحس روحه الا فى مثل شعر حافظ . نعم ظهرت المدرسة الحديثة فى الشعر والأدب على العموم منذ أكثر من عشرين سنة ولـكنها لم تـكن مدرسة « شعبية » فلم تستحوذ على الجمهور استحواذ حافظ عليه ، ولم تستولِ على هواه مثل استيلائه . ولم يتصل ما بين هذه المدرسة الجديدة وبين الشعب الا بعد أن أخذت دائرة الثقافة فى الاتساع .

لحافظ شاعر شعبي ، ولست أقصد الى الازراء به أو الغض منه ، فما أريد أكثر من ان اقول انه يصور روح الشعب الموجع الحزين المتجـلد فى شيء من الوجوم والدهشة والحيرة : الحيرة فى امر نفسه . والحيرة في امر هذه المقادر التى لا تجرى الا بالدواهى والأرزاء . وما قرأت شعراً لحافظ الا أحسست ذلك منـه . وأكبر ظنى ان غيرى من القراء مثلى . وليس بالقليل ان يكون رجل لسان امة والهاتف بنجوى ضميرها وسر روحها ، مهما كان الرأى فى قيمة الشعر من حيث هو شعر وبغض النظر عن بواعثه وعن الروح التى صدر عنها الشاعر والغاية التي اعتمدها وقصد اليها ؟

ابراهيم عبد القادر المازنى

موكب الذكريات

أو

الناى الباكى . . .

(مهداة إلى روح المغفور له محمد حافظ ابراهيم شاعر الجمال والذكريات)

مالكَ اليومَ واجماً يا خيـالى كيف لا تَرسمُ الدموعَ الغوالى؟
سقطتْ فوقَ صفحةِ الخدِّ دُرّاً وتهادتْ مضيئـةً كاللآلى

هبطتْ : كلُّ دمعةٍ كوكبٌ نجمٌ ، عظيمُ الضياء ، سامي الجمالِ
وبروحي أفديك من ألم الوجدِ ، حياتي ، ومن ضنىً وهزالِ

« • »

وعجيبٌ يا فتنتي أن تلوحي ثرّةَ الدمع ، وهو من قبس روحي
كان خيراً — لو ترأفين بحالي — حَبْسُه ، إنني كثيرُ الجروحِ
أفلا تعلمين أن فؤادي مَنبعُ العشق والهوى والطموحِ ؟
أوَهل تُنكرين أن دموعاً منكِ تُغري شغافَ قلبي الطليحِ ؟

« • »

ولرُبّ ابتسامةٍ منكِ بالأمس أضاءت ببسمةٍ للسعادهْ
وأحاطت روحي بهالة حُسْنٍ طالما قد خصصْتُها بالعبادهْ
وفؤادي يا طالما عندها صاغ قصيداً مُنَضَّداً فأجادهْ
صاغه من نسائم الفجر شعراً وسقاه وجدانه ووداده

« • »

والذي يقتل الشعورَ ادّكاري زمنَ الوصل إذ وقفتِ جواري
والعيونُ الظِماءُ تُوحي مع الصمتِ كلاماً يهيج منه أواري
والشفاهُ الرقاقُ تهفو على القُربِ لرشفٍ محبَّبٍ واعتصارِ
ولهيبٌ من وجنتيكِ مضيءٌ لحمةَ الليل ... يا له من نارِ !

« • »

كيف أنسى النخيلَ في جانب الجدولِ طالت تروم لمسَ السماء
ترسل اللحنَ ، حينما تخطر الريح حزيناً ومُشجياً كالرثاء
شربتْ من دماء قومٍ تولّوْا فاستطالتْ فروعُها في الفضاء
وكذاك الحياةُ تُفني لتُعطي وعطاءُ الحياةِ بابُ الفناء

« • »

كنتُ يا طالما أُصوِّبُ طرفى في فضاء الوجود أَنشد فَهْمَا
لم أجد غير أننا فى وجودٍ يُذْهِل العالمَ البصيرَ فيعمَى
كلُّ ما فيه مُلغِزٌ ، لستَ تدريه ، ولو كنتَ قد تمكنتَ عِلْمَا
بَيْد أنّا ، هُنا ، نحاول بالشعرِ بياناً لِكل لُغزٍ مُعَمَّى

« • »

وإذا ما التوى على الفهم شيءٌ فابعثْ الشعرَ صوبَه يتهادَى
إن بالشعر ينجلى كلُّ غيمٍ وبه تُصْبح الوهادُ مهادَا
أرغنُ العيش ، مزهرُ الروح : نجواه سدادٌ لمن أراد السدادَا
يرسم الكونَ كيفما شاء ، لا يتبع رأياً ، ولا يلين انقيادَا

« • »

يا عزاءَ النفوسِ فى ساعةِ اليأسِ ، وساقى النفوس راحَ السرورِ
قُمْ ، تَحدَّثْ عن الفؤاد ورجِّعْ نغماتِ الاسى ولحنَ الحبورِ
لا تُفرِّقْ بالله بين شجونى وسرورى ، فكلُّ ذاك شعورى
مُلْهَمَ الروح .. قُمْ أيا شعرُ واهتفْ أنت خدنى ، وناصحى ، وأميرى

« • »

ما الغرامُ الذى به نتغنَّى كلَّ يومٍ فى نثرنا والقصيدِ ؟
أهو حبُّ الجمال والعقل ، أم هل هو حُبُّ الغِنى وحُبُّ الخُلودِ ؟
الغرامُ الغرامُ نورٌ من الروح . سَبوحٌ بروحِ طيرٍ شريدِ
ساربٌ فى سماوةِ الكونِ يرتادُ فضاءً مُنَزَّهاً من حُدودِ

« • »

يُذهِل الناسَ طائراً ، فإذا حطَّ بقلبٍ ، أصابه فاعتلاَّ
هو نُورٌ ، لكنه حينما يطرق القلبَ سعيرٌ فى نارها القلبُ يَصلى
هو روحُ الحياة ، يستعذب الخلقُ الأمانى متى بدا وأهلاَّ

يخلق العلمَ والنبوغَ ويُفنى كلَّ فنٍّ إذا طغى وتولَّى

« • »

يافؤادى ، أعِدْ علىَّ غرامى وتحدث عن شقوتى وسقامى
بُثَّ فى الشعر ما عرفتَ عن الغيد ، ولُمْنى إذا رأيتَ ملامى
علم الله كم قصرتُ بيانى وقريضى على الهوى والتسامى
ولكم كنتُ أنفح الغيدَ بالشعر ، فما كنّ يستسغن كلامى!

« • »

كيف بالله يستسيغ جهولٌ آيةً من بلاغةٍ وبيانٍ؟
كيف بالله تفهم الشعرَ أو كيف تحبّ البيانَ هذى الغوانى؟
هن برّزْنَ فى مغازلة الناس ، وقد فُقْنَ فى صنوف الدهانِ ...
ولقد كنتُ كيفما شِئْن دهراً ذا مجونٍ وخبرة بالحسانِ !

« • »

وسقى الله ذلك العهدَ ، قد كنتُ سعيداً به وكنتُ طروبًا
حيث كنا نرعى الكواكبَ زُهراً ونرى فى السكون سحراً عجيبًا
غمر الحُسْنُ كلَّ شىء فبتنا نحسب الخلدَ فى الحياة قريبًا
يا رعى الله فى ثرى (أَجاٍ) كوخاً صغيراً لقيتُ فيه الحبيبًا...

« • »

ضرب الدهرُ بيننا فغدا الجسمُ محيلاً كدارسِ الاطلال
ونرى الشوقُ بالفؤاد فغنّى باكىَ الشوقِ فى القوافى الطوالِ
وله العُذْرُ... كيف ينسى التلاقى فى ضياء الهلال والعيشُ حالى
والسكون المقيمُ أرخى سدولاً تحجبُ الحبَّ من أذى العُذّالِ

« • »

والنسيمُ البليلُ من جانبِ الجدولِ ، يهفو يعانق الأرواحَا
هبَّ يُذكى الغرامَ فى خافقينا ثم يَنفى عن النفوسِ الجراحَا

يدفع القلب لاهثَ الثغرِ للرشف ، فيحسو من اللمى أقداحا
والعناق العنيف كم جمع القلبين فى سورةِ الغرامِ فناحا

« • »

مَنْ يقول الغرام اثمٌ وعارٌ قل له أنت جاهلٌ لستَ تدرى
أنظرْ الحبَّ فى الخمائل يا غِرُّ ، عنيفاً ما بين زهرٍ وزهرِ
وانظر الحبَّ فى الربى كم تبدَّى عاصفَ الشَّوق بين طيرٍ وطيرِ
إنما آيةُ الحياةِ هى الحُبُّ ، فمن لم يحب عاش كصخرِ

« • »

رُبَّ حُسْنٍ فى الروض أيقظ حِسِّى وأهاجَ الكمينَ من أفكارى
كم مَشى القلبُ صوبه يتغنى بنشيدٍ مَّمتْ به أشعارى
حبذا وقفتى مع الزهر فى الروض ، أقول القصيد فى الابكار
والطيور الخِفافُ تطفر نشوى وسُكارى ، وما انتشتْ من عقارِ

« • »

آهِ .. ما غرَّرَ الجمالَ بقلبي فدهانى وصرتُ منه المُعَنَّى ؟
أهو أنى نفحتُه وجدانى ودمائى مراقةً ، فتجنَّى ؟
أهو أنى بكرتُ كالبلبل الصَّدَّاح فى الروض ساجعاً أتغنَّى ؟
أهو أن الدموع منِّىَ حَرَّى صُغْتُها فى مديحه خيرَ معنًى ..؟

« • »

وأنا شاعرُ الملاحة مذ كانت ، وفى أىِّ صورةٍ تتجلَّى
أجتليها بخاطرى وفؤادي وبفكري ، مما ترى العين ، أحلى
نظرة القلب بعدها نظرة العين ، وشتَّان بين عُليا وسُفلى
رُبَّ أعمى العينين ينظر للشىء بقلبٍ منوَّرٍ يتملَّى !

* * *

(روضة الشعر) كيف أزهارُكِ اليومَ ، وكيف الطيورُ في عذباتك؟
كيف حالُ (البحيرة) الضحلة الماء ، وكيف (النخيلُ) في جنباتك؟
كيف (دوحاتُك) البواسقُ أسدلنَ شعوراً ، وكيف حال (مَسهاتك) ؟
تمتطي (الفلك) في (البحيرة) جذلى   وتشمّ العبير من زهراتك

« • »

تبعث الشجوَ في الفؤاد بمجداف اذا صافح (البحيرةَ) رتّل
وتغني فينصتُ الطيرُ في الدوحِ ، ويُسبي الغناءُ أرخمَ بلبل
زهرةُ الروض في الاصيل وفي الفجرِ ، وريحانةُ الفؤادِ المبلبل
طالما صُغتُ في هواك قريضاً   زاهياً كالورودِ ، بل هو أجمل

« • »

وحنيني إلى لقائكِ يَذْوِي   بفؤادي دَوِيَّ حيرانَ جائر
يُرسل الدمعَ والأنينَ هباءً   وإذا هَمَّ ، أقعدته المقادر
حزبته الأيامُ في ميعةِ العمرِ ، وقدّته بالسيوف البواتر
حطمت كوخَ حُبِّه ونفته   عن فتاةِ الاحلامِ أختِ الجآذر

« • »

رَبِّ ، ماذا جناه قلبي فيشقى   وبجمرِ الصدودِ والهجرِ يُسْقَى ؟
ما وني الدهرُ عن هواه ، فأرداه وشيكاً وسامه الخسفَ رِقّا
رَبِّ إني جُننتُ من وثبة الدهرِ ، واني أكاد أزهق عشقا
وتُرى عائدٌ حبيبُكَ يا قلـ   ـبُ مُنيباً ، أم عاف حُبَّكَ حقّا

« • »

وتعالى يا طيرُ واسمعْ شكاتي   آخرَ الليل في خفوتٍ وهمسِ
أرقبُ النجمَ في الدجى رفّافاً   كفؤادي إذا طغى بيَ يأسي
وأقول القريضَ فيه عزائي   وبه راحةٌ لقلبي وحِسّي

وإذا عضّك الأسى ، فالقوافى عنـد جاماتها شرابُ التأسّى

« • »

وإذا ما أردتَ نظمَ القوافى فليكنْ فى المروج والأزهارِ
إنها — لو عقلتَ — أطهرُ روحاً من مِلاحٍ ، غرامُها كالقهارِ
وقلْ الشعرَ فى جمال الأماسِى وترنم بحسنِ شمس النهـارِ
حَسَنٌ كلُّ ما على الأرضِ مِنْ زهرٍ ومن أنهرٍ ومن أطيـارِ

« • »

ولماذا الأنينُ ؟ حطمتَ نفسَكْ وعلامَ النحيبُ والعيشُ زَهْرُ ؟
أتعدُّ الحياةَ خلواً من الخيرِ ، وفى كلِّ ما ترى العينُ خيْرُ
لا تُحقِّرْ مستصغراً وضعيفاً ربما منه قد يُصيبك بِرُّ
رُبَّ كلبٍ أطعمتَه ، يمنع الضُرَّ إذا ما أصاب بيتَك ضُرُّ

« • »

وعَزاءُ النفوس أنْ تُرسلَ الشـعرَ ، إلى بارىء الدُّنا قُربانا
يَغمر الروحَ عنـد نجواه نورٌ يُفعم القلبَ رحمةً وحَنانا
ويَشيع الهـدوءُ فى كلِّ فجٍّ وتُغنِّى قيثارتى الإيمانا
تَـنشُـدُ الخالدَ الجلالةِ والحُسْـنِ ، فمِنْ حُسْـنِـه قَـبَسْتُ البيانَـا

مختار الوكيل

حافظ كما عرفته

حافظ — ومن أسماه فقد كنَّاه — يظلمه من ينظر اليه شاعراً فقط ولم ينظر اليه « رجلا » كاملَ الرجولة . يعلو عن قشور النائر اذا ما ذكر الأدب بشعره الفحل فى الشعر ونثره الفحل فى النثر ، وبقوة بيانه وبلاغة لسانه وبعذوبة حديثه إذا حدث وسعة ذاكرته اذا روى كأنما تلك الذاكرة الواسعة دواوين من الشعر ومؤلفات

جمة من روائع البلاغة والحكمة ومعجم عربي لا نقصان فيه ولا أخطاء .

أما اذا ذكر صفاء الذهن ورقة الخلق وبسطة الكف والسماحة وصدق الود والوفاء وسذاجة الحلم والقناعة والوفاء وكل ما عدّ العرب فى شعرهم وحِكمهم وبلاغتهم من الفضائل فان حافظاً — رحمه الله — كان الأول فيه والأخير أو بعد الأخير فى ما يذم ويستنكر .

أما وطنيته الصادقة فلا يعادلها الا دينه المحمدى المتين . فلك من حافظ ما شئت الا أن تنال من هاتين الخلتين دينه ووطنيته ، ولك أن تحيله عما شئت لما طُبع عليه من سماحة الخلق وحسن الطوية الاعن هاتين العقيدتين اللتين تقيد بهما ، وقد طبع على ألا يتقيد بشيء حتى التقاليد والنقل ومتابعة الناس بعضهم لبعض فى ما يجمعون عليه اما بعد البحث والتروى واما بالتصديق والمتابعة بلا بحث ولا تدقيق . فالناس جميعاً معجبون بحضارة أوروبا وتقاليد الاوروبيين ، أما حافظ فانه طاف مدن أوروبا فلما عاد منها عاد ساخطاً على تلك المدن والتقاليد « التى تجعل الناس سجناء وتحرمهم الحرية باسم الحرية » فى ما يسمونه أوطانها » .

هكذا كان يقول لنا حافظ الذى كان يكره التقيد فى ما تواطأ الناس على التقيد به سواء أكان فى مآكلهم أم مسكنهم أم أفراحهم أم أحزانهم أم مجالستهم أم مسايرتهم أم معاملتهم ومع ذلك كان الشاعر الفحل المقيد بالقافية والروىّ وكان الكاتب البليغ الفذ المقيد بالسجع والعبارات الموجزة كأنها فى أوزانها قطع من الموسيقى بمقاطعها ومصارعها .

حافظ يظلمه من ينظر اليه من ناحية واحدة ولم ينظر اليه رجلاً بارزاً كل البروز من كل ناحية من نواحى نفسه وخلقه ، سواء اتفق ذلك مع خلقنا ونفسيتنا أم لم يتفق وسواء أكان مما ألفنا مدحه لانطباعنا عليه أم لم نألفه ، وسواء اتفق الناس على عدّه حسناً مواتياً ام لم يتفقوا . فحافظ كان شخصية بارزة وأول الادلة على بروز شخصيته انك اذا التقيت به مرة واحدة كانت هذه اللقيا الواحدة كافية لأن تطبع فى ذهنك صورة جسمه القوىّ العضل الطويل العريض المتناسق المتلائم الاعضاء ورقة صوته وغنته وحركة يديه الفصيحة وتهدّل جسمه اذا مشى على حركة يدين كمجدفى السفينة وارسال عباراته فى التبسط أو فى الجواب كأنما كل نبرة توكيد جازم قاطع لا يقبل جدلاً ولا حواراً . كذلك هبّات الحكمة فى ذهنه

تجرى على لسانه وكأنها قطعة من الوحى بعبارة وجيزة ولفظ جزل تنفذ كالسهم المطلق الرنان فتقفل باب الحوار والجدل وتكون الحجة الدامغة والبرهان القاطع .

حافظ شاعر ، والشعر قطعة من الموسيقى أو هو هى ، والشرقيون موسيقيون بطباعهم ومزاجهم يستهويهم اللحن والنغم ، لذلك غلبت الشاعرية فى حافظ ووصفه وصفاته مع انى لا أجد مفاضلة بين شعره المنتقى ونثره المنمق المتين البليغ العبارة ففيمَ كانت شاعرية حافظ غالبة على نثره اذا نحن لم نضع فى احدى كفتى الميزان الى جانب الشعر او النثر عاطفة القارىء العربى ونفسيته ؟

أما الخيال وأما التخيل فى شعر حافظ فقد يكون أقل منه فى شعر سواه من فحول الشعراء ؛ وأما الحكمة وأما الديباجة وأما الحقيقة والواقع فهى فى شعر حافظ أقوى منها وأمتن وأصدق من شعر كبار الشعراء ، فهو بشعره يتحدث الى النفوس بقوة الحجة حتى تخال البيت اذا تلاه حافظ يدوى كالقذيفة وينفذ كالسهم ، فاما أن يخلق فى نفس السامع عقيدة واما ان يهدم ايماناً ؛ وهو فى الحالتين يتملك العقل ويخلب اللب ويتولد عنه الاعجاب والاقناع . وايّ نفس لا تستثار بمثل قوله وهو يصف هلال غرة السنة وقد أطلّ على الالوان . . . ؟ واي نفس شموس تنفلت من قوله وهو يرثى أحب الناس اليه الشيخ محمد عبده « سلامه على الاسلام بعد محمد » ؟ وأية عقيدة لا تتزعزع وحافظ يقول فى تعيين رجل الأمة سعد زغلول وزيراً للمعارف « فما دام فى قصر الدوبارة ربُّه — فسعد ودنلوب لعمرك واحد » فهل هناك خيال فتان ساحر أم هناك حقائق رائعة ليست الخم كساءً من اللفظ الجزل الموسيقى ؟ ألم يقض حافظ ببيت من شعره على تلك الحملة الهوجاء التى أثيرت على السوريين من أجل خطة احدى الصحف بقوله عن الأمة السورية « فصافحوها نصافح نفسها العرب » ؟ ان الذين عاشوا تلك الحقبة يذكرون ان هذا الشعر من نظم حافظ كان كافياً لمحو مجلدات من أقوال الصحف ومجلدات من أقوال الخطباء فيمن نعتوهم يومئذ بالدخلاء . . . .

كان حافظ كثير العناية بشعره ونثره يصقله ثم يصقله ثم يصقله ، حتى إذا ما أتم صقله ووثق بانه صار صورة صادقة لما يريد تصويره تغنى به وردّده فاذا أطرب واذا هو طرب لتلاوته عرضه على نخبة من الادباء الذين يختارهم لنقده ، فلا يستكبر ولا يعاند بل يباحث ، فاذا هو اعتقد بأن الصواب ما قاله ناقده لا يعزّ عليه هدم ما بنى

وتشييد سواه ، أو نثر ما نظم ونظم غيره. وأول مختاريه كان المرحوم اسماعيل باشا صبرى وثانيهم خليل مطران الذى كان يقدمه على سواه ويخلص له فى السر والعلانية وينزهه عن الغيرة والمزاحمة ويعتقد أنه اذا نظم « حلق بخياله الى جو عال يكاد لا يلحق بنفسه فيه » لحافظ على متانة نظمه ونثره وعلى سعة معرفته بلغته وعلى سعة روايته التى لا يلحق به فيهما لاحق كان أقل الشعراء والكتاب استئثاراً برأيه وأكثرهم تساؤلا وسؤالا واستفهاماً ، والأثرة والانانية بالأدب أول دليل الفقر بالبضاعة والجهل بالصناعة.

اذا لم يكن حافظ ممن ارتدوا فضيلة ضبط النفس فكان يقول للأعور يا أعور بلا محاسنة ولا مصانعة فانه كان شديد العناية بالانتقاد فانظر اليه وهو ينتقى الفاظه للنظم وعباراته للنثر تجده فيه الصائغ الذى يقلب جواهره ، وانظر اليه وهو ينتقى جلاسه وعشراءه تجد الحصيف الذى يبحث عن اللطافة والذكاء والانانية فلو أنه خير بين معاشرة أكابر العالم ومعاشرة الشيخ عبد العزيز البشرى ومحمد البابلى لما تردد فى نبذ الاكابر واختيار هذين العشيرين وأمثالهما ليروح عن نفسه ما يكنه وليجد فى هذه النكتة مظهر الذكاء والفطانة واللطف ، واذا ثارت نفسه لأمر استحال عليه أن يضبط جماحها ليجامل أو يصانع .

واذا هو لم يوهب حب النظام والأناقة حتى شعره ونثره كان يكتبه على نتف من الاوراق تذوب بين أصابعه ، فأنه أوتى قوة الذاكرة حتى يستطيع أن ينشد :

علمى معى حيثما يممت يتبعنى صدري وعاء له ،لا بطن صندوق
إن كنت فى البيت كان العلم فيه معى أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

فليس اذن من العجيب ألا يجدوا شعر حافظ بين أوراقه وليس من العجب ألا يجدوا بين مخلفات حافظ ورقاً فكل ما نظمه حافظ كان مطبوعاً فى ذهنه، وكل ما حفظه حافظ كان مصوناً فى ذاكرته ، والمحفوظ من نظمه هو القليل النادر كالقصائد التى أملاها على صديقه محمد ابراهيم هلال فطبعها فى مجلدين وكالقصائد التى نشرتها الصحف. وأما ما نظمه ولم ينشر — لأن نشره غير موموق على بلاغته — فكثير ورواته قليلون لأنه كان يكتفى أن يرضى نفسه بنظم ماهو فيض منها وعفو السجية دون أى اهتمام بحفظه أو تدوينه ولا تأخذه بالسيئة هوادة ولا بالحسنة مصانعة خصم أو صديق . ولا أخشى ان أشبهه بالبحر ركوداً إذا لم يطب له الكلام أو الموضوع

الذى يعالج ، وبالبحر فيضاً وتدفقاً اذا طاب له الـكلام أو الموضوع الذى يعالجه .

* * *

عرفته فى أواخر سنة ١٨٩٩ وقد جاء من السودان أو بالأحرى جىء به منه حيث كان ضابطاً فى الطوبجية — المدافع — بتهمة التآمر ورفاقه الضباط الثمانية عشرة مع الخديوي عباس باشا الثانى ومكاتبته سرا بعد افتتاح الخرطوم عرفته وشوقى يقدمه لصاحب « الأهرام » كاتباً وشاعراً ليتولى عملاً بالاهرام ، لأن حافظاً ورفاقه أحيلوا الى الاستيداع بطلب اللورد كرومر وكيل الدولة الانكليزية وكان يطلب من الخديوى فوق ذلك اعلان استنكار عملهم والخديوى يماطل ويتردد فلما أحيلوا إلى المعاش اهتم الخديوى بأمرهم ليجدوا مرتزقهم .

وهذا ما أوصل حافظاً الى الخدمة بدار الكتب وكانت قبل هذه التسمية الحديثة تسمى المكتبة الخديوية لأن الخديوي اسماعيل أنشأها ، ومع اهتمام الخديوى عباس بامره التحق حافظ بالشيخ محمد عبده وأصدقائه كسعد زغلول باشا وقاسم أمين واللقانى وأمثاله لان حافظا لم يؤتَ فضيلة ضبط النفس كما قلت فاطاع نفسه الى حيث مالت مزدرياً بمنفعته . وباستطاعتى أن أقول إن أواصر الصداقة تمكنت بيننا وازدادت مع الايام تمكناً فعرفت منه خوالج نفسه واطلعت على كل بيت نظمه وسطر كتبه قبل إذاعته ونشره . وتعب الكثيرون من أصحابه فى ان يحملوه على التداوى من داء السكر فلم يفلحوا ووفقت الى ان اقنعه بالتداوى ولكنى لم اوفق إلى حمله على الاستمرار لانه كان ملولا نفوراً بطبعه .

أكتب اليوم هذه الكلمة عنه وأكاد أحس بروز شخصيته بروزاً يطبعها فى كل ذهنى كأنه ماثل امامى ، وكان يلقانى كلما وقع نظرى عليه فى أواخر أيامه بهذه الكلمة : « لقد عشنا طويلا وعمّرنا . أفلا تحسُّ مثلى بدبيب الفناء وقرب الموت ! »

إن حافظاً أحس بدبيب الموت فى جسمه قبل أن يصل اليه ففاجأه وهو ينتظره وذهب إلى ربه بجبهة ناضرة وعين ناظرة ؟

داود بركات

حافظ كما عرفته

لعل فى أعناق بنى أباظة واجباً كبيراً نحو الذى قال فيهم :

بنى أباظة لا زالت دياركمو أفقَ البدور وغاباً للصناديدِ

فقد طوّقهم حافظ بمديحه الخالد ، وقلدهم من جميل شعره الرصين ، بما سوف يبقى على مر السنين ، وليس فينا من لا يشعر نحو شاعر مصر الكبير بدين يتطلب الوفاء ولكن شعوراً آخر يقعد بنا عنه هو : العجز عن حسن الاداء .

ولكنى دعيت لتخليد ذكرى صديقى بعد أن هجرت الصحافة للفلاحة ، والطرس إلى الفأس ، لا تبرماً بالادب ، ولكنه الملل واليأس ، وجئت اليوم متثاقلا ، بهمة متداعية فاترة ، ألقى الدلو فى الدلاء ، وأزاحم بمنكبى الادباء والشعراء ، تلبية لداعى الوفاء.

عرفت حافظاً من ثلاثين عاماً ، يزورنا فيملأ بيوتنا بهجة ويشيع فيها المرح ويصرف أبناء الأسرة وشبابها إلى معالجة الادب والرياضة العقلية والمفاضلة بين الشعراء وتذوق النكات اللاذعة حلوة أو مرة ، ويرجع الفضل فى ارتباطنا به للامام الشيخ محمد عبده فقد كان صديقاً حميماً للمغفور له سليمان باشا أباظة أحد وزراء المعارف السابقين ، وكان الباشا أديباً كبيراً وشاعراً مجيداً . فأعجب حافظ به ، وافتتن هو بشعر حافظ وأدبه . ووجد الشاعر فى عميد أسرتنا ما يصبو مثله له : الأدب والشعر والجاه والوفاء وكرم الاخلاق . فلم لا يتعلق به وكفى بالأدب وحده صلة بين الرجلين تجمع بينهما وتوثق بين قلبيهما العلاقة مع امتناع المنافسة ؟!

لقد والله سمعت حافظاً غير مرة ينشد بيتاً لسليمان باشا أباظة من قصيدة له فى رثاء أخيه المغفور له السيد باشا أباظة :

ولو أن إظلام الليالى من الاسى ووقع الخطوب السود ماطلع الفجرُ

ويقول وددت لو أن لى هذا البيت من الشعر بنصف ديوانى كله .

وسمعته يردد مع شديد الاعجاب قول الباشا فى الفخر :

سيوفٌ ثباتى فى قراع الشدائد تجردها أيدى التجلدِ لا يدى

يقولون سالمهن إن كنت ذا نهى وعزمى يقول الحزم قمع المعاندِ

ثم مات سليمان فحمل صديقه الشاعر قيثارته يرسل من نغماتها أشجى عبارات الأسى ويبكيه بقصائد تلمس خلالها الحزن الصادق ذا اللوعة المحرقة .

هل قرأت قوله :

أنَّى حللتُ أرى عليك مآتما فلمن أوجّه فيك حسن عزائى ؟
لبنيك أم لذويك أم للكون أم للدهرِ أم لجماعة الجوزاء

« • »

لا تحملوه على الرقاب فقد كفى ما حملت من منّة وعطاء
وذروا على نهر المدامع نعشه يسرى به للروضة الفيحاء
تالله لو علمت به أعواده مذ لامسته لأورقت للرائى

« • »

خلقٌ كضوء البدر أوكالروض أو كالزهر أو كالخمر أو كالماء
وشمائل لو مازجت طبعَ الدجى ما بات يشكوه المحب النائى
ومناقبٌ لولا المهابة والتقى قلنا مناقب صاحب الاسراء
وعزائم كانت تفلّ عزائمَ ال احداث والايام والأعداء

« • »

شوقتنا للترب بعدك واشتهى فيه الأقامةَ واحد العذراء

« • »

وهل قرأت قوله :

أيهذا الثرى إلى مَ التمادى بعد هذا أأنت غرثانُ صادي
أنت تُروى من مدمع كل يوم وتُغذّى من هذه الأجسادِ
قد جعلت الانام زادك فى الدهر وقد آذن الورى بالنفادِ
فالتمسْ بعده المجرة وردا وتزوّدْ من النجوم بزادِ
لست أدعوك بالتراب ولكنْ بقدود الملاح والاجيادِ

بخدود الحسان ، بالاعين النجـــــل ، بتلك القلوب والاكبادِ
لم تلدنا حواءُ إلا لنشقى ليتها عاطـل من الأولادِ
سلمتنا إلى صروف زمان ثم لم توصها بحفظ الودادِ

« • »

خبرينا جهين لا تكذبينا ما الذى يفعل البلى بالجوادِ
كيف أمسى وكيف أصبح فيه ذلك المنعم الكثير الرماد ؟

« • »

رحم الله منه لفظاً شهياً كان أحلى من ردّ كيد الأعادى
رحم الله منه طرفاً تقياً ويميناً تسيل سيل الغوادى
رحم الله منه شهماً وفياً كان ملء العيون فى كل نادِ

« • »

ألهم الله فيك صبراً جميلاً كلّ من بات ناطقاً بالضادِ
بتّ فى حلة النعيم وبتنا فى ثيابٍ من الأسى والسهادِ

« • »

اتصل حافظ بسليمان باشا ثم بأبنائه وأفراد الأسرة جميعا ونشأت بينه وبينهم صداقة كانت تزداد مع الأيام رسوخاً ومتانة حتى امتنعت الكلفة وأصبح يحسب نفسه واحداً منهم ولا يحس فى بيوتهم بوحشة الاغتراب . والتفوا به يكرّمونه ويشيدون به ، ويتغنون بشعره ويشجعونه ، فكثر فيهم شعره ، وما نشر فى ديوانه منه إلا القليل ، وإذا كان لكل شاعر شيطان أو ملاك مُلهِم فان ملاك حافظ كان مشغوفاً « ببنى أباظة » يلهمه فى مديحهم المعجزات ، أما شيطان الدكتور طه حسين فلا يغريه إلا بالطعن والتعريض والهجاء . فهو يقول « بأن شعره فى رثاء أصدقائه « الاباظيين » متكلف لا يدل على حزن صادق ولا لوعة وانما دفع اليه بواجب المجاملة وانك تحس عند ما تقرأه كأنك تقرأ شعر طالب وضع أمامه نماذج من الشعر القديم وأراد محا كاتها فأخذ معانى القدماء وذهب مذهبهم فى

الغلو السقيم » ، ويشبه الدكتور تعزيته « للأناظيين » بتعزيته للانجليز في فقد ملكهم . . . . . .

ولست أدري لم يكون الامر كذلك وقد حدثت القراء بنشأة ما كان بيننا من صلة ، ولم يُشبِّهنا الدكتور طه بالانجليز غفر الله له وأجدادنا عرب علموا الناس الوطنية والثبات والتضحية ، ولم نعبد اليوم ما كنا نحرمه بالأمس ، ولا حرمنا اليوم ما كنا نعبده من دون الله ، ولا اتخذنا السياسة تجارة ؟..... والسبب في هذا كله ما وجده في رثائه من الغلو ! فهل استكشف الدكتور شعراً عربياً له أو لغيره في الرثاء أو المدح خالياً من المبالغة والاغراق . . . . وهل أقدم الأمثلة أم أترك القراء يبحثون ؟

أما ما يعجب به الدكتور طه ويحبذه فهو رأي للأستاذ « لطفي السيد بك » في الشاعرين الكبيرين فيقول في كتابه حافظ وشوقي : « كنت مرة عائداً مع الاستاذ لطفي السيد بعد أن حضرنا اجتماعاً لتخليد ذكرى حافظ قبل أن يموت شوقي ، وكنا نتحدث في أمر الشاعرين فقال لطفي بك : لقد خدعني حافظ عن نفسه كما خدعني شوقي عنها ! كنت ألقى حافظاً أول عهده بالشعر وكان يسمعني كثيراً من شعره فلا يعجبني ؛ فقلت له ذات يوم : أرح نفسك من هذا العناء ، فلم يخلقك الله لتكون شاعراً ! ولكنه لم يقبل نصحي وحسناً فعل ، فما زال يجد ويكدح حتى أرغم الشعر على أن يذعن له وأصبح شاعراً ، وكنت شديد الاعجاب بشعر شوقي أقرؤه في لذة تكاد تشبه الفتنة وأثني عليه كلما لقيته ، فما زال شوقي يكسل ويقصر في تعهد شعره حتى ساء ظني بشعره الأخير ! »

وأكتفي بأن احتكم للقراء في رأي استاذنا لطفي بك وموافقة الدكتور طه عليه . فان الاجماع يقول غير ذلك ... يقول بضعف شعر حافظ في السنين الأخيرة من حياته ، أما شوقي فلم يدرك الضعف شعره ولا تطرق اليه الوهن وكل من قرأ قصة « مجنون ليلى » وقد أخرجها في آخر حياته يرى فيها البرهان الساطع ،والدليل الناصع القاطع . فما تلوتها مرة الا أخذتني هزة الطرب ونشوة العجب ، وا كبرت لغة العرب ، وشعرت بأن شوقي أراد أن تنهزم كل اللغات أمام الضاد ، فتم له ما أراد !

وفي الحق لقد جملت « مجنون ليلى » الكثيرين مثلي تكبر في عيونهم اللغة العربية

والشعر العربى القصصى ، وكنت أقرأ لهيجو وكورنيل وراسين ولامارتين ، وأقرأ للشعراء الحديثين من الفرنسيين فتلسع فؤادى الغيرة والحسرة ، وكنت أحسب أن لغتنا تعجز عن المجاراة ، وتقف عن المباراة ، ولا تصل لما فى الفرنسية وشعرها القصصى من روعة وحلاوة وطلاوة وعذوبة ومرونة حتى قرأت « مجنون ليلى » فغيرت اعتقادى وامتلأت نفسى غبطة .

وقد حدّثت حافظاً عن « مجنون ليلى » فحبّذ وأثنى ، وكنت فى العادة اذا ما أطلقت المديح فى شعر شوقي يثور محاولاً أن يثنينى عن الثناء بنقده المر وقدرته على تخريج اللفظ وتشويه المعنى ، أما رواية « مجنون ليلى » فقد سلم معى أنها معجزة المعجزات وآية الآيات .

فليسمح لى الدكتور طه المعجب بالفيلسوف ديكارت القائل بنظرية الشك حتى يصل الى الحقيقة ، ان أشك فى اسناده هذا الرأى لاستاذنا الكبير لطفى السيد بك .

لقد كنا نعجب بشعر حافظ منذ كنا أطفالا ثم يافعين ، ونرى فيه زعيماً من كبار الزعماء الوطنيين المخلصين ، نتغنى بشعره ونفضله على سائر الشعراء لأنه كان يضرب على الوتر الحساس ، ويهيب بالشباب ويلهب العواطف ويحفز الهمم ، ويكافح اليأس والتواكل ويدعو للجهاد والامل .

وكان شوقى فى منصبه الرسمى لا يستطيع أن يخوض غمار السياسة بحرية وصراحة فانفرد حافظ يستولى على القلوب وأحرز مكانة لا تدانيها مكانة .

فأىّ أديب لم يتغنَ بقصيده فى جميع ضروب الشعر ، وأى أديب لم يهرع إلى سماعه يتدفق فى الحفل بصوته الجهورى الممتع والقائه البديع الخلاب الذى كان يدوى بين الجماهير فيضم سحراً ونخامة جديدين الى ديباجته الساحرة الفخمة ؟

وان عهدنا بحافظ لقريب وشعره مازال عالقاً بالاذهان، فلستُ أحب أن أعيد عليكم قصائده الخالدة فى البارودى ، وعثمان أباظة ، والاستاذ الامام، وقاسم أمين ، وصبرى ، وعلى يوسف ، والمويلحى ، والاخيرة خمرية بذّ فيها أبا نواس ولم يبلغ شأوه فيها أحد :

أوشك الديكُ أن يصيح ونفسى بين همٍّ وبين ظنٍّ وحدسِ
يا غلام المدامُ والكاسُ والطا سُ وهيّء لنا مكاناً كأمسِ

واطلق الشمسَ من غياهب هذا الد ... نّ واملأ من ذلك النور كأسي
وأْذنَ الصبح أن يلوح لعيني ... من سناها فذاك وقت التحسّي
وادعُ ندمان خلوتي وائتناسي ... وتعجّلْ واسبلْ ستورَ الدمقسِ
واسقنا يا غلامُ حتى ترانا ... لا نطيق الكلام الا بهمسِ
خمرة قيل إنهم عصروها ... من خدود الملاح فى يوم عرسِ
مذ رآها فتى العزيز مناماً ... وهو فى السجن بين همٍّ ويأسِ
أعقبته الخلاصَ من بعد ضيقٍ ... وحبتْه السعودَ من بعد نحسِ

« • »

وقد نزع فى الجزء الثانى والثالث من ديوانه إلى الاجتماعيات فاهتز لشعره العالم العربى كله وتبوأ المكان اللائق به تحت الشمس وأخذ بعض الناس يفاضلون بينه وبين شوقى ، وتلك مرتبة لم ينلها قبله أحد .

هل قرأت « غادة اليابان » ؟

لا تلم كفى إذا السيفُ نبا ... صحَّ منى العزم والدهر أبى
ربَّ ساع مبصر فى سعيه ... أخطأ التوفيق فيما طلبا

« • »

وفى « الامبراطورة أوجينى » :

أين يوم القتال ياربة التاج ... وياشمس ذلك المهرجان ؟
أين مجرى القتال أين مميت المال ... أين العزيز ذو السلطان ؟

« • »

وفى « الزوجية » :

حطمتُ اليراع فلا تعجبي ... وعفتُ البيانَ فلا تعتبي
فما أنتِ يامصرُ دارَ الاديب ... ولا انتِ بالبلدِ الطيب

« • »

وفى « فيكتور هيجو » :

أعجميٌّ كاد يعلو نجمه ... فى سماء الشعر نجمَ العربى

صافح العليـاء فيهـا والتقى بالمعزى فوق هام الشهبِ

« • »

وفى « دنشواى » :

أيهـا القـائمون بالامر فينـا هـل نسيتم ولاءنا والودادَا

خفضوا جيشكم وناموا هنيئاً وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادَا

وإذا اعوزتـكمُ ذاتُ طوق بين تلك الربى فصيدوا العبادَا

« • »

أما قصائده فى تأبين الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل وسامى البارودى وفى عزل السلطان عبدالحميد فقد جاوزت حـدَّ الابداع وجرت مجرى المثـل . فعظم خطره ، وتألق نجمه ، ووجم خصمه وأصبح شاعر النيل غير مدافَـع .

وكان اذا خلونا به يحمـل على شوقى وشعره ، ولـكنه لا يتنازل لنقـد غيره . ولا يسلم له بالامامة ولا يعترف له بالزعامة . وكان يحب كبير الشعراء خليل مطران ويخلص له وطالما سمعته يطنب فى مدحه ، ويذكر الاساتذة محرماً والـكاشف ونسيماً بالخير ، ولا يذكر بالخـير الـكاتبين المـازنى والعقاد وله فيهما وفى الدكتور طه حسين رأىٌ معروفٌ .

وكان فيما ينشره عفَّ اللسان جمَّ الأدب ، ولـكنه كان هجّـاءً شديدَ القسوة على خصومه فيما لا يعدّه للنشر . هجا المرحوم سعد زغلول باشا متهماً إياه بالأنانية ومغرياً به سمو الخديوى السابق فقال :

أنا ! أنا ! منـه كلَّ يومٍ لهـا صـدًى بيننا يرنّ

أدرك أنا وهى فى صباها ان لم تقل نحن ... قال نحن !

وغضب على المرحوم السيد توفيق فقال :

وليلةٍ بتُّ بهـا ساهراً أجر ذيل الفحش والفجر

حتى ظننتُ وليلتى عجبٌ أنى ببيت السيد الـ ....

وحمل على شاعرين كبيرين فقال :

لى عدوّان لن يناما عنى ولو نامت الخطوبُ

مخنثٌ كله ثقوبٌ ومدمنٌ كله عيوبُ !

وقال يسبُّ كاتباً من أكبر كتاب مصر :

أخسُّ من دبَّ على ظهرها ودبت الناسُ على ظهره !

وقال يهجونى فى عقر بيتى ويمدح خادمى أحمد :

اذا جئتهم طالبا لقمةً رأيتَ مظاهرةً قادمهْ !

ألا بارك الله فى أحمدٍ ولعنة الله على الخادمهْ !

ثم سأل ما اسم هذه الفتاة ؟ قالوا فاطمه، قال حسن ! فليكن البيت هكذا :

ألا بارك الله فى أحمدٍ ولعنة الله على فاطمهْ !

وهكذا كنا نتمتع بحديثه الشهى ونقضى معه أياماً لن تعود غفرله الله ، وطيب ثراه ، وجعل الجنة مثواه ؟

ابراهيم دسوقى أباظه

حافظ الرجل وحافظ الشاعر

قال كارليل الفيلسوف الانجليزى العظيم فى كتابه (الأبطال وعبادة الأبطال): الرجل العظيم لايزال المنقذ الوحيد لعصره من مهاوى الفناء والعدم ، وهو الشعلة الأولى التى تمتد إلى سائر المواد فتشملها .

والاخلاص العميق البالغ البعيد المدى الكريم فى أصله هو أول خواص الرجل العظيم سواء أكان إلـهاً أم نبياً أم شاعرا أم كاتبا أم ملكا ، ونحن نسمى هذا الرجل رسولا . فهو رسول أرسل الينا من العالم المجهول الغير المحدود برسالته . فلنا أن نسميه شاعراً أو نبياً أو الهاً إذ ليس هناك فرق كبير بين النبي والشاعر ، فهما فى الاصل واحد . فكلمة Vates فى اللاتينية معناها « نبي » ومعناها « شاعر ». وكل ما فى الامر ان النبي قد تناول ذلك السر الالـهى من الجانب الأخلاقى كالخير والشر والمحظور والمباح ، والشاعر قد تناوله من جانب الجمال . فالأول يوصى الينا بما يجب عمله ، والثانى يكشف لنا عن مواضع حبنا وسرورنا ، ولكنهما فى حقيقتهما كجزءين متداخلين لايمكن فصل أحدهما عن الآخر .

هذا مجمل ما قاله هذا الفيلسوف عن العظيم والشاعر ، وهذا ما أراه جديراً بان أصف به حافظ ابراهيم الرجل العظيم والشاعر الفذ كما وصفتُ به من قبل لورد بيرون الشاعر الانجليزى العظيم .

أما حافظ الرجل وحافظ الشاعر فقد يتعذر علينا ان نفصل أحدهما عن الآخر ، وهذا شأن كل رجل عظيم فقد تضفى شخصيته العظيمة بألوانها الزاهية على كل شيء حوله وتصبغ شعره بصبغتها الخاصة وتطبعه بطابعها المعين .
فلا نستطيع رؤية احدهما جيداً عن الآخر ، بل لا يمكننا فهم احدهما إلا إذا فهمنا الآخر . ولكنى ارى ان شخصية حافظ الرجل هى شخصية حافظ الشاعر ، ولا ألقى هذا الكلام على عواهنه ، ولكنى اقوله وأنا واثق منه كل الثقة ، متثبت منه تمام التثبت ، معتمداً على ما أعرفه عن الرجل نفسه وما انطوت عليه نفسه العالية من نبل وسمو وفضائل .

لحافظ أكثر شعرائنا الحديثين اتصالا بنهضتنا : فقد عمل على اذكائها بقلبه وبيانه وبروحه وماله ، لم يتطرق اليه اليأس ولم يشك أو يتململ شأن الرجل الضعيف ، بل ثبت فى ميدان الجهاد ثبوت الأبطال البواسل يذود عن وطنه الذى أحبه وتفانى فى حبه ، والذى من أجله عاش وفى سبيله مات بعد أن بعث فينا روح الأمل وضرب لنا مثلاً صالحاً للجهاد الوطنى .

لم يكن حافظ مريض الاعصاب أو ضعيف الارادة فيثور ويهيج ، بل كان قوى العود صلب القناة عظيم الصبر كثير الاناة فاستقل حمله الفادح فى ثبات وصمت وواصل جهاده المضنى الطويل بين عواصف عاتية لم تقو على زحزحته أو الرجوع به الى الوراء ، ووسط بحار هائجة لم يتهيبها أو يفرق منها بل اندفع فيها وسار حتى أدى رسالته كاملة وبلغها إلى بنى وطنه وفصلها لهم تفصيلا !

لم يعرف حافظ الأثرة egoism قط — والأثرة شر عيوب الرجل — بل كان فى كل حياته حلوها ومرها كريم الخلق رضى النفس حلو الحديث يستهوى السامع ويأسره ويسر الناظر فلا يود أن يتركه ، ولكنه كان بجانب ذلك عظيماً مهيباً محبوباً : فهو عظيم فى بساطته كما أنه بسيط فى عظمته ، وربما كانت هذه ميزة تفرّد بها حافظ بين شعرائنا المصريين ، فنجد فى جانبه أنساً وفى الاستماع إليه متعة ولذة .

أما عيوبه فلا إخال أحداً يعرف عيبا لحافظ إلا اسرافه الكثير — إن كان هذا الاسراف عيباً — ومهما كانت عيوبه فان حياته وما أتى عليها من صروف وما تلونت به من ألوان البؤس والفاقة ، ونفسه وما انطوت عليه من نبل وطهارة ، وطبيعته وما امتزجت به من عناصر الطيبة والوداعة ، زعيمة بمحوها وكفيلة باظهار حافظ فى أحسن صورة وفى أبهى منظر .

لقد كانت فى حافظ قوة غريبة تدفعه إلى حب الآخرين وتستهوى الآخرين الى حبه حتى يمكننا — بدون اعتساف فى القول — أن نعد حافظاً أحب الشعراء الينا ، لأننا اذا أحببنا حافظاً فاننا نقوّى حبنا للطيبة والوداعة ونزيد ثقتنا فى صفاء الطبيعة الانسانية وطهرها ، زد على ذلك أننا بحبنا حافظ نحب شعره معه ، وشعره جزء من نفسه أو هو نفسه .

شعره

وما شعر حافظ الا روحه تقمصت روح النهضة وبرزت للعيون فى أبدع قوالب الشعر وأعجب صوره ، فلم يصدر شعره عن ملكة خاصة فيه بل كان نتيجة حتمية عامة لذهن طبيعى جبار ، ومزاج قوى حاد . أفصح عن نفسه بهذه الطريقة الشعرية الرائعة ، لذلك جاء شعره صادقاً كل الصدق معبراً أفصح التعبير عن ذلك المزاج الحساس وتلك النفس المتألمة لوطنها الذليل ، فلم يكن أوهاماً ولا تخيلات بل كان شيئاً شعر به صاحبه وجاش فى خاطره فألهب وجدانه فأفرغه فى ذلك القالب الشعرى الخلاب .

فالصدق والاخلاص وحب الحق هى الصفات التى تميز حافظاً عن معظم الشعراء المعاصرين وهى التى صبغت شعره بصبغة ثابتة لن تزول ، وطبعته بطابع الخلود . فوفاته إذن مأساة الاخلاص .

ويظهر لى من أشعاره ان الرجل كان له عقل قوى ، وأعصاب سليمة ، وله قلب انسان يخفق بين جوانب صدره ، وانك لتسمع خفقاته فى كل اشعاره ، وانه لم يكن مريض الشعور أو ضعيف الحس ، بل كانت له عين ترى ، وقلب يشعر ، ولسان يفصح .

انظر إليه يذكر بلاده وينعى على مواطنيه التفكك وضعف الاخلاق والاسراف فى اللهو واللعب فى قصيدته « غادة اليابان » :

أنا لولا أن لى من أمتى خاذلاً ما بتُّ أشكو النُّوَبا
أمةٌ قد فتَّ فى ساعدها بُغضُها الأهلَ وحبُّ الغربا
تعشق الألقابَ فى غير العلا وتفدِّى بالنفوس الرتبا
وهى والأحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القومُ بها أم بها صرفُ الليالى لعبا !

* * *

وانك لتجد معظم شعره قد وقفه على الافصاح عن أمانى بلاده ، وإنك لتحسّ وأنت تقرأ هذا الشعر بأنات الشاعر المتواصلة وزفراته المتصاعدة حزناً على وطنه المعذب . فشعره قد صيغ من هذه الآلام ، وزفراته قد امتزجت بأنين الشعب كثيراً . وقضى ربك ان يجعل العهد الذى عاش فيه حافظ عهد آلام وجهاد ونصب وجلاد وحرب سجال بين العدو المغتصب والشعب الوادع المطمئن . إنك تحس وأنت تقرأ شعره عن حادثة دنشواى المشئومة بأنفاس الشاعر الملتهبة وهى تتحرق وجداً على قتل الابرياء ودموعه تهمى على خديه بكاء على بنى وطنه المعذبين وهو يتساءل فى حسرة وأسى عن سبب ذلك التعذيب الشنيع الذى يصوّره فى صورة تستفز الشعور وتثير جوامد النفوس وتستدر العبرات من هول المصاب وفداحة الخطب إذ يقول :

أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو أقصاصاً أردتمُ أم كيادَا !
احسنوا القتل إن ضننتم بعفو أنفوساً أصبتمو أم جمادَا !
ليت شعرى أتلك محكمة التفـ تيش عادت أم عهد نيرون عادَا !!

ويقول أيضاً فى موضع آخر مخاطباً العميد البريطانى :

جُلدوا ولو منَّيتهم لتعلقوا بحبال من شُنقوا ولم يتهيبُوا
شُنقوا ولو مُنحوا الخيار لأهّلوا بلظى سياط الجالدين ورحّبُوا
يتحاسدون على المات وكأسه بين الشفاه وطعمه لا يعذبُ !

ثم تراه وهو يبثّ روح الثورة فى نفوس الشبان ويحفزهم إلى المطالبة بحقوقهم

ويذكرهم بمجدهم التالد وتاريخهم المجيد حين يقول :

عارٌ على ابن النيل سبّاق الورى مهما تقلب دهرُه أن يُسبقَا
فتدفقوا حُججاً وصونوا نيلكم فلكم أفاض عليكم وتدفّقَا
ومن البلية أن تباع وتشترى مصرٌ وما فيها وأن لا تنطقَا !

وكذلك يقول :

رجالَ الغد المأمول ان بلادكم تناشدكم بالله أن تتذكَّروا
فكونوا رجالاً عاملين أعزةً وصونوا حمى أوطانكم تتحرَّرُوا

* * *

واذا كانت حياة حافظ قطعة من قلب الطبيعة الخالدة فان شعره قيثارة تلك الطبيعة الحزينة الباكية تشدو بآلام وطنه وأشجانه وتتغنى بمجد مصروعزها الغابر فتبعث فى النفوس همةً وتوقظ فيها حلوَ الأماني .

وقد وهبه الله قوة وبراعة فائقتين فى تصوير الاشياء تصويراً رائعاً ، فلم يكن ينظر اليها من هذا الجانب أو من ذاك ، بل كان ينفذ الى لبها وصميمها وينظر اليها بعين نافذة شاملة فسرعان ما تذوب تلك الأشياء وتتحلل أمامه وتتكشف له دفائن أسرارها ، فيعمل فيها ريشته العجيبة ويصورها أبدع تصوير ... فما أبدع تلك الأبيات التى قالها فى وصف زلزال صقلية ، فقد تعد هذه القصيدة من غرر الشعر سواء العربى أم الغربى ، فقد كان حافظ فى هذه القصيدة صادقاً كل الصدق ، دقيقاً فى تصويره كل الدقة ،شاملا في وصفه كل الشمول ، أضف إلى ذلك جمال الالفاظ وجزالتها ، وإحكام سبك المعانى الذى لا يتسنى لكثير من الشعراء ، إذ يقول :

أين رجيو وأين ما كان فيها من مغانٍ مأهولةٍ وغوانى؟
عوجلت مثل أختها ودهاها ما دهاها من ذلك الثوران
رب طفل قد ساخ فى باطن الأر ض ينادى : أمي ! أبي ! أدركانى !
وفتاة هيفاء تُشوَى على الجم ر تعانى من حرِّه ما تعانى
وأب ذاهل الى النار يمشى مستميتاً تمتدّ منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه مسرعَ الخطو مستطير الجنان

تأكل النار منه لا هو ناج ٍ — من لظاها ولا اللظى عنه وانى
غصت الأرض ، أتخم البحر مما — طوياه من هذه الابدان
وشكا الحوت للنسور شكاة — رددتها النسور للحيتان
أسرفا فى اللحوم نقراً ونهشاً — ثم باتا من كظة يشكوان
لا رعى الله ساكن القم الشم — ولا حاط ساكن القيعان !

الرثاء

وإن كان الصدق لازماً للشاعر والشعر فى جميع فنونه فانه أشد لزوماً فى الرثاء بنوع خاص . وإذا عرفنا أن الصدق فى حافظ كان عنصراً من عناصر طبيعته فلا غرابة إن جاءت مراثيه كلها آيات رائعات ودرراً غوالى تسمو بصاحبها إلى مستوى شعراء المراثى العالميين . وان الذى يقرأ مرثيته المشهورة فى صديقه الامام الشيخ محمد عبده يتبين صدق ما أقول ويشعر بلوعة الصديق الذى فقد صديقه الوفى الأمين :

سلام على الاسلام بعد محمد — سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا ، على العلم والحجى — على البر والتقوى ، على الحسنات
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله — فأصبحت أخشى أن تطول حياتى
فوالهفى والقبر بينى وبينه — على نظرة من تلكم النظرات !

كذلك شأنه فى رثائه لصديقه قاسم أمين ولمصطفى كامل ، ففى هذه القصائد روعة وجلالة وتصوير قوى ساحر يأخذ بلب القارىء أو السامع ويستهوى حسه وخياله .

وصفوة القول ان شاعرية حافظ كانت مزاجاً من الابتكار والتقليد : فقد قرأ حافظ أشعار ابن الرومى، وتأثر كثيراً بشعر بشار بن برد ومسلم بن الوليد ، وحفظ كثيراً من أشعار البحترى وأبى تمام والمتنبى والمعرى ، فجاءت دراسته هذه لاشعار العرب القدامى بثروة عظيمة له لا يشك فى قيمتها . أضف إلى ذلك دراسته للأدب الفرنسى وما فى الأدب الفرنسى من جمال وحسن ورواء ظهر أثره فى

شعره ، لا فى روح التعبير وحده بل تعداه إلى المعانى .

* * *

مسكين حافظ ! ما أتعس أيامك التى قضيتها وما أشقاها ! إن كنتَ لاقيتَ منا جحوداً فى حياتك فلن تعدم منا وفاء بعد مماتك . ان اسمك سيظل منذ كوراً بعد أن كتب فى ثبت الخالدين . فلتنم ولتقر عيناً بين صحبك الابرار ، فان معبد شهرتك الخالدة يطل اليوم على قبرك .

وما شهرتك إلا روحك التى ستعيش بعدك فى قلوبنا ؟

نظمى خليل

حافظ

فنانٌ كما يجب

الجمال فى الحياة كثير : جمال الطبيعة ، وجمال اللذة ، وجمال الألم . والحياة فى غموضها وابهامها مظهر من مظاهر الجمال الرائع فى الوجود ، والانسان — مذ كان — مدفوعٌ إلى تصوير هذا الجمال بوحىٍ روحىّ من احساسه فى أسلوب يشفّ عن مبلغ هذا الاحساس ونوعه .

فكان الموسيقىُّ والشاعرُ المصوّرُ ومن الى هؤلاء الذين صفت عقولهم حتى صارت قلوباً .

وهؤلاء رسلُ الجمال فى الحياة ، وكما اختلفت رسالاتهم فى الفن قد تلونت أساليبهم بلون الشعور الذى حفزهم إلى الرمز والتعبير .

فنرى مصوراً مثلا قد ملكه جمالُ الطبيعة فقام يدعو لعبادة هذا الاله فى بلاغة من الصمت الناطق ، ثم نرى مصوراً آخر قد حيرته معانى الحياة ودفائن الوجود فسجد لجبروت هذا السر الرهيب ثم انبرى يصوّر هذه المعانى ويكشف عن تلك الدفائن بريشة العاطفة ومشعل الخيال .

وهكذا كان الشاعر ، وهكذا يجب أن يكون : يجب أن يقف كل شاعر فى محراب من محاريب الحياة يسبّح لاله واحد من آلهة الجمال ، ويهتف بما يوحى اليه

من سماء هذا المعبود . يجب أن يبرز فى ناحية واحدة من نواحى الشعر تطغى على كل النواحى وتميزه عن غيره من الشعراء ، أى أن تكون له قيثارة واحدة يحملها دائماً ليعزف عليها كلما شاقه العزف حتى يصل بفنه إلى ما وراء الخلود .

... وهكذا كان حافظ .

عاد من السودان فى شوق ولهفة الى مصر فرأى راية التيمس ترفرف على النيل وتداعبها نسمات السيادة والسلطان أحياناً ، تزجيها عواصف الطمع والاستبداد ، ورأى تحت هذه الراية أمة مكبلة بالاغلال الثقيلة مستكينة لهذه القيود تغط فى نومها غطيط الهادىء فى سرر اليأس ووسائد القنوط . وكلما أحست وطأة السلاسل فتحت عينيها وعولت على النهوض فتخونها قدماها وتتعثر فى حبائلها ويحلق فوق جفنيها طائر النذير والوعيد من وراء البحار فينثقلهما ويملؤهما بالنوم مرة أخرى .

هـذا المنظر دفع بحافظ الى ربوة من الهم والكآبة على ضفة النيل ، وهناك رمى فى تيار النهر بالدف الهزيل الذى كان يضرب عليه وانتزع من بقايا قلبه المحطم قيثارة الوطنية والاجتماع . وأخذ يغنى فوق تلك الربوة قصيد الألم ونشيد الأنين ، وجعل يرسل شعره ثائراً صريحاً فى ثورته ، ثائراً على الأخلاق المصرية والرجولة المصرية وفى ثورته نصيحة واخلاص . وهل ترى أدعى إلى ثورة الشاعر الاجتماعى من أن يرى أبناء شعبه يهيمون بالالقاب والشهرة العمياء وموالاة المستعمر العابث وكل هذه المظاهر التى ما تزال بيننا براقة خادعة الى ما بعد حافظ . وهو هنا يرمى فى شعره الى الاغراض السامية ويصور المثل العليا ويكشف عنها فى شجاعة فنيـة وموسيقية بارعة ، ثائراً فى وجه المغتصب وهى ثورة الضعيف المبحوح وفى بحة صوته وضعفه نبرات المؤمن بحقه السليب . أقرأ شعره الآن فأتخيله وكأنى أسمع منـه الأنين المر وأكاد أرى جراح قلبه والدم يسيل على جوانبها وهو واقف الى جانب مصر العاجزة النائمة ليوقظها بنحيبه ويمد بيدها الموثقة فى ضراعة الى المغتصب الجبار رجاء ان يرحم ذلها وضعفها ويفك أغلالها ثم يدعها تضمد جراحها بنفسها . وقـد يشير إلى القوة الكامنة فى هذا الضعف ، والثورة الجارفة التى لا بد ان يخلقها القيد والاستعباد .

هذه الصور وغيرها تجدها حية فى قصائده الخالدة — دنشواى — مصر فوق الجميع — غادة اليابان — وأشباهها .

« ٠ »

هذه هي رسالة حافظ الشاعر التي دعا اليها ووقف فنه على خدمتها طول حياته ، ولعله كان لا يصلح الا رسول وطنية واجتماع . فلقد حاول أن يجعل فنه باقة من مختلف الازهار ، ولكن شاءت طبيعته غير ما أراد . ولعمرى ان الجمال الفرد الذى يشعّ من زهرة واحدة أبلغُ تأثيرا في النفس من جمال حائر بين مجموعة زهرات .

فهو حينما نظم في الغزل والمدح والخمر لم يكن فيه — على قلته — الا مقلداً دفعته رياح تقليدية من جنوب العصر . عرب (البؤساء) وكتب (ليالى سطيح) فخذله الفن فلم يوفق في أسلوبه ، وإن كان قد وفق في الغرض وأحسن القصد لأنه لم يكن الا شاعراً وشاعراً اجتماعياً فحسب . ولا ريب أنه في كتابته هذا وتعريفه ذاك كان مدفوعاً بالنزعة الاجتماعية المتركزة في طبيعته .

« ٠ »

بقى لنا أن نتساءل — ولابد أن نتساءل بعد الذى قررناه — كيف ارتفع حافظ بمراثيه الى درجة من الدقة والفخامة تكاد تعدل مراثى أفحل الشعراء الذين هتف بنبوغهم الزمن في أبهى عصور الأدب العربى ؟

لا غرابة ولا عجب ، فهو إذ يرثى إنما ينظم أنات الشعب المفجوع في عظيم قدم نفسه قرباناً لآلهة الجهاد والتضحية ، أو مصلح كان يوقد عقله لينير الطريق التي تظللها أشجار التقدم والنهوض . فليس غريباً اذن أن يألم حافظ وأن يرسل آهاته من أعماق قلبه الذى أذابه حب وطنه فتأتى هذه الآهات فناً شامخاً رفيعاً — رثى محمد عبده — سعد زغلول — قاسم أمين — وغيرهم من رجالات نهضتنا فكان يرثى محمد عبده لانه يبكى محمد عبده كما يبكيه الشعب ، وهكذا لم يضرب على نغمة فاترة واحدة ، وانما جاء شعره صدى لاحساسه المختلف ولاحساس الأمة نحو كل رجل وهذه هي القوة . وهذا هو الفن كما يجب وكما كان .

المهدى مصطفى

مختارات

من شعر حافظ

اللهو والوطن

ما لى أرى الأكمام لا تنفتح — والروض لا يزكو ولا ينفح
والطير لا تلهو بتدويمها — فى ملكها الواسع أو تصدح
والنيل لا ترقص أمواهه — فرحى ولا يجرى بها الأبطح
والشمس لا تشرق وضاءة — تجلو هموم الصدر أو تنزح
والبدر لا يبدو على ثغره — من بسمات اليمن ما يشرح
والنجم لا يزهر فى أفقه — كأنه فى غمرة يسبح
ألم يجئها نبأ جاءنا — بأن مصراً حرة تمرح ؟
أصبحت لا أدرى على خبرة — أجدت الأيام أم تمزح !
أموقف للجد نجتازه — أم ذاك للأهى بنا مسرح ؟
ألمح لاستقلالنا لمعة — فى حالك الشك فأستروح
وتطمس الظلمة آثارها — فأنثنى أنكر ما ألمح
قد حارت الأفهام فى أمرهم — إن لمحوا بالقصد أو صرحوا !

معبر الحب

هوينا فما هنا كما هان غيرنا — ولكننا زدنا مع الحب سؤددا
وما حكمت أشواقنا فى نفوسنا — بأيسر من حكم السماحة والندى
نفوس لها بين الجنوب منازل — بناها التقى واختارها الحب معبدا

سجن الفضيلة

نَعِمنَ بنفسي وأشقينني فياليتهنّ ويا ليتني
خلالٌ نزلنَ بخصب النفوس فروّيتهنّ وأظمأنني
تعوّدنَ منّي إباءَ الكريم وصبرَ الحليم وتيهَ الغني
وعوّدتُهنّ نزالَ الخطوبِ فما ينثنين وما أنثني
إذا ما لهوتُ بليل الشباب أهبْنَ بعزمي فنبهنني
فما زلتُ أمرح في قدّهنّ ويمرحنَ منيّ بروضٍ جني
الى أن تولّى زمانُ الشبابِ وأوشك عوديَ أن ينحني
فيا نفسُ إنْ كنتِ لا توقنين بمعقودِ إمرك فاستيقني
فهذي الفضيلةُ سجنُ النفوس وأنتِ الجديرةُ أن تُسْجَني

الدنيا الضائعة

لم يَبقَ شيءٌ من الدنيا بأيدينا الا بقيةُ دَمْعٍ في مآقينا
كنّا قلادةَ جيدِ الدّهرِ فانفرطتْ وفي يمينِ العُلَى كنّا رياحينا
كانت منازلُنا في العزّ شامخةً لاتُشرق الشمسُ الاّ في مغانينا
وكان أقصَى مُنَى نهر المجرةِ لو مِنْ مائهِ مُزِجَتْ أقداحُ ساقينا
والشُّهْبُ لو أنَّها كانت مسخَّرَةً لرجم مَنْ كان يبدو مِنْ أعادينا
فلم نَزلْ وصُرُوفُ الدهرِ ترمقنا شزراً وتخدعنا الدنيا وتُلهينا
حتى غدونا ولاجاهٌ ولا نَشَبٌ ولا صديقٌ ولاخِلٌّ يُواسينا

الى الامبراطورة أوجيني

(عند قدومها الى مصر بعد زوال ملكها)

أين يومُ القنال يا ربة التا جِ ويا شمسَ ذلك المهرجانِ
أين مُجرِي القنالِ ؟ أين مميتُ الا مَالِ ؟ أين العزيزُ ذو السلطانِ ؟

أين هارونُ مصر ؟ أين أبو الا — أشبالِ ربُّ القصور ربُّ القيانِ ؟
أين ليثُ الجزيرةِ ابنُ عليٍّ — واهبُ الألفِ مكرِمُ الضيفانِ
أين ذا القصرُ بالجزيرة تجرى — فيه أرزاقُنا وتحبو الأماني ؟
فيهِ للنحسِ كوكبٌ مُشرِعُ الشَّ — رِ ، وللسعدِ كوكبٌ متواني
قد جرى النيلُ تحتَه بخشوعٍ — وانكسارٍ وهابه الفتيانِ[1]
كنتَ بالأمسِ جنَّةَ الحورِ ياقص — رُ فأصبحتَ جنةَ الحيوانِ
خطرَ الليثُ في ذُرائكَ يا قَصْ — رُ وقد كنتَ مسْرَحاً للحسانِ
وعَوَى الذئبُ في نواحيك ياقص — رُ وقد كنتَ معقلاً للسانِ
وحباكَ الزوّارُ بالمالِ يا قَصْ — رُ وقد كنتَ مصدرَ الاحسانِ
كنتَ تُعْطِي فمالكَ اليوم تُعْطَى — أين بانيكَ ؟ أين ربُّ المكانِ ؟
إن أطافَتْ بك الخطوبُ فهذى — سنّةُ الكونِ من قديمِ الزمانِ
رُبَّ بانٍ نأى وربَّ بناءٍ — أسلمتْهُ النَّوَى إلى غيرِ باني
تلكَ حالُ الايوانِ يا ربّةَ التا — جِ ، فما حالُ صاحبِ الايوانِ ؟
قد طواه الرَّدَى ولو كان حيّاً — لمشَى في ركابكِ الثقلانِ[2]
وتولتْ حراسةَ الموكبِ الأسْ — نَى نجومُ السماءِ والنيرانِ
إنْ يكنْ غابَ عن جبينكِ تاجٌ — كان بالغربِ أشرفَ التيجانِ
فلقد زانكِ المشيبُ بتاجٍ — لا يدانيه في الجلالِ مُدانى
ذاك من صنعةِ الأنامِ وهذا — من صنيعِ المهيمنِ الديّانِ
كنتِ بالأمسِ ضيفةً عند مَلْكٍ — فانزلى اليومَ ضيفةً في خانِ
واعذرينا على القصورِ ، كلانا — غيّرتْهُ طوارئُ الحدثانِ

(١) الليل والنهار (٢) الانس والجن

حادثة دنشواى

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟
خفضوا جيشكم ، وناموا هنيئاً وابتغوا صيدكم ، وجوبوا البلادا
وإذا أعوزتكمو ذاتُ طوقٍ بين تلك الربى ، فصيدوا العبادا
إنما نحن والحمامُ سواءٌ لم تغادر أطواقُنا الأجيادا
لا تظنّوا بنا العقوقَ ولكنْ أرشدونا إذا ضللنا الرشادا
لا تقيدوا (١) من أمةٍ بقتيلٍ صادت الشمسُ نفسَه حين صادا
جاء جُهّالُنا بأمرٍ وجئتمْ ضعفَ ضعفيهِ قسوةً واشتدادا
أحسنوا القتلَ إنْ ضننتم بعفوٍ أقصاصاً أردتمُ أم كيادا ؟
أحسنوا القتلَ إن ضننتم بعفوٍ أنفوساً أصبتمُ أم جمادا ؟
ليتَ شعرى أتلكَ محكمةُ التفتيشِ عادتْ أم عهدُ نيرون عادا ؟!

« • »

أيها المدّعى العمومىّ مهلاً بعضَ هذا فقد بلغتَ المرادا
قد ضمنّا لكَ القضاءَ بمصرٍ وضمنّا لنجلكَ الإسعادا
فإذا ما جلستَ للحكمِ فاذكرْ عهدَ مصرٍ فقد شفيتَ الفؤادا

« • »

لا جرَى النيلُ فى نواحيكِ يا مصرُ ، ولا جادَكِ الحيا حيث جادا
أنتِ أنبتِّ ذلكَ النبتَ يا مصرُ ، فأضحى عليكِ شوكاً قتادا
أنتِ أنبتِّ ناعقاً قام بالأمسِ فأدْمى القلوبَ والأكبادا
إيهِ يا مِدْرَهَ القضاءِ ويا مَنْ سادَ فى غفلةِ الزمانِ وشادا
أنت جلاّدُنا فلا تنسَ أنّا قد لبسنا على يديكَ الحِدادا !

---

(١) لا تأخذوا بالثأر .

الظلم المهذّب

لقد كان فينا الظلمُ فوضى فهُذّبتْ … حواشيهِ حتى بات ظُلماً مُنَظَّمَا
تمنّ علينا اليومَ أن أخصبَ الثرَى … وأن أصبحَ المصرىُّ حُرّاً مُنَعَّمَا
أَعِدْ عهدَ اسماعيل جَلداً وسخرةً … فانى رأيتُ المَنّ أنكى وآلَمَا
عملتم على عِزّ الجمادِ وذُلّنا … فأغليتمُ طِيناً وأرخصتمُ دَمَا
إذا أخصبتْ أرضٌ وأجدبَ أهلُها … فلا أطلعتْ نبتاً ولا جادَها السَّمَا !

زلزال مسينا

نبّئانى إنْ كنتما تعلمانِ : … ما دَهى الكون أيها الفرقدانِ
غضبَ اللهُ أم تمردتْ الأر … ضُ فأنحتْ على بنى الانسانِ ؟!
ليس هذا ، سبحان ربى ، ولاذا … كَ ولكنْ طبيعةُ الأكوانِ
غليَانٌ فى الأرض نَفّسَ عنه … ثورانٌ فى البحرِ والبركانِ
رَبِّ ! أين المَفَرُّ والبحرُ والبرُّ … على الكيدِ للورَى عاملانِ ؟!
كنتُ أخشى البحارَ والموتُ فيها … راصدٌ غفلةً من الربّانِ
سابحٌ تحتنا ، مُطِلٌّ علينا … حائمٌ حولَنا ، مُناءٍ مُدَانى
فاذا الأرضُ والبحارُ سواءٌ … فى خلاقٍ : كلاهما غادرانِ

« ٠ »

ما (لمسّينَ) عُوجلَتْ فى صباها … ودَعَاهَا من الرّدَى داعيانِ
ومَحَتْ تلكُمُ المحاسنَ منها … حينَ تمّتْ آياتُها آيتانِ
خُسِفَتْ ، ثم أُغرِقَتْ ، ثم بادتْ … قُضِيَ الأمرُ كُلُّه فى ثوانِ
وأتى أمرُها فأضحتْ كأنْ لم … تَكُ بالأمسِ زينةَ البلدانِ
ليتها أُمْهِلَتْ فتقضى حُقوقاً … من وداعِ اللّداتِ والجيرانِ

لحةً يُسْعَدُ الصديقانِ فيها باجتماعٍ ويَلتقي العاشقانِ
بَغَتَتْ الأرضُ والجبالُ عليها وطَغى البحرُ أيّمَا طغيانِ
تلكَ تَغْلي حقداً عليها فتَنْشَقُّ انشقاقاً من كثرةِ الغَليانِ
فتُجيبُ الجبالُ رَجْماً وقَذْفاً بشواظٍ مِنْ مارجٍ ودخانِ
وتسوق البحارُ ردّاً عليها جيشَ موجٍ نائى الجناحين دانى
فهنا الموتُ أسودُ اللونِ جونٌ وهنا الموتُ أحمرُ اللونِ قانى
جَنَّدَ الماءَ والثرى لهلاكِ الخلقِ ثم استعان بالنيرانِ
ودعا السُّحبَ عاتياً فأمدَّتْهُ بجيشٍ من الصواعقِ ثانِ
أين (رجيو) وأين ما كان فيها مِنْ مَغَانٍ مأهولةٍ وغوانى ؟
عُوجِلَتْ مثلَ أختها ، ودهاها ما دهاها من ذلك الثورانِ
ربَّ طفلٍ قد ساخ فى باطن الأرضِ ينادى : أمّى ! أبى! أدركانى!
وفتاة هيفاءَ تُشْوَى على الجمرِ تُعانى مِنْ حَرِّهِ ما تُعانى
وأبٍ ذاهلٍ إلى النارُ ، يمشى مستميتاً تمتدّ منه اليدانِ
باحثاً عن بناتهِ وبنيهِ مُسْرِعَ الخَطْوِ مُستطيرَ الجَنَانِ
تأكلُ النارُ منهُ ، لا هو ناجٍ مِنْ لَظَاهَا ولا اللَّظى عنهُ وانى!

منزل الامام محمد عبده

فيا مَنزلاً فى عينِ شمسٍ أظلَّنى وأرغمَ حُسَّادى وغمَّ عُداتى
دعائمهُ التقوى ، وآساسُه الهُدَى وفيه الأَيادى مَوضعُ اللَّبِناتِ
عليكَ سلامُ اللهِ ما لكَ موحشاً عبوسَ المغانى مقفرَ العرصَاتِ ؟
لقد كنتَ مَقصودَ الجوانبِ آهلاً تطوف بكَ الآمالُ مبتهلاتٍ
مثابةَ أرزاقٍ ، ومَهبطَ حكمةٍ ومَطلَعَ أنوارٍ ، وكنزَ عِظاتِ

النيل

النيـــــلُ مرآةٌ تنفَّـ سَ في صحيفتهـا النَّسيمْ
سلبَ السماءَ نُجومَهـــــا فهوتْ بلجّتهِ تَعُومْ
نَشرتْ عليـــــه غــلالةً بيضاءَ حاكتها الغُيومْ
شفّتْ لأعيننـا سوى ما شابَهُ منهـا الأديمْ
وكأننا فـــــوقَ السماءِ وتحتَنا ذاكَ السَّــــديمْ
تجري الحوادثُ حيث تجـ ـري لا نُضامُ ولا نضيمْ

عند قبر مصطفى كامل

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا واقضُوا هنالكَ ما تقضي به الذِّمَمُ
هنا جَنانٌ تعالى اللهُ بارؤهُ ضاقتْ بآمالهِ الأقدارُ والهِمَمُ
هنا فمٌ وبنانٌ لاحَ بينهما في الشرق فجرٌ تُحَيّي ضوءَه الأُمَمُ
هنا الشهيدُ ، هنا ربُّ اللواء ، هنا حامي الذِّمارِ، هنا الشهمُ الذي علموا

« • »

إنّي أرى وفؤادي ليس يكذبني روحاً يحفُّ بها الاكبارُ والعِظَمُ
أرى جلالاً ، أرى نوراً، أرى مَلَكاً أرَى مُحَيّاً يُحيّينا ويبتسمُ
اللهُ أكبرُ ! هذا الوجهُ أعرفُه ! هذا فتى النيل! هذا المفردُ العَلَمُ!
غُضُّوا العيونَ وحيّوه تحيتَه من القلوبِ إذا لم تُسْعِدْ الكَلِمُ
وأَقسموا أن تذودوا عن مَبادئهِ فنحن في موقفٍ يحلو به القَسَمُ !

لوعة وأنين

أنا في يأسٍ وهمٍّ وأسًى حاضرُ اللوعةِ موصولُ الأنينْ
مستهينٌ بالذي لافيتهُ وهو لا يدري بما ذا يَستهينْ
سُوَرٌ عندي له مكتوبةٌ وَدَّ لو يَسري بها الرُّوحُ الأمينْ
إنني لا آمَنُ الرُّسْلَ ، ولا آمَنُ الكُتْبَ على ما يحتوينْ !

ناحية فى حافظ

نشكر للدكتور زكى أبى شادى خدماته الأدبية الكبيرة التى يقوم بها عامةً واصدار هذا العدد لذكرى حافظ خاصةً . واذا كان الحظ لم يسعدنى بأن أكتب عن شوقى فانى أجد الفرصة سانحة لأن أقول كلمة عن حافظ فى أهم ناحية من حياته وتقسيم حافظ من حيث هو فكرة التَمَمَت* فى الوجود وحيوية لها ما للكائن الحىّ من مزايا هى :

١ — شعره الذى يصوّر فيه نفسه ونفسية الشعب ويعبر فيه عن آماله وآمال وطنه وعن الأمة وكل ما يتحرك فيها أو ما يتطلبه لها .

٢ — نفسه الهائجة الثائرة العاليــة التى تبلغ عنان السماء فى الارستقراطية والتى تصدّها عظمة المال والجاه فتنزل بها الى الحضيض فتتطرف فى الديمقراطية الى درجة كبيرة ، ونفسه العابثة البائسة المتشككة .

٣ — حياته المتناقضة المملوءة أملاً وبؤساً وسعادةً وألماً وخوفاً وشجاعة وحباً وكراهية .

وأظهر شىء فى حافظ من حيث هو كتلة حيوية تنقسم هذه الأقسام : نفسه وحياته وشعره . ونفسه هى القوة الموجهة لحياته من حيث عبوسها أو بؤسها فتظلم الدنيا ، ومن حيث أملها وانشراحها فتظهر العالم أمامه كله سرور وانشراح وبهجة وأنس . وشعره هو المظهر أو العارضة التى ترينا نفسه وحياته وتفاعل العناصر من أثر النفس فى الحياة ومن أثر الشعر فى هيجان النفس أو هدوئها وظلمة الحياة أو بهجتها . ونفس حافظ ليست مثل نفسى ونفسك ، فلو كانت كذلك لعدّ حافظ واحداً مثلنا ، ولكن نفس حافظ كقلبه وقلبه هو قلب مصر وحياته هى حياة مصر ، فكل حادث يؤثر فى مصر نجد أثره فى نفس حافظ وقلبه وحياته وشعره أيضاً . والألم الذى يساور نفس حافظ والذى يؤثر فى نظره للدنيا ويتأثر بالتالى به شعره هو ألم مصر ، والبؤس الذى يساور نفسه هو مظهر نفسه ومظهر حياته ومظهر مصر أيضاً . وهذا التآلف بين حافظ وحياته وشعره ومصر فيه نصيب كبير من الحقيقة ، وهناك تآلف آخر بين الشاعر والفنان فى حافظ تصبغه صبغة البؤس التى تلازم حافظ فيكون حافظ الشاعر المتوقد الرقيق والفنان الثائر المتشكك الحرّ الذى لا يراعى القيود ولا يعبأ بها ، وهناك حافظ البائس الذي يدمث الثورة على التقاليد والتشكك والهياج .

وهناك المصادمات ذات الأثر العميق الذي يبلغ من نفس الانسان — نريد أن نعرض في حافظ حتى نعرف كيفية تحول نفسيته وتكوينها على هذا الشكل الغريب .
وأول تلك الصدمات التى صدمت حافظ هي موت والده وهو صغير مما جعل في نفسه أبلغ الأثر لأنه صار يتيماً لا أب له فأورثه هذا حزناً كبيراً تغلغل في قرارة نفسه وأثر في حياته أثراً كبيراً ، وكانت هذه أول صدمة له في حياته ومستقبل عزيمته .

أمّا الصدمة الثانية فهي تمكن النزعة الأدبية منه وهذه الروح الشعرية التى هفت به وتمكنت من صبغه بلونها والتى تبعث إلى نفس الشاعر عوامل الشاعرية من رقة الشعور واتصال هذا بالرثاء لآلام الناس ومواساتهم وتلازم هذا الشباب والنفس المتقدة المرحة الثائرة في حافظ ، وفي اجتماع هذين معاً مايجعله لا يرضى بالحياة العسكرية الخشنة من جانب لأنه شاب له أمل واسع ، وهو لا يرضى بالحياة العسكرية أيضاً من حيث أنها مذبحة ودمار ، وهذا مما لا تميل اليه نفس الشاعر ذات الحنان والرقة .

فهاتان الصدمتان : تنازع الروح الشابة والروح الشعرية مع العسكرية من حيث هي خشونة وقتال دموي والألم الدفين الذى صادمه في أول ملامسته للحياة بموت أبيه — لهما أثرهما البالغ ، وأثر هاتين الصدمتين كبير في نفس حافظ وبالتالي في شعره : فهو الذى صبغ نفسه بصبغة التشكك والثورة والبؤس ، وكان شعره صورة لهذا التفاعل في نفسه وحياته .

هذه الكلمة هي نظرة سريعة مختصرة في ناحية من حافظ ابراهيم الشامخ الضخم الذي لا يمكن لقلمي الضعيف أن يوفيه حقه ، ولا أن ينصرف اليه بحكم شواغله وضيق وقته . وهناك نواحٍ أخرى في حافظ عن شعره وأدبه وأثرهما في الأدب المصرى الخاص والأدب العربي على وجه عام وأخلاقه ونفسه وأثر كل ذلك في نظرته الفلسفية الى الحياة .

وأعيد فأكرر شكري للدكتور أبي شادي لهذه العناية وهذا التكريم لذكرى حافظ ابراهيم شاعرنا القومي ؟

احمد أنور الجندي

مضى العام والذكرى ...

على الوترِ الحنَّان قد وُلِدَ الشعرُ رضيعَ لبانِ السحرِ ما نفث السِّحْرُ
لفائفُه فى المهدِ ظلٌّ خميلةٍ على غصنها طيرٌ ومن تحتها نهرُ
اذا ما بكى أشجى الزمانَ بُكاؤه وأذرت له الدمعَ الملائكةُ الطُّهْرُ
يُنسِّق وجهَ الصبح والطَّلُّ ذائبٌ ويصبغُ لونَ الحقل والزرعُ مُخضَرُّ
ويُلقى شعاعَ الشمس فى ميعةِ الضحى على الكونِ حيث الكونُ مبتهجٌ نَضِرُ
وتنفَحُ عنه فى الأصيلِ نسائمٌ وفى الليل يزهو النجمُ أو يُشرق البدرُ
فامَّا تسرْ يا صَاحِ فى هَدأةِ الدُّجى لدى حَلَكٍ فيه غمامٌ ولا قَطْرُ
وإمَّا تجدْ حُسنَ الحياةِ مُشوَّهاً شتيماً وقد عاف ابتسامته الثغْرُ
وإمَّا تجدْ ظهرَ الزمانِ محدَّباً أناختْ دوَاهٍ فوق كلكله صُفْرُ
فذلك فاخشعْ مأتمُ الشعرِ والحجى وكيف تَناساهُ وفى قلبِكَ القبْرُ؟!

« • »

خميلةُ وادي النيلِ أزهرَ نبتُها فلما دهاها الصيفُ مات بها الزَّهرُ
سقاها غديرٌ ثم جفَّ فغالها حَرُورٌ من الرمضاء بحراقةٌ سُعْرُ
فلا دوحَ يأوى العاشقون لظلِّه ولا طيرَ يشدو بالفِنَاءِ ولا قُمْرُ
تصوَّحتْ الأزهار بعدَ تعطُّرٍ لجفَّت وماتت بينما بقِيَ العِطْرُ
مَلابٌ زكيٌّ فى الانوفِ شميمُه كشعرٍ أبيٍّ فى النفوسِ له سِحْرُ

« • »

مضى العامُ والذكرى تطوفُ بأرؤُسٍ كما طافَ جُنحَ الليلِ أو وقعَ النَّسرُ
مُباعِدُ ما بين الجناحينِ أَبرَدٌ يطيرَ إليها من قوادمهِ الذُّعْرُ
إذا جالَ عينا فى النجومِ تَفكَّراً تَطايرَ من أحداقها النَّظرُ الشَّزْرُ
اذا فكر المرءُ القديمُ وفاؤُه بواجبهِ للصحبِ أعيا به الفِكْرُ
يظنٌّ له عُذراً فيمضى يَبثُّهُ ولولا جحودُ الناس لاعتذر العُذْرُ

وأجَّلَ قومٌ ذكرَهُ لمواعدٍ ... فيومهمُ عامٌ وساعتُهم شهرُ
مضى حافظٌ مَن كان يحفظُ قومَه ... فهل حفظته فى أضالعها مِصرُ ؟
فتى كان يأبى أن يخونَ صديقَه ... فلما مضى خانته أصحابُه الكُثْرُ
إذا كان فى وجه الفتى دونَ ظهره ... وفاءُ أخيه فالوفاءُ هو الغَدْرُ
فمن يصطحب يحفظ ومن ينسَ يدَّكرْ ... ومن يُوفِ لا يُذمم ولكن له الأجْرُ
حفاظك للأصحاب نذرٌ نذرتَه ... إلى الله فانظر كيف ينعقد النَّذْرُ
وللناسِ أخلاقٌ شُكولٌ كثيرةٌ ... يدينُ بها عصرٌ ويمقتُها عصرُ !

« • »

رَعَى الله شعراً قد غُذيتُ لبانَه ... ولى سَنَواتٌ أهْلَتْنى له عَشْرُ
فما كان سفري غير ديوانِ حافظٍ ... وأنعمْ به سفراً إذا أعوزَ السَّفْرُ
مَزاميرُ داودٍ وعيسى بن مريمٍ ... وخيرُ وصايا صاحب الطورِ والذِّكرُ
شواردُ كالعِقيان من كلِّ جوهرٍ ... وحبٌّ من الرُّمَّان ليس له قِشْرُ
وما النيلُ إلا ربوةُ الأرض أنبتتْ ... ثماراً وإلا منجمٌ تُرْبُهُ تبرُ
وحافظُ من قومٍ بواديهِ خُلصٍ ... كبارٍ ولكنْ ما بأنفسهمْ كبرُ
نضا السيف من نفْسٍ يسيلُ ومن دمٍ ... فما صدَّه طودٌ ولا عاقة بحرُ
فلم يك بؤساً حظُّه بل زعامةً ... تصيخُ لها الأفلاكُ أو يُهزَمُ الدهرُ
ففى كل وادٍ فَجْعَةٌ فى صحابهِ ... وفى كل نادٍ مأتمٌ قبله سَمْرُ
وفى كلِّ صَدْرٍ للوفىِّ قُلاَبَةٌ ... وفى كلِّ قلبٍ من رماختها صَدْرُ !

« • »

جُنودَ القوافى والخطوبُ كثيرةٌ ... ألا يحتمى فيكم من العَطبِ الشِّعرُ ؟
لقد غالَ ريبُ الموتِ أرسى شيوخكم ... وللشعرِ لا للحائكين له العُمْرُ
نغيبُ كما غابَ امرؤ القيس قبلنا ... ونُبقى عُكاظاً والزمانُ له كرُّ
وللشعرِ فى ليلِ المُحاقِ سماؤه ... لكلِّ فتىً فيها كوا كبُه الزُّهْرُ

فصوغوا القوافى للخلود وللصبا ... وللرأى والأخلاقِ ما طلعَ الفجرُ

ولا تركنوا للخلفِ فالخلفُ فاضحٌ ... لما كان يخفيه التسامُحُ والسّتْرُ

اذا كان هذا الشعرُ قائدَ نهضةٍ ... فبالخُلقِ المحمودِ يحلو له الفخرُ

عامر محمد بحيرى

محمد حافظ ابراهيم

فى كفتى البؤس والمجانة

يتوهم البعض أننا اذا قلنا إن حافظاً كان أخا بؤس — لازمه صغيراً ، وصاحبه كبيراً — أنه كان مملقاً ، وأن فقره علة العلل فى ابتئاسه . وقد يكون الأول صحيحاً ولكن الى حدٍّ ، أما الثانى فهو موضع بحث ونظر ثم خلف وجدل ، فليس كل بؤس مسبباً عن الفقر ، وحافظ بائس ، فليس بحتم نشوء بؤسه عن فقره . وقد يكون هناك المنطق صحيحاً ، فنحن نرى بين ظهرانينا الكثير من المعدمين يروحون ويغدون ونضرة الطمأنينة تعلو وجوههم ، وطائر السعادة يرفرف فوقهم . كما أننا نرى الكثيرين ممن جادهم المال بوفرته لا يكادون يستشعرون أن هناك سعادة ، بل لا يصدقون أن هناك سعادة فهى اسم لا مسمى له وإن هى الا وهم وخيال . . .

وقد نسمع أن كثيراً من رجالات الفكر وحملة الأقلام كانوا فقراء معدمين بائسين وأن الجهلة الأغبياء كانوا فى يسر ورخاء وطالما أنشدونا :

رزقُ التيوسِ يجيئها بسهولةٍ ... وأولو الفصاحة رزقُهم مسجونُ

إنْ كان حرمانى لأجل فصاحتى ... فامننْ علىّ من التيوسِ أكونُ !

والمنطق فى ظاهره يحيل هذا الذى يبدو غريباً فى مظهره ، فليس بمسلم أن يعجز المفكرون — وهم المفكرون — عن أمر تناله الأغبياء المفاليك — وهم هم !

وربما تزول الغرابة اذا نحن فهمنا أن الفكر دائبُ الطموح لا يرضى لنفسه ما هو فيه وإن كان فى العَيُّوق فهو متطلع الى العلوّ أبداً ناظر الى السماء دائماً ، يرى أنه

مغبون وليس بمغبون ، تعس وليس بتعس ، فقير وليس بفقير ، ومن هـذا الباب وحده تهاجمه كتائب البؤس وترشقه بسهامها وترميه بنبالها ، وهكذا :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعمُ

هذا هو المعقول ، أما أن نقول — اطلاقاً — إن رجال الفكر وحملة الأقلام معدمون بائسون فتلك دعوى عريضة نسمعها كل آن وسيعلم الباحثون مكانها من الحق والتاريخ .

على ضوء هذا الفكر نستطيع أن نقول — مع القائلين — إن حافظاً كان فقيراً بائساً . ولمَ لا يكون بائساً ؟ بل ولمَ لا يكون شيخ البائسين ؟ !

ألم يسعَ حتى كاد ينتعل الدمَ ثم لم يحظ من الحياة بما يريد ؟ ثم ألم يلبس الدجى والليل هادىء « والنجم يحسبه ثامناً للسبعة الشهب » ولكنه مع هذا ، ومع كل هذا غير مجدود ، ومافتئت يد المقادير تقصيه عن الأرب ؟

واستلان الحياة فجمدت ، واستعطفها فغلظت ، ولاطفها فلم تزدد الاشحاً وبخلا ، وطرق على السعادة كلَّ باب فلم تزدد الا اباءً وشروداً . ولما أعيته الحيلة مع الحياة ، وفاضتْ الكأس ، وطفح الكيل ، جاهرها هو الآخر بعدائه ، وأعلن عليها حرباً كلامية شعواء وشنها غارة حامية الوطيس ، فرماها بما رمى ، فهى العاهر البغى اللعوب القلب ، ما سرّت يوماً إلا أبكت فى غده ، وأنها قد أضرت به فهام باختها هرباً منها وفراراً ، واستحسن مذهب مانى صاحب نظرية تعجيل الفناء بقطع النسل فقال :

لعل « مانى » لاقى ما أكابده فودَّ تعجيلنا من عالم الشَّجَبِ !

وحلق فى الجو الذي حلق فيه أبو العلاء فانطلق يقول :

عليكِ جنيتُ يا نفسى وقبلى عليكِ جنى أبى فدعى عتابى !

وعتبَ على نُوح حملَ الناس معه وقد كان فى مكنته أن يتركهم يغرقون فيستريحون ويريحون ، وهو لهذا لم يُخلص للناس النية ولم يمنحهم الودّ الصحيح :

ويا نُوحاً جنيتَ على البرايا ولم تمنحهمُ الودَّ الصحيحا
علامَ حملتَهم فى الفُلكِ ؟ هلا تركتهمو فكنتَ لهم مُريحَا ؟

ولا أريد فى هذا المقام أكثر من أن يضع القارىء صورة حافظ العابسة التى ترتسم فى ذهنه بعد قراءته هـذا الكلام بجانب صورته الأخرى : صورة حافظ الطروب الضاحك المداعب !

حافظ الذى ذكرنا له من البؤس والتبرم بالحياة والضجر منهـا والثورة عليها ما ذكرنا هو حافظ الذى يملأ كل جوّ يحيط به مجانة ودعابة وفكاهة ، هو حافظ الذى يتنادر الأدباء بحديثه ، ويتنادرون بنكاته حتى قال العقاد على قبره :

أبكاء وحافظ فى مكان ؟! تلك احدى عجائب الحدثان !

صورتان للرجل : أولاها عابسة يائسة بائسة ، والثانية ضاحكة صاخبة ماجنة ! صورتان متباينتان على لوحة واحدة هى الحياة !

كيف هذا ؟

وهل هـذا معقول ؟ الأمر لا يحتمل جدلاً ، فانه واقع والواقع لا يرتفع . إذاً فكيف نفسر هذا ؟ كيف نفسر البؤس يعتنق المجانة ؟ !

لعل مجانته كانت ضرباً من التهكّم بالحياة والسخرية وعدم الحفل بهـا ، فهو يتهكم بالحياة ويسخر بالدنيا ، ويصوغ ذلك فى قالب من الفكاهة تحمل على أجنحة الضحكات أقسى معانى الألم ، وأبلغ معانى البؤس ، فهو إذ يرسل لك نكاته يصوّر لك حالة نفسية فى صورة بهجة تتقطع لها نياط قلبه فى الوقت الذى تمتلىء الاشداق ضحكاً لها ، وسروراً بها .

وهذا معقول ومقبول أيضاً ، لولا أن حافظاً الذى أعرفه لم يكن من فلسفة الالم الى هذا الحد بل ولا الى غير هذا الحد .

إذاً فكيف نفسر المجانة تُؤالف البؤس ؟

ألا يصح أن يكون ألم الرجل البالغ نقله طفرةً من طور البؤس الى طور المجانة ؟! النظرية فى ذاتها من حيث هى نظرية سليمة ، فان الشىء اذا زاد عن حدّه انقلب الى ضدّه ، وأنت تشاهد كثيراً من الذين يصابون بفادح الخطوب ينقلبون كالمحمومين هاذين ضاحكين بل وربما معربدين راقصين !

إذا صحّ هذا فهل لا يصح أن يكون حال حافظ من هذا النوع ؟!

معقولٌ أن يكون ، ومقبول أيضاً ، لولا أن ابتئاس حافظ لم يكن من هـذا فى شىء ولم يكن حافظ فى ذاته من هذا فى شىء .

إذاً فكيف نستطيع أن نفهم أنه كان بائساً ماجناً ؟!

ألا يكون الرجل لما نزلت به الهموم — وهى أثقل الضيوف ـ وضاق بها ذرعاً ، لم يجد طريقاً يرفه عن نفسه بها الا طريق المجانة فارتمى بين أحضانها يشرب من وردها سائغاً يغسل الهموم ، وينفس عن القلوب ، ويروّح عن النفوس .

وهذا هو الآخر معقول ، وربما كان مقبولا ، لولا أننا نتساءل لماذا لا ينفس عن نفسه الا حينما تزوره المادة أو تؤاتيه ظروف المجانة ، ولو كان هـذا صحيحاً لتطلبها الرجل كلما حزبه الهمّ وفدح ، ثم انه لو كان واقعاً لما كان مطبوعاً عليه بل لجاء متكلفاً ظاهر التكلف .

إذاً فبماذا نعلل هذا ؟

ألعله كان مطواعاً للظروف والأحوال : فهو بائس يوم تنزل به ظروف البؤس ماجن ساعة تواتيه ظروف المجانة ، فلهذا ظروفه وملابساته ولتلك ظروفها وملابساتها . وقد كان يتفق لحافظ أن يقع فى يده قسط من المال غير قليل ، فلا يكاد يستقر فى حافظته حتى يتطاير الخبر الى وليجته والى وليجة وليجته ، فيجتمعون على ما يجتمعون ، ويقضى شاعرنا سويعات أنسه ، وأويقات سروره ، حتى اذ ما نضب المال وهو لا بدّ ناضب رجع الهزار الى وكره حزيناً بائساً مهيضاً . إذاً فحافظ بائس يوم بؤسه ، ماجن يوم أنسه .

وهذا معقول ومقبول أيضاً ، لولا ... لولا ...

لولا ماذا ... ؟!

لا شىء ! لاشىء فان هـذا هو الواقع ، وبه نستطيع أن نجمع بين صورتيه المتناقضتين فيما يبدو للناظر ، وهى ناحية أهملها اخواننا الكتاب لانكبابهم على شعره وتركه هو فيما دون ذلك !

وبعد فقد كان يجدر بنا أن ندرس أمثال تلك المناحى فى حياة الراحل العظيم ، وهى كثيرة لم يكتب عنها الكتّاب الا عرضاً وتلميحاً .

ايها السادة الادباء ! لن نستطيع أن نفهم الشاعر من شعره حتى نفهمه هو حق الفهم ، وكم كنت مستغرباً للدكتور طه حسين أخذه على العقاد أن يكتب عن ابن الرومى فى غير شعره الى هذا الحد !

أحسب أنه اراد أن يأخذ عليه إهماله شعره ؛ وهل كان الشعر الا صدًى لامثال تلك العوامل ؟ والباحث العميق من نفذ من القشور الى المصاص ، ومن الألياف الى اللباب ؟

طاهر محمد أبو فاشا

بداهة حافظ

كان حافظ ، رحمه الله ، حاضر النكتة ، حلو الحديث ، طلق اللسان ، سريع البديهة ، وهاك مثلاً على ذلك : —

زار حافظ — أيام بؤسه — مدينة السنبلاوين ، فأضافه كبير من عائلة (سليط) وهو صادق افندى سليط — فلما دخل حافظ المنزل مع مضيفه ، جلسا فى بهو من الأبهاء الفسيحة ، وكانت صورة صادق افندى الزيتية الكبيرة معلقة على جدار من جدران هذا البهو ، فطلب منه صادق افندى أن يصف هذه الصورة ووعده خمسة جنيهات على كل بيت يقوله ، واشترط عليه ان لا يستغرق فى نظم البيت الواحد أكثر من دقيقة واحدة ، ثم اختار له البحر والقافية ، وأمسك الساعة تواً — فاذا بحافظ يتحف الحاضرين بخمسة أبيات جميلة جداً لا أتذكر منها إلا هذين البيتين وهما :

سألنا عزيزَ المجدِ اهداءَ صُورةٍ ... تموجُ بها أوصافُه والخلائقُ

فقال لنا لما رأى رسمَ صادقٍ : ... خذوا صورة الأمجاد، فالمجد صادقُ

فنال بذلك الجائزة ، وكم كانت دهشة الجميع عظيمة عند ما قال لهم صادق انه استغرق فى نظمها أقل من الوقت الذى أجازه اياه بدقيقتين — وليس يخفى على أحد ما فى البيت الثانى من التورية الظريفة أيضاً . وهذا مثل واضح على حضور ذهنه ، وسرعة بديهته ، وذلاقة لسانه .

فلئن فقده الشعر والأدب فانّ فقده عظيم ورزءه جسيم ، ولئن بكاه الناطقون بالضاد فى أنحاء المعمورة فقد بكوا ملكاً متوجاً فى ميدان القول نثراً أونظماً ، رحمه الله رحمة واسعة ؟

محمد سعيد السحراوى

حافظ الخالد

يا حسانَ القريض عهدُ الحدادِ قد أتى فارتدى ثيابَ السوادِ
شاعرُ النيل حافظٌ مات فاشدى بأغانى الأسى على الاعـوادِ
مات مَنْ شعرُهُ جديرٌ بتبرٍ ذائبٍ أن يُخطَّ لا بالمدادِ
فأقيمى عليه مأتمكِ الأكبرَ وأتى اليـه من كل وادِ

« • »

ربة الشعرِ ما فقدتِ كهذا م الشاعرِ العبقرىّ من عهدِ عادِ
مات من كان فى رياضك لا ينـ فكّ يمشى مع الصبا وهو شادِ
فبكاه الهزارُ اىّ بكاءٍ فى الرُّبَى فوق غصنه الميَّادِ
وتمشَّى الغديرُ وهو من الأحزان م دوماً يئنّ بين الوهادِ

« • »

ربةَ الشعر انّ حافظَ أودَى فإليه نادى بناتِكِ نادِى
واضربى حولَ نعشهِ فى رُبَى الـ خلدِ نطاقاً من الحسانِ الخِرادِ
ولتضمه يدا نسيم الصبا فى كفنٍ من نديّة الأورادِ
وليَنُحْ كلُّ رائحٍ فى السموات م وفى الأرضِ ولينحْ كلُّ غادِ

« • »

أيها الشاعرُ العظيمُ أبنْ لى حالةَ النابغين فى الألحادِ
أترى الموتَ غفلةً من بلايا الـ عيشِ أم أنه نظيرُ الرقادِ
أترى فى ضريحهِ جسدُ الشاعر يَبلى كسائرِ الأجسادِ
أم حسانُ القريض تكلؤهُ دوماً وتحميه من بلًى وفسادِ
قفْ على منبرِ القبورِ وانشدْ شعرَكَ الجزلَ أيّما إنشادِ
أيها الشاعرُ اشرحْ الموت لى انى م إلى الموتِ فى شبابىَ صادِ

شبّهْ الموتَ لا كما شبهوه — من قديمٍ بمنجلِ الحُصّادِ
ذلك الموردُ الذى منه ماعا — د لنــا واردٌ مِنَ الوُرّادِ
ذلك المنجعُ الذى ليس يهوا — ه امرؤٌ وهــو ملتقى الرُوّادِ
صفْ لِىَ الروحَ كيف باللهِ بَعْدَ ا — لموت تبقى على مدى الآبادِ
وصفْ القلب هل يصير خلالَ ا — لتربِ خلواً من لوثة الاحقادِ
أترى يستريح من ألْسُنِ الوا — شينَ فى القــبرِ أو من الحسادِ
أترى فى التراب يرتاح من كيـ — ـدِ الأعادى وطارئات العوادِى
إن نكن للنفاد طرّاً ففسّرْ — لِىَ معنى الحيــاة والايجادِ
أو تكُ الروحُ للفناء فخيرٌ — من همومِ الحياة عيشُ الجمادِ
أو يكُ الجسمُ للنشور فأنّى — يتلاشى ويغتدى كالرمادِ

« • »

هل لنا مَنْ يُقيم بَعْدَكَ فى سُو — قِ عكاظٍ على سريرِ زياد ؟
هل لنــا من يهز شعباً غــدا يط — غى على الشرق تحت ستر الحيادِ ؟
هل لنــا من يبثنا العزمَ كىْ لا — نتوانى عن ردّ كيــد الأعادى ؟
كنت هذا جميعه أيها الشاعرُ — بل كنتَ شُعلةً للبــلادِ
فابكِ يا شرقُ حافظاً واندبى يا مصرُ مَنْ كان حافظاً للودادِ
وابكِ يا دهرُ شاعراً عبقريّ ا — لشعرِ أعلى لنــا لواءَ الضادِ
قد فقدنا من كان طول سِنيهِ — واقفــاً للطغاةِ بالمرصادِ

« • »

ملكَ الشعر قد ذهبتَ وما خلفتَ فى مُلْـكِهِ سوى أجنادِ
هل نلاقى خليفةً لكَ يا (فر — عونُ) يوما فى قومِكَ الامجادِ ؟
انمــا الأنفس الكبارُ سيوفٌ — ينتضيها الردى من الاغمــادِ

(حيفا — فلسطين) : مؤيد ابراهيم ابراهيم

في سماء الفن

إلى روح حافظ

أضاء بلبل الحياةِ فأضحى نهاراً جميلاً بغير مساءْ
وأضحى هجيرُ الخلودِ ظلالا وظلّ الخلود بديعَ الرواءْ

« • »

توارَى ولكن سناه طريفٌ ينير الحياةَ ويجلو السماءْ
ويحبو الوجودَ بسرٍّ عميقٍ ويحمى الفنون رهيب الفناءْ

« • »

رأينا خلالَ الظلام بريقاً فجدّدَ فجراً بليغَ الصفاءْ
وبين الركون المميت تَسامى فعلّم موتى النفوس الاباءْ
ولكن هدايا الزمان رياءٌ فأين عطاءٌ حواه الوفاءْ ؟
وأين شعاعٌ نبيلٌ تَهادى يذيب الغموضَ ويمحو الخفاءْ ؟

« • »

توارَى ولكنْ سناه طريفٌ ينير الحياةَ ويجلو السماءْ
ويحبو الوجودَ بسرٍّ عميقٍ ويحمى الفنون رهيب الفناءْ

المهدي مصطفى

تشكرك سورية يا حافظ

فارقـد بسلام !

مات حافظ ابراهيم وكان أعظم الناس لوعة عليه أهل سورية . ولا غرو ، فحافظ لم يكن لمصر بكليته ، بل كانت أفكاره أبداً تسير وتنطلق نحو ذلك القطر الذي عرف في أبنائه خلاناً أوفياء ، ورفاقاً خلصاء .

بكته سورية ولم تشأ أن تتعزّى عن فقده . بكت فيه صديقاً حفياً ، بكت فيه حبيبا غالياً ، بكت فيه ابناً ثانياً ، وعزاؤها فيه صعب المنال . واني أجاهر بأن

لحافظ منزلة لدى أبناء سورية لا يدانيه فيها شاعر مصرى آخر ، بل أقدر أن اصرّح ان اجلالهم له يفوق اجلال أبناء النيل لشاعرهم !

كان حافظ مصرياً صميماً ، يتعدله بحب مصر ، كثير الوجد بها . لكنه أحبّ سورية حباً مماثلاً لوطنه ، فخلع عليها من قصائده خير بردها ، وجللها من ألحانه بأشجاها ، ولم ير غضاضة أن يصيح :

لى موطن فى ربوع النيل أعظمه ... ولى هنا فى حماكم موطن ثان
انى رأيت على أهرامها حُلَلاً ... من الجلال أراها فوق لبنان
حسبت نفسى نزيلاً بينكم فاذا ... أهلى وصحبى وأحبابى وجيرانى

ولا يرى وجهاً للملامة فى تعلقه بحب أبناء الشام ، وفرط ولائه لهم ، وانه ليجد نهاية الفخر فى هذه المودة ، فيذيع على رؤوس الاشهاد :

إن يكتبوا لى ذنباً فى مودّتهم ... فانما الفخر فى الذنب الذي كتبوا !

كان فذاً بين أقرانه شعراء مصر ، كان علماً بين الدّاعين الى الوئام ، كان فريداً فى نشره ألوية المحبة بين ابناء القطرين ، ولقد أجاد فى وصفه العلائق بينهما :

اذا ألمّت بوادى النيل نازلة ... باتت لها راسيات الشام تضطرب
وإن دعا فى ثرى الأهرام ذو ألم ... أجابه فى ذرى لبنان منتحب

وطالما أشار إلى ان السوريين هم دواماً عند حسن الظن بهم ، يجعلون همّهم الأوحد خدمة كل بلد نزلوه ، وكل قطر حلّوا فيه ، بذات الاخلاص وذات المحبّة التى يخدمون بها بلادهم . وطالما أشار الى جهادهم فى مصر :

إنّا رأينا كراماً من رجالهم ... كانوا عليهم لدينا خير عنوان
كم فى نواحى ربوع النيل من طُرف ... لليازجىّ وصرّوف وزيدان ؟
وكم لاحيائهم فى الصحف من أثر ... له المقطم والاهرام ركنان ؟

ولم يكن ليقتصر عند ذكر الصداقة والاخاء فحسب بين مصر والشام ، فلكم افتخر بمفاخر السوريين كمن يفتخر بمحامد آله وعشيرته . أنظر اليه يقول فى حماسة وحمية وفخر :

بأرض «كولمب» أبطالٌ غطارفةٌ أسدٌ جياعٌ اذا ما ما وُوثبوا وثبوا
لم يحمهم علمٌ فيها ولا عددٌ سوى مضاءٍ تحامى ورده النوبُ
أسطولهم أملٌ فى البحر مرتحلٌ وجيشُهم عمل فى البر مغتربُ
لهم بكل خضم مسربٌ نهج وفى ذرى كل طود مسلك عجبُ
لم تبد بارقة فى أفق منتجع إلا وكان لها بالشام مرتقبُ

أو ما صاح به ههنا :

عافوا المذلةَ فى الدنيا فعندهم عزّ الحياة وعزّ الموت سيانِ
لا يصبرون على ضيم يحاوله باغٍ من الانس أو طاغٍ من الجانِ
تيمموا أرض «كولمب» فما شعرت منهم بوطء غريبِ الدار حيرانِ
سادوا وشادوا وأبلوا فى مناكبها بلاء مضطلع بالامر معوانِ
فى الكون مورقهم فى الشام مغرسهم والغرس يزكو نقالاً بين بلدانِ
إن لم يفوزوا بسلطان يقرّهم ففى المهاجر قد عزّوا بسلطانِ
أو ضاقت الشام عن برهان قدرتهم ففى المهاجر قد جاءوا ببرهانِ

لا يرضيه ذلك فقط ، بل انه ليذكر يد سورية على العالم وأثرها فيه حتى اليوم ، وانه ليشير من طرف خفى الى عبقرية الفينيقيين — أولئك الاجداد الذين عركوا الدهر وأبلوه ، ولم يقدر بنوائبه على محق مفاخرهم وآثارهم — وانه ليبدى صراحة ان الغربيين من اميركيين وسواهم يفون ذمامهم نحو سورية بانشائهم دور التعليم فيها :

أرى رجالاً من الدنيا الجديدة فى الدنيا القديمة تبنى خير بنيانِ
قد شيدوا آيةً بالشام خالدة شتى المناهل تُروى كل ظمآنِ
لئن هدوكم لقد كانت أوائلكم تهدى أوائلهم ازمان ازمانِ
لا غرو إن أعجزوا فى الارض وابتكروا فيها أفانين اصلاحٍ وعمرانِ
فتلك دنياهمُ فى الجو قد نزعت أعنة الريح من دنيا سليمانِ

ما ذا أزيد بل ما ذا أقتطف من ثمار شعره الشهية ؟ لا أدرى والله أى شىء أختار وأيه أغفل؟ وليس لى إلا أن أحيل القارىء على ديوانه وعلى قصائده المنشورة هنا وهناك فى الصحف والمجلات — التى لا يريد جمعها أحد . . . وأخاف على حظ

حافظ العاثر أن يفنى فى حظ شوقى المجدود ، فلا يُلتفت إلى جمع آثاره وحفظها !

وقف حافظ فى منتدى الجامعة الاميركية فى بيروت يرثى نفسه فى ذات القصيدة العصماء التى مدح بها الشام ، يرثى نفسه فى ألم وحرقة . . . يرثى ذاته أمام من أحبّوه وأجلّوه ، ولم يجدوا كيفية يعبرون بها عن شعورهم العميق تجاهه سوى تلك الحفلة الأدبية الكبرى يشيدون فيها بمآثره وفضله ، وتلك الحفلات العديدة فى دمشق وسواها إمعاناً فى التكريم والشكران ، وذلك الوسام بعلقة رئيس الوزارة على صدره .

وقفَ يذكر بؤسه ، ويشكو زمانه ، ويتحسر على حياته ، ويتمنى لو أُتيح له انتجاع الصحة دائماً فى رياض لبنان وجباله الشمّ ، فيصيح من كبد حرى:

يا ليتنى كنتُ من دنيايَ فى دعةٍ قلبى جميعٌ وأمرى طوع وجدانى
أقضى المصيفَ بلبنان على شرفٍ ولا أحول عن المشتى بحلوانِ

ثم يعود فيعرج على ذكر الموت ، ويحنّ اليه ، ويرتقب مجيئه ، وتكاد تشعر بقرارة نفسه تكاد تسيل أسى بين كلماته المحزنة :

ولّى الشبابُ وجازتنى فتوّتهُ وهدّم السقمُ بعدَ السقمِ أركانى
وقد وقفتُ على الستين أسألها أسوّفت أم أعَدّت حُرَّ أكفانى؟
شاهدتُ مَصرعَ أترابى فبشّرنى بضجعةٍ عندها رُوحى وريحانى
كم من قريبٍ نأى عنى فأوجعنى وكم عزيزٍ قضى قبلى فأبكانى
إنى مللتُ وقوفى كل آونة أبكى وأنظم أحزاناً بأحزان!

لقد ملّ حياةً لم تبذل له سوى مرارة وحنظل ، ولم تكشف له يوماً عن صدرها إلا لتريه إياه مدججاً بسهام النوائب والحزن . ملَّ حياة وجهها باسم وقلبها غدار لا يكاد يغره منها سنا محياها حتى تجابهه بنصالها المحددة ، تخترق كعبة آماله ، وتهدمها الى الحضيض .. فماذا له بها ؟ وها قد جاءته المنية أخيراً ، فاخترمته ، وحرمت اهله وصحبه وخلانه صحبته الرقيقة ، ولم تكد تضمه تحت طبقات الثرى فى ذلك القبر الموحش الحقير ، حتى أخذت اليها شاعراً كسف بصيته وعبقريته : ذكرى شاعر النيل !

فى الحياة والموت لم يصادف حافظ إلاحسكا وشوكاً . فى الحياة والموت لم يلق إلا غمطاً وتجاهلا ، فحق له وهو يعلم حظه المنكود ان يتوق الى الموت ، ليستريح من العناء ويرتاح من رؤية هذه المضادّات تقتحم عليه عرين راحته ، وتكاد تسدّ عليه منافسه ، فتذيقه من علقمها الواناً واشكالاً !

ايْ حافظ !

ان السوريين قاطبة ليكرمون فيك دائماً اخاً وصديقاً وحبيباً . يكرمون فيك شاعراً عظيماً ، شاعراً أشاد بمفاخرهم ، وحاول الجمع بين القلوب . وهذه التحية التى يزفها اليك احدهم فى هذه السطور يرجو ان تنوب لدى روحك النبيلة ، ولدى أبناء وطنك ، عن سورية وبنيها الرابضين فى الوطن والمهاجرين فى اطراف العالم . فأنت وإن مت وغادرت دار الاحياء الى دار الخلود والبقاء ، فانّ ذكراك حيّة خالدة فى أفئدة السوريين ، منقوشة ابداً على صفحات قلوبهم .

وفى ذمة الله ياحافظ ؟

ميشيل سليم كبير

المديح والشكوى والرثاء

فى شعر حافظ

لحافظ أشعار كثيرة فى مواقف عدة ومناسبات مختلفة ، ولهذا لُقِّب بالشاعر الاجتماعى ، وشاعر النيل ، وشاعر الشعب ، الخ . وهو جدير بهذه الألقاب ، إذ أنه الشاعر الوحيد الذى كان ينطق بلسان الشعب ، فيتألم لآلامه ويفرح لما يسره . وأقرب وصف لنفسية حافظ هو ما وصفه به خليل بك مطران من مقالة ذكر فيها : «ولع بالاجتماعيات فقال فيها وأجاد ما شاء ، كبير الآمال عاثر الجد ، تجد على أكثر منظومه أثراً من ألم النفس أو مسحة من الشكوى ، وتحمل بعض حروفه من بثّه ما يلدغ لدغ النار الكامنة فى غير متّقد»

ان لحافظ أشعاراً فى شتى المناسبات ومختلف المواقف كما أسلفنا : فاذا مدح فهو الشاعر الفذ الذى يخلع على ممدوحه ثياب الفخر والبهاء الى أبد الدهر ، وإن شكا من الزمان ومن مفارقة الأوطان والاهل والخلان صوّر لك روحه كأنها تتقلب على

الجمر فهي تعاني من الآلام ما تعاني . وما كان من أشعاره في الرثاء فهذا مما لا يجاري فيه ، فهي بجملتها دموع من قلبه تقطر دماً فلا عجب أن يجيد حافظ المراثي بعد أن نعلم أن ذلك الشاعر العظيم نشأ على البؤس والشقاء ، ولا زال يغالب الأيام وتغالبه حتى ألقى السلاح أخيراً ليرتاح الراحة الأبدية التي لا تعب فيها ولا نصَب.

لنبدأ أولاً باشعاره في المديح : قال من قصيدة يمدح بها الشيخ محمد عبده وهي في غاية الاحكام وحسن الانسجام ، وحسبك ان تنظر كيف ذلل القوافي وجعلها سلسة الانقياد ، وكيف خلد ممدوحه في هذه الابيات الخالدات : كما خلد نفسه في طليعة الشعراء الخالدين :

قالوا : صدقت ، فكان الصدق ما قالوا ... ما كل منتسب للقول قوّال

هذا قريضي وهذا قدر ممتدحي ... هل بعد هذين إحكام واجلال ؟

اني لأبصر في أثناء بردته ... نوراً به تهتدي للحق ضلال

حللتُ داراً بها تُتلى مناقبه ... ببابها ازدحمت للناس آمال

رأيت فيه بساطاً جلّ ناسجُه ... عليه فاروقُ هذا الوقت يختال

بعشيقٍ بين صفّيْ حكمةٍ وتقىً ... يحبها الله لا تيهٌ ولا خال

بيت من الشعر يرنّ صداه في الآذان فيجاوزها فيعم الدنيا صارخاً :

هذا قريضي وهذا قدر ممتدحي ... هل بعد هذين احكام واجلال ؟

فيجيبه لسان الدهر قائلاً :

لا ورب البيت ، لا أرى أكرم من هذا الاجلال . وأي اجلال أحكم من الذي يخلد في صحيفة لا تنسى إلى آخر يوم من أيام الدنيا ؟ فليهنأ قائله وليهنأ من قيل فيه بالخلود الأبدي !

أما ترى الرجل في الأبيات التالية من قصيدة يمدح بها ادوار السابع ملك الانجليز يوم تتويجه كيف حنكته نوائب الأيام فجعلته خبيراً بأحوال الانجليز وسياستهم الملك وتدبيرهم شؤونه ودهاءهم أكثر من غيره ممن اتصل بهم :

خبرتهم فرأيت القوم قد سهروا ... على مرافقهم والملك قد سهرا

تشاوروا في أمور الملك من ملكٍ ... الى وزير الى من يغرس الشجرا

وكان فارسهم فى الحرب صاعقة   وذو السياسة منهم طائراً حذرا
بالبرّ صافنة داست سنابكها   مناجم التبر حتى عافت المدرا
وفى البحار أساطيل اذا غضبت   تر البراكين فيها تقذف الشررا
وهن فى السلم والايام باسمة   عرائس يكتسين الدلّ والخفرا

لا ريب ان الرجل بعيد الفراسة ينظر لكل ما يحيط به نظر حصيف مدرب لا تتعداه فائتة ولا تفلت منه .

لنجُسْ خلال بؤسه وآلامه واتعابه ، ولننظر الى أى حد وصل به ذلك البؤس المرهق الذى لا يصمد له من الرجال الا الأفذاذ القلائل :

وددتُ لو طرحوا بى يوم جئتهم   فى مسبح الحوت أو فى مسرح العطب
لعل (ما نىّ) لاقى ما أكابده   فودّ تعجيلنا من عالم الشجب

هكذا فليكن قرض القريض مترجماً عما فى نفس صاحبه وما يساورها من خوالج . لازمه البؤسُ والنّصبُ من عهد الشباب الى أيام الشيخوخة الا قليلا منها ، فأرسل الشكوى الحارة المحرقة تقطع نياط القلوب وتفتت الأكباد وتناضل عن العبقرية وحقوقها عند الجمهور المستهينبها .

أو ما تراه كيف يأسف على ما جشّم نفسه من ركوب الأخطار والاتعاب ، لولا أحكام القدر القاسية التى جعلته يكتسب رزقه مضطراً بهذه الحالة المضنية ؛ وكيف عاد يعتذر لنفسه عما لاقته من اتعاب ، وان سبب اتعابها راجع الى والده الذى عمل على ايجاده فى هذه الدنيا ، وقد زاد على قول المعرى :

هذا جناه أبى علىّ   وما جنيت على أحد

بأن أشرك نفسه مع والده فى الذنب إذ يقول :

رميت بها على هذا التباب   وما أوردتها غير السراب
وما حملتها الا شقاء   تقاضينى به يوم الحساب
جنيت عليك يا نفسى وقبلى   عليك جنى أبى فدعى عتابى

الى أن قال من هذه الشكوى المؤثرة :

سَعيت وكم سعى قبلى أديب   فآبَ بخيبة بعد اغتراب

وما أعذرت حتى كان نعلى دماً ووسادتى وجه التراب
وحتى صيرتنى الشمس عبداً صبيغاً بعد ما دبغت إهابى
وحتى قلم الاملاق ظفرى وحتى حطم المقدار نابى

ولعمر الحق لو حاول أمهر المصورين ان يصور مابسطه حافظ من شكوى فى هذه الأبيات القلائل لما استطاع ، وكأنى أراه خارجاً مع الجنود فى بعض المهام الى بلد بعيد وقد تقطع نعله من كثرة المشى ، فظل يسعى حافياً وقد بلل دم قدميه وجه الثرى ، حتى اذا أدركهم الليل نام ملتحفاً الأرض كغيره من الجنود فاذا أشرقت الشمس فى صباح الغد عاودوا المسير وقد تضاعفت حرارة الشمس بما يصهر الجلود ويغلى الأدمغة . ولم يزل هذا ديدنه فى الأيام التى كان فيها ضابطاً بالسودان فى الجيش المصرى حتى أحالت لفحة الشمس وجهه المشرق بالبياض ونضرة الشباب إلى وجه قد علاه السواد كما يعلو الصدأ سيفاً لبث فى غمده أعواماً — فيا لها من أقدار ساخرة لا ترحم، تلك التى جعلت شاعر مصر الاجتماعى العظيم يتذمر من الحياة ويشكو من أتعابها ! يا لها من أقدار تلاعبت به كتلاعب القط بالفار حتى قال :

فلو ساق القضاء الىّ نفعاً لقام أخوه معترضاً شحيحاً

والآن فلننتقل من شقاء متواصل إلى أدمع من دماء سكبتها روح ذاقت مرارة الألم وطعم العلقم .

قال من قصيدة يرثى بها المرحوم الشيخ محمد عبده :

سلامٌ على الأسلام بعد محمدٍ سلامٌ على ايامه النضراتِ
على الدين والدنيا ، على العلم والحجا على البرّ والتقوى ، على الحسنات

فأنت بمجرد قراءتك لهذين البيتين فى مطلع القصيدة تعرف مبلغ الحزن العميق الذى نال الشاعر بفقد الأمام — حزن من أحسّ بعظم المصاب وفراغ المكان فى وقت كان الاسلام فى أشد الحاجة الى بقائه ليخرس ألسنة الأفاكين . والقصيدة بأكملها تبرهن على حزن ناظمها حزناً لا تشوبه شائبة رياء أومجاملة .

بماذا تشعر حين تقرأ الأبيات الآتية ؟ ألا تشعر معى بعظم الخسارة الفادحة وقد صور ذلك الشاعر تصوير مفجوع ثاكل فأبدع التصوير حيث قال :

تباركتَ هذا الدين دين محمد أيترك فى الدنيا بغير حماةِ ؟

تباركت هذا عالم الشرق قد قضى ولانت قناة الدين للغمزات

الى أن قال :

فيا سنة مرت بأعواد نعشه لأنت علينا أشأم السنوات

حطمت لنا سيفاً وعطلت منبرا وأذويت روضاً ناضر الزهرات

وأطفأت نبراساً وأشعلت أنفساً على جمرات الحزن منطويات

الى أن قال مصوراً للحزن الذى استولى على الشرق خاصة والعالم الاسلامى عامة بفقد ذلك العالم الجليل :

بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة وضاقت عيون الكون بالعبرات

ففى الهند محزون وفى الصين جازع وفى مصر باك دائم الحسرات

وفى الشام مفجوع وفى الفرس نادب وفى تونس ما شئت من زفرات

بكى عالم الاسلام عالم عصره سراج الدياجى هادم الشبهات

وهاك أبياتاً من قصيدة قالها فى حفلة تأبين المرحوم مصطفى باشا كامل يترجم بها عن الحزن الذى استولى على الناس عند وفاته وشعورهم نحو فقد زعيم الوطنية العظيم :

تسعون ألفاً حول نعشك خُشَّعٌ يمشون تحت لوائك السيار

حطُّوا بأدمعهم على وجه الثرى للحزن أسطاراً على أسطار

آناً يوالون الضجيج كأنهم ركب الحجيج بكعبة الزوّار

وتخالهم آناً لفرط خشوعهم عند المصلّى ينصتون لقارى

غلب الخشوعُ عليهم فدموعهم تجرى بلا كلح ولا استنثار

الى أنْ قال:

كم ذات خدر يوم طاف بك الردى هتكت عليك حرائر الافكار

سفرت تودع أمةً محمولةً فى النفس لا خبرا من الأخبار

لا ريب أن حافظاً أجاد تصوير الفاجعة على حقيقتها الواقعة تماماً . فهو بعد أن تكلم عن ذوات الخدور وخروجهن فى جنازة الفقيد ليشيعنه الى مقره الأخير وقد مزقن أستار الحجاب وجاهرن بالسفور أمام الجماهير المشيعة للفقيد عاد فشبه

الفقيد بأمة . لتقديره له كزعيم وطنى يطالب باسترداد حقوق بلاده . وقد صدق فى هذا التشبيه فكل من يسعى فى تحرير بلاده فهو لا شك قلبها النابض وفكرها الثاقب إذا فقدته فلا حياة لها بعده — بعد سكون قلبهـا من خفقانه وخمود فكرها بعد توقده — حتى يقوم فيها بعده داعٍ أو دعاة يسعون فى تحقيق أمانى البلاد فتُبعث من جديد بعد الموت مع الأمم الحية .

والآن لنضع القلم عند هـذا الحـد مكتفين بهذا النذر من حيـاة (الشاعر الاجتماعى) الأدبية فقط . أما حياته الخاصة فلنترك الكلام عنها للمتصلين به من أبناء مصر المجيدين ولنترك الدهر منشداً بلسانه :

خالدَ الآثارِ لا تخشَ البلى ليس يبلى مَن له ذكرٌ خلَدْ

الجزيرة ابا - السودان : **بشرى السيد أمين**

سيرة حافظ

الى الشاعر البائس شاعر الانسانيـة المعذبة الناشر الحق والنور ، الشبيه بتلك الشمعة التى تذوب لتضىء لغيرها ، المتعلق بأهداب الوطن الجريح ، ذلك الذى هدمت آماله وبدّدت أمانيه ، وبعثرت أحلامه ومات وهو يردد « مصر فوق الجميع »

الى روحه الطاهرة المرفرفة بجناحيها فى سماء آلهة الشعر بجانب عرائس الجنات فى عالم الخلود ، اليك يا حافظ أهدى رسالتى . . . . .

١ — مولده

فى فجر يوم من أيام سنة ١٨٧١ بديروط وأسرته فى عيدها الأوحد تستقبل ابنها الأوحد الذى أبت الأقدار أن تبعث به من عالمها الرهيب المجهول إلى عالم الخلد بصوره وآياته الا فى ذلك الوقت الأخير وقد رفع أبوه طرفه الى السماء مردداً : « اللهم لك الثناء العاطر والشكر الجميل » !

وظل ذلك الوليد العزيز ينعم بقبلات أبويه صباح مساء حتى بلغ السنتين أو يزيد ، ثم نُكِبَ بموت والده الذى تركه بين أحضـان أمـه التى أضناها الأسى وحزّبها الألم وقضت من بعده وهى تتمنى لو أن تفتدى ما فى حياتها من زينة وبهجة وسعادة ومال ببقائها ولو بضع سنين حتى ترى حافظها يسير سير الرجال

ويحدثها كأم وقد امتلأ عافية ونضارة وجمالاً ، وكفله خاله وربّاه وقد ضاعت ثروة أبيه وأضحى لا عائل له غيره .

٢ — طفولته

ليس أمامنا من المصادر والتحقيقات ما يشير إلى طفولة حافظ بكثير ولا قليل غير حادث يتمه المبكر هذا الذى أثّر فى تكوين شخصيته إلى حد أن يقول التونى عنها : « ويظهر أن لذلك اليتم المبكر أثراً فى تكوين شخصية حافظ الدفينة الحزينة فلقد كان حافظ فى قرارة نفسه كما سيتبين بعد حزيناً ، فكان إذا خلا إلى نفسه أو إلى صديق ظهرت خفايا نفسه ، وإذا قال الشعر كان عليه مسحة كبيرة من ذلك الحزن الدفين ولذلك خلا شعره من الفكاهة وخفة الروح التى عرف بها المرحوم الفقيد فى المجالس والسوامر » . . .

أجل ، فالحزن قد طبعه بطابعه الخاص حتى انه كان لا تستجيب إلى ندائه آلهة الشعر إلا إذا ما بكى ، وفى ذلك يقول رحمة الله عليه : « لا يطيب لى نظم الشعر إلا إذا ما كنت محزوناً » .

إذاً حُرِمَ ذلك الطفلُ أبويه وأضحى يتيماً محزوناً ، محروماً تلك القبلات الحلوة الأبوية ، وهذا العالم أمامه قطعة سوداء قاتمة صاغتها يد الحزن والأسى .

أجل ، فقد قضى سنى طفولته وهو ذلك الحزين اليتيم الذى لا يشعر بعطف أب أو حنان أم ، ومدارسه التى جاس خلالها من الابتدائية حتى الجندية والشعرية يحوطها الحزن من كل مكان !

٣ — تعليمه

دخل المدرسة الابتدائية ثم لما نال جائزة التجهيزية ساءل نفسه : ما ذا أصنع ؟ وبأى مدرسة ألتحق ؟ وأى الرجال أحذو حذوه وأنسج على منواله ؟ فلم يظفر من نفسه بغير هذا الجواب : « الحربية والبارودى ! » لكنه عاد إلى نفسه وقال : لماذا ؟ فظفر بهذا الجواب : « ان قامتى المديدة الفرعاء وتركيبى القوى المتين هما الدليل الناصع على صلاحيتى للحرب ، وروحى الشعرية الجميلة التى يزورنى طيفها فى الامسية الحزينة والأصيل الضاحك هى التى تمكننى من القيادة العامة التى أتوق اليها ، وبذلك أحمل السيف والقلم عن جدارة واستحقاق » .

فكان له ذلك والتحق بالحربية وخرج منها برتبة ضابط وما لبث أن وزّع على السودان يحمل بين جنبيه قلباً مملوءاً بالآمال ينشد المجد وينظر إلى السماء .

لكنه تلفت حوله فى السودان فرأى شمساً محرقةً تلفح الوجوه بسعيرها وزملاء يغلب عليهم الجهل والجدب الروحى ، وان ذلك الحلم الذى نشده طالباً أخذ ينهار ، وهنا تتفتح عيون شاعريته أو بعبارة أخرى مدرسته الشعرية .

٤ — حياته

رأى اليد الانجليزية تسيطر على الجيش المصرى فزأر لكرامته المهدورة ، ورأى جهل اخوانه وشمس السودان المحرقة تحول بينه وبين نعيم الشاعرية الذى ينشده فى ظلال الجزيرة وأنديه العلماء ومجالسهم ، ورأى فى السودان برغم ما حبته الطبيعة من صور الجمال ذلك الجدب الروحى الذى يمقته ، وشكواه تتراءى لنا من خلال أبياته التى بعث بها من السودان إلى صديقه بيرم وقال فى مطلعها :

نزحتُ عن الديار أروم رزقي وأضرب فى المهامه والتخومِ

إلى أن يقول :

ولولا سورةٌ للمجد عندى قنعتُ بعيشتى قنعَ الظليمِ

ومن كتابه إلى أستاذه الإمام محمد عبده الذى يسأله فيه انتشاله من وهدته هذه فيمده خيراً ويرجع اليه ثانية يسأله : « مثل كتابى إلى سيدى وأنا من وعده بين الجنة والسلسبيل » الى آخر هذا السجع المملول الممزوج ببعض المقطوعات الشعرية الرقيقة ويمده الامام ثانية خيراً وظل حافظ متبرماً إلى أن قامت ثورة الضباط المصريين وأبعد حافظ إلى مصر مغضوباً عليه رهن المحاكمة مشدوه الفكر مبلبل الخاطر حتى صدر عفو الخديوى ورجعت اليه طمأنينته وحريته .وكانت هذه الساعة هى أحرج ساعات حياته إذ أنه رأى بعينى رأسه فشل الثورة العرابية وأستاذه البارودى معرضاً للمحاكمة ونفوذ المستعمرين قد ازداد وأمله الجندى ينهار والكرامة المصرية كأنها لم تكُ شيئاً مذكوراً .

ولما استقرت الأمور بعض الشيء رجع حافظ ثانية إلى الخدمة لكنه ما لبث أن طلق الجندية طلقة بائنة لا رجعة فيها مردداً هذه الانشودة : « أى يوم عرفت الحمائم غير سماء الحرية ونور السلام ! »

انقطع للشعر والترجمة والتأليف وعاش معيشة بوهيمية هى قطعة من خيال الشاعر الذى يأبى القيود والأقفاص ولو كانت من ذهب !

وعلى ما أذكر كان حافظ قد التحق بالمحاماة أمام المحاكم القديمة قبل اتصاله بالحربية وبعد ذلك واشتغل مع بعض أعلام المحاماة فى ذلك العهد .

ومنذ ذلك الحين وهو يرسل آياته التى أقضت جانب الاستعمار تارة والرجعية تارة أخرى ، والتى عرفت بأنها آيات الوطنية والاجتماع من شاعر الانسانية ومن شاعر النيل قبل كل شيء .

ولما أن تقدمت به السن رأى الحياة الأدبية راكدة آسنة وأتيح له عطف ولاة الأمور حينئذ فالتحق بدار الكتب المصرية فى سنة ١٩١١ وبقى فيها حتى أوائل سنة ١٩٣٢ فخرمنا شعره جل هذه الفترة الطويلة حتى اذا ما انقضت وأحيل إلى المعاش أرسل صيحاته التى اشتهر بها فى وجه الاستعمار والرجعية فى هذا العهد الأخير ، ولم تنقطع صيحاته هذي الابموته فى ٢١ يوليو سنة ١٩٣٢ .

٥ — بؤسه

خير من فطن من الكتاب إلى بؤس حافظ الأديب التونى إذ يقول: «هذا بؤس نفسانى روحانى ، وليس بؤس المادة والحاجة والطمع » .

أجل ! فبؤس حافظ ينحصر فى آماله المتهدمة وتماثيل مجده المحطمة وقصوره التى بناها فى الخيال ولعبت بها الرياح الهوج !

شاعر من شعراء الانسانية يحمل القلم والسيف يهز بالأول أوتار القلوب بمايبعثه من الآيات الرائعة تارة ، وأخرى يبعث الدمع السخين من المآقى بأناته الشاكية من الظلم والظالمين والرجعية والمستعمرين وجهل أمة متأخرة تناويء المصلحين وتشايع الرجعية الجاهلة وتؤيدها ونوم شرق راكد لا يفيق ، فالاستعمار يخنق الشعب والأمة تعبد الأصنام والموتى والشرق يقدس الجمود والركود !

يود لو أن سيفه يعمل فى الدائرة التى خلق لها كقائد عام فلا يجد جنودا بل يرى فلولا اثر فلول وهزيمة اثر هزيمة وما يتبع ذلك من المصائب والويلات .

فلما ذا لا يتملكه البؤس ؟ ولماذ لا تتهدم آماله ؟ ولما ذا لا يقول :

لكننى غير مجدود وما فتئت   يد المقادير تقصينى عن الأرب

وقد غدوتُ وآمالى مطرحة　　　وفى أمورىَ ما للضبِّ فى الذنب

اى وربى ، كان له أن يقول :

وحتى قلَّم الاخفاق ظفرى　　　وحتى حطم الافراط نابى

بدلاً من قوله :

وحتى قلَّم الاملاق ظفرى　　　وحتى حطم المقدار نابى

الاخفاق اخفاقه كقائد عام ينشد حياة جديدة للجيل الجديد والاجيال المقبلة ، والافراط افراط الشعب فى جهالاته وضلاله وغيه وغفوته الشبيهة بالموت الابدى !

٦ — ملامحه وصفاته

مديد القامة ، قوى البناء ، ذو وجه صبوح ، وشاربين طويلين ، وعضل مفتول وصوت عذب ، وجسم متين خلق للجندية والكفاح .

وهو فى (مرآة البشرى) : يحب الجمال ويجتمع له ويكره القبيح وينعى على أهله ، تجابه بذلك مجابهة ، لا يتقى فى القول ولا يتحرف، خفيف الظل ، عذب الروح ، حلو الحديث ، حاضر البديهة ، رائع النكتة ، بديع المحاضرة . إذا كتب لك يوماً أن تشاهد مجلسه أخذك عن نفسك حتى ليخيل اليك انك فى بستان تعطفت جداوله ، وهتفت على أغصانه بلابله ، وأشرق نرجسه ، وتألق ورده، فأذكرك طلعة الحب : تانك عيناه وهذا خده ! تنفس فيه النسيم بسحر هاروت ، فاعجب لمن ينشر هذا النسيم كيف يموت ! والبدر فى ملكه بين المجرة والجوزاء ، يخلع على الروض حلة فضية بيضاء ، فلا تدرى أأمست السماء فى الروض أم أمسى الروض فى السماء ؟ كان متلافاً إلى حد كبير : فقد تجتمع له الالف ولا تمكث فى يده أسبوعاً، متفنناً فى طعامه وشرابه إلى حد كبير.

فلننتقل الى رثائه ففيه مادة غنية خصبة تغنيك بعض الشىء ياصاحبى عن ثقل الرثاء وفنه المرذول بجانب شعرنا العصرى الجديد ، ذلك الشعر الانسانى الناظر الى السماء .

ان قصيدته فى رثاء الامام محمد عبده هى وايم الحق كتمثال صامت له ، فانظر اليه فى مطلعها :

سلامٌ على الاسلام بعد محمد　　　سلام على أيامه النضرات !

أليس فيه من المتعة الفنية ما يحبب اليك الشاعر وشعره المتمثل فى قوله :

لقد كنتُ أخشى عادىَ الموت قبله　　　فأصبحت أخشى ان تطول حياتى !

فمن جزالة فى اللفظ ورصانة الى قوة فى المعنى والصياغة تراها فى هذه القصيدة أوبعبارة أخرى فى ذلك التمثال .

لكننى لم يرقنى قوله :

فيا منزلا فى عين شمس أظلنى وأرغم حسادى وغمّ عداتى

لان الشاعر فى موقفه الانسانى المشرف هذا ماكان يجدر به أن يهوى الى هذا الحضيض حيث الدنيا بما فيها من حقد وحسد وعداء .

وقد اتهمه الدكتور طه حسين فى تقليده لمسلم بن الوليد فى قصيدته « لاتدع بى الشوق انى غير معمود » لقوله فى استاذه البارودى «ردوا علىّ بيانى بعد محمود » .

وانى رغم تسليمى ببعض نظرية الدكتور طه فان هذه القصيدة والحق يقال ليست غير تمثال بديع للبارودى الذى أَحبه حافظ ونسج على منواله فى الشعر ، وانه — أى البارودى — هو والمعرى هما اللذان أثرا على شعر حافظ بآثارهما التى أَحبها كلّ الحب .

وتتجلى الشعبية الخالصة عند شاعرنا فى رثائه لرجال الوطنية كمصطفى كامل وفريد وزغلول ، فاسمع اليه فى قوله يرثى مصطفى كامل :

أرى جلالا ،أرى نوراً، أرى ملكاً أرى محياً يحيينا ويبتسمُ

الله أكبرُ ! هذا الوجه أعرفُه ! هذا فتى النيل! هذا المفرد العلمُ !

وخير رثاء له عندى قوله فى المرحوم قاسم أمين :

الحكمُ للايام مرجعُــه فيما رأيت فنَمْ ولا تَسلِ

وكذا طغاة الرأى تتركه للدهر يُنضجه على مهلِ !

ولك أن تنتقل معى من رثائه الى وصفه فتجده قد أجاد الوصف رغم اقلاله واقتصاده . انظر اليه فى قصيدته عن « الشمس » :

نظر (ابراهامُ) فيها نظرةً فأرى الشكَّ وما ضلَّ اليقينْ

تجده يستمر معك فى فخامة معانيه وجزالته القاطعة الى أن يقول :

هى طلعُ الروض نوراً وجنى هى نشرُ الورد طيبُ الياسمينْ

فيحملك على أن تتغنى بهذه القطعة كأنشودة عذبة طبعت بطابع الخلود .
واقرأ معى وصفه هذا الذى وجهه الى صديقه عمون بك :

قصورٌ كأنّ بروجَ السما ء خدورُ الغوانى بأدوارها

فهو جميل الى حد ما ، بيد أنك ياصاحبي لوظللت تنقب فى صفحات الديوان فلن تعثر على قطعة وصفية فنية ممتازة مما تغنى به الشعراء المحدثون .

ولكنك لو تلمست لحافظ الاعذار فى اهماله تلك الجوانب الشعرية الخالدة فليس لك أن تلتمس العذر له فى اهماله « النيــل » ذلك الاهمال المزرى به كشاعر النيل !

ألم يحلق بجناحيه أىّ يوم فى سماء النيل فى سياحة روحية ويرى آلهــة الشعر وعرائس الحب وبنات الجمال تشدو بجماله الخالد على مر الدهور والعصور حتى يصف لنـــا ما شاهد فى ثوب جميل من أثوابه الغانية التى كان يحوكها من نسج فؤاده ؟ !
يقولون إن حافظاً كان قوى الحافظة وخاصة فى استظهار روائع الشعر العربى، وقد يكون هذا صحيحاً ... لكننى أشك فى قوة حافظته لاسيما بعد أن تعدى طور الشباب الاول، ذلك لانه كان ضعيفاً فى اللغة الفرنسية لدرجة انه لم يقدر على ترجمة البؤساء ، وكتيبه الاخلاقى ضعيف كذلك لعدم احاطته باسرارها ، ولأنه لم يتكلم بها ولم يقرأها كالادباء الذين يحيطون باحدى اللغات للاضطلاع بآدابها وعلومها ، وهو كما يقول مطران : « يقول الشعر فى كل مكان يتفق له أن يخلو بنفسه ، ومن عادته دخول حديقة الازبكية بعد الظهر طلباً لتلك الخلوة » . وكان لايهتم كثيراً بالنهضة العلمية وذلك لاختلاطه الكثير بعظمائنا الذين لاحظ لهم الا التندر والنرجيلة والدعابة والمجون ـ أولئك الذين لايتسع وقتهم لمسايرة الثقافة . وكان حافظ كريم الخلق طيب القلب الى حد كبير ، وكانت حياته الدراسية والجندية والشعرية والحكومية حياة رجل يفهم الحيــاة فى وضوح وجلاء .

٧ — آثاره

ان تحليل آثاره ونقدها هو بيت القصيد فى هذه الدراسة ، لكننى سأوجز فى ذلك حتى تتسع صفحات « أبولو » لمثل هذه الدراسة ، وابدأ الآن بالديوان .

الديوان فى ثلاثة أجزاء وينقصه جزء رابع لم يُطبع بعد . وأول شىء يطالعك فيه

المديح والرثاء تقليداً للشعراء الاقدمين . وأنا من أشد أعداء المديح والرثاء ، ذلك لانى لا أجد فيهما تلك الآفاق الرحيبة التى خُلق الشاعر ليحلق فيها ولان آلهة الشعر يجب أن لا تتنزل من سمائها حيث الحب والحقيقة والجمال الى ذلك الدرك الأرضى حيث المادة والعبودية والضلال .

لكننى ألتمس العذر لحافظ لانه كان يجد فى ذلك مايعينه على حياته المادية من جهة، ومن جهة أخرى كان يسير وراء العرف المتبع فى ذلك الوقت: « ليس الشاعر بشاعر الا اذا أجاد المديح والرثاء » !

أنظر اليه فى مدحه للجناب الخديوى : أترى غير نظم لاروح له ، قاله صاحبه مجاراة للوقت والتقاليد ، ومنافسة للشاعر شوقى الذى استلب منه الامارة ؟! وماذا كان يعنيه من قوله الى الجناب الخديوي (ص ٢٣ من الديوان) :

تشدو وترهف بالاشعار مرتجلا وتبرز القول بين السحر والعجب !

وانظر اليه فى قوله من المديح :

تعمدت قتلى فى الهوى وتعمدا فما أثمت عينى ولا لحظه اعتدى !

أليس يستوقفك هذا البيت إلى درجة أن تقرأ غيره كقوله فى المديح هذا أيضاً :

ولو أنهم قدّوا غدائر فرعها لحاكوا له منها نقابا إذا بدا

اذاً ليس لنا ان نقف وإياك أمام هذا المديح وغيره لأننا فهمنا أن الشعر غير المديح !

ومن هذا الشعر الصناعى قوله :

خمرة قيل إنهم عصروها من خدود الملاح فى ليل عرس

بمد رآها فتى العزيز مناماً وهو فى السجن بين هم ويأس

أعقبته الخلاص من بعد ضيق وحبته السعود من بعد نحس!

وله قصيدة فى وصف أزمة نفسية، جاءت له مهلهلة الاوصال مفككة الأوصال مبتذلة

من واجد منفّر المنام طريد دهر جائر الاحكام

وقد نظمها وأفرغها من الروح الشعرية ففاضت روحها عند نظمها !

« • »

ليس يبقى أمامنا من ديوانه غير شعره الوطنى الاجتماعى ، وهو على حد قول اكثر

النقاد ميزته الواضحة التي عُرف بها في حياته كشاعر وطني ضرب في البحوث الاجتماعية بسهم وافر ، وسخر الشعر لأغراضه ، فكان له كل ما أراد من جزالة لفظ وقوة معنى .

رأى الشعب يستكين لظلم المستعمر الغاصب ، ويستكين للرجعية الجاهلة ، ويستكين للتقاليد الشائعة والخرافات الفاشية ، يعبد الاصنام ويقدم القرابين للموتى والمعتوهين ، بعيداً كل البعد عن الحرية والنور ، فقال :

ودائي كداء الدين عزَّ دواؤه   وحظي كحظ الشرق نحسٌ كواكبه

فيا ليت لي وجدان قومي فأرتضي   حياتي ولا أشقى بما أنا طالبه

يناموت تحت الضيم والأرض رحبة   لمن بات يأبى جانب الذل جانبه

وخاطبَ أستاذه الامام يشكو قومه الذين عبدوا الاصنام والموتى وما يزالون يعبدون الأصنام والموتى :

رأوا في قبور الميتين حياتهم   فقاموا إلى تلك القبور وطوّفوا

وباتوا عليها جاثمين كأنهم   (على صنم في الجاهلية عُكّف)

وحدبه وعطفه يطلان علينا من خلال قصيدته « آلامنا وآمالنا » التي يخاطب بها المرحوم الامير (السلطان) حسين كامل :

لعمرك ما أرقتُ لغير مصر   وما لي دونها أمرٌ يرامُ

الى أن يقول :

أرى شعباً بمدرجة العوادي   تَمخَّخَ عظمه داءٌ عقامُ

إذا ما مرّ بالبأساء عامٌ   أطلّ عليه بالبأساء عامُ

وانظر اليه في قصيدته « حادث دنشواي » ذلك الحادث التاريخي الذي تذكره الانسانية المعذبة بقلب ملء بالحسرات وبدمع هتون أشبه بدمع الثاكلات ، تذكره كنكبة في تاريخ البشرية الظالمة التي يفتك قويها بضعيفها ، والتي اذا ما ذكرناها ذكرنا قوميتنا المهدورة وحقنا المضاع :

أيها القائمون بالأمر فينا   هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟

انما نحن والحمام سواءٌ   لم تغادر أطواقنا الاجيادا !

الى أن يقول :

ليت شعرى أتلك محكمة التفـ   ـتيش عادت أم عهد نيرون عادا ؟!

أليس هو وشعره المرآة الصادقة التى تنعكس عليها صور الشعب المتألم الراسف فى اغلال الاستعباد وقيود الهوان ، يئن وما لصوته من سميع ؟

بلا شك هو أول شاعر اجتماعى فى الشرق العربى استطاع أن يضرب على الوتر الحساس ويرضى العامة والخاصة ويصبغ شعره بصبغة تميزه عن غيره وتجعله أقرب إلى جانب الحق والخلود .

وانظر اليه وقد ضاق ذرعاً بشعبنا المسكين الهادىء الذى جرحت كرامته ولم ير فى ذلك من حرج :

أنا لولا أن لى من أمتى   خاذلا ما بتُّ أشكو النوبا

أمةٌ قد فتَّ فى ساعدها   بغضها الأهل وحبُّ الغربا

والى قوله من قصيدة أخرى :

لقد غضب الناس من قبلنا   لسلب الحقوق ولم نغضبِ

أمورٌ تمرّ وعيش يمرّ   ونحن من اللهو فى ملعبِ

وشعبٌ يفرّ من الصالحا   ت فرارَ السليم من الأجربِ

وانظر اجتماعيته الخالدة التى قالها بمناسبة افتتاح مدرسة بور سعيد للبنات ومطلعها :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى   فى حبِّ مصر كثيرةِ العشاقِ

والتى جمعها فى هذا البيت الخالد :

الامُّ مدرسة إذا أعددتَها   أعددتَ شعباً طيبَ الأعراقِ

وانظر الى قصيدته فى وداع اللورد كرومر إذ يقول :

رمى دار المعارف بالرزايا   وجاء بكلّ جبار عنيدِ

يدلُّ بحوله ويتيه تيهاً   ويعبث بالنهى عبثَ الوليدِ

وإن أنسَ لا أنسَ عتبه على مصر فى أبياته التى يقول فى مستهلها :

ماذا جنيتِ وما جناه بنوكِ أظلمتهم يا مصرُ أم ظلموكِ ؟

ونداءه فى سبيل الوئام بين مصر والشام :

لمصر أم لربوع الشام تنتسبُ هنا العلا وهناك المجد والحسبُ ؟

وشعره الوطنى ينطق بصدق إخلاصه ووطنيته الجائشة الفياضة التى عُرف بها الفقيد فى حياته .

ومن شعره الوطنى الذى لم ينشر فى المطبوع من ديوانه قصيدته التى نشرها « البلاغ الأسبوعى » بعدده الأول و مطلعها :

قد غفونا وانتبهنا فاذا نحن غرقى وإذا الموتُ أمَمْ

وانى أترك بقية شعره للكتاب الذى سيصدر عنه، واكتفى الآن بالتحدُّث عن بقية آثاره ، ولكننى لا أعذر حافظاً بأى حال من الأحوال فى أهماله الثورة المصرية وعدم ذكره أى شىء عنها يستحق أن يُشادَ به .

(ليالى سطيح)

أنشأ حافظ (ليالى سطيح) فى مواضيع اجتماعية على مثال حديث عيسى بن هشام للمويلحى الذى اشتهر به فى ذلك العهد شهرة واسعة . ولكن كتاب ليالى سطيح يختلف كثيراً عن حديث عيسى ، ذلك لأن حافظاً باعد بينه وبين ذلك السجع المملول الذى بنى عليه حديث عيسى ، وليس معنى هذا ان ليالى سطيح خالية من السجع قوية الأسلوب ، بل انّ سجعها أقل من سجع حديث عيسى بكثير وأسلوبها أقرب الى أسلوبنا الحديث

وهى نواة القصة المصرية الحديثة التى كنا نودّ من حافظ أن يقتحم أبوابها لو أنه راعى فيها الأسلوب والشكل والوحدة الفنية . ومناقشة ما جاء بليالى سطيح من الآراء يحتاج الى أكثر من صفحات « ابولو » ، فعسى أن أوفق الى نقده وتحليله فى فرصة أخرى .

(البؤساء)

قصة عالمية من الأدب الرفيع لفيكتور هوجو ، ترجمها حافظ — استغفر الله بل اقتبس منها جزأين صغيرين ولم يستطع إتمام ترجمتها لما لاقاه من المشقة والعناء لعدم تمكنه من أسرار اللغة الفرنسية من جهة ، ومن جهة أخرى لغرامه المنقطع

النظير باللفظ مما حشده بالترجمة العربية ، وبالرغم من أن هوجو اشتهر باغراقه فى اختيار ألفاظه أغرق شاعرنا أيضاً فى اختيار ألفاظ الترجمة العربية حتى بعدت عن الأصل الفرنسى.

ولو قارنت بين الترجمة والأصل الفرنسى لظهرت الاختلافات التى نأخذها على حافظ وحدت به الى أن لا يقدر على اتمام الترجمة ، وسنبين ذلك كله فى فرصة أخرى .

أما كتابه فى التربية والاخلاق أو بعبارة أصح كتيبه فقد نقله الى العربية فى اسلوب سليم وعبارة سهلة تتفق ومشارب أطفالنا وللأسف لم يترجمه جميعه بل ترجم منه جزأين أيضاً !

وترجم كتابه فى الاقتصاد هو ومطران ترجمة دقيقة يرجع الفضل فى دقتها واستيعابها لمطران لا لحافظ !

٨ — تجديده

بالرغم من نسجه على منوال الشعراء القدماء فله فى الشعر نظرة أقرب الى نظرتنا ، ولو أنه لم يبرهن على ذلك الا بشعره الاجتماعى وبمنظومته الصغيرة التمثيلية «غادة بيروت» التى لا يصح اعتبارها قطعة فنية تمثيلية كما تكون القطعة الفنية التمثيلية. بل هى عندى قصيدة جديدة لحافظ ومحاولة يسيرة لتجديده لا أكثر ولا أقل ، وكانت سنحت له الفرصة الفنية بوجود تلك المادة الخصبة التى تسعف الشاعر الموهوب بما يتطلبه منه الفن من حق وجمال وتجديد يظهر لنا من قصيدته التى يقول فيها للشعر : « ضعتَ بين النهى وبين الخيال » .

٩ — شعره

من أفخم روائع الشعر العربى ، تغلب عليه الجزالة والرصانة والقوة ، ولو كان له الخيال والخصب والثقافة الحقة لخلق لنا من الآيات ما تنظر اليه الأجيال القادمة بعين الاعجاب .

١٠ — لمحة خاطفة

يعتب الرافعى على فن الترجمة خلوه من النقد التحليلى من جهة ، ومن جهة ثانية لانه لا يتعدى الشرح والتفسير ولانه ليس المثل الاعلى الذى ينشده الناقد الهادم النافذ البصيرة. ونحن من أشد أنصار النقد التحليلى ومن أشد أنصار الهدم متى

وجدنا أن الأساليب والنماذج الشعرية أو الأدبية أو الفنية التي تقدم الينا مهلهلة سقيمة لا تتفق والمثل العليا التي نتشبث بها فوق غرامنا بالترجمة التحليلية التي تساعدنا على فهم الشاعر أو الأديب أو الفنان لانها بمثابة التحقيقات عند القاضي النزيه !

ولابد أن تسألني يا صاحبي لماذا أغفلت هذه الناحية النقدية عند حافظ فاجيبك بان شعر حافظ فيه من السذاجة والبساطة والصدق والجمال ما يجعل الناقد يقف معه موقف الصداقة والحدب لا موقف العداء .

فماذا تطلب من حافظ ونقده وقد أجاد الرجل الرثاء ونبغ فيه وشارك الشعب في آلامه وآماله وأضحت رسالته رسالة المصلح الاجتماعي الذي تحبه الانسانية المهذبة والعدالة والقانون ؟

اذاً ليس لنا أن نغلو في نقده كما نغلو في نقد شوقي أو العقاد أو الزهاوي أو أبي شادي لأن لكل منهم عوالمه التي حلق في سماواتها ومثله العليا التي نشدها . ولابد لكل واحد منهم أن يدفع الثمن غالياً لأن المثل العليا لا تعرف الهوادة ولا اللين ؟

أحمد محمد عيشى

الشاعر البائس

حياته — الكتب التي قرأها — الشعراء الذين تأثر بهم — نظرات في شعره
مظاهر البؤس فيه — اسباب بؤسه — حسنات هذا البؤس وسيآته

منذ نصف عام تقريباً أخرج الدكتور أبوشادي محرر « أبولو » كتابا خاصاً بذكرى المغفور له أحمد شوقي بك حشد فيه شتيتاً من الدراسات المستفيضة ، والقصائد الرائعة لكبار الكتاب والشعراء في مصر وفي غير مصر

وسيظل هذا السفر القيم الذي أتيح لي أن أساهم فيه بنوع من هذه الدراسات خير مرجع لمن يريد الكتابة عن هذا الشاعر الخالد في المستقبل .

واليوم يسجل له التاريخ اليد الثانية على الأدب حيث يخرج لنا عدداً خاصا بحافظ : ذلك الشاعر المغبون الذى عاش بائساً ومات بائساً، ولا أود أن يفوتنى الاشتراك فى هذا العدد التذكارى الذى اعتقد أنه لن يقل عن سابقه جمالا وجلالا .

ولقد مضى على أكثر من نصف شهر وأنا أتصفح ديوان حافظ بدأب وشغف وأمعن فى دراسته لألتمس ناحية غالية أو عاطفة مسيطرة على شعره أعالج فى بحثى الذى انتويته دراستها وتحليلها فكنت فى كل صفحة من صفحات هذا الديوان وفى كل سطر من سطوره أرى البؤس ماثلاً سافراً وأحس بحنق الشاعر وتبرمه بالحياة وأهلها واضحاً ملموساً فى جميع ما قرأت .

حياته

عاش حافظ ستين عاماً أو تزيد قليلا قضى الجانب الأعظم منها مكتئباً حزيناً، وكانت حياته بوجه عام سلسلة من الآلام والمتاعب ليس فيها ما يبعث الأمل أو يساعد على السلوان . وهذه الحياة الشاقة المضنية تختلف فى أطوارها اختلافاً تقسمها من أجله الى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : نشأ حافظ نشأة لم يفارقه البؤس فيها لحظة واحدة وتعرف إلى الحزن والكآبة فى مهده فاستنكر وجوده وتمنى فى هذه السن المبكره فناءة وفى ذلك يقول :

وودت لو طرحوا بى يوم جئتهمُ ... فى مسبح الحوت أو فى مسرح العطب

وقد كانت له نفس طُلَعة تميل للمجد وتكلف بالمعالى . لم ير فى تعليمه البسيط ما يغذى هذه النفس النهمة فطفق يغذيها بالقراءة والاطلاع وهو بعد فتى لم يطو من طريق الحياة أكثر من عشرين عاماً . وما إن وصل إلى هذه السن حتى كان قد قرأ من أمهات الكتب أكثر من خمسين كتاباً كما يقول عارفوه والمتصلون به عن كثب وكان يقرأ الكتب بنهم وشغف ويحفظ من كل منها أحسنه وسنتحدث إليك فى موضع آخر عن نوع هذه الكتب — وقد بدأ منذ هذه السن ينظم مقطوعات قصيرة أكثرها فى المدح ومداعبة الأصدقاء .

المرحلة الثانية : لم يكد حافظ يبلغ العشرين من عمره حتى التحق بمدرسة الحربية

كضابط بمرتب ضئيل لا يكاد يكفيه ، وكان يقضى أوقات فراغه من عمله على وجازتها بين الكتب . وشاءت المقادير بعد ذلك أن يُنقل حافظ الى السودان فطوحت به يد النوى مأسوفاً على فراقه من أصدقائه وخلانه .

وكانت الحكومة إذ ذاك تعد السودان منفى للمغضوب عليهم من الجنود والضباط ومكث حافظ فى السودان بين نارين نار القيظ ونار الغيظ . وكان الحاكمون به يومئذ خليطاً من المصريين والانجليز ، وكان لاولئك السلطة الفعلية فى جميع الأمور، وكان حافظ ينظر إلى هؤلاء والانجليز المعاشرين له بعين البغض والشنآن ، ويزداد حسرة وألماً كلما رأى نفسه وإخوانه عبيداً لأولئك القوم الطارئين . وجدير برجل كبير النفس رقيق الاحساس كحافظ أن يتأثر بما حوله وأن تظهر هذه الآثار فى نظمه ونثره ، وكتابه « سطيح » أصدق مرآة تمثل لك حياته الخاصة فى السودان ومعاملة الانجليز له ولمعاشريه من المصريين فى هذا العهد الذى يصفه لنا فى قوله :

إذا نطقتُ فقاع السجن متكئى وإن سكتُّ فإن النفس لم تطب

وسنتحدث عن هذا الكتاب بنوع من الاسهاب عند دراستنا لنثره .

أمّا آلامه فى السودان وما كان يعانيه فى بيدائه من بؤس وعذاب فقد تكفلت ببيان معظمه تلك الرسالة التاريخية التى بعث بها من منفاه الى الاستاذ الإمام يرجوه فيها أن يسعى لدى ولاه الأمور فى نقله من السودان ، وكانت هذه الرسالة أول حجر فى بناء صلته بالاستاذ الإمام .

قرأها فأعجب بها وأجاب عنها وسعى فى نقله ومن ذلك الحين بدأ حدبه عليه وتقديره له . وهذه الرسالة كما تدل على ان حافظ لم ين لحظة عن الاطلاع والحفظ والكتابة تصور لنا مقدار ما كان يعانيه من آلام ويداخله من هموم فى هذه البلاد وهى طويلة نتخيَّر منها ما يأتى :

لقد حللتُ فى السودان حلول الكليم فى التابوت، والمغاضب فى جوف الحوت ، بين الضيق والشدة ، والوحشة والوحدة . لا! بل حلول الوزير فى تنور العذاب، والكافر فى موقف الحساب، بين نارين نار القيظ ونار الغيظ

فناديت باسم الشيخ والقيظُ جمرة يذيب دماغَ الضبِّ والعقل ذاهبُ

واستمع اليه وهو يقول من قصيدة بعث بها إلى احد اصدقائه بمصر يتشوق اليها ويصف آلامه وأشجانه :

وما أعذرت حتى كان نعلى دماً ووسادتى وجه التراب
وحتى صيرتنى الشمس عبداً صبيغاً بعد ما دبغت إهابى
وحتى قلم الأملاق ظفرى وحتى حطّم المقدار نابى
متى أنا بالغ يا مصر أرضاً أشم بتربها ريح الملاب ؟!

وسترى بعد أن هذه المرحلة كان لها أثر أى أثر فى انتاجه ولا سيما جانب البؤس والألم منه .

المرحلة الثالثة : وهذه مرحلة النضوج والأثمار بحق فلم يكد يستقيل من عمله وينفلت من قيد وظيفته حتى تجلى نبوغه وبدأ ينتفع بمواهبه ويتفرغ للعمل الذى خلق له . وإذا كان قبل ذلك يختلس أوبقات المطالعة ويسترق سويعات النظم والتدوين فانه هنا قد تفرغ للأدب وابتدأ يقرأ الكتب الكبرى وينشد القصائد الغراء فى شتى المناسبات ، وقل أن نجد مسألة هامة أو حادثاً جللاً فى هذا العهد لم يساهم فيه بشعره . وثلاثة أرباع ديوانه أثر من آثار هذا العهد ، على أن هذه المرحلة التى تكون النصف من عمره ليست كلها مرحلة فيض وانتاج بل تنقسم بالنسبة إلى ذلك ثلاثة أقسام :

ا — فترة قوية مخصبة فى جميع النواحى ، وهى تكون الشطر الأعظم من هذه المرحلة

ب — فترة صمت وركود وإجداب ، وهذه هى مدة وجوده فى دار الكتب المصرية .

ج — فترة انطلاق ونهوض وهذه المدة قصيرة المدى لا تكاد تجاوز العام غادر فى أوله دار الكتب وغادر فى آخره عالم الفناء : وشعره فى هذا العام سياسى محض يعاتب فيه الانجليز ويذكرهم بعهودهم التى نكثوها .

الكتب التى قرأها

يقول كثير من الأدباء الذين كتبوا عن حافظ غبّ موته أنه كان معجبا بكتاب الاغانى لأبى الفرج الأصفهانى اعجاباً جعله يقرأه أكثر من مرة ، بل يذهب بعضهم

إلى أبعد من ذلك فيقول إنه لم يقرأ كتاباً في الأدب سواه واعتقد أن هذا الكتاب على الرغم من شهرته وسعته في بابه لا يُكوّن وحده شاعراً كحافظ لأنه شتيت من أخبار معنعنة وأشعار غير مضبوطة ولا مشروحة وتراجم الكثير من الشعراء والكتاب متفرقة لا تجمعها جامعة . وهو فوق ذلك مليء بالاخطاء المطبعية التي تستنفد الوقت في ضبطها واصلاحها — ونحن مع اعترافنا بغلاء الكتب في هذا العهد وقلة تداولها بين الأدباء لا نكاد نسلم بأن اطلاع حافظ كان قاصراً على كتاب واحد أياً كان نوعه .

وأنت إذا قرأت ديوانه بروية وامعان وقرأت إلى جانبه كتابيه « البؤساء » « وسطيح » ووقفت على ما كان يستعمله في نظمه ونثره من الألفاظ والمعاني التي لم يتعلمها في مدرسة ولم يتلقّها عن أستاذ — اذا عرفت ذلك وسمعت ما يقوله المعمرون من رجال دار الكتب من أنه كان يقضي كل فراغه بين جدرانها عرفت عن يقين أنه لا بد قد طالع كثيراً من كتب الأدب وقرأ كثيراً من دواوين الشعراء القدامى كامرىء القيس وعنترة والنابغة والمحدثين كالمتنبي والبحتري وابي نواس وأبي تمام . وحفظ لكل من هؤلاء أحسن ما قرأ .

والمتأمل في السطور الآتية من رسالته السابقة إلى الأستاذ الامام :

« وجمعت في كتابي هذا بين ثقة الزبيدي بالصمصامة ، والحارث بالنّعامة ، فلم أقل ما قاله الهزلي لصاحبه ، حين نسي وعده وحمد يده . يا دار عاتكة التي أتغزل بل أناديه نداء الاخيذة في عمورية شجاع الدولة العباسية »

وقوله في قصيدة « غادة اليابان » :

وتقحمت الردى في غارة أسدل النقع عليها هيدبا [١]

جال عزرائيل في أنحائها تحت ذاك النقع يمشي الهيدبا [٢]

أجل . من يقف على هذا وأمثاله لا يسعه إلا ان يحكم بأن حافظاً كان واسع الالمام بدقائق اللغة ثرياً في الألفاظ والمعاني محيطاً بكثير من اخبار العرب ومجالسهم حافظاً لشيء كثير من حكمهم وامثالهم . وهل يتيسر لشاعر لم يقرأ قصة اصحاب الكهف ولم يدرس تاريخ ابي نواس ويقف على مثل رأيه في الخمر حين سئل لم لا يترك الخمر؟

(١) الهيدب : السحاب (٢) الهيدبا: نوع من مشى الخيل

وانت تعلم ما تفعل بشاربها من المهانة والسخرية ! — فقال : ومن لى بعرفان ذلك وأنا أسكر قبل الصحاب ولا افيق إلا بعدهم — وهل يستطيع من لم يعلم شيئاً من ذلك ان يقول فى شعره :

فواصلنا كؤوس الراح حتى بدت للعين أنوار الصريم
واعملنا بها رأى ابن هانى فألحقنا بأصحاب الرقيم

وهل نرجى ممن لم يقرأ شيئاً عن المانوية ومذهبهم وآرائهم فى منع النسل والعمل على تعجيل الفناء ان يقول :

لعل مانىَ لاقى ما أكابده فودّ تعجيلنا من عالم الشجب

وسأتقدم اليك بأبيات من شعره تستطيع أن تتعرف بها مقدار الكتب التى قرأها ونوع هذه الكتب إن كنت بالادب واسفاره خبيراً .

ويقول حافظ فى مدح الاستاذ الإمام :

طلعت لها باليمن من خير مطلع وكنت لها فى الفوز قدح بن مقبل

ويقول فى وصف كساء رثّ :

نسبوه لطيلسان ابن حرب نسبة لم تكن بذات افتراء

ويقول فى الانجليز وسوء معاملتهم :

لقد كانت الامثال تضرب بيننا بجور سدوم وهو من أظلم البشرْ
فلما بدت للكون آيات ظلمهم إذا بسدوم فى حكومته عمرْ

واذا كان الكلام من الكلام وكان لابد للناظم أو الناثر من ذخيرة كلامية يستنجدها البديهة ويستنديها اليراع ، كانت أبيات الشاعر وفقرات الناثر عنوان تلك الذخيرة .... واذا عرفت أن ابن مقبل الذى فى البيت الاول مقامر جاهلى فاز قدحه ٧٠ مرة متوالية فضرب به المثل فى الفوز — وأنّ طيلسان ابن حرب الذى جاء فى البيت الثانى جلباب قديم بالٍ ، مدح ابن حرب أحد الشعراء فخلعه عليه فنظم فيه هذا الشاعر أبياتاً كثيرة صيرته مثلاً لكل ثوب من نوعه ومن هذه الأبيات :

يا ابنَ حرب كسوتنى طيلسانا ملّ من صحبة الزمان وصدّا
طال ترداده على الرقع حتى لو بعثناه وحده لتهدّى

وأن « سَدُوم » التى وردت فى البيتين الأخيرين اسم قاض كان يضرب به المثل فى القسوة والظلم وكان حاكماً على قرية من قرى لوط الخمس تعرف بهذا الاسم ايضاً وقد غضب الله على اهلها فدمرها عليهم .

اذا عرفت هذا وأشباهه مما يستحيل ان يحتويه كتاب أو كتابان أيقنت بأن حافظاً لم يسمع بكتاب فى احوال العرب وأخبارهم ، ولم يقع بصره على مؤلف أدبى أياً كان نوعه إلا طالعه وألمّ بما فيه :

ولقد كان للتاريخ وأطواره من عنايته ما لا يقل عن عنايته بالأدب ونواحيه والتاريخ والأدب اخوان لا يُغنى احدهما عن الآخر إلا بمقدار ما تغنى العين عن الأذن او الأذن عن اللسان عند فاقد احداها ... وإخالك لا تشكّ فى ذلك إذا سمعته يقول فى فتنة الآستانة :

يا أسيراً فى سنت هيلين رحّبْ بأسيرٍ فى سالونيك جديدِ

وقوله فى احتفال اقامته الجامعة المصرية :

هنالك الغيد جادت بالذى بخلت به دلالاً فقامت بالذى وجبا
جزّت غدائر شعر سرّحت سفناً واستنقذت وطناً واسترجعت نشبا
رأت حلاها على الاوطان فابتهجت ولم تحسّرْ على الحلى الذى ذهبا
وزادها ذاك حسناً وهى عاطلة تزهى على من مشى للحرب أو ركبا

وقوله موضع ثالث مخاطباً « روزفلت » ومُعرّضاً بالانجليز :

ليت شعرى أكنت تدعو اليهم يوم كانوا على تخوم الثغور
يوم كانوا قذًى بعين نيويو رك وداءً مستحكماً فى الصدور
يوم نادى « واشنجتون » فلبا ه من الغيل كل ليث هصور

والممعن فى شعر حافظ يرى أنه رحمه الله لم يكن يقصر اطلاعه على الأدب العربى فحسب بل تعداه الى الأدب الأوروبى ، فقرأ « ما كبث » لشاعر انجلترا وليم شكسبير وأعجب بها ولخص أروع مواقفها فى قصيدته التى يقول فى مطلعها :

كأنى أرى فى الليل نصلاً مجرّداً يطير بكلتا صفحتيه شرارُ

وإن وصفه لفكتور هوجو الكاتب الفرنسى الذائع الصيت ، ورثاءه لتولستوي الفيلسوف ليدلان على أنه قد درس مذهب كل منهما وتعاليمه ووقف على كثير من حسناته أو ميزاته التى هى عماد الوصف والرثاء . وكان كثير الاعجاب بالأدب الفرنسى على الخصوص، وما كتابه البؤساء بجزءيه ،وما تلك الحكم الشعرية التى ترجمها لروسو ونظمها إلا ثمرة من ثمرات هذا الاعجاب .

وإذا علمت أن حافظاً لم يتعلم تعليماً دينياً ولم يتصل فى صباه بالازهر ولا بأحد فروعه ورأيت كثرة اقتباسه من القرآن واستشهاده بقصصه واستعماله لتراكيبه أيقنت أن المصحف الشريف كان فى مقدمة الكتب التى يقدسها ويدأب على مطالعتها بشوق وشغف . واذا لم يكن ذلك كذلك فقل لى بربك كيف تسنّى له أن يقول فى وصف الشمس مشيراً الى قوله تعالى فى سورة الانعام حكاية عن ابراهيم : « فلما أفلت قال: إنى لا أحب الآفلين » .

نظر (ابراهامُ) فيها نظرة فأرى الشكَّ وما ضلّ اليقينْ
قال : ذا ربى ، فلما أفلتْ قال : إنى لا أحب الآفلينْ

أَو يقول فى وصف الخمر مشيراً الى قوله تعالى فى سورة يوسف حكاية عن فتى كان معه فى السجن: « إِنى أَرانى أَعصر خمراً » :

مذ رآها فتى العزيز مناماً وهو فى السجن بين همٍّ ويأسِ
أَعقبته الخلاصَ من بعد ضيق وحبته السعودَ من بعد نحسِ

ويقول فى شكوى الزمان مشيراً الى قوله تعالى فى سورة الصافات « وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) وقوله فى سورة يوسف (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) :

وكم أَزرتْ بنا الايامُ حتّى فدت بالكبش اسحقَ الذبيحا
وباعت يوسفاً بيعَ الموالى وأَلقت فى يد القومِ المسيحا

ولا أرى كيف فات حافظاً أن الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق،وأن المسيح لم يقع فى يد القوم كما زعموا « وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ »

الشعراء الذين تأثر بهم -

كان حافظ كما كان أبو تمام كثير المحفوظ من شعر العرب ،ولقد أثر ذلك المحفوظ في شعره فجاء صورة صادقة لما قرأ وما حفظ . وإنه لمن العبث الواضح والغبن الفاحش أن نقول إنه قد تأثر بشاعر فرد حتى تجلت في شعره أخيلة ذلك الشاعر وتشبيهاته وحده وملكته طريقته في التعبير عما يريد .

وقد يخيل إليك إذا سمعت قوله :

جنيتُ عليكِ يا نفسي وقبلي ، عليكِ جنى أبي فدعي عتابي !

أنه قد تأثر بالمعرّي حيث يقول :

هـذا جنـاه أبي عليَّ وما جنيتُ على أحدْ

وقد ينمو في نفسك هذا الظن إذا قرأتَ له قوله في موضع آخر :

وإلا فإني قافُ رؤبة لم أزل بقيد النوى حتى تغول الغوائلُ

وعرفت أن المعري قد سبقه إلى ذلك فقال :

ما لي غدوتُ كقاف رؤبة قيدت في الدهر لم يقدر له اجراؤها ؟

فهل هو كذلك ؟ ولمَ لا تقول في قوله :

ليتَ شعري هل لنا بعـد النوى من سبيلٍ للقى أم لاتَ حينْ !

إنه كان متأثراً ببشار بن برد حيث يقول :

يا ليت شعري وقد شط المزارُ بهم هل تجمع الدار أم لا نلتقي أبدا ؟

ولم لا يكون حين يقول في الرثاء :

رحم الله منه لفظاً شـهياً كان أحلى من ردِّ كيدِ الأعادي

متأثراً أو محاكياً للخوارزمي حين يقول في الغزل :

وكيف ونظرة منها اختلاساً ألذّ من الشماتة بالعدوِّ ؟

بل قد يترجح لديك وأنت تقرأ قوله في تأبين المغفور له مصطفى كامل :

عليكَ ، وإلا ما لذا الحزن شاملاً ؟ وفيكَ ، وإلا ما لذا الشعب باكياً ؟

وقوله فى موضع آخر :

وكنت إذا عمدت لأخذ ثار أسلت البرّ بالأسدِ الضوارى

أنه قد تأثر فى الأول بقول المعتمد بن عباد :

علىّ ، وإلا ما بكاء الغمائم ؟ وفىّ ، وإلا مانواح الحمائم ؟

كما تأثر فى الثانى بقول كثير فى الغزل :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطىّ الاباطحُ

الحق أنه قد قرأ لهؤلاء الشعراء جميعاً وحفظ لكل منهم وتأثر به بمقدار ما قرأ أو حفظ من شعره ، والذين يقولون إنه قد تأثر بالمتنبى أكثر من تأثره بأى شاعر آخر إنما ينظرون فى دراستهم الى ناحية خاصة لعلها قدرته وبراعته فى وصف الحروب وميادينها وما يلحق بها ، وهذا النوع من الوصف قد انفرد المتنبى بالإجادة فيه .

ونحن وإن كنا لانستطيع أن نتناسى أن حافظاً وشوقى ومِنْ قبلهما البارودى قد أكبّوا على دراسة هذا الشاعر الفذّ واستفادوا جميعاً من شعره واتخذوه استاذاً لهم خصوصاً فى هذه الناحية ـ ناحية الحروب ومايدورفيها من هجوم ودفاع أوهزيمة وانتصار ـ فانه لايصح كذلك أن ننسى ان حافظاً كان ضابطاً يعيش بين الأسلحة والكتائب ويشهد بنفسه المعارك ويسمع بأذنيه قذائف المدافع وصليل السيوف .

وإذا كان شوقى وهو لم يتقلد صارماً ولم يرَحرباً استطاع بمحض التقليد والاعتماد على الأذن تارة وعلى المخيلة تارة أخرى أن يأتى فى وصف الحروب بهذه المطولات الرائعة ، ولم يمنعه بُعده عن الوغى وعدم خبرته بالقتال ومعاناته أو معاينته له من أن يقول فى حرب الدولة العلية مع اليونان :

كأنّ الوغى نارٌ ، كأن جنودَنا مجوسٌ إذا ما يمموا النار قربوا

كأن الوغى نار ، كأن الردى قرًى كأن وراء النار (حاتمُ) يدأب ا

كما يقول فى موضع آخر واصفاً هزيمة اليونان :

على القلل الاجبالِ حيرى جموعهم شواخصُ ، ماإنْ تهتدى أين تذهبُ

إذا صعدتْ فالسيفُ أبيضُ خاطفٌ وإن نزلتْ فالنارُ حمراء تلهبُ

فليس بعجيب أن ينبغ حافظ فى هذه الناحية وهو ابن الحرب الذى اصطلى بنارها وقضى زهرة شبابه بين السيف والمدفع وشاهد بعينيه وسمع بأذنيه وقائعها.

وقد عاصر حافظ صديقه البارودي فى أخريات أيامه وأعجب به وبشعره حتى طلب اليه أن يصدر ديوانه بصورة أو حكمة تعرفه الى القراء فتمثل بهذين البيتين من شعره :

انا ابنُ قولى وحسبي فى الفخار به وإن غدوتُ كريمَ العمِّ والخالِ

فانظر لشعرى تجدْ نفسى مصوَّرةً فيه ، فمن مِقولى قد خُطَّ تمثالى

وبينا تراه يترفع عن تقليد غيره من شعراء عصره تراه كثير الميل الى محاكاة البارودى والاستفادة من شعره والاعتراف له بالفضل والنبوغ .

وإنك لترى هذه الصلة الغالية صلة التلميذ بأستاذه أو الولد بأبيه ماثلة فيما نظمه فى مدحه أو رثائه من قصائد . واستمع اليه حين يمدحه فيقول من قصيدة طويلة :

ولو أننى نافرتُ دهرى وأهلَه بفخرك ما أبقيت فى الناس سيدا

ولو لم يمدح البارودى بغير هذا البيت الخالد لكفاه فخراً وشرفاً .

نظرات فى شعره

لا أستطيع فى هذه الصفحات القليلة أن أستعرض مواضع الجمال فى شعر حافظ أو أنقد ما فيه من هنات ، ولا أدعى أنى درسته دراسة تمكننى من ذلك ، ولكنى سأمرّ مسرعاً على بعض المواضع التى تسترعى نظر كل مطلعٍ على شعر .

وسأقصد فى هذه النظرة الخاطفة الى بيان ميزاته التى لابد لكل متصدر لدراسته من أن يقدرها فيقف عندها ويتبينها . وسترى أولاً أنه رحمه الله كان يتخذ من مدائح العظماء ورثاء موتاهم لبنات لبناء عظمته وشهرته ، شأن الشاعر الناشيء الذى يريد أن يتعرف إلى الناس ويشعرهم بوجوده وهو بعد فتى بائس قليل الألسنة والآذان . ولهذا جاء قرابة النصف من شعره مديحاً ورثاء . وأكثر الذين اختصهم بذلك بعد الأسرة العلوية هو الاستاذ الامام ثم الاسرة الأباظية

بمديرية الشرقية .

ولمديح حافظ ورثائه صفة خاصة هي مزجه دائماً بالشكوى وإبداءه ما يعانيه من ضنك وضيق . وقلّ أن يترك مدحةً أو مرثية من غير أن يصدرها أو يطويها على حاجته . واستمع اليه حين يصدر مدحةً للخديوى فى عيد رأس السنة بهذين البيتين :

عسى ذلك العامُ الجديدُ يسرنى ببشرى ، وهل للبائسين بشيرُ ؟
وينظر لى ربُ الأريكة نظرةً بها ينجلى ليلُ الأسى ويُنيرُ

وإذا أفلتَ من حاجته الوسط والبداية ذيلها بها فى النهاية ، وهل ترى دليلا على ذلك أوضح من أن ترا يختتم مدحةً رفعها الى الاستاذ الامام بهذ البيت :

يا مَن تيمنتْ الفتيا بطلعتهِ أدركْ فتاكَ فقد ضاقتْ به الحالُ

ويذيل مدحة أخرى بهذين البيتين :

وقد أضحيتُ من كدحى وسعيى على الأرزاقِ كالثوب الرديمِ
فلا تخلق ـ فُديتَ ـ أديمَ وجهى ولا تقطعْ مواصلةَ الحميمِ

وثانياً تجد لشعر حافظ ما يسمى فى علم البديع ببراعة الاستهلال ، إذْ له مطالع رائعة كل مطلع كأنه عنوان سارع الى الآذان ليستأنس لما وراءه أو اجمال الغرض يفصله ما يليه من ابيات ، وإن شئت شاهداً على ذلك فاستمع إلى قوله فى مستهل السنة الهجرية :

أطلَّ على الأكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا

أو تأمل قصيدته فى « البورصة » :

ببابك النحسُ والسعودُ وموقفُ اليأسِ والرجاءْ

وكذلك كان فى مراثيه يستفتح القصيدة ببيت لو اقتصر عليه ولم يتبعه بغيره لاستشفَّ القارىء والسامع من خلاله وحده غرضه والمعرض الذى قيل فيه ـ ألست تجد ما يؤيد ذلك فى استهلاله مرثية المرحوم امين الرافعى بهذا البيت :

أمّا (أمين) فقد ذقنا لمصرعه وخطبهِ من صنوفِ الحزنِ ألوانا

وتصديره مرثية المغفور له (رياض باشا) بذلك البيت :

(رياضُ) أفِقْ من غمرة الموت واستمعْ حديثَ الورى عن طيب ما كنتَ تصنعُ

ولهذين المطلعين روعة وتأثير في النفس لا تحسه في مطالع غيره ممن اشركوا في تأبين هذين الفقيدين .

وبينا ترى شوقي يريد ان يهنيء الخديوي فيمهد لذلك بما ينيف على العشرين بيتاً في الغزل أو الوصف — ترى شاعرنا يبتديء قصيدته في الموضوع عينه بهذا البيت الرائع الذي يجمع الى جمال اللفظ وحسن اختياره شرف المعنى واتّساقه :

مُـنًى نلتَـها يا لابسَ المجدُ معلما أديناً ودُنيا ؟ زادك لك أنعما !

وثالثاً حسن التخلص ، ولا تحسبن حافظاً كان في كل شعره كذلك يتماشى ، ويعمد الى غرضه من اول الأمر دون أن يمهد له بوصف أو نسيب ، فان له مطولات ليست بالقليلة يتطرق فيها الى مقصده بأبيات كثيرة في وصف الخمر حيناً وفي شكوى الزمن أحياناً ؛ بيد أنه كان صناعاً ماهراً في التخلص إلى غرضه والانتقال إلى مقصده .

وها هو ذا بعد أن يذكر أكثر من ٢٠ بيتاً في مناجاة نفسه والشكوى من تهاون المصريين وسوء حالهم يتخلص الى مدح السلطان حسين (وكان إذ ذاك أميراً) بهذه الأبيات :

وانا قد ونينا وانقسمنا فلا سعيٌ هناك ولا وئام
فلا عجبٌ إذا ملكت علينا مذاهبنا وأكثرنا نيام
(حسين ! حسين !) أنت لها ! فنبه رجالا عن طلاب الحق ناموا
وكن بأبيك لابن أخيك عوناً فأنت بكفه نعم الحسام

وله أبيات يتخلص بها من غرض الى غرض وينتقل من معنى الى غيره كأنها حلقات أفرغت على مثال يلائم كلا الغرضين السابق منهما واللاحق — كتب مرة الى صديق له يمدحه ويشتاق إلى لقائه فبدأ كعادته بالحنين الى مصر وأهلها ، ولم أكد أصل في قراءة تلك القصيدة الى هذين البيتين :

لامصر تنصفني ولا أنا عن محبته أريمْ
واذا تحوّل بائسٌ عن حبها فأنا المقيمْ

حتى أشفقتُ عليه من العجز عن الوصول الى ما كان يريد ، وإذا به بعد ذلك يتخلص الى مدح صاحبه بهذا البيت الذي لا يشعرك بمغايرة ولا انتقال :

فيها صحبتكَ واصطفيـ ـتكَ أيها الخلُّ الحميمْ

وإنْ تعجبْ فعجبٌ أن تقرأ له فى الغزل ودل الحبيب وجفائه ، ومرضه هو وإدنافه من جراء هجره وصده ، زهاء الثلاثين بيتاً حتى يخيل اليك ان القصيدة قد فنيت فى هذا الغرض، وأن الشاعر قد تعثر فى استرساله حتى استعصى عليه الانتقال ، ثم تراه بعد ذلك يخرج من كل ما رأيت ويتصل بغرضه الذى قصده على الصورة الآتية:

وأتت تعود مريضها لا بل أتت مني تشيع راحلاً لو تعلم
أقسمت بالعباس انِّي صادق فمُريهمو بجلاله أن يقسموا
ملك عدوتُ على الزمان بحوله وغدوتُ فى آلائه أتنعم

وسترى أنه يغالط نفسه ويخالف الحق فى بيته الأخير .

ورابعاً غلبة الروح الوطنى وحب مصر ونيلها على شعره ، وأنا أعتقد أن وطنيات شوقى والبارودى على قلتها وطنيات جوفاء : تسمع رنينها عن بعد فتهتز وتطرب ، فاذا دنوت منها وجدتها فارغة لاتبل صدى ولا تشفى أواماً - ومهما بالغتَ فى وصفها وإطرائها فانك لن تستطيع أن تقول فيها أكثر من أنها ساحرة رقيقة الأسلوب موجزة إلى حد يجعلها شبيهة بالحكم والأمثال .

أما وطنية حافظ فانها فضلا عن تغلغلها فى معظم قصائده وطنية حقيقية،تدل من أول نظرة على أن صاحبها يحس باحساس الشعب ويترجم لنا عبراته وخفقات فؤاده . ولهذا تراه قد استعرض فى شعره مواضع ضعفه ومواطن آلامه ووقف من أمته موقف الطبيب يتعرف الداء ويصف له ناجع الدواء .

وكيف ينتظر من البارودى رئيس الوزارة أو من شوقى شاعر الخديوى وصَفِيّه وهما يتقلبان فى رفاهة العيش ونعيمه ولم يعرفا للبؤس معنى ولا طرق لهما الاعسار يوماً باباً ، كيف ينتظر من مثلهما أن يؤلمه إملاق معاصريه وبؤسهم فيبكى. وهل إذا بكيا تساوت دموعهما ودموع أخيهما الذى اندسّ فى غمار الشعب وحمل من مصائبه بمقدار ؟ وهيهات :

أن يعرف الشوقَ إلا مَنْ يكابدُه ولا الصبابةَ إلا مَنْ يعانيها

وكان حافظ طوراً يستنهض المصرى ويستحفزه ويذكره بمجد آبائه وتراث أجداده فيقول :

لعمركَ ما أَرِقْتُ لغير مصرٍ ... وما لى دونَها أمـلٌ يُرام
ذكرتُ جلالها أيامَ كانت ... يصول بها الفراعنـة العظام
وأيامَ الرجالُ بهـا رجالٌ ... وأيامَ الزمانُ لهـا غلام
فأقلق مضجعى ما بات فيها ... وبانت مصرُ فيه ، فهل أُلام؟
أرى شعباً بمدرجة العوادى ... تمخَّخَ عظمَه داءٌ عقـام
فساءَ مقامُـه فى أرض مصر ... وطاب لغيره فيـه المقـام

وطوراً يذكره بعيوبه ويشرح له وسائل رقى الشعوب وعوامل نهوض الأمم فيقول :

عارٌ على ابن النيل سبّاقُ الورى ... مهما تقلب دهرُه أن يُسبقا
أَوَكلما قالوا تجمـع شملهُم ... لعب الشقاقُ بجمعنا فتفرقا؟!
فتعلموا ، فالعلم مفتاحُ العـلى ... لم يُبق باباً للسعـادة مغلقا
ثم استمدُّوا منـه كل قواكم ... إن القوىَّ بكل أرض يتقى
وابنوا حوالى حوضكم من يقظةٍ ... سوراً ، وخطوا من حذارٍ خندقا
وزنوا الـكلامَ وسدّدوه فانهم ... خبؤوا لـكم فى كل حرفٍ مزلقا

وبينما كان شوقى شاعر عباس وابن نعمته يتلمس مواضع رضاه فيرويها بقريضه ويحاذر أن يُرى شاذاً عن رغبات سيده يوماً ما : كان حافظ ابن الشعب وشـاعره حراً فى آرائه مطلقـاً فى تفـكيره ، لا يتقيد برأى أمير ولا وزير — ولهـذا جاءَ شعره فى السياسة أعمق أثراً وأشد جرأة وصراحةً — وإن شئت فقـل جاء لساناً صادقاً عن مصر وما تحسُّه من عنت المحتلّ وعدوانه . ولعل أول صوت ارتفـع فى الفخر بمصر والمطالبة بحقوقها والتعرض لمثالب المحتلين وظلمهم ونقد أعمالهم كان صوت حافـظ . وهل اسـتطاع غيره أن يقول للمحكمين فى (دنشواى) منددّاً بجورهم وقسوتهم :

أحسنوا القتلَ إن ضننتم بعفوٍ ... أنفوساً أصبتمو أم جمـادَا
ليت شعرى أتلك محكمة التفتـيش عادت أم عهد نيرون عادَا ؟!
كيف يَحْـلو من القوىِّ التشفى ... من ضعيف ألقى اليهِ القيـادَا

وأن يعرض فيها برجل كان ولا يزال من أشهر رجال المحاماة فى مصر فيقول :

لا جرى النيلُ فى نواحيكِ يا مصـــرُ ولا جادكِ الحيا حيث جادا
أنت أنبت ناعقاً قام بالأمـــس فأدمى القلوب والأكبادا
ايهِ يا مدرهَ القضاء ويا من ساد فى غفلة الزمان وشادا
أنت جلادنا فلا تنس أنا قد لبسنا على يديك الحدادا

وهل سمعت أن شاعراً استطاع أن يودع (كرومر) بمثل هذه اللطمات الدامية:

الى من نشتكى عنتَ الليالى الى العباس أم عبد الحميد ؟
ودون حماها قامت رجالٌ تروّعنا باصناف الوعيد
رمانا صاحب التقرير ظلماً بكفران العوارف والجحود
وأقسم لا يجيبُ لنا نداءً ولو جئنا بقرآن مجيد
وانبت فى النفوس لكم جفاءً تعهده بمنهلّ الصدود
رمى دار المعارف بالرزايا وجاء بكل جبار عنيد

وهل اجترأ مجترىء على أن يبسط له عيوب عهده فى مصر كما بسطها حافظ فى قصيدة أخرى حيث قال :

نناديك قد أزريت بالعلم والحجا ولم تبق للتعليم يا لوردُ معهدا
وانك أخصبت البلاد تعمداً وأجدبت فى مصر العقول تعمدا
ووافيت والقطران فى ظل راية فما زلت بالسودان حتى تمردا
فطاح كما طاحت مصوّعُ بعده وضاعت مساعينا بأطماعكم سُدى
حجبتَ ضياء الصحف عن ظلماته ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا)
وأودعت تقرير الوداع مغامزاً رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
غمزت بها دين النبي وإننا لنغضب ان أغضبت فى القبر (احمدا)

وخامساً كثرة التضمين والاقتباس ، ولا يتيسر ذلك الا لثرىّ فى الادب واسع الاطلاع ، ومن أمثلة ذلك فى شعره قوله فى رثاء البارودى :

وأربو على ذلك الفخور بقوله : (اذا قلت قولا أصبح الدهرُ منشِدا)
وقوله فى المدح (يريد البدع فى الابيات السابقة) :

وباتوا عليها جاثمين كأنهم (على صنم فى الجاهلية عُكَّفُ)

ومن ذلك أيضاً تضمينه أبياتاً كاملة لغيره من الشعراء كما فى قوله مضمناً بيت أبى تمّام :

ألِفتُ بين ابن السحاب وبينها فرأيتُ صحةَ ما حكاه الطائى :
(صعبتْ وراض المزجُ سيء خلقها فتعلمت من حسن خُلق الماء)

وقوله فى عيد الدستور العثمانى مضمناً بيت بشار :

روت قول بشار فثارت وأقسمت وقامت الى عبد الحميد تعاتبه
(اذا الملك الجبار صعر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه)

وأنت ترى أنه لم يضمن قصيدته بيتاً الا وقرنه باسم صاحبه ، وهذه دقة وأمانة نحملها له .

وفى التضمين هنا من البراعة والجمال ما لا يقل عن مثلهما فى قول البارودى مضمناً شطر أبى نواس :

ولو كنتُ فى عهد النواسىّ لم يقل: أجارةَ بيتينا أبوك غيورُ

ولا عن قول صفى الدين من قبله مضمناً شطر المتنبي :

أشرقن فى حُلل كأنَّ أديمها شفق تدرعه الشموس جلابيا
وغربن فى كال فقلت لصاحبي (بأبى الشموس الجانحات غواربا)

وقد قدمنا لك فى غير هذا الموضع انه كان دائباً على تفهم القرآن وحفظه ، وقد أثر هذا المفهوم والمحفوظ فى شعره كظهور اللآلىء فى التاج أو الماسة بين لوامع الاصداف إذْ زاده روعة وجمالا . وما إخال القراء فى حاجة الى بيان منزلة القرآن واسلوبه من الأدب العربى — وفى شعره من ذلك مُثُل شتى أسلفنا لك جانباً منها وها نحن اولاء نعود فنقدم لك جانباً آخر .

قال رحمه الله يمدح سليمان باشا أباظه مشيراً الى قوله تعالى فى سورة النمل (قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ليحطمنكم سليمان وجنوده) :

سليمان ذكَّرتَ الزمان واهله بعزِّ سليمانٍ واقبال دنياه
اذا سرت يوماً حذر النملُ بعضه مخافة جيش من مواليكَ يغشاه

وقال فى مدح الاستاذ الامام مشيراً الى قصة موسى والخضر عليهما السلام (سورة الكهف) :

وكنتَ كما كان ابن عمران ناشئاً وكان كمن فى سورة الكهف يذكر

وقال من رسالة بعث بها الى رفعت بك وكيل مصلحة السجون سابقاً مشيراً الى قوله تعالى حكاية عن يوسف (اذكرنى عند ربك) :

ولو كُنْتَ فى عهد ابن عمران لم يقل لصاحبه اذكرنى ولا تنسَ . . . .

بل لقد كان يضمن أبياته الآية أو بعضها من غير تغيير كقوله :

« قتل الانسان ما اكفره » طاول الخلاقَ فى الكون وساما

وقوله فى وصف الشمس مضمناً قوله تعالى حكاية عن ابراهيم (قال هذا ربى فلما أفلت قال لا أُحب الآفلين — سورة الانعام) :

قال : ذا ربى فلما أفلت قال : إنى لا أُحب الآفلينْ !

وسادساً الالماع الى الحوادث التاريخية والأخبار الأدبية والمذاهب الفلسفية . فمن الأول قوله فى الأمير عبد الله صاحب الجزائر :

ذكرتنا يوم ضاعت أرضُ أندلسٍ الحربُ بالباب والسلطانُ فى اللعبِ

وقوله حرب فى طرابلس :

أيها الحائر فى البحر اقتربْ من حمى البسفور إن كنت هماما
عام شهرين ولم يفتح سوى هوة فيها الملايين ترامى

ومن الثانى قوله فى تهنئة الخديوى بالحج :

ولما استلمتَ الركنَ هاجت شجونهُ فلو أنه اسطاع الكلام تكلما
تذكر زينَ العابدين وجدَّه وما كان من قول الفرزدق فيهما

مشيراً بذلك الى ما كان من أمر الرشيد حينما رأى سيدنا على زين العابدين

وهو يطوف بالبيت فتجاهله وتساءل عنه فأجابه الفرزدق بهذه القصيدة الخالدة التي يقول في مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ

ومن الثالث قوله :

فيا ليل أنزلني بجوفك منزلا يضل به سربُ القطا ويحارُ

وإن كنت ليل المانوية فليكن على سر أهل الشر منك ستارُ

مشيراً بذلك إلى مذهب ماني الذي يقول بأن الليل موطن المصائب والشرور ، وقد سبقه الى ذلك المتنبي حيث قال :

وكم لظلام الليل عندي من يدٍ تخبر أن المانوية تكذبُ

وقوله في موضع آخر :

أصبحتُ كالدهريِّ أعبد خدَّه وجبينه وأنا الشريفُ المعرقُ

مشيراً بذلك الى الدهريين ومذهبهم الذي لخصه القرآن الكريم في قوله حكاية عنهم : (إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر)

مظاهر البؤس في شعره

قدمنا لك أن البؤس من أظهر النزعات الغالبة على شعر حافظ ، وهيهات أن تجد أنمَّ عن نفس صاحبه من شعره . وانك لتقرأ ديوانه فيخيل اليك أنه ذوب نفس أبية عاشت تتطلع الى المجد وفيها معداته وماتت دون أن تنال منه أكثر مما ينال الظامىء من لامع السراب. ولا تشك في أن صاحب هذا الديوان قد اصطلى في طفولته واكتوى في شبابه بنار البؤس الذي تعرف اليه في مهده ولم يتركه حتى استقر في لحده وهو بعد شاعر رقيق العاطفة دقيق الاحساس ، فكان طبيعياً أن يجىء وشعره صورة لهذه النفس المعذبة ومرآة لهذا الفؤاد الواجب الذي طالما خاطبه بقوله :

يا خافقا قل لي متى تسكنُ ؟ لله ما تخفي وما تعلنُ !

وما الذي أبقاه من مهجتي ومن فؤادي داؤك المزمنُ ؟

وسأعرض عليك طرفاً من أبياته ترى البؤس مائلاً فيها يحدثك عن خبيئة الشاعر ويكشف لك من أمره مالم تكشفه لك الابصار .

يقول من رسالة بعث بها الى صديقه البابلي :

كيف تنسى يابابليُّ غريباً بات بين الظنون والأوهام
وحزيناً إذا تنفس عادت فحمةُ الليل جمرةً من ضرام
واذا أنَّ كاد ينصرع الافـ قُ وتختلُّ دورة الأجرام
بات تحت البلاء حتى تمنى لو يكون المبيت تحت الرغام

ويقول فى موضع آخر نادباً حظه وسوء حاله وعقوق الدهر له ولعبقريته:

عقني الدهر ، ولولا أنني أوثر الحسنى عققتُ الأدبا
إيهِ يا دنيا اعبسى أو فابسمى لا أرى برقك إلا خُلَّبا !

وإخالك لا تعجب بعد ذلك إذا رأيت حافظاً يصبغ بالشكوى والأنين جوانب شعره فنرى بؤسه فى الوصف والغزل كما تراه فى المديح والرثاء . وها هو ذا يمدح محمد بك بيرم فيقول له فى ثنايا القصيدة :

وقد أصبحتُ من تعبي وكدحي على الأرزاق كالثوب الرديم

وانه ليخيل اليك أن البؤس قد طغى على احساس حافظ وسيطر على عواطفه حين تراه يستهل قصيدته فى عيد رأس السنة بهذا البيت :

لى فيكَ حين بدا سناكَ وأشرقا أملٌ سألتُ الله أن يتحققا

وكانت لحافظ نفس قلقة ثائرة مضطربة كما وصفها هو فى كتابه (البؤساء) لاتكاد تستقر على حال : فمرة ترسب فى حضيض الألم راضية بقسمها ، قانعة بنصيبها من هذه الحياة الفانية ، وهو يصور لك حالها إذ ذاك بقوله :

نحن نرضى بالقوت من هذه الدنيا وإن بات دونَ قوتِ النعام
ولئن خان قسمُنا ما شكونا لسوى الله أعدلِ القُسّام

ومرةً تطفو الى سماء الرفعة وتتماسك مطوية على الألم موهمة الناس أنها أسعدهم حالا . والبيتان الآتيان يصورانها لك فى هذه الصورة :

تماسكتُ حتى لو رأى الناس حالتى رأوا رجلاً هانت عليـه مصائبهْ
وعلمتُ نفسى كظم غيظى فلم أبح بمـا فعلت بين الضلوع قواضبهْ

كما يمثلها فى مطاردتها لليأس واستهانتها بالصعاب قوله :

على أننى لا أركب الصعبَ مرةً ولا أكبر البأساء حـين تغـيرُ

وأحيانا يسأم الدنيا ومَنْ عليها فيودعها ويناجى القبر والآخرة نجوى العاشق المشتاق فيقول :

سلامٌ على الدنيا سلامَ مودِّعٍ رأى فى ظلام القبر أنساً ومغنما
أضرّتْ به الأولى فهام بأختها فان ساءت الأخرى فويلاه منهما
فهبّى رياحَ الموت نكباء واطفئى سراجَ حياتى قبـل أن يتحطّما

ولعلك تسألنى بعـد ذلك : من أى شىء كان يشكو حافظ وما موضع آلامـه وأشجانه ؟ . . . وجوابنا عن ذلك أنه كان يشكو من شعبه النائم عن حقوقه الساكت على آلامه ، يرى الخطر يتهدده وأسباب الفناء تحوطه ؛ ثم يلهو ويلعب ويفخر بالماضين وما خلفوه ، فيخاطبه مرة بقوله :

وكم ذا بمصر من المضحكا ت كما قال فيها (أبو الطيب)
أمورٌ تمرّ وعيشٌ يمرّ ونحن من اللهو فى ملعب
وشعبٌ يفرّ من الصالحا ت فرارَ السليم من الأجرب

ويعجب منهم ويبكتهم على جهلهم وتأخرهم مرة أخرى فيقول :

وقـل للعـاجزين أما لهذا الفخر من سبب ؟
أرونى نصفَ مخترعٍ أرونى ربعَ محتسب
فهبّوا من مراقدكم فإن الوقت من ذهب

ويشكو كذلك من نفسه الكبيرة التى بين جنبيه

وإذا كانت النفوس كباراً تعبتْ فى مرادها الأجسام

فلا هى قادرةٌ على إصلاح ما ترى ، ولا هى قادرة على احتماله ، ولا هى راضية بالعجز بين هاتين الحالتين .

ألست ترى ذلك واضحاً فى قوله (يريد المصريين) :

ينامون تحت الظلم والأرضُ رحبةٌ ... لمن بات يأبى جانبَ الظلم جانبُهْ

فياليت لى وجدان قومى فأرتضى ... حياتى ولا أشقى بما أنا طالبُهْ

وأخيراً يشكو من عثار حظه فى وطنه وخيبة آماله فى قومه وضياع أدبه بين عشيرته واخوانه فيقول مخاطباً مصر فى نغمة اليائس الحزين :

حطمتُ اليراعَ فلا تعجبى ... وعفتُ البيان فلا تعتبى

فما أنتِ يا مصر دارَ الأديب ... وما أنت بالبلد الطيِّب

فلا تعذلينى لهذا السكوت ... فقد ضاق بى منك ما ضاق بى

وهو لا يتردد فى أن يصارحنا بأن هذا الأخير هو مصدر حزنه وسر شقائه فيقول :

أنا لولا أن لى من أمتى ... خاذلا ما بتُّ أشكو النُّوَبا

بيد أنه كان كثيراً ما يستكثر من نفسه هذه الشكوى ويستنكرها عليها ويبرأ ويعتذر عما فرط منها ، وفى ذلك يقول :

وما شرعتْ هذا اليراعَ أناملى ... بشكوى ولكنَّ اللجاج يثيرُ

أسباب بؤسه

يجدر بنا بعد كل ما أسلفناه أن نبين لك أسباب بؤس حافظ وأن نتعرف سر هذه الحسرة التى لازمته طوال حياته والتى طالما قال فيها :

حسرةٌ فى النفس لو قسمت ... على ذوات الطوق لم تسجعِ

وكان لزاماً علينا ان نتتبع الظروف والأحوال التى انتحت بشاعرنا هذه الناحية وحولت عاطفته الى هذا الطريق . ونحن نرى ان بؤس حافظ وإن كانت جرثومته الأولى قد وُلدت معه يوم ولد ، وصاحبته فى نموه وتدرجه فى طريق الحياة ، نرى مع ذلك ان البيئة التى احتوته والوسط الذى عاش فيه يكوّنان الجانب الأكبر من هذا البؤس الذى ترجع اسبابه الى اربع جهات :

(١) نشأته الاولى بين احضان المتربة والفاقة ومخادنة العناء والشقاء له وهو صبى فى مهده مما جعله يؤثر الفناء ويسأم الحياة فى مستهلها فيقول :

وددت لو طرحوا بى يوم جثتهم في مسبح الحوت أو فى مسرح العطب

ورجل طلع الى المجد كحافظ حرىٌّ به ان يحزن ويكتئب اذا رأى نفسه بين قوم يقومون الناس بما يملكون ولا يعرفون للمجد سلماً سوى المال ، وألفى نفسه مع ذلك مفتقدا لهذا السلم . وليس لهذا السبب اثر بين فى شعره اللهم الا ما كان ايماء او تلميحاً كما فى قوله :

فما أنا مطلقٌ كالفكر أسرى فأستبقُ الضواحك فى الغيوم
ولكنى مقيَّدةٌ رحالى بقيد العُدم فى وادى الهموم

مما يدلنا على ان الامر لو اقتصر عليه وحده لكان فى ذكاء حافظ وعبقريته ما يمحو أثره من صفحة حياته . وكم من معدمين فى طفولتهم بَسَمَ لهم الدهر بعد فكانوا من أسعد الناس حظاً وأرفعهم مكاناً .

(٢) خذلان قومه له وكساد شعره بينهم وعدم احساسهم به وتقديرهم له ولإنتاجه ،والشاعر كالزهرة يحييه التشجيع والثناء ويميته الإهمال و الازراء .

وأى اهمال أشق على النفس من أن يمرض فلا يعاد وينأى عن العيون فلا تشعر بنأيه ، وفى ذلك يقول :

مرضنا فما عادنا عائدٌ ولا قيل أين الفتى الألمعى ؟
ولا حنَّ طرسٌ الى كاتب ولا خف لفظ على مسمعى
سكتنا فعزَّ علينا السكو ت وهان الكلامُ على المدَّعى !

ولكم كان قاسياً على نفس حافظ أن يعيش فى بلد لا يعرف الفضل لذويه،ولطالما خاطب مصر بهذا البيت من شعره :

ليتَ مصراً كغيرها تعرف الفضـ لَ لذى الفضلِ من ذوى الالبابِ

ولقد تسمع قوله فى رثاء الأستاذ الامام :

فيا منزلاً فى عين شمس أظلنى وأرغم حُسَّادى وغمَّ عُداتى

فتعلم أنه رغم بؤسه ووحشته كان كثير الحساد والأعداء — ولهذا كان دائماً متبرماً بالحياة ساخطاً على أهلها ، وكلما نظر إلى أدبه الرائع الذى وأدوه بينهم بجهلهم وإهمالهم ازداد حسرة وألماً وردد هذا البيت المشهور من شعره :

فلولا أنهم وأدوا بيانى بلغتُ بك المُنَى وشفيتُ ما بى

وكان كلما لمع له فى سماء الامل بارق وقامت تنتعش على ضوئه نفسه العالية المزدحمة بالآمال والآلام ، وقفت المقادير بينه وبين ما يريد ، وجذبه عثار الحظ ونكد الطالع فأقصاه عن آماله ، وفى ذلك يقول :

لكننى غير مجدود وما فتئت يدُ المقادير تقصينى عن الأرب

وقد غدوتُ وآمالى مطرّحةٌ وفى أمورىَ ما للضبّ فى الذنب

(٣) غربته فى السودان وبُعده عن أهله وأصحابه بمصر وإرغامه وهو الأبى على العيش فى ارض نائية يشتكى من حرها وعذابها مايشتكيه من معاشريه ومن رؤسائه وعنتهم وعدم تقديرهم لمواهبه . ولعل أوضح صورة لما كان يعانيه شاعرنا فى غربته هى التى اشتملت عليها هذه الأبيات الثلاثة :

نزحتُ عن الديار أروم رزقى وأضربُ فى المهامه والتخوم

وما غادرتُ فى السودان قفراً ولم أصبغ بتربته أديمى

وها أنا بين أنياب المنايا وتحت براثن الخطبِ الجسيم !

بيد أن هذه المرحلة من عمره كما قدمنا فى غير هذا الموضع هى أخصب حياته بهذا النوع من الشعر ، ولا عجب فان له فى هذا الباب رسائل خالدة وقصائد رائعة جرت مع النيل الى مصر تحمل الى أصدقائه وأخلائه بها ما يعانيه صاحبهم فى هذا البلد النازح من الأسى والعذاب .

(٤) إخفاقه فى الوصول الى الخديوى ، وما كان لنفس مهما منحها الله من الصبر أن تحتمل أكثر من عشرين عاماً ترسل فيها المدحة تلو المدحة ولا تدع فرصة تمر دون أن تتقدم اليه فيها بمنظومة بديعة . ولا تزال هذه القصائد الغراء حلية ديوانه الى اليوم .

ومع ذلك فانه لم ينل من نفس عباس اكثر مما ينال الحديث من نفس سامعه .

وبينما كان شوقى يتسابق الذهب والفضة فى المثول بين يديه ، ويعيش بشعره بين عطف المليك وعنايته ، ويتقلب بفضله بين احضان الترف والنعيم ، كان حافظ يصطلى بنار العدم والمسغبة مع ضعف البون ما بين الشاعرين .

واذا كان شوقى يقول فى عيد مولاه :

مولایَ عیدك عیــد الناس كلهم ... وأنت جامعة الاجناس والملل
ان الملوك على الـكرسىّ مربعها ... وانت تجلس فى الاسماع والمقل

فما قصَّر شاعرنا يوم قال فى نفس العيد :

طُفْ بالأريكة ذات العز والشان ... واقض المناسك عن قاص وعن دان
يا عيد ليت الذى أولاك نعمته ... بقرب صاحب مصر كان أولانى
صغتُ القريض فما غادرت لؤلؤة ... فى تاج كسرى ولا فى عقد بوران

وفيها يقول :

اليومَ أنشـدهم شـعراً يعيد لهم ... عهد النواسىّ أو أيامَ حسان
أزفّ فيه الى العباس غانية ... عفيفة الخدر من آيات عدنان
أعليتَ بالعدل مُـلـكاً أنت حارسه ... فأصبحتْ أرضه تُشرى بميزان
جرى بها الخصبُ حتى أنبتت ذهباً ... فليت لى فى ثراها (نصف فدان) !

وما أجمل هذا البيت وما أخف دعابته على النفس لولا مافيه من ايماء خفى الى فقر الشاعر وحرمانه .

بل ما نظن شوقى قد استطاع مهما أجاد فى مدح مولاه ان يزيد على ما قاله حافظ فى تهنئته بالحج :

مشت كعبةُ الدنيا إلى كعبة الهدى ... يفيض جلالُ الملك والدين منهما
ولو أننى خُيرت لاخترت أن أرى ... لعيسك وحدى حادياً مـترنما
حللتَ بأكناف الجزيرة عابراً ... فأنضرتَ واديها وكنت لها سما
وأشرقتَ فى بطحاء مكة زائراً ... فبات عليك النيلُ يحسد زمزما

وكانت تلجُ هذه المدائح التى فنى فيها صاحبها أذنَ الخديوى وتخرج من الثانية من غير أن تصل إلى فؤاده !

لهذا كان طبيعياً أن يزداد ألم حافظ وبؤسه، وأن يداخله من الهموم والحسرات ما يداخل صاحب السلعة الجيدة إذا صدف عنها الراغبون.

ويخيل الىّ أن حافظاً مع ما كان متمتعاً به من عطف كثير من عظماء مصر كالمرحوم

حشمت باشا والاستاذ الإمام فانه كان ينظر الى المليك بعين خاصة ويرى أن رضاه منتهى الآمال وفى عطفه وولائه تمام السعادة — فكان يحاول الوصول اليه عن طريق شعره ، ويطرد اليأس عن نفسه ، معتقداً بأنه لابد واصل الى ما يريد مادام له فم ناطق ولممدوحه أذن سامعة . وكان حيناً يفخر بمدائحه ويدعى أنه أتى فيها بما يعجز عن الاتيان به سواه فيقول :

كم رام شأوى فلم يدرك سوى صدف ... ساهمتُ فيه لنظام ووزّان

عابوا سكوتى ، ولولاه لما نطقوا ... ولا جرت خيلهم شوطاً بميدان

اليومَ أُنشدهم شعراً يعيد لهم ... عهد النواسىِّ أو أيامَ حسان

ويقول فى موضع آخر :

ولو شئتُ أذهلت النجوم عن الثرى ... وعطّلتُ أفلاكاً بهن تدور

وأشعلتُ جلدَ الليل منى بزفرة ... غراميةٍ منها الشرارُ يطير !

وأحياناً يعترف بالسبق لشوقى فى مدح مولاه ويقر له بالفضل والابداع فيقول :

لم أخشَ من أحد فى الشعر يسبقنى ... الا فتى ما له فى السبق الاه

ذاك الذى حكمت فينا يراعتُه ... وأكرم اللهُ والعباسُ مثواه

وكأنى به وقد ثبت فى روعه أن شوقى قد احتل بشعره من نفس سيده مكاناً لا يسمح لشاعر آخر أن ينازعه فيه ، فطفق يستندى رضاه ويختلس عطفه بايهامه أن مدائحه كمدائح صاحبه فى لفظها ومعناها ليستلفت نظره ويسترعى انتباهه، وفى ذلك يقول :

الى سُدّةِ العباس وجهتُ مدحتى ... بتهنئةٍ شوقيةِ النسجِ معطارِ

كما يقول فى موضع آخر :

معانٍ وألفاظٌ كما شاء أحمدٌ ... طوتْ جزلَ بشارٍ ورقة مهيارِ

وكثيراً ما كان يغلب عليه اليأسُ ويعترف بعجزه عن مداناة شوقى كما يعترف بأنه أقل من أن يصل بشعره الى الخديوى فيقول :

لم يُبْقِ أحمدُ من قولٍ أحاوله ... فى مدح ذاتك فاعذرنى ولا تعبِ

فلست ممن سمتْ بالشعر همتُه ... الى الملوكِ ، ولا ذاك الفتى العربى

وينتقل بشعره الى مدح (ادوارد) و (فيكتوريا) و (هوجو) و(عبدالحميد) .

طرق حافظ في سبيل غايته كلَّ هذه السبل على ما رأيتَ وعاد منها كلها خائباً فحوَّل وجهه ناحية اخرى وابتدأ يمدح شوقى نفسه ويطرى شعره علّه يذكره يوماً بخير عند مولاه ، وكم كان في هذه الامنية واهماً . واستمع اليه حين يقول في تهنئة الخديوى :

شوقى نسيتَ فما ملكتُ مدامعى	من أن يسيل بها النسيبُ الشيق
أعجزتَ اطواق البيان بمدحةٍ	سجد البيان لربها والمنطق
لم تتركا [1] لى في المدائح فضلة	يجرى بها قلمى الضعيف ويلحق
نفسٌ على شوقٍ لمدح أميرها	ويراعتى بين الأنامل أشوق
ماذا أقول وانّما في مدحه	بحران بات كلاهما يتدفق ؟
العجز أقعدنى وان عزائمى	لولاكما فوق السماء تحلق !

وهل تظن ان شوقى قد مُدِح في حياته أو أُبِّن في مماته بأجمل من هذه الأبيات التالية التي كلل بها حافظ جبينه والتي تلمس فيها الحبَّ والإخلاص والاعتراف بفضل ؟ واليك هذه الأبيات التي تسيل رقة وعذوبة :

يا شاعرَ الشرقِ اتّئدْ ماذا تحاول بعد ذاكْ

هذى النجوم نظمتَها دررَ القريض وما كفاكْ

والبدرُ قد علمته أدبَ المثول اذا رآكْ

وسموت في أفق الشعو رِ فكدتَ تعثر بالسماكْ

وحباك عباسُ الحما مدِ بالمواهبِ واصطفاكْ

وقلَّ أن تجد مدحة خديوية له قد خلت من ذكر شوقى إمّا مادحاً له أو متوسلاً به عند مولاه — أفلَم أخفق حافظاً في مسعاه بعد هذا اللأى المتواصل ، وخاب فأله بعد ذلك الصبر الجميل ، أفلا يصح أن يكون هذا الإخفاق وهاته الخيبة عاملين

---

(١) صبرى وشوقى

قويين من عوامل بؤسه ؟ أعتقد أن بعض هذا كان كافياً للقضاء على نفسه لولا أنها جبارة فسيحة الآمال .

حسنات هذا البؤس وسيآته

وإخال أن أول ما يواجهنى به القارىء لو لم أتبع هذا العنوان بما يوضحه ويبين رأيى فيه هو السؤال الآتى : وهل للبؤس من حسنات ؟

وأنا أرى وأحب أن يشاركنى القراء فيما أرى أن حافظاً كله ثمرة من ثمار البؤس ويد من أياديه الطيبة يقدرها اه الأدب والمتأدبون . ولو تمثل البؤس للناس رجلاً لكان شاعرنا آخر أبنائه وأقربهم شبهاً به . والذين يتصدون مثلى لدراسة حافظ يرون أن شعره — وإن شئت فقل انتاجه عامة — يسير مع بؤسه جنباً إلى جنب ويتدرج معه فى الوجود قوة وضعفاً ويتبعه فى الحياة وجوداً وعدماً ، ويرون أنه بين يدى بؤسه كالقيثارة الطيبة بين يدى العازف كلما قسا على أوتارها المشدودة علا رنينها وارتفع أنينها .

ألست تراه وهو ضابط بالمدرسة الحربية فى مصر موفور العيش بين أهله وصحبه خافت الصوت لا تسمع به إلا فى المناسبات — فاذا ما ذهب إلى السودان وحل به من العناء والعذاب ما علمت حركت أنامل البؤس هذه القيثارة فأنّ أنيناً عالياً سمعناه فى مصر فحرك عواطفنا وأيقظ من آلامنا وأشجاننا ما كان منسياً ؟ ولو لا ضنّنا بحياة الشاعر وحدبنا على شخصه وإشفاقنا عليه من عبء لم يتعود حمله لأبقيناه فى السودان كذبالة المصباح تضىء للناس وهى تحترق !

ولو سايرت حياته ونظرت اليه بعد ذلك وقد عاد من السودان واستقال من عمله وقبع فى كسربيته لا تصل يده الى قوته الا بعد لأى وعناء لرأيت كيف أوجد البؤس أمامه أكثر من باب ، وعلمه الاحتيال بطرقها ، والتدرع بالصبر والثبات وعدم اليأس مادام شاعراً ، والشعر مفتاح القلوب . وكان حيناً يمدح العظماء ويرثى موتاهم ، وأحياناً يغشى المجالس والأندية بشعره فى مختلف الشئون حتى يبلغ رسالته ويشعر الناس به ، لعلهم يخرجونه من ظلمات البؤس الى نور السعادة والهناء .

وبعد ادرالكفايته المادية أمسك هذا البلبل الصداح عن التغريد وافتقدت الآذان

صوته عندما وُظّف بدار الكتب فى العهد الأخير براتب لم يكن فى حسبانه يوماً ما ، ومكث أكثر من سبع سنوات دويناً فى منصبه لا يحسّ بوجوده الا من اتصل به ا وما إن خرج من الدار مُحالاً الى المعاش حتى انطلق كما ينطلق العصفور السجين وعاود الغناء والتغريد ، فأسمعنا فى السياسة ونقد الانجليز مقطوعات جريئة لاعيب فيها سوى أنها كانت قصيرة العمر تحمل معها نُذر فنائه ، لهذا كله لا نرى بدعاً ولا حرجاً فى أن نقول ـ وحقّ ما نقول ـ أن حافظاً لو لم يكن بائساً لما كان شاعراً، وانه مدينٌ الى البؤس بهذه الشهرة الواسعة، ولولاه لما تسنى له أن يتقدّم الى الأدب بهذه الصورة الباكية التى تذيب الافئدة وتستدرّ عصى الدموع .

وقد قدمنا لك آنفاً أنه لم يدع سبيلاً يظن أنه يوصله الى الخديوى الا سلكه وكان يخفق . وكان فى كل مرة يخفق فيها تتفتح أمامه أبواب المعانى و يكدح فكره فى اختراع ألفاظ وطرق جديدة فى التعبير فيتنوع بذلك اسلوبه وترق أخيلته وتتجدد معانيه ، وفى ذلك كله نموّ فى فكره وأثر فى أدبه لا يقل عن أثر تقليده لشوقى فى مدح الدولة العثمانية وإطراء الخلافة يوم كانت ثم رثائها حين دالت ، وترسّم خطاه فيما كان ينظم فيه من أغراض . ولم يعرف عنه أنه اقتدى بشوقى فى غير هذه الناحية ، ولعله كان يعتقد أنها هى الطريق الذى ركبه شوقى الى مجده والسلم الذى صعد عليه .

أما سيآت هذا البؤس : فحسبك منها انها خلقت من حافظ شاعراً قانعاً متواضعاً مستهيناً بنفسه وبمكانته بين قومه ، وما كان من آثار ذلك ما نراه فى شعره من خضوع واحساس بالضعة ، ولولا هذا لما استباح لنفسه أن يقول :

ولستُ ممن سمت بالشعر همتُه الى الملوك ولا ذالا الفتى العربى

وكان من نتائج هذا البؤس الذى يلازمه ما نراه من اسرافه فى مدح زميل له كشوقى ، فقد أغرق فى ذلك وأتى بما يعاب . ونحن اذا تسامحنا معه وقبلنا منه قوله فى استقباله :

هذا امرؤ قد جاء قبل أوانه إن لم يكن قد جاد قبل أوانه

مع ما بينهما من قرب المسافة وضعف البون كما أسلفناه فما كنا لنتقبل منه بحال أن يرضى بالدون أو نستسيغ منه أن يصف نفسه بالضعة والصغار ويسجل عليها

العجز والتقصير فيقول فى رثاء (تولستوى) من قصيدة إن لم تكن أحسن من شوقية صاحبه فما هى بأقل منها :

رثالكَ أميرُ الشعر فى الشرق وانبرى لمدحك من كتاب مصر كبيرُ
ولستُ أبالى حين أرثيك بعده إذا قيل عنى قد رثاه صغيرُ

بل انى لأستنكر على رجل كحافظ يقول له الشاعر الكبير أحمد محرم :

أميرَ الشعر والشعراء سمعاً مقالة ذى محافظةٍ صدوق
لأنت المرء يشأى طالبيه فليس طلابُ شأوك غير مُوق

ثم يأتى هو بعد أعوام من ذلك التاريخ وقبل أن تُنْسَى تلك المدحة العظيمة فيقول لشوقى فى مهرجانه :

أميرَ القوافى قد أتيتُ مبايعاً وهذى وفودُ الشرق قد بايعتْ معى !

ولا خلافة هناك ولا ملك ولا بيعة ! وكانت لذلك نتيجة عكسية من جانب شوقى ، فقد أهمل صاحبه ونسى وجوده ولم يعترف له بموهبة ولا فضل ، وهكذا كان شوقى يحترم من يخافه ويتجاهل مَن يأمنه ولو كان أفضل الناس جميعاً .

وثمة أثر كان اسوأ لهذا البؤس ونتيجة بغيضة لا تقل عن سابقتها وتلك هى اتخاذ الشعر وسيلة للاستجداء وأعتباره سلماً لغايات النفس وشهواتها ، وهذا لعمرى خطر داهم على الشعر والشعراء ، يحط من اقدارهم ويسوّي بينهم وبين المتسولين الذين يسألون الناس فى الطرقات الحافاً — وواجب على الكتاب والشعراء فى كل زمان ومكان ان يستهجنوا هذا النوع المهين من الشعر ويطاردوا قائليه — وكان ذلك على ما فيه من ضعة ومهانة شائعاً فى شعر حافظ يختم به مدائحه ويذيل به رسائله إن نظماً وإن نثراً .

وأكبر ظنى انه لولا البؤس الذي أقضّ مضجعه وطغى على احساسه لما رضى أن ينسب إليه مثل هذا العجز الوضيع :

« أدرك فتاك فقد ضاقت به الحالُ »

ولما غفرنا له بأى حال قوله لممدوحه فى قصيدة هى تهنئة بعرس :

وكنْ لعليٍّ بهجةَ العرسِ انه بعزّكَ فى الافراح تمتْ مزاياهُ
ولا تنسَ من أمسَى يقلب طرفه ولم تر الا انت فى الناس عيناهُ

وانت ترى ان البيتين مع ما فيهما من تناقض واختلاف فقد شوّه الثانى منهما جمال الأول ومسح بهجته ورواءه . وكان من سيئات هـذا البؤس كذلك أن اتخذ شعر حافظ هذه الناحية الهادئة المتواضعة واصطبغ بهذا اللون القاتم فجـاءَ خالياً من حماسة البارودى وفخره ومن زهو شوقى وكبريائه .

ومن يدرى كيف كان يؤول مستقبل حافظ لو أُتيح له من بلهنية العيش وسعادة الحياة ما أُتيح لصاحبه ولوحِظَ بتلك العناية التى لوحظ بها زميله .

ولقد كان حافظ يفنى فى بؤسه ويرى أنه من الغبن أن يشترك معه غيره فيه . لهذا آثر ان يحتمله وحده ، فلم يتخذ له صاحبة ولاولداً ، ومات ولم يعقب سوى كتابين فى النثر هما كما يقول عنهما خير ما أخرج للناس فى هـذا العصر ، وديوانه المطبوع فى ثلاثة أجزاء وهو حرى بالدراسـة والتحليل — يقول شوقى رحمـه الله فى تقريظه :

لا تسألوا الأصدافَ عما أودعتْ فى هذه الأوراق كلّ عجيبِ

تلك صفحة من تاريخ حافظ ، إنْ لم تكن قد استوعبت حياته فقد أضاءت أظلم ناحية فيها ، وكفى ؟

طه محمد عبده

المرأة فى شعر حافظ

لاتُعرف لأمةٍ نهضةٌ شاملة اذا حُرِمَتْ المرأةُ نصيبها من التأثير فى المجتمع . ومقياس منزلة المرأة الإشادة بها واعلان فضلها ونفوذها . وقد تكون تلك الاشادة وذلك الاعلان بصور شتّى : كالدفاع عن حقوقها ، وكالتغنّى بمآثرها فى بناء هيكل الأمة ، وكالتغزّل بجمالها . فأين شعر حافظ من كل هذا ؟

لقد كان حافظ من مدرسة قاسم أمين المنتسبة الى بيئة الامام محمد عبده وهى

بيئة حرة مصلحة ، وحسبك من قاسم كتاباه عن « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » ولذلك جاء شعر حافظ من أصوات الاصلاح العالية للمرأة فى غير تردد وإن كان فى اعتدال وتدبر وحذر . أليس هو القائل مخاطباً قاسماً :

أقاسمُ إنَّ القومَ ماتت قلوبُهم ... ولم يفقهوا فى السفر ما أنت كاتبُهْ

الى اليوم لم يُرفَعْ حجابُ ضلالهم ... فمن ذا تناديه ومَنْ ذا تعاتبُهْ؟

فلو أنّ شخصاً قام يدعو رجالَهم ... لوَضْع نقابٍ لاستقامتْ رغائبهْ !

ولو خطرتْ فى مصر حواءُ أمُّنا ... يلوح محيَّاها لنا ونراقبُهْ

وفى يدها العذراءُ يسفر وجهُها ... تصافح منّا مَنْ تَرَى وتخاطبُهْ

وخلفَهما موسى وعيسى وأحمدٌ ... وَجيشٌ من الاملاك ماجت كواكبُهْ

وقالوا لنا : رفعُ النقاب محلَّلٌ ... لقلنا : نعم حَقٌّ ، ولكنْ نجانبُهْ !

وفى هذه الأبيات من التهكم اللاذع والسخرية بأنصار النقاب ما فيها . وقد لبث هؤلاء السادةُ مشغوفين بحوارهم ونقاشهم الى أن تولت المرأة نفسها الفصل بينهم ، فنزعت أخيراً نقابها فى غير تردد ، وفرغت من ذلك لتلتفت الى ماهو أهم — الى التعليم الجامعى، وإلى استرداد حقوقها فى ادارة شؤون الوطن وفى اختيار نواب الشعب ، ثم فى الاشتراك فى المستقبل بتمثيله البرلمانى . وهذه الروح الطامحة المتوثّبة مدينة الى حافظ ابراهيم كما هى مدينة الى قاسم أمين .

ولحافظ فى الأمومة وفى منزلة المرأة الاجتماعية من روائع الشعر ما يجب ان تذكره بنات جنسى دائماً بالحمد والتقدير . أليس حافظ هو القائل :

مَنْ لى بتربية النساءِ فانها ... فى الشرق علةُ ذلك الاخفاقِ

الأمُّ مدرسةٌ اذا أعددتَها ... أعددتَ شعباً طيّبَ الأعراقِ

الأمُّ روضٌ إنْ تَعهّدَهُ الحيا ... بالريّ أورقَ أيّما ايراقِ

الأمُّ أستاذُ الاساتذةِ الأُلىَ ... شغلتْ مآثرُهمْ مَدَى الآفاقِ

ليستْ نساؤكمو حُلىً وجَواهراً ... خوفَ الضياعِ تُصانُ فى الأحقاقِ

ليستْ نساؤكمو أثاثاً يُقتَنَى ... فى الدُّورِ بين مخادعٍ وطباقِ

ربّوا البنـاتِ على الفضـيلة إنها ... فى الموقفين لهنَّ خـيرُ وثاقِ
وعليكمو أن تستبين نساؤُكمْ ... نورَ الهُـدَى وعلى الحيـاء الباقى

فهذه الأبيات نفثة مصلح حكيم ، ولكنه يصيح فى بيئة متأخرة لا يستطيع فيها أن ينصف المرأة الأ فى حقوقها الأولية . وما أظنّ أنّ الحرب أفسحت أفق حافظ ، ولو كانت فعلت لكافح عن المرأة المصرية كفاحاً أعظم ولحاول أن ينيلها من الحقوق ما نالته أختها الغربية وفى مقدمتها حق الانتخاب ، لان المرأة المصرية الفلاحة كانت وما زالت أحصف وأبعد نظراً من الرجـل الفلاح ، وهى المـدبّرة الحقيقية للاسرة المصرية ، فهى أولَى منه باستعمال الحق الانتخابى . ولم يكن حافظ ليفوته شىءٌ خاص بالمرأة فسجّـل حركتها السياسية إبّـان الثورة فى نونيته المشهورة .

أمّـا شعر حافظ الفنى فى المرأة فلا وجود له كأنما هو لم يعشق فى حياته ، ومعنى هذا حرمان الأدب العربى كنزاً ثميناً من عواطف حافظ المقبورة . وقد قرأتُ له شيئاً من الشعر الغزلى بعضه موجّه الى المفرد المؤنث ومعظمه الى المفرد المذكر ، وكله فيما أعتقد من الغزلى الصناعى الميت .

وأين هذا مما نشرته (أبولو) لناجى وأبى الوفا والصيرفى والشّـابى ولأمثالهم من شعراء العاطفة ؟ وقد اعتاد بعضُ الشعراء مخاطبة المرأة بضمير المذكر توجيهاً بالخطاب الى « المحبوب » المتسامى عن كل صفة ، ومن الجائز أن يُحتـجّ علىّ بأن غزل المذكر فى شعر حافظ هو غزل طبيعى فى المرأة، وقد تفرّستُ فيه تـكراراً فلم ألمح ذلك فيه ، وانما كانت الصناعة تطلّ من كل بيتٍ من أبياته فى حين أنّ أبيات ناجى التالية المذكرة الضمير تامـة عن العاطفة الجياشـة الموجهـة الى المرأة ، وهى فى قصيدته « المنسىّ » :

متى يرقّ الحظُّ يا قاسى ... ويلتقى المنسىُّ والناسى ؟!
مَتى ؟! وهل من حيلةٍ فى مَتى ... وفى خيالاتٍ وأحداس ؟
هدَّ قرارى جَرْيُها فى دمى ... وهَمْسُـهَـا فى كَرِّ أنفاسى !
وأنتَ مثلُ النجم فى المنتأَى ... وفى السّـنا الخاطفِ كالماسِ
يرنو له الناسُ ويبغونه ... وما يُبالى النجمُ بالناسِ !

وانتَ كاسُ الحُسْنِ لكنّنا مثلُ حَبابٍ حامَ بالكاسِ
طفا ! وقد قبّلَ أنوارَها ورفّ مثل الطائرِ الحامى
وذاب أو جفّ على نورها كما يذوب الطّلُّ بالآسِ !

وأمّا أبوشادى فى أغانيه ودواوينه فموكّل بعبادة المرأة ، ومثله رامى فى غزلياته (ولا أقول فى أدواره العامية فهى ليست موضوع بحث) ، فكيف لم تؤثر المرأة فى فى شخصية حافظ هذا التأثير ؟ ولماذا لم تؤثر كذلك فى نفسية شوقى ؟ هذه خسارة فنية لاشك فيها ، ولكنْ مهما يكنْ من شيءٍ فالمرأةُ مدينة الى شعر حافظ بجميلٍ عظيمٍ ؟

زينب سليم



تنبيهـــات الادارة

انتهى بصدور العدد الماضى المجلد الأول من (أبولو) ولكننا آثرنا إصدار هذا العدد الاضافى اكراماً لذكرى شاعر الوطنية المصرية وشاعر العربية الكبير محمد حافظ ابراهيم بك. وقد أهدينا هذا العدد الى المشتركين بدون مقابل كما أهدينا اليهم من قبل ديوان (الشعلة) بصفة استثنائية . ونظراً لنفاد الطبعة الأولى من هذا الديوان اضطرارنا الى إعادة أثمان النسخ التى طُلبت منّا حديثاً ، وكذلك نفدت نسخ ديوان (أشعة وظلال) ، وليس فى إمكاننا اعادة طبعهما فى الوقت الحاضر نظراً لاشتغالنا باصدار مؤلفات أخرى وفى مقدمتها ديوان (أطياف الربيع) .

وقد اقترح علينا بعض حضرات القراء استمرار اصدار المجلة طول السنة ورفع بدل الاشتراك ، ولكننا لم نستطع الأخذ باقتراح حضراتهم نظراً للحاجة الى استجمام القوى . وستعود (أبولو) الى الصدور فى أول سبتمبر المقبل مفتتحة مجلّدها الثانى ومحتفظةً ببدل اشتراكها المعتاد (ثلاثين قرشاً فى السنة) وبنظامها الحاضر (عشرة اعداد فى السنة) مع بذل الجهد للمحافظة على مستواها الحاضر إن لم نزدها تحسيناً .

وسننتهز فرصة العطلة الصيفية لاعادة طبع العدد الأول من المجلد الأول بحيث يكون ميسوراً لحضرات القراء فى اول أغسطس المقبل ؛ ويمكن طلبه حينئذ من الادارة مباشرة أو من مكتبات البيع ، وكذلك أعداد المجلد الاول كاملةً .

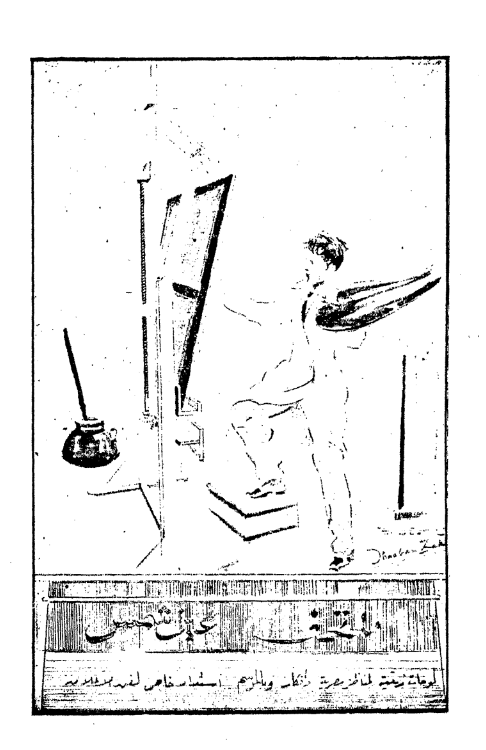
ندوة الثقافة

يسرنا أن نبشر القراء أن أمنيتنا التعاونية التى نشدناها منذ تأسيس مجلة أبولّو وشقيقاتها من قبل سائرة تدريجياً فى سبيل التحقيق، بفضل غيرة وهمة أستاذنا الجليل خليل مطران بك — رجل الشعر والأدب والاقتصاد والتعاون .

ولا يخفى أننا مسؤولون عن تأسيس ونشر المجلات الآتية : مملكة النحل ، الدجاج ، الصناعات الزراعية ، أبولّو ، الإمام . وجميعها ألسنة لهيئات ثقافية محترمة ، كما أنّ جميعها فريدة فى أبوابها ، وخدماتها منقطعة النظير فى العالم العربى ، وقد كان لها فضل كبير فى توجيه عناية الشباب إلى الأدب الجدّى الذى طغت عليه الصحافة المتبذلة أيّما طغيان .

ولمّا كان من علل فشل الأعمال فى الشرق روح الأنانية والفردية — وهى ما نبرأ إلى الله منها — كان من أول همّنا السعى لانشاء هيئة تعاونية شاملة تدير هذه الحركة الثقافية وتضمن لها البقاء فى الحاضر والمستقبل ، وتتولى إلى جانب ذلك نشر المؤلفات الأدبية والعلمية القيمة فى غير تحيّز لشخص ولا لجماعة . ولذلك استقرّ الرأى على تكوين هيئة تعاونية ثقافية باسم « ندوة الثقافة » لتحقيق هذه الغاية الجليلة ، ويرجى أن يتمّ تأليفها قبل انقضاء السنة الحاضرة . والمنتظر أن تنال هذه الهيئة التعاونية تعضيد الوزارات والمصالح الحكومية ومجالس المديريات ومعاهد التعليم المختلفة فى العالم العربى لأنها ستكون من أقوى الهيئات لخدمة المعرفة العامة أدبياً واقتصادياً ، تأليفاً ونشراً ، وستكون لها صفة شعبية عامة من كل الوجوه .

ولحضرات القراء الذين يهمهم هذا الموضوع — وما نحسبهم بالقليلين — الاتصال برئيس (جمعية أبولو) حضرة خليل مطران بك بالنقابة الزراعية العامة فى شارع أبى السباع بالقاهرة .



تصويبـــات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٣٣	١١	قال هذا	قال هذا له
١٠٣٣	١٢	وُفِّقَ للأرض	بَثَّ فى الأرض
١١٣٧	٥	ظلّ	ضلّ
١١٩٥	٢١	والانتباهاً	والانتباه
١٢٠٠	١٥	قاصرة	مقصورة
١٢٠٠	٢٩	القارى	القارىء
١٢٠٢	١٠	الثانى	الثانية
١٢٠٣	١٢	يفيد	يفسد
١٢٦٠	٨	النظ	النظر
١٢٦١	٢١	ثأثير	تأثير
١٢٦٣	١٨	ثأثيره	تأثيره
١٢٧٥	٣	قدّ	مدّ
١٣٠٥	٣	تلتظى	تتلظّى
١٣٣١	١٥	ونرى	وزى
١٣٧٢	٢١	ايران	ايرانى
١٣٨٧	٤	عدائى	عداتى
١٤٠١	١٦	العزز	العزيز
١٤٠٢	٧	يانفصى	يانفسى









مجلة فنية لخدمة الشعر الحي

المجلد الأول

سبتمبر ١٩٣٢ — يولية ١٩٣٣

مطبعة التعاون

فهرس لأبواب المجلد الأول



فهرس لموضوعات المجلد الأول

(ا)



فهرس لكتّاب المجلد الأول

(أ)

